

# التلخيص في علوم البلاغة

للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن  
القزويني الخطيب

مبطله وشرحه

الأديب الكبير الأستاذ

عبد الرحمن البرقوقي

منشئ البيان وأما ظف بمجلس النواب

---

دار الفكر العربي

## مقدمة الشارح للطبعة الأولى

التي طبعت سنة ١٩٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

حياطة الدين مِلْأَك الخَيْر ، والتفقه فيه قِوَام السَّعَادَةِ ؛ وإِنَّمَا السَّبِيل  
إِلَى هَذَا مَعْرِفَةُ اللُّغَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا ذَلِكَ الدِّين ، وَمِسَاكُ اللُّغَةِ عِلْمُ الْبَيَان ،  
الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَرَبْرَاعَةَ كَاتِب ، وَخِلَابَةَ شَاعِر ، وَذِرَابَةَ خَطِيب ، وَمَا كُنْتَ  
تَسْمَعُ نَظْمًا أُنِيقَ الظَّاهِر ، عَمِيقَ الْبَاطِن ، بَلِ الْمَعَانِي السُّوقِيَّة ، وَالْأَلْفَاظُ الْمُبْتَذَلَةُ  
الَّتِي تَعَارَفَهَا الطَّبَاع ، وَتَمَجَّهَا الْأَسْمَاع ؛ وَالَّذِي لَوْلَاهُ لَأَسْتَسِرَّ بِعَجَازِ الْقُرْآن <sup>(١)</sup> ،  
وَلَأَسْتَمِرَّ بِهِ يَدَّ الدَّهْرِ <sup>(٢)</sup> السَّرَّار ، فَيَنْجُزِمُ إِذْ ذَاكَ حَبْلُ الدِّين . وَتَهَارُ  
— معاذ الله — دَعَائِمُ الْيَقِين .

وَهَذَا مَا أَحَدًا إِمَامُ اللُّغَةِ فِي عَصْرِهِ : الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ إِلَى  
وَضَعِ كِتَابَيْنِ فِي هَذَا الْعِلْم ، دَارَ لَهَا فَلَكَ الْفَصَاحَةُ ، وَبَرَقَتْ أَسَارِيرُ الْبَيَان .  
سَمِيَ أَحَدُهُمَا أَسْرَارُ الْبَلَاغَةِ ، وَالْآخَرُ دَلَائِلُ الْإِعْجَاز .

---

(١) استسر : من قولهم : استسر القمر ، أى خفى ليلة السرار ، والسرار :  
آخر ليلة من الشهر .  
(٢) يد الدهر : أمد الدهر .

كتب في هذا الفن قبل الإمام عبد القاهر : جماعة من البلغاء ، مثل : الجاحظ  
وقدامة الكاتب وابن دريد ، بيد أن ذلك الإمام هو الذي أخذ بِضَبْعِيهِ<sup>(١)</sup> ،  
وأناف به على اليفاع<sup>(٢)</sup> فهو الذي عين له رسوماً يُعَرِّجُ عليها ، وسن له قوانين  
يُعَمِّدُ إليها ، وأبرز ذلك في كلام لا يقوم بفصاحته لسان ، ولا يَطْلَعُ  
فَجْهَهُ إنسان<sup>(٣)</sup>

قام بعد هؤلاء أبو يعقوب يوسف السكاكي : إمامٌ فَتَّ في عضده حب  
الفلسفة<sup>(٤)</sup> ، فعمد إلى هذا العلم ، وقبَعَ في كِسْرِ يَتِهِ<sup>(٥)</sup> ، لا يرى إلا نفسه ،  
ولا يسمع إلا حسه ، ووضع ما وضع مما نهج فيه أهل النظر من الحكماء ،  
لأمنهج المطبوعين من البلغاء ، وهو وإن فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب  
وتقريب الأحكام ؛ فلم يدرك شأوه في لطف الحس ، وصفاء الديباجة ، وبراعة  
الكلام ؛ فكان وسطاً بين عبد القاهر وأضرابه من المتقدمين ، وبين  
عبد الحكيم وأترابه من المتأخرين .

(١) الضبع : العضد .

(٢) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، وأناف به على اليفاع ، وأخذ  
بضبعيه : يريد أنعشه ونوه به وسما .

(٣) اطلع الأرض : باعها ، والفج : الطريق الواسع بين جبليْن في قبل  
من أحدهما .

(٤) يقال : فت هذا الشيء في عضده : إذا كسر قوته ، والمراد بلغت منه  
واستولت عليه .

(٥) قبَعَ القنفذ : أدخل رأسه في جلده ، وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه  
في قميصه ؛ وكسر البيت : جانب الحباء .

نهض بعد ذلك جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، فهدب  
ماوضعه السكاكي ، وضم إليه تنقلاً مما وضعه عبد القاهر ، وأخرج للناس كتاباً  
هشت له النفوس ، وأصاب منها مواقع الماء من ذى الغلة الصادى .

ظهر حوالى ذلك قوم درجوا من غش الفلسفة ، فوضعوا على هذا الكتاب  
الشروح والخواشى ، وسلكوا بهذا العلم مسلكاً تنكره اللغة ، ويستهجنه  
البغاء ، فأغضوا عن أسرار البلاغة ، وتشبهوا بالفلسفة ، وحى بينهم وطيس  
المنظرة ، حتى أتوا على الذماء الباقى من هذا العلم ، وحتى أضحى وقد  
انهالت دعائمه ، وتنكرت معالمه :

كأن لم يكن بين الحجاجين إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر  
أتى على ذلك حين من الدهر بلغ من هذا العلم نسيئة<sup>(١)</sup> ، حتى أتيج له  
فى هذا العصر إمام<sup>(٢)</sup> تولى الله تأديبه ، وأرضعه أفلاويق حكمته ، وأوحى إليه  
صالح العلم ، وأيده بآيات الحق : إمام أرسله الله رحمة للغة والدين ، رحمة  
للغة بما يديحه يراعه ، وما يحويه من آثار المتقدمين ، ورحمة للدين بما يبين من  
صحيحه ، ويكشف عن صريحه ..

فبينما تراه فى جحفل من البلاغة والبيان ، ينافح كتاب العى بعصب  
يمان ، ويفزى أحشاء الفهاة يبراع أحد من السنان<sup>(٣)</sup> ، إذا هو فوق منبر

---

(١) النسيئ : بقية الروح ، ويقال : بلغ منه نسيئ : إذا أشرف على التلف .

(٢) هو أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده .

(٣) الجحفل : الجيش ، وينافع : يضارب أشد المضاربة ، والكتاب  
جمع كتيبة : ونهى الجيش أيضاً ، والمضب : السيف القاطع ، استعير هنا للسان .  
وفرى : يقطع ، والمراد ظاهر .



التذكير ، يسوق للناس الرشد في نوابع الكلم ، وروائع الحكم ، فلا يلبث أن يقوم من أود المائل ، ويبحث من النفوس جذور الباطل<sup>(١)</sup> ، وبينما تراه ينقب في مناجم العلم ، ليلتقط من آثار الآباء ، ما تكون فيه عبرة الأبناء ، إذا هو يخرج للناس من منجم علمه ، جواهر تزرى بثلك الجواهر ، وينيز بها شأو الأوائل والأواخر .

كان من بين ما قرأناه عليه حفظه الله : كتاباً أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لتلك الإمام ، فإما هو إلا أن سطع فينا نور هذين الكوكبين ، حتى استبان لنا سوء ما كنا نعتسف فيه<sup>(٢)</sup> ، ورحمنا أنفسنا وأنصبتنا في غير طائل ، ومطايا من العمر أنضيناها في سبيل الباطل ، وحتى علمنا أن مالدنيا من هذا العلم لم يكن إلا سبابة لا تنفع غلة<sup>(٣)</sup> ، ولا تغني عن رواد البلاغة .

وهذا ما حرك النفس إلى شرح ذلك الكتاب ، الذي هو عمدة طلاب البلاغة في هذا العصر ، وقبلتهم التي يحجون إليها ، لولا ما يعترض سبيلهم من اختصار ألجأ المؤلف إليه رغبة أن تكون قواعد هذا العلم على طرف الثمام<sup>(٤)</sup> ، والذي عقد عليه أولئك القوم سحبا من الألفاظ حجبت معانيه دون الطالب لتلك الأسرار ، كما تحجب الفيوم صفحة البندر دون الأنظار ، ولم نزل ردحاً من

---

(١) الأود : الأعوجاج ، ويبحث : يقتنع .

(٢) الركاب يمتسفن الطريق : يحبطنه على غير هداية .

(٣) نقع الماء العطش : سكنه ، وهذا الشيء لا يغني عنك : لا ينفعك .

(٤) الثمام : نبت ضعيف لا يطول ، ويقال : هو لك على طرف الثمام :

أى حين المتناول .

الزمن نستخير الله في أن نلج هذا المأزق المتلاحم ، حتى حار لنا سبجانه ولدينا من الصبر درع مسردة لا تنفذ فيها السهام<sup>(١)</sup> ، ومن الثقة بالله قَبَسٌ<sup>(٢)</sup> يضيء لنا دُجَنَاتِ الظلام .

أسلفنا أن ثمرة هذا النوع من العلم هي إدراك إعجاز القرآن ، والوقوف على الأسرار التي بها يرتفع شأن الكلام ، ويفضل بعضه بعضاً . لكن لا بد للمرء قبل ذلك أن يحظى بِرَسٍّ<sup>(٣)</sup> من اللغة ، ويصيب ذرواً من النحو ، ويرشف الضرب من لسان العرب<sup>(٤)</sup> ، ويكون له مع ذلك خاطر كدم في مكدم ، وذهن إذا لاقى الضريبة صمم<sup>(٥)</sup> .

أما النحو : فهو معيار لا يتبين نقصان كلام ورجحانه ، حتى يعرض عليه ، ومقياس لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ومن شذفيه فقد خمش وجه الكلام ، وجعل نفسه غرضاً لسهام الملام : انظر كيف نعى على أبي نواس حين غلط في قوله يصف الخمر<sup>(٦)</sup> :

( ١ ) الردح : المدة ، والمأزق : المضيق . ويقال : سرد الدرغ : نسجها ، وهو تداخل الخلق بعضها في بعض .

( ٢ ) القبس : جذوة من نار ، والدجنة : الظلة .

( ٣ ) يقال : بلغني رس من خبر وذرو من قول : أي شيء منه .

( ٤ ) الرشف : المص ، والضرب : العسل الأبيض الغليظ والمعنى ظاهر .

( ٥ ) كدم في مكدم : طمع في مطمع ، وقوله وذهن إذا لاقى الضريبة صمم ،

فالضريبة : المضروب بالسيف وإنما دخلته الهاء - وإن كان بمعنى مفعول - لأنه صار في عداد الاسماء كالنطيحة ، يشبه الذهن بالسيف في المضاء .

( ٦ ) لأن فعله أفعل لا يجوز حذف الألف واللام فيها ، وإنما يجوز

كأن صغرى وكبرى من فوقهما حصباء در على أرض من الذهب  
وكيف سلقه الناس بألسنتهم ، حين قال في الأمين محمد<sup>(١)</sup> :

ياخير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر المأمون  
وقل لي بعيشك : هل يمكن الجاهل به أن يزود عن القرآن فيما عساه  
أن يخفى من وجوه الإعراب ، فيدرك ما قاله العلماء مثلاً في قول الله جل شأنه :  
« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون<sup>(٢)</sup> » وما استشهدوا به من قول الشاء :  
وإلا فاعلموا أنا وأتم بغاة ما بقينا في شقاق

وأما اللغة والأدب فهما مسرح الفصاحة ، ومعنى البلاغة ، نعم ، وهل  
يتسنى للقائل أن يعتمد إلى ما كان من الكلمات عذب النطق ، سهل اللفظ ،  
غير حوشي مهجور ، ولا سوق مردود ، وما كان من التراكيب جيد  
السبك ، بحكم الرصف ، غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، وما كان من  
التشبيه والجاز والكناية قد أصاب الحز ، ووضع فيه الهناء مواضع الثقب ،  
حذفهما من فعلى التي لا أفعل لها نحو : حبل ، إلا أن تكون فعلى أفعل مضافة .  
وهنا عريت عن الإضافة .

(١) فإنه رفع الاستثناء من الموجب .

(٢) سيمر بك في الشرح أن الصابئون ، مرفوع على الابتداء وخبره  
محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إن الذين  
آمنوا والذين هادوا والنصارى ، حكمهم كذا ، والصابئون كذلك ، وإن فائدة  
التقديم التنبيه على أن الصابئين مع كونهم أبين المذكورين ضلالاً وأشدهم غيا .  
يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فالظن بغيرهم .

إلا إذا ضرب في اللغة بسهم ، وجرى في أساليبها على عِرْق<sup>(١)</sup> ، وهل يتأتى  
للمرء أن يدرك إيجاز القرآن ، وتبريزه على سائر الكلام ، حتى يلم بجميع  
خبريه ، ويسير سائر أساليبه .

ولقد أفضى الجود بقوم إلى أن بنحسوا الأدب حق ، ولم يوفوه من  
الإعظام قسطه ، حتى صوّحت لديهم زهرته ، وذوّت بينهم نضرتها<sup>(٢)</sup> ،  
وصار من يحاول العلم منهم ، فإنما يرتوى من آجن ، ويكتنز من غير طائل ،  
ألم يعلموا أن العلوم عيال عليه ، وأن الشريعة مفتقرة إليه ، وأن مثلها ومثله  
قول أئى الأسود الدؤلى :

فَالْأَيُّ يَسْكُنُهَا أَوْ تَسْكُنُهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَتُهُ أُمُّهُ يَلِيَانِهَا

وهل بلغ أئمة الدين هذه المنزلة : فهم أغراض القرآن ، ومعرفة أسرار  
الشريعة ، إلا بعد أن قبضوا على خزائن الأدب ، وألقت إليهم مقاليد اللغة ،  
ألم يكن مما نجم عنه تعدد الآراء بينهم ، أن كان أحدهم يروى من كلام  
العرب ما يروى الآخر غيره ؟ هذا لفظ القرء مثلاً ، ذهب مالك رحمه الله إلى  
أنه الطهر ، وحبته في ذلك قول الأعشى :

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غُرُورُهُ تَشْدُ لَأَقْصَاهَا عَزِيمٌ عَزَائِكَا

( ١ ) يقال : فلان يصيب بكلامه المحز ، ويضع الهناء مواضع النقب :  
إذا كان ماهراً مصيباً . والهناء : القطران ، والنقب جمع نقبة : وهي أول ما يبدو  
من الجرب قطعاً متفرقة ، والعرق : الأصل ، والمعنى ظاهر .  
( ٢ ) صوحت الزهرة : يلبست ، وذوى البقل : ذبل .

مَوْرَثَةً مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْوَ نِسَاتِكَا  
 وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أنه الحيض ، ومستنده قول الراجز :  
 يَا رَبِّ ذِي ضِعْنٍ عَلَيَّ قَارِضٍ يُرَى لَهُ قَرْوٌ كَقَرْوِ الْخَالِضِ  
 وبكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : قصوا الشارب وأغفوا اللحى ، قال  
 قوم معناه : وفروا وكثروا ، وقال آخرون : قصروا ونقصوا ؛ حجة من  
 ذهب إلى التكثير قول جرير :

وَلَكِنَّا نَعِضُّ السِّيفَ مِنْهَا بِأَسْوَاقٍ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْمٌ (٢)

وحجة من ذهب إلى التقصير : قول زهير .

تَحْمَلُ أَهْلَانَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ

ومثل هذا كثير : لا يكاد يحصى الاستقصاء ، حتى لقد اختصه العلماء  
 بالتأليف ، وأفردوه بالكتاب ؛ اللهمَّ إِنَّ الصَّادَّ عَنْ مَعْرِفَةِ اللِّغَةِ وَأَسْرَارِ  
 الْعَرَبِيَّةِ صَادٌّ عَنْ تَعْرِفِ كِتَابِكَ ، وَأَسْرَارُ شَرِيعَتِكَ ، فَسَوَاءٌ مَنْ أَعْدَمَ  
 النَّاسَ الدَّوَاءَ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ ، وَتَسْتَبْقِي بِهِ حَشَاشَةَ الْأَنْفُسِ ، وَمَنْ  
 أَعْدَمَهُمُ الْعِلْمَ بَأَنَ فِيهِ شِفَاءٌ ، وَأَنَ لَهُمْ فِيهِ اسْتِيقَاءٌ .

أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الْقَارُوقُ الَّذِي قُلْتَ حِينَ تَنُوتُ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ :  
 « أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ  
 مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » ثُمَّ قُلْتَ لِإِخْوَتِكَ الْمُؤْمِنِينَ :

(١) مِنْهَا : أَيُّ مِنَ النَّوْقِ ، وَالْأَسْوَاقُ : جَمْعُ سَاقٍ ، وَالْكُومُ : جَمْعُ كُومَاءٍ :  
 وَهِيَ النَّافَةُ الْعَظِيمَةُ السَّامُ . يَقُولُ إِنَّهُ يَعْقِرُ النَّوْقَ الْعَظِيمَةَ بِالسِّيفِ .

ما تقولون فيها ، فهض ذلك الهذلي وقال : هذه لغتنا . التخوف : التنقص ،  
وأشد قول أبي كبير يصف ناقته :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخُوفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنِ<sup>(١)</sup>

فقلت عليكم بذيوان العرب ، فإن فيه تفسير كتابكم .

من لي بك لتتظر حال القائمين بأمر الدين الآن ، وازدراءهم للغة القرآن ،  
حتى بلغ بهم الأمر أنهم يرمون البلغاء بالسخف ، ويتهمونهم بالزيغ عن الجادة ،  
اللهم إن هذا خذلان فأدر كنا برحمتك ، وهيء لنا من أمرنا رشدا .

إلى هنا علمت أن البلاغة لا يسلس قيادها ، إلا لمن شدا في الأدب  
وعلوم النحو والصرف واللغة ، وهذا النوع من العلم علم أسرار البلاغة ،  
ولطائف الفصاحة ، المسى بعضه : علم المعاني ، وبعضه الآخر : علم البيان ،  
ومن ثم قال البيانيون : إن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ،  
إذ لا يكون ذلك إلا بوساطة هذه العلوم ، كما ستعرف .

وحيث انتهى بنا الحديث إلى هذا الموضع ، وجب علينا أن نوفى القول  
في الفصاحة والبلاغة حقه من البيان .

ولع الناس قديماً بأمر الألفاظ ولوعاً صرفهم عن جادة الاعتدال ، وجار  
بهم عن قصد السبيل ، فعكفوا على العبارات المزخرفة ، والألفاظ المفوفة ،  
والتراكيب الضخمة ، والجلل الفخمة ، وكادوا يقصرون الفصاحة على هذا

---

( ١ ) تَامِكًا : سناماً عظيماً ، والقرد : الذي أكله القراد ، والسفن : الحديد  
الذي ينحت به وهو المبرد ، يقول : إن الرجل أثر في سنام الناقة وتنقص منها  
كما ينقص السفن من العود .

النوع من الحسن ، ويذهبون إلى أن ذلك هو الذى يرتفع به شان الكلام ويفضل بعضه بعضاً ، ويبعد الشأن فى ذلك حتى ينتهى الأمر إلى الإعجاز ، وإلى أن يخرج من طوق البشر جميعاً ، فانهى لهم الشيخ عبد القاهر رحمه الله ، وأرهف عليهم لساناً أخرس الشقاشق<sup>(١)</sup> ، وأعدم نطق الناطق ، وأسأل الوادى عليهم مجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً ، فنادى بفساد مذهبهم هذا ، وإنه قد يفضى إلى إنكار إعجاز القرآن ، وإن ذلك وحده لا تثبت به فضيلة ، ولا يشف عن براعة خاطر ، وإنما الذى يدل على بعد الغور ، ودقة الفكر ، ويرتقى به الكلام حتى ينتهى إلى حيث تنقطع الأطماع ، وتحسر الظنون ، وتستوى الأقدام فى العجز ، هو تلك الأسرار والدقائق التى وضع لها كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز .

ذهب هذا الإمام إلى أن معترك البلاغة الذى تُظهِر فيه الخواطر براعتها ، والبلقاء مُنتها<sup>(٢)</sup> ، هو عند توخى تلك الأسرار والمعانى فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام . فالبلغ هو الذى يضع كلامه الوضع الذى تقتضيه تلك المعانى ولا يخل بشيء منها . فينظر مثلاً إلى الوجوه التى تراها فى قولك : زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وفى الشرط والجزاء إلى

---

( ١ ) الشقاشق : جمع شقشقة وهى شئ كالرثة يخرج به البعير من فيه إذا هاج ، ويقال للفصيح : هدرت شقاشقه ، يريدون قوة البيان ، ويقال : فى بخلاف ذلك : خرس الشقاشق .

( ٢ ) المنة : القوة .

الوجه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج ، وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجت ، وأنا إن خرجت خارج ؛ وفي الحال إلى الوجه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعاً ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع ، أو هو يسرع ، وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويحيى به حيث ينبغي له ، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلاماً من ذلك في حاقّ معناه ، نحو أن يحيى بما في نفي الحال وبلا إذا أراد الاستقبال ، وبأن فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون ، وبإذا فيما علم أنه كائن ، وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل ؛ وينظر في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على وجهه ؛ ثم إنه ليست المزينة بواجبة لهذه المعاني في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، فليس إذا رافقت التكثير مثلاً في سؤدد من قول البحترى :

تَنَقَّلَ فِي سُلُوقِ سُدُودٍ سَمَاحاً مَرَجِي وَبِأَسَاطِينِهَا

وجب أن يروى أبداً وفي كل شيء ؛ بل ليس من فضل ومزية الإيخسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد ؛ وإنما سبيل هذه المعاني : سبيل الأضباغ



التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تهدي في الأصابع  
التي عمل منها الصور والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التبخير  
والتدبر في أنفاس الأصابع وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجها لها وترتيبه إياها :  
إلى ما لم يهتد إليه صاحبه ، فحاء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب ؛  
كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيها معاني النحو ووجوهه .

وزبدة القول : إن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ، وكل ما شا كل  
ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين عن بعض ، من حيث راموا أن  
يعلموا السامعين ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ، إنما هي ألفاظ  
مترادفة لا معنى لها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتامها فيما لو كانت  
دلالة ، ثم تبرحها في صورة هي أبهى وأزین ، وأتق وأعجب ، وأحق بأن  
تستولى على هوى النفس ، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب ، وأولى بأن  
تطلق لسان الحامد ، وتطيل رغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير  
أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو  
أخص به ، وأكشف عنه وأتم له ، وأحرى بأن يكسوه فضلا ويكسبه نبلا ،  
وإذن فمرجعها النظم والكلام ، دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

وقد استظهر عبد القاهر لهذا بعدة أمور ، منها : أنك  
تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك في موضع آخر ، كلفظ  
الأخذع في بيت الحماسة :

تأملت نمو الحى سقى وحدتنى وجمعت من الإصغاء ليلاً وأخذعا

وبيت البحترى :

وإني وإن بلغتني شَرَفَ الْغنى وأعتقت من رِقِ المَطامع أهدعى  
فإن لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن : ثم إنك تتأملها  
في بيت أبي تمام :

يادهر قوم من أهدعك فقد أصبحت هذا الأنام من جرقك<sup>(١)</sup>  
فتجد لها من الثقل على النفس . ومن التنغيص والتكدير : أصعاف  
ما وجدت هناك من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة : وهذا باب واسع .  
فإنك تجد الرجلين قد استعملا كلما بأعيانها ، ثم ترى هذا قد فرع السماء ، فإنك  
ترى ذاك قد لصق بالحضيض . سو كانت الكلمة إذا حسنت . حسنت  
من حيث هي لفظ ، وإذا استحقت المزية والشرف ، استحقت في ذاتها وعلى  
افرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في  
النظم لما اختلف بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدا ، أو لا تحسن أبدا .

ومنها أنك لا تشك إذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابغى ماءك  
وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا  
للقوم الظالمين » فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع . إنك لم  
تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها

( ١ ) الخرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجهل ، وضم الراء للشعر ،  
ويريدون بتقويم الأخدعين — وهما عرقان في صفحتي العنق كاللوتين : لإزالة  
الكبر والعنف .

ببعض . وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة والرابعة ، وهكذا إلى أن نستقر بها إلى آخرها ، وأن الفضل تتأرجح ما بينها ، وحصل من مجموعها : وكذلك إذا نظرت إلى قول ابن المعتز :

سألت عليه شعاب الحلى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها ، إنما تم لها الحسن ، وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها ، وإن شككت فانظر إلى الجارين والظارف ، فأزل كلا منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه ، فقل سألت شعاب الحلى بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره . ثم انظر : كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف تعدم أريحيتك التي كانت ، بالذشوة التي كنت تجدها ؟

ومنها غير ذلك مما أثبتناه في غير هذا الموضع من الكتاب .

أما المتأخرون كالسكاكي والخطيب وابن الأثير فهم — إذا ألفت النظر وأنعمت الفكر — ممن سلكوا طريقة عبد القاهر وقفوا إثره ، ذاك لأنهم لم يقصروا الفضيلة على هذا النوع من الحسن : تلاؤم الحروف وسلاسة الألفاظ بل جعلوا ذلك وجهاً من وجوه الفضيلة ، وداخلاً في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام ، وبينوا أن قوام الشرف والنبيل هو تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، الذي عبر عنه الشيخ : بتوخي معاني النجوف فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام . بيد أنهم عمدوا إلى الفصاحة وأخرجوها

من حيز البلاغة ، وجعلوها : اسماً لما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد في النظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوي ؛ وجعلوا البلاغة اسماً لما كان مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته ؛ وهذا غير قادح فيما ذهب إليه الشيخ .

هذا وما كلف الشيخ رحمه الله بشأن النظم ، والتنويه بتلك الأسرار . حتى طال بكلامه الأمد ، وحتى كاد يتجاوز غاية الإفصاح إلى نهاية الإملال ، إلماً عني به ووضعه لأجله كتابه دلائل الإعجاز من إزالة ما كان يعلق بالأذهان كافة في عصره من الخطأ في وجه إعجاز القرآن .

﴿وبعد﴾ فمن المعروف أن القرآن تحدى العرب إلى معارضته ، وأخدهم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فما كان إلا أن استولى عليهم العجز ، وبلغ منهم العي ، وخرست ألسنتهم فما تخير مقالا ، وخلدت قرومهم فما تستطيع صيالا : وآية ذلك فرارهم إلى شبا الأسنه ، واقتحامهم غمرات الموت ، وكون لهم عنها محيص لا يتغوا إليه سبيلا ؛ بيد أن للعلماء في وجه الإعجاز مذاهب لا تتعدى أربعا : فذهب بعض إلى أن الله سبحانه ما أنزل القرآن ليكون حجة للنبوة . بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام ، والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب عيولهم به : وذهب فريق إلى أن إعجازه في أن له أسلوباً يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد ، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام المنظوم ، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ، وإلى الكلام الموزون المسجع ، وإلى ما يرسل إرسالا ، وأسلوب القرآن

مبين لهذه العارق . خارج عن هذه الوجود : لاسيما في مقاطع الآيات ، مثل  
يعلمون ويؤمنون . وذهب ثالث إلى أن إعجازه في أن اشتمل على الغيوب  
ومالم تلم به علوم الناس : من أخبار من مضى ، وأحوال مستقبل الأيام .

وذهب آخرون إلى أنه معجز بفصاحته ، ووافقهم على ذلك الشيخ  
عبد القاهر إلا أنه خالفهم فيما ذهبوا إليه من تفسير الفصاحة بالمزايا اللفظية  
التي تتعلمها الكلام : كالتشبيهات ، والاستعارات ، والكنايات ، وإرسال المثل ،  
والجناس . والتورية ، وكل أنواع الصناعة اللفظية : وفسرها هو بتوخى معاني  
المنحو ، وأسرار التركيب . وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض .  
وقال : إن هذا هو وجه الإعجاز في القرآن ، وهذه هي المزية التي امتاز بها عن  
سائر الكلام . فأما التشبيهات والاستعارات وأخواتها ، فمزايا يشاركه فيها كل  
كلام العرب . وما سمع عن أحد من العرب ممن عجب بفصاحة القرآن أنه طرب  
لتشبيه ، أو دهش لتمثيل . أو عجب لجناس أو تورية ، أو صعق لسطاع مثل  
غريب ونكتة بديمة : وما كان يزوعهم ويملك عليهم مشاعرهم : غير تلك  
الأسرار والمعاني التي سلك فيها القرآن مسلكا خرج عن طوق البشر ، فما  
تأخره من غرض ، ولا حدث نفسه محدث . بل ظلوا حيارى هائمين ، يقولون :  
سحر ! نعم إنه السحر الذي يأخذ بمجامع القلوب ، ويملك الحواس ، ويختلب  
الآلباب : ولعل الإفاضة في هذا البحث ، وإيفاء حقه من البيان ، يخرج بنا  
عن موضوع هذه المقدمة : فلنمسك بعنان القلم ، ونكته إلى كتبه الخاصة به ،  
فهناك البيان الواسع . والإفاضة الوافية ، والله ولي التوفيق .

عبد الرحمن البرقوقي



ليست البلاغة في الحقيقة إلا ملكة البيان ، وقوة النفس على حسن التعبير عما تريد من المعنى ، لتتألف من مخاطبتها ما تريد من أثر في وجدانه-تميل به إلى الرغبة فيما رغب عنه ، أو النفرة مما كان يميل إليه ، أو تمكين ميل إلى مرغوب ، أو تقرير نفرة من مكروه . أو تحويل في اعتقاد ، أو تغيير لعادة ، أو ما يشبه ذلك مما يقعد بالمخاطاب ، وذوق النفس كذلك لحسن ما تسمعه ، أو وجود النقد فيما يلقى إليها : هذه هي البلاغة في حقيقة الأمر .

وضعوا علوماً ليصل محضاها إلى امتلاك تلك الملكة ، أحكم قواعدها عبد القاهر الجرجاني ، وتبعه من جاء بعده . على نوع من التحرير والتنقيح . وجاء صاحب التلخيص تجمل ما ينبغي تنبيه النفس إليه ، من أسرار تأليف الألفاظ ، ليكون المحصل لذلك الجميل على بصيرة من وجوه التعبير .

شرحه كثير من الناظرين في الفن ، وتعلق الأغلب بلفظه ، ولم ينظروا الغاية من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وفاتتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلا هم يحسنون إذا كتبوا ، ولا هم يقنعون إذا خطبوا ، ولا هم يحسنون الاستماع إذا خوطبوا ، كما هو معروف لأنفسهم ، ولكل من يعرفهم .

شرحه الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ، واطلعت على نموذج من شرحه ، فوجدته كافياً في تبين معنى ما في الكتاب ، موجهاً نظر الناظر فيه إلى ما قصد منه : ولا حاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى ما هو أكثر مما جاء فيه ،

وإنما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء ، وكسب  
أنساب الفصحاء ، حتى يتم له من شأنه ما يريد ، ويشهد له كلامه قبل  
أن يشهد هو لنفسه ؛ وليس لكلامه أن يشهد حتى يروق العلم وأهله ،  
وعدوه وخله ؛ وأسأل الله أن يتفجع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد  
منه مراجعته ؟

محمد عده



## فاتحة التلخيص

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ على ما أنعم ، وعلم من البيان ما لم نعلم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خير من نطق بالصواب ، وأفضل من أوتي الحكمة <sup>(١)</sup> . وفصل الخطاب . وعلى آله الأطهار ، وصحابه الأخيار .

« أما بعد » فلما كان علمُ البلاغةِ وتواضعها من أجلِّ العلومِ قدراً ، وأدقِّها سرّاً ، إذ به تُعرف دقائق العربيةِ وأسرارُها ، وتُكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أسترها ؛ وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنّفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي : أعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة نفعاً ، لكونه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريراً ، وأكثرها للأصول جمعاً ؛ ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتفقيذ ، قابلاً للاختصار ، مفتقراً إلى الإيضاح والتجريد <sup>(٢)</sup> : ألَفْتُ مُختصراً يتضمن ما فيه

---

(١) الحكمة : كمال العلم وإتقان العمل . وفصل الخطاب : الكلام البين الذي ينبه المخاطب إلى المقصود من غير التباس . أو الخطاب الذي يفصل بين الحق والباطل .

(٢) أي تجريده عما فيه من الحشو

## مقدمة الشارح

للطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

« وسلام على عباده الذين اصطفى »

« وأما بعد » فإني أحمدُ الله سبحانه أن حاط هذا الشرح بالقبول ، وكتب له البقاء والخلود ، حتى رأيتَه يطبع للمرة الثانية ، بعد أن مضى على طبعته الأولى نحو من ثمان وعشرين حجة ، وبعد أن رأيتُ « نَعَام القلوب اليه زَفَافَة ، ورياح الآمال حَوَّله هَفَافَة ، وغيون الأفاضل نحوه رَوَاق ، وأستهم بتمنيّه نواطق »

والكتاب فيما أظن ويظن معي أفاضلنا ، أكان المتن أم الشرح : يستحق هذا القبول . وطول الإفادة منه ، فإن المتن رضى الله عن صاحبه أجمعُ كُنَاشَة لعلوم البلاغة ، على صغر حجمه ، ووجازة كلمه ؛ والشرح من أوسط الشروح وأجملها ، جَلَوَتْ فيه هذا العلم كما تجلَّى العروس .

على أن هذه الطبعة الثانية تمتاز عن الأولى بالكثير الكثير ، من الضبط والزيادة والتحوير .

وإلى الله أضرع أن يديم الانتفاع به ، ويجعله بسبب من مرضاته • إنه سميع الدعاء .

هجير الرحمن البرقوقي

٢١ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ الموافق أول يناير سنة ١٩٣٢

من القواعد ، وَيَشْتَعِلُ على ما يحتاج إليه مِنَ الْأَمْثِلَةِ والشواهد ، ولم آل  
جَهْدًا<sup>(١)</sup> في تحقيقه وتهذيبه ؛ وَرَتَّبْتُهُ ترتيباً أقربَ تناوُلًا من ترتيبه ، ولم أبالغ  
في اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه ، وطلباً لتيسيل فهمه على طالبيه ؛ وَأَضَفْتُ  
إلى ذلك فوائد عَثَرْتُ في بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم أظفر في كلام  
أحدٍ بالتصريح بها ولا الإشارة إليها ، وسميته « تلخيص المفتاح » .  
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى من فضله : أَنْ يَنْفَعَ بِهِ ، كما أَنْفَعَ بِأصله ؛ إِنَّهُ  
وَلِيُّ ذَلِكَ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

---

(١) الألو : التقصير ، وأصله : أن يمدى بالحرف ، بيد أنه ضمن معنى  
المنع ، فصار المعنى : لم أمنحك اجتهداً .

# م

﴿ الفصاحة ﴾ يُوصَفُ بِهَا الْمَفْرَدُ وَالْكَلَامُ وَالْمُتَكَلِّمُ .

« وَالْبَلَاغَةُ » يُوصَفُ بِهَا الْأَخِيرُ إِنْ قَطَطُ .

فَالْفَصَاحَةُ فِي الْمَفْرَدِ : خُلُوصُهُ مِنْ تَنَافُرِ الْحُرُوفِ ، وَالْغَرَابَةِ ، وَتُخَالَفَةِ

الْقِيَاسِ . فَالتَّنَافُرُ : نَحْوُ :

\* غَدَاثُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعُلَى \*

---

(الفصاحة) إن للبيانين في الفصاحة والبلاغة أقوالا مضطربة ، وآراء متباينة ، وهذا حديث فيهما يحتاج الصدر إن شاء الله .

الفصاحة وضعها العرب لمعان تشف عن الظهور والإبانة ، يقولون : فصح اللبن وأفصح : إذا أخذت رغوته ، وأفصح الصبح : إذا بدا ضوؤه . ومنه المثل : أفصح الصبح لذى عينين ، وأفصح الأعمى بالعربية ، وفصح لسانه بها : خلصت لفته من اللسكة ، وهذا يوم مفصح وفصح : لا غيم فيه ولا قر .

ومن هنا أطبق علماء البيان على أن الكلام الفصيح ما كان سهل اللفظ ، واضح المعنى ، جيد السبك ، متلائم الحروف ، غير مستكره فح ، ولا متكلف وخم ، ولا بما نبذته العرب ، وعدلت عن ألفاظه البلغاء ، أو ما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد في النظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوي .

أما تنافر الحروف : فهو وصف في الكلمة ينجم عنه نقل محلها على اللسان ، والحكم في ذلك هو الإحساس الروحاني ، والدوق السليم الذي يثمره التثقف

وَالْعَرَابَةُ نَحْوُ : \* وَفَاحِجًا وَمَرْسِنًا مُسَرَّجًا \* أَيْ كَالسَّيْفِ الشَّرِيجِيِّ  
حِى الدَّقَّةِ وَالِاسْتِوَاءِ ، أَوْ كَالسَّرَاجِ فِي الْبَرِيقِ وَالْمَعَانِ ؛ وَالْخَالِفَةُ نَحْوُ :  
\* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ \* قِيلَ : وَمِنْ الْكِرَاهَةِ فِي السَّمْعِ نَحْوُ :

لِكَلَامِ الْعَرَبِ ، وَمَزَاوِلَةِ أَسَالِيبِ الْبَاغَا . وَمَا جَاءَ مُتَنَافِرًا كَلِمَةً : مُسْتَشْرَزَاتٍ ،  
فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

غَدَاثُهُ مُسْتَشْرَزَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَصِلُ الْعِقَاصُ فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ  
الغداثر : الذوائب ، والضمير يرتبط بفرع في قوله :

وَفَرَجَ يَرَيْنُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثْبَثَ كَفَنُوا النَّخْلَةَ الْمُتَمَشِّكِلَ

والاستشزار : الارتفاع والرفع جميعاً ، فيكون الفعل منه تارة لازماً إن  
كسرت زايه ، ومتعدياً إن فتحتها . والعلا : جمع عليها : تأنيث الأعلى ، وأراد  
الجهات العلا ، والعقاص جمع عقيصه : الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها  
ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم تجعلها وسط رأسها كالإمانه وهي الغديرة  
يقول : إن غداثره مشدودة على الرأس وأن مجموع الشعر منه عقاص أو غداثر  
ومنه مثنى - مفتول ، ومنه مرسل ، وأن العقاص تغيب في الآخرين والمراد أن  
وقوف شعرها وجمال وضعه .

وَالْعَرَابَةُ : أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ حَوْشِيًّا غَيْرَ مَأْلُوفٍ الْإِسْتِعْمَالِ وَلَا ظَاهِرِ الْمَعْنَى ،  
وَذَلِكَ نَوْعَانِ حَسَنٌ لَا يِعَابَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى الْعَرَبِيِّ الْفَحِ ، وَهُوَ فِي النِّظْمِ أَحْسَنُ مِنْهُ  
فِي النَّثْرِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ مَشْمُخَرٍ : فَإِنَّهَا فِي قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ لِيُوَانَ كَسْرَى :

مُشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرَفَاتٌ دُفِعَتْ فِي دُوسٍ رَضْوِيٍّ وَقُدُسٍ

لَا بَأْسَ بِهَا ، وَقَبِيحٌ حَاسٌ يِعَابُ اسْتِعْمَالِهِ عَلَى سَائِرِ الْفَصَحَاءِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعَ

\* كريم الجرشي شريف النسب \* وفيه نظر .  
وفي الكلام : خلوصة من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات ،  
والتعقيد ، مع فصاحتها ؛ فالضعف نحو : ضرب غلامه زيداً ، والتنافر  
كقوله : \* وليس قرب قبر حرب قبر \*

ذلك كذا غليظاً ، مثل جحيش في قول تأبط شراً :  
يطلّ بموامة ويمسى بغيرها جحيشاً ويعزورى ظهور المالك<sup>(١)</sup>  
ومثل اطلخم في قول أبي تمام :  
قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت عشواه تالية عبسا دهاريسا<sup>(٢)</sup>  
ومثل جفخ في قول المتنبي :

جفخت وهم لا يفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل<sup>(٣)</sup>  
ومن هنا كان قول بعضهم : إن الكلام الفصيح ما كان في ألفاظه عجيبة  
الغربة ، . بعد عن الاقيدة الإحاطة بمعناه ، وعز على الأفهام لإدراكه : جهلا  
بحاسن الفصاحة وأوضاع البلاغة . قال الجاحظ — وهو من هو — : رأيت  
الناس يديرون في كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر ، فأنقروها

( ١ ) الموامة : المفازة الواسعة : ويقال للرجل . إذا كان يستبد برأيه :  
جحيش وحده : وهو ذم ، ويقال : اعزورى الفرس ركبا عريانا . وهو  
أففعول ، مستعار هنا للهلكة .

( ٢ ) اطلخم الأمر : اشتد ، والدهاريس : النواهي .

( ٣ ) جفخ : نفرو تكبر ، وشيم : فاعل ، والأغر : الشريف ، يقول جفخت  
ونفرت بهم شيم ، وهم لا يفخرون بها ، وهذه الشيم دلائل على حسبهم الأغر

وقوله :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ وَالْوَرَى مَعَى وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدَى  
والتعقيد : أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد ليخلل

مراراً ، فقال له يحيى : آ إن سألتك ثمن شكرها وشبك أنشأت تطلبها  
وتقصها (١) ؛ ثم قال : فإن كانوا قد رويوا هذا الكلام لكي يدل على فصاحة ،  
فقد باعده الله من صفة الفصاحة .

هذا ، ومن الغريب الخوشى ما يحتاج إلى أن يخرج له وجه بعيد ، مثل :  
مسرجا ، في قول رؤية بن العجاج :

أَيَّامٌ أَبَدَتْ وَأَنَحًا مُنَلَّجًا      أَغَرَّ بَرَّاقًا وَطَرَفًا أَبْلَجًا  
وَمُثَلَّةً وَحَاجِبًا مُزَجَّجًا      وَفَاحًا وَمَرَسِنًا مُسَرَّجًا

المرسن : الأنف . فلا يعلم ما أراد بقوله : مسرجا ، حتى اختلف في تخريجها ،  
فقيل : من قولهم للسيوف سرجية أى منسوبة إلى قين ، يقال له سريج ، يريد : أنه  
في الاستواء والدقة كالسيف السريجي ، وقيل : من السراج ، يريد : أنه في البريق  
كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : سرج وجهه بكسر الراء : أى حسن ، وسرج  
أفقه وجهه : أى بهجه وحسنه .

هـ هذا ، وكما أن تهذيب الكلام من الغرابة شرط في الفصاحة . كذلك  
تهذيبه من الابتذال . فينبغي للفصيح أن يجتنب السوق المبتذل الذي أبلاه  
التكرار ، وتدل باستعمال العامة إلى الحضيض .

ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، مثل : الأجلال ، في قول أبن النجم :

هـ الحمد لله العلى الأجلال .

( ١ ) الشكر بالفتح وبكسر : المرج ، وضهل فلاناً حقه ، كنع : نقصه إياه  
وأبطله عليه ، وتطلها كتهدمها : تطلها ، والشبر : حق النكاح أو الشكاح نفسه .

إِمَّا فِي النَّظْمِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ فِي خَالِ هِشَامٍ :  
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبَوَاهُ حَتَّى أَبَوُهُ يَقَارِبُهُ

القياس : الأجل بالإدغام ، ومثله قول المتنبي :  
فَلَا يُبْرِمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلِلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرِمُ  
ومخالفة القانون النحوي ، مثل : ضرب غلامه زيداً ، فإن رجوع الضمير إلى  
المفعول المتأخر لفظاً ممنوع عند الجمهور ، أثلاً يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر  
لفظاً ورتبة ، ومثل ذلك قوله :

كَسَا حِلْمُهُ ذَا الْحِلْمِ أَثْوَابُ سُودَدٍ وَرَقَى نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي ذُرَى الْمَجْدِ  
وتنافر الكلمات ما كان مثل قول القائل (١) :

وَقَبْرِ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قَرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ  
وقول ابن بشير يرثي أحمد بن يوسف :

لَا أَذِيلُ الْإِمَالَ بِمَذَكِ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جِدُّ بَحِيلٍ  
كَمْ لَهَا مَوْقِفٌ بِبَابِ صَدِيقٍ رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ  
لَمْ يَضُرَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ وَأُنْثَنْتُ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولٍ  
فتفقد النصف الأخير من البيت الثالث ، فإنك ستجد بعض الفاظه تنبراً  
من بعض . ومن ذلك — بيد أنه أخف مما قبله — قول أبي تمام :  
كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَلِذَا مَا لِمَتَهُ لِمَتَهُ وَخَدَى  
وقد أشد خلف الآخر في هذا المعنى :

( ١ ) زعموا أن قائل هذا البيت جنى صاح على حرب بن أمة فأتى في  
فلاة ، ويسمى هذا النوع من الجن هاتفاً .



أى : لبس مثله في الناس حتى يقاربه ، إلا مملكا أبو أمه أبوه ؛  
وإما في الإثقال ، كقول الآخر :

وَبَعْضُ قَرِيبِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ يَكْذِبُ لِسَانُ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ  
وأجود الكلام ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخرج ، فكأنه أفرغ  
لفراغا واحداً ، فهو يجرى على اللسان ، كما يجرى الدهان : ومثله قول  
أبي حية الفيرى :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةُ آرَامِ الْكَنَاسِ رَمِيمُ  
رَمِيمُ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ يَتَبَا صَحِيتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَتَبَا  
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَتِيهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّصَالِ قَدِيمُ  
يقول : رميتى بطرفها وأصابتنى بحاسنها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رميت ،  
وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب . فأنت إذا عمدت إلى مثل  
هذا : وجدت له اهتزازاً في نفسك وأريحية في فؤادك .

والتعقيد أن يشبك المتكلم طريقك إلى المعنى ، ويوعر مذهبك نحوه ، حتى  
يقسم فكرك ويشعب قلبك ، فلا تدري من أين تتوصل ، وأى طريق تسلك  
إلى معناه ، مثال ذلك قول الفرزدق :

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُخَارِبٍ أُوهُهُ وَلَا كَانَتْ كَلْبِيبُ تَصَاهِرُهُ  
يريد إلى ملك أبو أمه من مخارب . وقوله أيضاً يمدح إبراهيم بن  
هشام بن إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبوه يقاربه  
يريد : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه ، يعنى : وما مثله

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقْرَبُوا<sup>(١)</sup> وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَجْمَدَا  
فَإِنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ جُحُودِ الْعَيْنِ إِلَى بُحْلِهَا بِالدَّمُوعِ ، لَا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْ

في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا هشاماً ، فهو كما تراه في غاية التعقيد ، حتى  
كانه لم يندمج في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَاراً<sup>(٢)</sup>  
ومثله قول المتنبي .

وَقَاوُ كَمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بَأَنْ تُسْفِدَ أَوِ الدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِحُهُ  
يريد : وقاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاء طاسمه . يخاطب صاحبيه بأن  
عدم وفائهما له بالمساعدة على البكاء ، مما يزيد في حزنه . كالربع كلما درست  
معاله كان ذلك أدعى لحزنه : ثم اعتذر بأن الدمع يشفي الباكي ، لأن من حزن  
قلبه استراح بالبكاء . وهذا الضرب من التعقيد يرجع إلى اللفظ ، لأن مدشأه  
فساد النظم بما صنعه الشاعر من التقديم والتأخير وغيرهما مما ليس له أن  
يصنعه ، ولا يسوغ أن يقدم عليه . وثمت ضرب آخر يرجع إلى المعنى ، وهو  
أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى المعنى  
الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً ، كقول العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقْرَبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَجْمَدَا  
بدأ فدل بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والسكد ، فأحسن  
وأصاب ، لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمانة للحزن ، وأن يجعل كناية  
عنه كقولهم : أبكاني وأضحكني . على معنى : سامني وشرقي .

السُّرُورِ . قِيلَ : وَمِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَتَتَابُعِ الإِضَافَاتِ ، كَقَوْلِهِ :

ثم ساق هذا القياس إلى نقيضه ، فالتمس أن يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله : لتجمدا ، لفظه أن الجود يخلو العين من البكاء من غير اعتبار شيء آخر ، وغلط فيما ظن ، لأن الجود يخلو العين من البكاء ، مع أن الحال حال بكاء ، ومع أنه يراد منها أن تبكى فلا يكون كناية عن السرور ، وإنما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر :

أَلَا إِنْ عَيْنًا لَمْ تَجْدُ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِحَارِي دَمْعِيَا لَجُمُودٍ

ولو كان الجود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال السرور ، لجاز أن يدعى به الرجل ، فيقال : لازالت عينك جامدة ، كما يقال : لأبكي الله عينك ، وذلك مما لا يشك في بطلانه ، وعلى ذلك قول أهل اللغة : سنة جماد : لا مطر فيها ، وناقة جماد : لا ابن فيها ، فسكا لا تجعل السنة والناقة جامداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخر بالدر ، لا تجعل العين جموداً إلا وهناك ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجمعها إذا بكيت محسنة موصوفة بأنها قد جادت وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضنت .

هذا ، وبیت ابن الأَحنف المذكور : نظير كلام ابن الربيع بن خيثم ، فإن رجلاً قال له — وقد صلى ليلة حتى أصبح — : أتعبت نفسك ، فقال : راحتها أطلب ، ومثله قوله :

تَقُولُ سَلِيمِي لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمَقَامِ أَطَوِّفُ

وهو معنى كثير حسن جميل ، وقد زاد بعضهم على هذه الأمور المخلة بالفصاحة أمراً آخر وهو الكراهة في السمع بأن يمج اللفظ ويتبرأ من سماعه ، كالجرشي ، في قول أبي الطيب المتنبي بمدح سيف الدولة :

مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ اللَّقَبِ كَرِيمُ الْجُرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ

( الجرشي : النفس ) وفيما ذكر هذا القائل نظر ، لأن الكراهة في السمع

\* سَبُوْحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ \* وَقَوْلُهُ :  
 \* حَمَامَةٌ جَرَعَى حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَمَى \* وَفِيهِ نَظَرٌ .  
 وَفِي الْمُتَكَلِّمِ : مَلَكَةٌ يُقْتَلَرُ بِهَا عَلَى التَّعْيِيرِ عَنِ الْمَقْصُودِ  
 بِلَفْظٍ فَصِيحٍ .

تشمها الغرابية ، وقد احترز عنها ؛ وزاد بعضهم أمراً آخر أيضاً وهو كثرة  
 التكرار وتتابع الإضافات ، وأنشد على الأول قول أبي الطيب :

وَتَسْعِدَنِي فِي عَمْرَةٍ بَعْدَ عَمْرَةٍ سَبُوْحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ  
 الغمرة : الشدة ، والسيوح : الفرس الحسن العدو الذي لا يتعب راكبه ،  
 فكأنه يسبح في الماء . وعلى الثاني قول ابن بابك :

حَمَامَةٌ جَرَعَى حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَمَى فَأَنْتَ تَمْرَأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْتَمْعٍ  
 (الجرعاء تأنيك الأجرع : وهي رملة لا تنبت شيئاً ، والحومة : معظم الشيء ،  
 والجندل : الحجارة والسجع : هدير الحمام) وفيه نظر ، لأن ذلك إن أفضى باللفظ  
 إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، وإلا فلا يخل بالفصاحة .  
 قال الشيخ عبد الفاهر : قال صاحب : إياك والإضافات المتداخلة ، فإن  
 ذلك لا يحسن ؛ وذكر أنه يستعمل في الهجاء كقول القائل :

يَا عَلِيَّ بْنَ حَمْرَةَ بْنَ عَمَّارِهِ أَنْتَ وَاللَّهِ ثَلِجَةٌ فِي خِيَارِهِ  
 ثم قال الشيخ : ولا شبهة في ثقل ذلك في الأكثر ، لكنه إذا سلم من  
 الاستكراء فليح ولطف ؛ وبما حسن فيه قول ابن المعتز .

وَوَظَلَّتْ تَذِيرُ الرَّاحِ أَيْدِي جَاذِرٍ عِتَاقٍ دَنَائِرِ الْوَجْهِ مِلَاحٍ

(وَالْبَلَاغَةُ) فِي الْكَلَامِ مُطَابَقَتُهُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ ؛ وَهُوَ

ومنه قول أبي تمام :

خُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدَّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ  
(وَأَمَّا الْبَلَاغَةُ) تَفَهَى فِي اللُّغَةِ تَفْهِيءٌ عَنِ الْوُصُولِ وَالْإِنْتِهَاءِ ، قَالَ فِي  
الْقَامُوسِ بَلَغَ الرَّجُلُ بَلَاغَةً : إِذَا كَانَ يَبْلُغُ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ مَرَادِهِ مِنْ لِيْجَازِ بَلَا  
إِخْلَالٍ أَوْ إِطَالَةِ بَلَا لِمَلَالٍ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْيَاسِيُونَ : لِمَنْهَا تَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَى  
مُقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ ، وَتَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ : هُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ  
الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ بِالنَّظْمِ ، حَيْثُ يَقُولُ : النَّظْمُ تَوْخِيْهُ مَعَانِي النُّحُوْهِ فِيمَا بَيْنَ  
الْكَلِمِ عَلَى حَسَبِ الْأَغْرَاضِ الَّتِي يُصَاغُ لَهَا الْكَلَامُ . فَالشَّاعِرُ الْبَازِلُ ، أَوِ الْكَاتِبُ  
الْمُجِيدُ ، هُوَ الَّذِي يُضَعُّ كَلَامَهُ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَقْتَضِيهِ تِلْكَ الْمَعَانِي ، وَهَنَّاكَ مُعْتَرِكُ  
الْبَلَاغَةِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا ، وَالْبَلْغَاءُ مِنْهَا ، فَأَنْتَ إِذَا عَمِدْتَ  
إِلَى مَا تَوَاصَفُوهُ بِالْحَسَنِ ، وَشَهِدُوا لَهُ بِالْفَضْلِ ، مِثْلُ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

تَمَنَّا أَنَّا لِيَلْقَانَا بِقَوْمٍ تَخَالُ بَيَاضَ لَأْمِهِمُ السَّرَابَا  
فَقَدْ لَا قَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا  
ومثل قول ابن الدمينية :

أَبِيْنِي أَيْ يُمْنِي يَدِيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرِحْ أُمِّ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ  
أَبَيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شَقِيْنٍ مِنْ عَصَا حِذَارِ الرَّدَى أَوْ حَيْفَةٍ مِنْ زِيَالِكَ  
تَعَالَتْ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ تُرِيدُنِي قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ  
فإنك لا تجد سبباً لهذا الحسن الذي يهجم عليك ، ويملا عيفيك : إلا توخى  
تلك المعاني . وتوفية حقوقها ، ثم إنه ليست المزبلة بواجبة لهذه المعاني في أنفسها ،

مُخْتَلِفٌ ، فَإِنَّ مَقَامَاتِ الْكَلَامِ مُتَفَاوِتَةٌ ، فَمَقَامُ كُلِّ مِنَ التَّنْكِيرِ ،  
وَالْإِطْلَاقِ ، وَالتَّقْدِيمِ ، وَالذِّكْرِ ، يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَمَقَامُ الْفَصْلِ يُبَيِّنُ  
مَقَامَ الْوَصْلِ ، وَمَقَامُ الْإِعْجَازِ يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَكَذَا خِطَابُ الذِّكْرِ مَعَ  
خِطَابِ الْغَيْبِ . وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ ، وَارْتِفَاعٌ شَأْنِ

ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها  
من بعض ، فرب تنكير مثلاً له مزية في لفظ ، وهو في لفظ آخر في غاية الفبح  
( فظهر ) لك أن البلاغة صفة في الكلام بها يقع النفاضل ويثبت الإعجاز ، وإذا  
كان ذلك كذلك فلا يكون مرجعها الألفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة ، بل  
الألفاظ باعتبار إفادتها المعاني : أي الأغراض والمزايا التي يصاغ لها الكلام  
( وكثيراً ما ) تسمى تلك الصفة فصاحة أيضاً وهذا هو مراد الشيخ عبد القاهر  
بما يكرره في دلائل الإعجاز من أن الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ  
( قال ) وبما يشهد لذلك أنك لا تشك إذا فكرت في قوله تعالى : ( وقيل يا أرض  
ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيبى الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى  
وقيل بعداً للقوم الظالمين ) فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع ،  
أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا لآمر يرجع إلى تركيبها ، وأن  
الفصل نتائج ما بينها وحصل من مجموعها ، فإن ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى  
لفظة منها لو أنردت من بين أخواتها لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها  
من الآية ؟ وما يؤيد ذلك أنك ترى للكلمة تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها  
تشغل عليك في موضع آخر . وهاك مثلاً يشهد بصحة ذلك ، وهو أنه قد جاءت  
لفظة الشيء مقبولة حسنة في قول أبي حية :

إِذَا مَا تَقَاضَى الزَّمَنُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ . تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

الكَلَامِ فِي الْحُسْنِ وَالْقَبُولِ بِمُطَابَقَتِهِ لِلإِعْتِبَارِ الْمُنَاسِبِ ، وَانْخِطَاطُهُ  
بِعَدَمِهَا : فَمَقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الإِعْتِبَارُ الْمُنَاسِبُ : فَالْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّفْظِ  
بِإِعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ الْمَعْنَى بِالتَّرَكِيبِ : وَكَثِيرًا مَا يُسَمَّى ذَلِكَ فَصَاحَةً أَيْضًا وَلَهَا  
طَرَفَانِ : أَعْلَى وَهُوَ حَدُّ الإِعْجَازِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَأَسْفَلُ وَهُوَ مَا إِذَا  
غَيَّرَ الْكَلَامُ عَنْهُ إِلَى مَا دُونَهُ التَّحَقُّقَ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ بِأَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ ؛  
وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَتَتَّبِعُهَا وَجُوهٌ أُخَرُ تُورِثُ الْكَلَامَ حُسْنًا .

وجاءت ضعيفة مستكرهة في قول المتنبي :

لَوْ أَنَّكَ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتَ سَعِيَّةَ لَعَوَقَةٍ شَيْءٍ عَنِ الدَّوَّرَانِ

فلو كانت الكلمة إذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى  
انفرادها لما اختلفت بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدأ أو لا تحسن أبدأ .  
وهناك دليل ثالث ، وهو أنا نعلم أن النبي عليه السلام تحدى العرب بفصاحة  
القرآن ، ولو كانت عائدة إلى الالفاظ لكان قد تحداهم بالموجود عندهم في الماضي  
والحاضر . ودليل رابع وهو أن العالم بلغة من اللغات لا يحتاج في التنبه بفرداتها  
إلى الزوية . هذا هو لباب كلام عبد القاهر رحمه الله (تسكملة) هذه نتف  
في البلاغة لثلة من البلغاء . قال عبد الحيد بن يحيى : البلاغة تقرير المعنى في الأفهام  
من أقرب وجوه الكلام . وقال الرماني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن  
صورة من اللفظ . وقال ابن المعتز : البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام .  
وقال إعرابي : البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل  
على كثير . هذا والبلغ عمره الله من تراه يعشق بالكلام ويقوده بألن زمام .  
ومن إذا أشدته مثل قول البحري :

وَفِي الْمُتَكَلِّمِ مَلَكَهٌ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى تَأْلِيفِ كَلَامٍ بَلِيعٍ . فَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ بَلِيعٍ  
فَصِيحٌ ، وَلَا عَكْسَ ، وَأَنَّ الْبَلَاغَةَ مَرْجِعُهَا إِلَى الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْخَطَا فِي تَأْدِيَةِ  
الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، وَإِلَى تَمْيِيزِ الْفَصِيحِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالثَّانِي مِنْهُ مَا يَبِينُ فِي

بَلَوْنَا شَرَّ أَيْبَ مَنْ قَدْ نَرَى      فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيحًا  
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا      تَعَزَّيَا وَشِيكَا وَرَأْيَا صَيَّيَا  
تَنْقَلُ فِي خُلُقِي سُودَدٍ      سَمَاحًا مُرَحًى وَبَأْسًا مَرِييَا  
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِثَّتْهُ صَارِخًا      وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِثَّتْهُ مُسْتَشِييَا

أَنقُ لَهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْأَرِيحِيَّةُ عِنْدَهُ ؛ إِذْ يَرَى شَعْرًا دَنَا حَتَّى أَطْمَعَ ، وَنَأَى حَتَّى  
امْتَنَعَ ، وَلَا غَرَوْ فَالْبَحْرَى هُوَ الَّذِي ضَرَبَ فِي قَدَاحِ الشَّعْرِ بِأَعْلَى السَّهَامِ ، وَأَخَذَ  
فِي عَيُونِ الْفَضْلِ بِأَوْفَى الْأَقْسَامِ ، وَشَعْرُهُ هُوَ الَّذِي يَتَرَقَّرُقُ فِيهِ مَاءُ الطَّبْعِ وَيَرْتَفِعُ  
لَهُ حِجَابُ الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ (مَلَكَهٌ) الْمَلَكَاتُ هِيَ الصِّفَاتُ الرَّاسِخَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَكَرُّرِ  
الشَّيْءِ (وَهُوَ) أَيْ مُقْتَضَى الْحَالِ (مَقَامَاتُ الْكَلَامِ) أَيْ أَحْوَالُهُ (فَقَامَ كُلُّ مَنْ  
التَّنْكِيرُ الْح) أَيْ فَالْحَالِ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَيْهِ التَّنْكِيرُ يَبَيِّنُ الْحَالِ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَيْهِ التَّنْكِيرُ  
وَهَكَذَا (وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ) وَإِذَا فَلَا يَنْبَغِي لِلْبَلِيعِ أَنْ يَصْنَعَ مَا يَخَالِفُ  
ذَلِكَ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعَشَى لَوْ اسْتَبَدَلَ بِقَوْلِهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيْنُونَ كَثِيرَةٌ      إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَوَّقُ  
قَوْلُهُ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ مَتَحَوَّقَةٍ ، لِنَبَا عَنْهُ الطَّبْعُ ، وَأَنَسَكَرَتِ النَّفْسُ كُلُّ الْإِنْكَارِ .  
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ لَا يَشْبَهُ الْغَرَضُ وَلَا يَلِيْقُ بِالْحَالِ ، حَيْثُ أَنَّ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ هُنَاكَ  
مَوْقِدًا يَتَجَدَّدُ مِنْهُ الْإِلْهَابُ وَالْإِشْعَالُ حَالًا لِحَالًا ، وَإِذَا قِيلَ مَتَحَوَّقَةٍ كَانَ الْمَعْنَى



عِلْمُ مَتْنِ اللِّغَةِ ، أَوْ التَّصْرِيفِ ، أَوْ التَّحْوِ ، أَوْ يُدْرَكُ بِالْحُسِّ ، وَهُوَ مَاعَدَا  
التَّعْقِيدِ الْمَعْنَوِيِّ . وَمَا يُخْتَرَزُ بِهِ عَنِ الْأَوَّلِ عِلْمُ الْمَعَانِي ، وَمَا يُخْتَرَزُ بِهِ عَنِ  
التَّعْقِيدِ الْمَعْنَوِيِّ عِلْمُ الْبَيَانِ ، وَمَا يُعْرَفُ بِهِ وَجْهُ التَّحْسِينِ عِلْمُ الْبَدِيعِ .  
وَكَثِيرٌ يُسَمَّى الْجَمِيعَ عِلْمُ الْبَيَانِ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّي الْأَوَّلَ عِلْمَ الْمَعَانِي ،  
وَالْآخِرَيْنِ عِلْمَ الْبَيَانِ ، وَالثَّلَاثَةَ عِلْمَ الْبَدِيعِ .

فِي الْفَنِّ الْأَوَّلِ عِلْمُ الْمَعَانِي :

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي يَنْطَائِقُ مُقْتَضَى  
الْحَالِ . وَيَنْتَحِيزُ فِي ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ : أَحْوَالُ الْإِسْنَادِ الْخَبَرِيِّ ، أَحْوَالُ  
الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ، أَحْوَالُ الْمُسْنَدِ ، أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ، الْقَصْرِ ، الْإِنْشَاءُ

على أن هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة بحسب . وقس على هذا مثله  
( للاعتبار المناسب ) ألا الذي اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة ، أو بحسب  
تتبع تراكيب الباء ، وهو الخصوصيات ( وما يقرب منه ) ظاهر عبارة المفتاح  
أنه معطوف على هو والضمير في منه عائد إلى الأعلى ويكون حد الإعجاز خبراً  
غنيماً . وهو صحيح ، فإن التزويل فيه ماهو متناه في البلاغة وماهو دون ذلك ،  
وكلاهما وقع به الإعجاز ( وأسفل ) قال الرازي : وليس من البلاغة في شيء  
( التحق الخ ) وإن كان صحيح الإعراب ( إن كل بليغ فصيح ولا عكس )  
أما عبد القاهر فإنه يرى أن الفصاحة والبلاغة والجزالة والبراعة ألفاظ مترادفة  
( والثاني ) أي تمييز الفصيح من غيره ( بالحس ) هو الذوق ( الأول ) يعني الخطأ  
في تأدية المعنى المراد ( أحوال اللفظ ) أي الأمور العارضة له من التقديم

الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب ، والمساواة . لأن الكلام إما خبر  
أو إنشائي ؛ لأنه إن كان المنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه خبر ، وإلا  
فإنشائي . والخبر لا بد له من مسند إليه ومسند وإسناد ، والمسند قد يكون  
له متعلقات إذا كان فعلاً أو في معناه ؛ وكل من الإسناد والتعلق إما  
يقصر أو يغير قصر ، وكل جملة قرئت بأخرى إما معطوفة عليها  
أو غير معطوفة ، والكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة ،  
أو غير زائد .

« تنبيه » صدق الخبر مطابقتها للواقع ، وكذبه عدمها ؛ وقيل  
مطابقتها لا اعتقاد المخبر ولو خطأ ، وعدمها ؛ بدليل قوله تعالى إن  
المنافقين لكاذبون .

والتأخير ، والتعريف والتذكير ، والفصل والوصل ، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله  
( لأنه إن كان المنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه خبر ) يعجبنى قول بعضهم :  
الخبر هو القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنق أو بالإثبات  
( أو في معناه ) كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما أشبه ذلك .  
( تنبيه ) بين فيه حقيقة الصدق والكذب حيث تقدم إشارة ما إلى ذلك  
في قوله تطابقه أو لا تطابقه ( مطابقتها للواقع الخ ) وهذا هو المشهور وعليه  
التعويل ( وقيل ) القائل النظام ( ولو أخطأ ) أي غير مطابق للواقع ( بدليل  
أن كان المنافقين لكاذبون ) فكذبهم جل شأنه في قولهم إنك لرسول الله وإن  
كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . والنظام دليل آخر وهو أن من اعتقد

ورَدَّ بَأَنَّ الْمَعْنَى لِكَاذِبُونَ فِي الشَّهَادَةِ ، أَوْ فِي تَسْمِيَّتِهَا ، أَوْ فِي الْمَشْهُودِ بِهِ ،  
فِي زَعْمِهِمْ .

« الْجَاهِظُ » مُطَابَقَتُهُ مَعَ الْإِعْتِقَادِ ، وَعَدَمُهَا مَعَهُ ، وَغَيْرُهَا لَيْسَ  
بَصِدْقٍ وَلَا كَذِبٍ ، بِدَلِيلٍ : أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ

أَمْرًا فَأَخْبِرَ بِهِ ثُمَّ ظَهَرَ خَبْرُهُ بِخِلَافِ الْوَاقِعِ يُقَالُ مَا كَذَبَ وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَ كَمَا رَوَى  
عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ فِيمَنْ شَأْنُهُ كَذَلِكَ : مَا ذُكِرَ وَلَكِنَّهُ وَهْمٌ ، وَرَدَّ بِأَنَّ الْمُنْفَى  
تَعْمِدُ الْكَذِبَ لَا الْكَذِبَ ، بِدَلِيلِ تَكْذِيبِ الْكَافِرِ كَالْيَهُودِيِّ إِذَا قَالَ الْإِسْلَامُ  
بَاطِلٌ وَتَصْدِيقُهُ إِذَا قَالَ الْإِسْلَامُ حَقٌّ كَذَا فِي الْإِيضَاحِ ( فِي الشَّهَادَةِ ) لِأَنَّ الْمَعْنَى  
نَشْهَدُ شَهَادَةً وَاطَّأَتْ فِيهَا قُلُوبُنَا أَلْسِنَتُنَا ، كَمَا يَرْجَمُ عَنْهُ إِنْ وَاللَّامِ وَكَوْنِ الْجُمْلَةِ  
اسْمِيَّةً ، فَالْتَكْذِيبُ فِي قَوْلِهِمْ نَشْهَدُ وَادْعَائِهِمُ الْمَوَاطَءَ لَا فِي قَوْلِهِمْ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ  
( أَوْ فِي تَسْمِيَّتِهَا ) أَيْ فِي تَسْمِيَّتِهِمْ إِبْخَارَهُمْ شَهَادَةً . لِأَنَّ الْإِبْخَارَ إِذَا خَلَا عَنْ  
الْمَوَاطَءَ لَمْ يَكُنْ شَهَادَةً فِي الْحَقِيقَةِ ( أَوْ فِي الْمَشْهُودِ بِهِ ) يَعْنِي قَوْلَهُمْ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ  
( فِي زَعْمِهِمْ ) لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ خَبَرَ عَلَى خِلَافِ مَا عَلَيْهِ حَالُ الْخَبَرِ عَنْهُ فَكَأَنَّهُ  
قِيلَ لِمَنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي هَذَا الْخَبَرِ الصَّادِقِ ( الْجَاهِظُ ) حَاصِلُ مَا ذُكِرَ  
إِلَيْهِ أَنَّ الْخَبَرَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : صَادِقٌ ، وَكَاذِبٌ ، وَغَيْرُ صَادِقٍ وَلَا كَاذِبٍ ، لِأَنَّ  
الْحُكْمَ إِمَّا مُطَابِقَ لِلْوَاقِعِ مَعَ اعْتِقَادِ الْخَبَرِ لَهُ أَوْ عَدَمِهِ ، وَإِمَّا غَيْرَ مُطَابِقٍ مَعَ  
الْإِعْتِقَادِ أَوْ عَدَمِهِ ، فَالْأَوَّلُ أَيْ الْمُطَابِقُ مَعَ الْإِعْتِقَادِ هُوَ الصَّادِقُ ، وَالثَّالِثُ أَيْ  
غَيْرُ الْمُطَابِقِ مَعَ الْإِعْتِقَادِ هُوَ الْكَاذِبُ ، وَالثَّانِي وَالرَّابِعُ أَيْ الْمُطَابِقُ مَعَ عَدَمِ  
الْإِعْتِقَادِ وَغَيْرُ الْمُطَابِقِ مَعَ عَدَمِ الْإِعْتِقَادِ كُلُّهُمَا لَيْسَ بِصَادِقٍ وَلَا كَاذِبٍ ،  
فَالصَّادِقُ عَنْدهُ مُطَابَقَةُ الْحُكْمِ لِلْوَاقِعِ مَعَ اعْتِقَادِهِ ، وَالْكَاذِبُ عَدَمُ مُطَابَقَتِهِ مَعَ  
اعْتِقَادِهِ ، وَغَيْرُهُمَا ضَرْبَانِ مُطَابِقَتُهُ مَعَ عَدَمِ اعْتِقَادِهِ وَعَدَمُ مُطَابَقَتِهِ مَعَ عَدَمِ

بالذات غير الكذب . لأنه قسيمة ، وغير الصدق ، لأنهم لم يعتدوا  
ورداً بأن المعنى أم لم يفتّر ، فغير عنه بالجنة ، لأن الجنون لا افتراء له .

﴿أحوال الإسناد الخبري﴾

لأشك أن قصد المخبر بخبره : إفادة المخاطب . إما الحكم ، أو كونه

اعتقاده (بالثاني) أي الإخبار حال الجنة (بأن المعنى أم لم يفتّر) فيكون التقسيم  
للخبر الكاذب في نوعيه الكاذب عن عمد ولا عن عمد (المخبر) أي من يريد  
الإخبار لا من ينطق بالجملة الخبرية فإنه قد يقصد التحجير والتحزن . في القرآن  
حكاية عن امرأة عمران : رب إني وضعتها أنثى . وفيه حكاية عن زكريا عليه  
السلام : رب إني وهن العظم مني . ومثل هذا كثير ومنه قوله :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِّمٌ<sup>(١)</sup> أَخِي      فَإِذَا رَمَيْتُ أَصَابِنِي سَهْمِي  
فَلَيْتَ عَقَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلَّالاً      وَلَيْتَ سَطَوْتُ لَأَوْهِنَ عَظْمِي

(الحكم) المراد به الثبوت أو الانتفاء وكون ذلك مقصوداً للمخبر بخبره  
لا يستلزم تحققه في الواقع وهذا مغزى قول من قال : إن الخبر لا يدل على  
ثبوت المعنى أو انتفائه وليس مغزاه أنه لا يفهم الثبوت منه ولا الانتفاء فإن  
ذلك هو مفهوم الكلام بلاريب ولا يصح إنكاره ، فإننا إذا قلنا زيد قائم  
فمفهومه ثبوت القيام زيد ، وأما احتمال عدم الثبوت فليس مفهوماً للفظ أصلاً  
بل احتمال عقل من جهة صحة تخلف الدلالة لكونها وضعية (كونه) أي

(١) أميم : منادى مرخم .

عالمًا به ؛ وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ فَائِدَةُ الْخَبَرِ ، وَالثَّانِي لَازِمُهَا ، وَقَدْ يُنَزَّلُ الْعَالِمُ  
بِهِمَا مَنْزِلَةُ الْجَاهِلِ لِعَدَمِ جَرِيهِ عَلَى مُوجِبِ الْعِلْمِ ؛ فَيَلْبَغِي أَنْ يَقْتَصَرَ مِنْ  
التَّرَكِيبِ عَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ ، فَإِنْ كَانَ خَالِي الذَّهْنِ مِنَ الْحُكْمِ وَالتَّرَدُّدِ فِيهِ  
أَسْتَعْنَى عَنْ مَوَكَدَّاتِ الْحُكْمِ ، وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَالِبًا لَهُ ، حَسَنَ  
تَقْوِيَّتِهِ بِمَوْكِدٍّ ، وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ ،

المخبر ( ويسمى الأول فائدة الخبر والثاني لازمها ) قال السكاكي : والأول  
بدون هذه تمنع وهذه بدون الأولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجهول  
المساواة ، أي يمتنع أن لا يحصل العلم الثاني من الخبر نفسه عند حصول الأول  
منه لا تمتنع حصول الثاني قبل حصول الأول مع أن سماع الخبر من الخبر  
كاف في حصول الثاني منه ، ولا يمتنع أن لا يحصل الأول من الخبر نفسه عند  
حصول الثاني منه لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني وامتناع حصول  
الخاص ( وقد ينزل العالم بهما منزلة الجاهل ) فيلحق إلیه الكلام كما يلقى إلى  
الجاهل . وقد ورد كثير أن ينزل العالم بالشئ منزلة الجاهل به لأغراض ترجع إلى  
التسوية بينه وبين الجاهل . تعبيراً له وتقييماً لحاله . وإن شئت فعليك بكلام  
رب العزة . ولقد علوا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا  
به أنفسهم لو كانوا يعلمون . وانظر كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم  
على سبيل التوكيد القسوى وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم ( فينبغي )  
أي إذا كان الغرض الأصلي من الكلام ما تقدم فينبغي الخ ( فإن كان الخ ) أصل  
هذا الكلام ما أجاب به أبو العباس عن قول الكندي المتفلسف إنني لأجد في  
كلام العرب حشواً ، يقولون عبد الله قائم وأن عبد الله قائم وأن عبد الله قائم  
والمعنى واحد بأن قال بل المعاني : مختلفة فعبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وإن  
عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبد الله قائم جواب عن إنكار

كما قال تعالى حِكَايَةً عَنْ رُسُلِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَذَّبُوا فِي الْمِرَّةِ  
الْأُولَى : إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسِلُونَ ، وَفِي الثَّانِيَةِ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسِلُونَ ، وَيُسَمَّى  
الضَّرْبُ الْأَوَّلُ ابْتِهَانِيًّا ، وَالثَّانِي طَلَبِيًّا ، وَالثَّالِثُ إِنْكَارِيًّا ؛ وَإِخْرَاجُ  
السَّكَّامِ عَلَيْهَا إِخْرَاجًا عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ ، وَكَثِيرًا مَا يُخْرَجُ السَّكَّامُ عَلَى  
خِلَافِهِ ، فَيُجْعَلُ غَيْرُ السَّائِلِ كَالسَّائِلِ ، إِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مَا يُلَوِّحُ لَهُ بِالْخَبَرِ  
فَيَسْتَشِيرُ لَهُ اسْتِشْرَافَ الْمُتَرَدِّدِ ، الطَّالِبِ ، نَحْوُ : وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ  
ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ . وَغَيْرُ الْمُنْكَرِ كَالْمُنْكَرِ ، إِذَا لَاحَ عَلَيْهِ شَيْءٌ  
مِنْ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ ، نَحْوُ :

منكر (إخراج الكلام عليها) على الوجوه المذكورة وهي الخلو من التأكيد  
في الأول والتقوية بمؤكد استحساناً في الثاني ووجوب التأكيد بحسب الإنكار  
في الثالث (يلوح) يشير (له) أي لغير السائل (فيستشرف له) أي فيتطلع  
غير السائل للخبر ، وأصل الاستشراف أن ينظر الإنسان إلى الشيء رافعاً رأسه  
باسطاً كفه على عينه كالمتق لشمس الشمس (نحو ولا تخاطبني) الخطاب لنوح  
أي لا تكلمني يأنوح في شأن قومك ولا تشفع في دفع العذاب عنهم ، فهذا يلوح  
بالخبر تلويحاً ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد  
المخاطب في أنهم صار محكوماً عليهم بالإغراق أم لا . فقيل لأنهم مفرقون مؤكداً  
ونحوه : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وصل عليهم إن صلاتك سكن  
لهم ، ومثل هذا قول بعض العرب :

فَعَنَّا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ      إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْفِدَاءُ

نجا شقيق عارض رُحمة إن بني عمك فيهم رِماح  
والمنكر كغير المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع ، نحو :  
لا ريب فيه .

ومنه قول بشار بن برد :

بَكَرًا سَاحِيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ      إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ  
وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغوض ( نحو جاء شقيق ) فإن بجته هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رُحمة عرضاً دليل على إعجاب شديد منه واعتقاده أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم روح . والبيت لحجل بن فضالة أحد بني عمرو بن عبد القيس بن معن وهو أحد أولاد عم شقيق الذي جاء لمحاربتهم ، ومثل البيت قوله تعالى :  
ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، مؤكداً بأن واللام وإن كان مما لا ينكر لأن تمامهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده من أمارات الإنكار ( نحو لا ريب فيه ) أى ليس مظناً للريب لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه . ومقتضى صنيعة في الإيضاح إن ذلك تنظير لتزويل الشيء منزلة عدمه فينبى كما نزل الإنكار منزلة عدمه فنحن مقتضاه وهو التأكيد ( تكملة ) قال الشيخ عبد القاهر : قد تدخل كلمة إن الدلالة على الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون كقولك للشيء هو برأى من المخاطب ومسمع : إنه كان من الأمر ما ترى ، وكان منى إلا فلان إحسان ثم إنه جعل جزائى ما رأيت ، فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذى ظننت وتبين الخطأ الذى توهمت . ومن خصائصها أن تضمير الشأن معها حسناً ولطفاً ليس بدونها بل لا يصلح إلا بها وذلك فى مثل قول رب العزة : إنه من يتق

وَهَكَذَا اعتِبارَاتُ النَّفْيِ « ثُمَّ الإِسْنَادُ » مِنْهُ حَقِيقَةُ عَقْلِيَّةٍ . وَهِيَ

وَيَصِيرُ . فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ ، وَمِنْ لَطِيفِ ذَلِكَ مَا تَجَدُّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ  
الَّتِي أُنْشَدَهَا الْجَاهِظُ لِبَعْضِ الْحِجَازِيِّينَ :

إِذَا طَمَعُ يَوْمًا لِحِرَانِي قَرَيْتُهُ كَتَائِبَ يَأْسٍ كَرَهَا وَاطْرَادَهَا  
أَكْثُ ثِمَادِي وَالْمِيَاءِ كَثِيرَةٍ أَعَالِجُ مِنْهَا حَفَرَهَا وَاکْتَبَدَادَهَا (١)  
وَأَرْضِي بِهَا مِنْ بَحْرِ آخِرٍ إِنَّهُ هُوَ الرَّيُّ أَنْ تَرْضَى النَّفْسُ ثِمَادَهَا  
وَمَا تَصْنَعُهُ إِنْ فِي الْكَلَامِ أَنْكَ تَرَاهَا تَهِيءُ النِّكْرَةَ لِأَنْ تَكُونَ مَبْتَدَأَ كَقَوْلِهِ :

إِنْ شِوَاءٌ وَإِشْوَةٌ وَخَبَبَ الْبَازِلِ الْأُمُونِ (٢)

وَلِنْ كَانَتْ النِّكْرَةُ مَوْصُوفَةً تَرَاهَا مَعَ أَنْ أَحْسَنَ كَقَوْلِهِ :

إِنَّ دَهْرًا يَنْفُثُ شَمْلِي بِسُعْدَى لَزَمْتُ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

وَمِنْ تَأْثِيرِ إِنْ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّهَا تَغْنَى عَنِ الْجَهْرِ نَحْوُ :

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا وَإِنْ فِي النَّفْسِ إِنْ مَصُومًا مَهَلًّا

فَلَوْ أَسْقَطَ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ الْحِذْفُ أَوْ لَمْ يَسْغُ ( وَهَكَذَا اعتِبارَاتُ النَّفْيِ )  
فَيَسْتَفْنِي عَنِ التَّأْكِيدِ فِي الْإِبْتِدَائِيِّ وَيَحْسُنُ تَأْكِيدُهُ فِي الطَّلَبِيِّ ، وَيَجِبُ تَأْكِيدُهُ  
بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ فِي الْإِنْكَارِيِّ وَيَخْرُجُ الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى خِلَافِ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ  
وَالْمَثَلُ ظَاهِرَةٌ ( ثُمَّ الْإِسْنَادُ مِنْهُ الْخُ ) أَعْلَمُ أَنْ سَبَبَ تَسْمِيَةِ الْإِسْنَادِ فِي هَذَيْنِ  
الْقَسْمَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ عَقْلِيًّا هُوَ اسْتِنَادُهُ إِلَى الْعَقْلِ دُونَ الْوَضْعِ ، لِأَنَّ إِسْنَادَ  
السَّكْمَةِ إِلَى السَّكْمَةِ شَيْءٌ يَحْصُلُ بِقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ دُونَ وَاصِعِ اللُّغَةِ ، فَلَا يَصِيرُ

( ١ ) الثَّمَادُ جَمْعُ ثَمْدٍ : وَهُوَ الْمَاءُ الْقَائِلُ :

( ٢ ) الْمُطْيَةُ الْمَوْثِقَةُ الْخُلُقِ الْمَأْمُونَةُ الْعِشَارِ .



إِسْنَادُ الْعَمَلِ أَوْ مَعْنَاهُ إِلَى مَا هُوَ لَهُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فِي الظَّاهِرِ كَقَوْلِ الْمُؤْمِنِ :  
أَنْبَتَ اللَّهُ الْبَقْلَ ، وَقَوْلِ الْجَاهِلِ : أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ ، وَكَقَوْلِكَ :  
تَجَاءَ زَيْدٌ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَجِيءْ ، وَفِيهِ تَجَازُ عَقْلِي وَهُوَ إِسْنَادُهُ إِلَى

ضَرْبِ خَبَرٍ عَنْ زَيْدٍ بَوَاضِعِ اللُّغَةِ بَلْ يَمْنُ قَصْدُ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ فَعَلًا لَهُ وَإِنَّمَا  
الَّذِي يَعُودُ إِلَى وَاضِعِ اللُّغَةِ إِنْ ضَرْبُ إِثْبَاتِ الضَّرْبِ لَا لِإِثْبَاتِ الْخُرُوجِ وَأَنَّهُ  
لِلْإِثْبَاتِ فِي زَمَانٍ مَاضٍ وَلَيْسَ لِإِثْبَاتِهِ فِي زَمَانٍ مُسْتَقْبَلٍ ، فَأَمَّا تَعْيِينُ مَنْ ثَبَتَ لَهُ  
فَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ مِنَ الْمُخْبِرِينَ وَلَوْ كَانَ لَعَرِيًّا لَسَكَانَ حَكْمًا بِأَنَّهُ بِمَجَازٍ  
فِي مِثْلِ قَوْلِنَا خَطَّ أَحْسَنَ مِمَّا وَشَى الرَّبِيعُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْفِعْلَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مِنَ الْحَيِّ  
الْقَادِرِ حَكْمًا بِأَنَّ اللُّغَةَ هِيَ الَّتِي أَوْجَبَتْ أَنْ يَخْتَصَّ الْفِعْلُ بِالْحَيِّ الْقَادِرِ دُونَ الْجَمَادِ  
، ذَلِكَ عَمَّا لَاشَكَ فِي بَطْلَانِهِ ( أَوْ مَعْنَاهُ ) الْمُرَادُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ نَحْوُ الْمَصْدَرِ وَاسْمِ  
الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ وَالصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ وَاسْمِ التَّفْضِيلِ وَالظَّرْفِ ( فِي الظَّاهِرِ ) مُتَعَلِّقٌ  
بِقَوْلِهِ لَهُ وَإِنَّمَا قَالَ فِي الظَّاهِرِ لِيَشْمَلَ مَا لَا يَطَابِقُ اعْتِقَادَ الْمُتَكَلِّمِ بِمَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ  
وَمَا لَا يَطَابِقُهُ ، فَأَقْسَامُ الْحَقِيقَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَرْبَعَةٌ مِثْلُ ثَلَاثَةٍ مِنْهَا وَهِيَ مَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ  
وَالْإِعْتِقَادَ جَمِيعًا ، وَمَا يَطَابِقُ الْإِعْتِقَادَ فَقَطْ ، وَمَا لَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ وَالْإِعْتِقَادَ .  
أَمَّا مَنَالُ مَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ فَقَطْ فَقَوْلُ الْمُعْتَزَلِيِّ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ حَالَهُ وَهُوَ يَخْفِيهَا مِنْهُ :  
خَلَقَ اللَّهُ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا ( أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ ) مِثْلُهُ قَوْلُ الْكَفَّارِ : وَمَا يَهْلِكُنَا  
إِلَّا الدَّهْرُ ، فِهَذَا وَنَحْوُهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ قَائِلُهُ عَلَى أَنَّهُ مُتَأَوَّلٌ بَلْ أَطْلَقَهُ بِجَهْلِهِ  
وَعَمَاهُ إِطْلَاقٌ مِنْ يَضَعُ الصِّفَةَ فِي مَوْضِعِهَا لَا يَوْصِفُ بِالْمَجَازِ ، وَاسْكَنْ يَقَالُ عِنْدَ  
قَائِلِهِ إِنَّهُ حَقِيقَةٌ وَهُوَ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ ( بِمَجَازِ عَقْلِي ) وَيُسَمَّى بِمَجَازٍ حَكْمِيًّا وَمَجَازًا  
فِي الْإِثْبَاتِ وَإِسْنَادًا بِمَجَازِيًّا ( إِسْنَادُهُ ) أَيْ الْفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ ( بِتَأَوَّلٍ ) مُتَصَلٌّ

مَلَابِسٍ لَهُ غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ؛ وَلَهُ مَلَابَسَاتٌ شَتَّى ، يَلَابِسُ الْفَاعِلُ  
وَالْمَفْعُولَ بِهِ ، وَالْمَصْدَرُ ، وَالزَّمَانُ وَالْمَكَانُ ، وَالسَّبَبُ ؛ فَيُسْنَدُهُ إِلَى الْمَفْعُولِ  
وَالْمَفْعُولِ بِهِ ، إِذَا كَانَ مَبْنِيًّا لَهُ ، حَقِيقَةً ، كَمَا مَرَّ ، وَإِلَى غَيْرِهَا لِلْمَلَابَسَةِ

بإسناده ، والتأول من آل إلى كذا يرجع إليه ومعناه تطلب المآل من الحقيقة  
أو الموضع الذي إليه من العقل وحاصل ذلك أن تنصب قرينة صارفة للإسناد  
على أن يكون إلى ما هو (وله) أى للفعل . . واعلم ، أن هذا الضرب من المجاز  
على حدته كز من كنوز البلاغة وذخر يعتمد إليه الكاتب البليغ والشاعر المفلح  
والخطيب المصقع ، وربما يدور بخلدك أن الإبداع فيه أمر يستطيعه كل الناس  
وينجم هذا الظن من أنك ترى الرجل يقول أتى بي الشوق إلى لفائفك ، وسارني  
الحنين إلى رؤيتك ، وأشبه ذلك مما نجدته لشهرته يجرى بجرى الحقيقة التي  
لا يشكّل أمرها ، وهو عمرك الله على خلاف ما تظن . فإنك لتراد يدق ويلطف  
حتى يمتنع مثله على الفحول البزل ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأتق  
لها . . وهذا ، وليس كل شيء بصالح لأن تتعاطى فيه انجهاز العقل بسهولة بل  
تجدك في كثير من الأمر وأنت تحتاج إلى أنت تهيم الشيء وتصلحه له بشيء  
تتوخاه في النظم كقول من يصف جملاً :

تَنَاسَ طِلَابَ الْعَامِرِيَةِ إِذْ نَأَتْ بِأَسْجَحِ مِرْقَالِ الضَّحَى قَلِقَ الضَّفِيرُ<sup>(١)</sup>

(١) الأسجح : الرقيق المشفر . ومرقال الضحى : أى يسرع السير في الضحى  
وهو وقت الحر . والضفير : حزم الرحل .

مجاز . كَقَوْلِهِمْ عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ ، وَسَيْلٌ مُفْعَمٌ ، وَشِعْرٌ شَاعِرٌ ، وَنَهَارٌ  
حَاشِمٌ ، وَنَهْرٌ جَارٌ ، وَبَنَى الْأَمِيرُ الْمَدِينَةَ : وَقَوْلُنَا بِتَأْوِيلٍ يُخْرِجُ مَا مَرَّ  
مِنْ قَوْلِ الْجَاهِلِ ، وَهَذَا لَمْ يُحْمَلْ نَحْوُ قَوْلِهِ :

إِذَا مَا أَحْسَنَهُ الْأَفَاعِي تَحَيَّرَتْ شَوَاةُ الْأَفَاعِي مِنْ مُثَلِّمَةِ سُمْرٍ (١)  
تَجُوبُ لَهُ الظُّلُمَاءُ عَيْنٌ كَأَنَّهَا رُجَاجَةٌ شَرِبَ غَيْرُ مَلَأَى وَلَا صِفَرٍ  
يريد أن يبتدى بنور عينه في الظلمات ويمكنه بها أن يخرقها ويمضي فيها  
ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذي لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ويجعل لنفسه  
فيها سبيلاً ، فلولا أنه قال تجوب له فعلق له بتجوب لما صلحت العين لأن يسند  
«تجوب» إليها وكان لا تبيين جهة التجوز في جمع تجوب فعلا للعين كما ينبغي ،  
وكذلك لو قال تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموضع ولا اضطرب عليه  
معناه . وانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به  
الآن ( مفعم ) أى نملوه ، سائحة ، قال الشيخ عبد القاهر : وبما طريق المجاز فيه  
الحكم قول الخنساء :

تَرَعْتُ مَا رَعَتْ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ  
وذاك أنها لم ترد بالإقبال والإقبال غير معناهما فتكون قد تجوزت في نفس  
الكلمة وإنما المجاز في أن جعلتها لكثرة ما تدبر وتقبل كأنها تجسمت من الإقبال  
والإدبار ، وليس أيضاً على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وإنما  
كانوا يذكرونه منه ، إذ لو قلنا أريد إنما هي ذات الإقبال وإدبار أفسدنا الشعر

(١) يقول إذا سار ليلاً واحست به الافاعي وهي بعيدة عن جحورها  
تحيّرت : أى تلتوت ، شواتها : أى أطرافها أو انقبضت جلدها وتنحّت ، والمثلية :  
السر . يريد أخفافها التي تلبها السير على الحجارة :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرُّ الْفَدَاةِ وَمَرُّ الْعِشَى  
هَلَى الْمَجَازِ ، مَا لَمْ يُعْلَمْ أَوْ يُظَنَّ أَنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَرِدْ ظَاهِرُهُ ، كَمَا اسْتَدِلَّ  
عَلَى أَنَّ إِسْنَادَ مِيزَ فِي قَوْلِ أَبِي النَّجْمِ :

مِيزَ عَنْهُ قُنْزُعًا عَنْ قُنْزُعٍ جَذَبُ اللَّيَالِي أَبْطَى أَوْ أَسْرَعَى  
مَجَازُ بِقَوْلِهِ عَقِيبَهُ : \* أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ اطْلَعِي \* ( وَأَقْسَمَهُ

على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مغسول وإلى كلام عامى مرذول لا مساغ له عند  
من هو صحيح الذوق ، صحيح المعرفة ، نسابة للعاني ( نحو قوله أشاب ) وقول  
أبي الإصبع :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا وَالذَّهْرُ يَغْدُو مُصَمَّمًا جَدَا  
( أشاب ) هو للصلتان العبدى الشاعر الحماسى وبعده :

إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَيُ  
نَرُوحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي  
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ  
( ميز ) قبله :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي عَلَى ذَنْبًا كُلَّهُ لَهْ أَصْنَعُ  
مِنْ أَنْ رَأَيْتُ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَصْنَعِ

ميز : أى فصل عنه أى عن رأسه ، والقنزع : الشعر المجتمع فى نواحي الرأس -  
وجذب الليالى : مضىها وتعاقبها ، وقوله أبطى أو أسرعى : حال من الليالى على  
تقدير القول أى مقولا فيها ويجوز أن يكون الأمر بمعنى الخير ( أفناه ) تمامه

أَرْبَعَةٌ) لَأَنَّ طَرَفَيْهِ إِنَّمَا حَقِيقَتَانِ . نَحْوُ : أَثْبَتَ الرَّيْبُ الْبَقْلَ ، أَوْ مَجَازَانِ  
نَحْوُ : أَحْيَا الْأَرْضَ شَبَابَ الزَّمَانِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ ، نَحْوُ أَثْبَتَ الْبَقْلَ شَبَابُ  
الزَّمَانِ ، وَأَحْيَا الْأَرْضَ الرَّيْبُ : وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ : وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ  
آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ . يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ، يَوْمًا يَجْعَلُ

\* حَتَّى إِذَا وَارَاكَ أَفَقٌ فَأَرْجَعِي \*

(لأن طرفيه) وهما المسند والمسند إليه (حقيقتان) لغويتان (نحو أثبت  
الريبع البقل) مثله قوله :

\* وَشَيْبَ أَيَّامَ الْفِرَاقِ مَفَارِقِ \*

وقول جرير :

لَقَدْ أَلْمَنَّا يَا أُمَّ غِيْلَانَ فِي السَّرَى وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ  
(مجازان) لغويان (نحو أحيا الأرض شباب الزمان) فإن المراد بإحياء  
الأرض لإحداث النضرة والخضرة الناشئة عن تهييج القوى المنمية فيها ،  
والإحياء في اللغة : إعطاء الحياة ، وهي صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية .  
والمراد بشباب الزمان : زمان ازدياد قواها المنمية ، والشباب في اللغة : كون  
الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة (وأحيا الأرض الريبع)  
مثله قول أبي الطيب :

وَنُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمَ وَالْقَنَ وَيَقْتُلُ مَا يُنْحِي التَّبَسُّمَ وَالْجَدَا  
جعل الزيادة والوفور حياة للسل ، وتفريقه في العطاء قتلا له ، ثم أثبت  
الإحياء فعلا للصوارم ، والقتل فعلا للتبسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما ، ونحوه  
قولهم : أهلك الناس الدينار والدرهم ، جعلت الفتنة إهلاكاً ثم أثبت الإهلاك  
فعلا للدينار والدرهم (وإذا تليت الخ) فأثبت الفعل في جميع ذلك لما لا يثبت له

الْوِلْدَانِ شَيْبًا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَغَيْرُ مُخْتَصٍ بِالنَّظَرِ بَلْ  
يَجْرَى فِي الْإِنشَاءِ نَحْوُ : يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا . وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَوَيْنَةٍ  
لَفْظِيَّةٍ ، كَمَا مَرَّ ، أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ ، كَأَسْتَحَالَةَ قِيَامِ الْمُسْنَدِ بِالْمَذْكُورِ عَقْلًا  
كَقَوْلِكَ : مَحَبَّتِكَ جَاءَتْ بِي إِلَيْكَ ، أَوْ عِدَّةَ نَحْوُ : هَرَمَ الْأَمِيرُ الْجُنْدَ ،  
وَصُدُوهُ عَنِ الْمَوْحِدِ فِي مِثْلِ : أَشَابَ الصَّغِيرَ . وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ إِمَّا

فَعْلٌ . إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَعْقُولِ ، عَلَى مَعْنَى السَّبَبِ ( أَثْقَالَهَا ) مَا كُنْزَ فِيهَا وَأَوْدَعَ  
جَوْفَهَا ( نَحْوُ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا ) فَأَثْبَتَ الْبِنَاءَ لِهَامَانَ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْعَمَلَةِ  
وَهَامَانَ آمَرَ ( كَمَا مَرَّ ) يَرِيدُ قَوْلَ أَبِي النُّجُمِ : أَفْنَاهُ قِيلَ اللَّهُ : ( بِالْمَذْكُورِ ) أَيْ  
بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ الْمَذْكُورِ مَعَ الْمُسْنَدِ ( وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ ) قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ :  
اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي هَذَا الْحِجَازِ أَنْ يَكُونَ لِلْفِعْلِ فَاعِلٌ فِي التَّقْدِيرِ إِذَا أَنْتَ  
أَسْنَدْتَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ عَدْتَ بِهِ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، مِثْلَ أَنْتَ تَقُولُ فِي رَحْمَتِ تِجَارَتِهِمْ :  
وَنَحْوًا فِي تِجَارَتِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأْتَى فِي كُلِّ شَيْءٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُكَ  
أَنْ تَثْبُتَ لِلْفِعْلِ فِي قَوْلِكَ أَقْدَمَنِي بِلَدِكَ حَقٌّ لِي فَاعِلًا سِوَى الْحَقِّ ، وَكَذَا  
لَا نَسْتَطِيعُ فِي قَوْلِهِ

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيِّنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

وَقَوْلُهُ يَزِيدُكَ وَجْهَهُ ، أَلْبَيْتُ ، أَنْ تَزْعِمَ أَنْ لَهُ فَاعِلًا قَدْ نَقَلَ عَنْهُ الْفِعْلَ لِفَعْلٍ  
لِلْهَوَى وَلَوْجْهَهُ : فَالْإِغْتِبَارُ إِذَنْ بِأَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفِعْلُ مَوْجُودًا  
فِي الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَتِهِ . مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْقُدُومَ مَوْجُودًا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَكَذَلِكَ  
الصَّبْرُ وَالزِّيَادَةُ مَوْجُودَتَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَإِذَا كَانَ مَعْنَى الْإِغْتِبَارِ مَوْجُودًا

فَذِهِ ذِكْرٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : مَا رَزَقْتُ تِجَارَتَهُمْ ، أَيْ مَا رَزَقُوا فِي تِجَارَتِهِمْ ،  
وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ ، كَمَا فِي قَوْلِكَ : سَرَرْتُ رُؤْيَيْكَ ، أَيْ سَرَرَنِي اللَّهُ عِنْدَ رُؤْيَيْكَ  
وَقَوْلِهِ : يَزِيدُكَ وَجْهٌ حَسَنًا \* إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا

على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه فيكون في الحكم . قال الرازي : فيه نظر  
لأن الفعل لابد من أن يكون له فاعل حقيقة لا امتناع صدور الفعل لا عن  
فاعل . فهو إن كان ما أسند إليه الفعل فلا مجاز . وإلا فيمكن تقديره . فزعم  
السكاكي أن الحق في جانب الرازي ، وأن فاعل هذه الأفعال هو الله تعالى  
وسعه المصنف في ذلك ، قال التفتازاني : وفي ظني أن هذا تكلف والحق ما ذكره  
الإمام : وهذا صحيح لأن تقدير الفاعل الموجد ، وهو الله تعالى ، في مثل هذه  
الأفعال تقدير ألب ، لا يقصد في الاستعمال . ولا يتعلق به الغرض في التراكيب  
( يزيدك ) مؤلاني نواس من قصيدة يهجو فيها الأعراب لتعشقهم النساء  
دون الغلمان ، ومثله قول حاجز بن عوف :

أَبَى عَبْرَ الْفَوَارِسِ يَوْمَ دَاجٍ وَعَمَى مَالِكٌ وَضَعَ نِسِيهَامَا<sup>(١)</sup>  
فَلَوْ صَاحَبْتِنَا لَرَضِيتِ عَنَّا إِذَا لَمْ تَغْبُقِ الْمَائَةَ الْعِلَامَا<sup>(٢)</sup>

يريد إذا كان العام عام جذب ، وجفت ضروع الإبل ، حتى إن حلب منها  
مائة لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد . فالفعل هو الذي غبق

- 
- ( ١ ) عبر الفوارس : وزنها وعرف عددها وقوتها ، واحتال بعد ذلك  
بالهزيمة عندما عرفه العدو حتى رجع إلى قومه وكانوا كامنين ، فثاروا على  
أعدائهم وقتلوه . ويوم داج : أي يوماً داجياً ، أي مظلياً بالسحاب .  
( ٢ ) أي إذا لم يكف لبن مائة ناقة لغبوق غلام واحد ، أي عند الجذب

أَيَّ يَزِيدُكَ اللَّهُ حُسْنًا فِي وَجْهِهِ : وَأُنْكِرُهُ السَّكَاكِي ذَاهِبًا إِلَى أَنَّ  
مَأْمَرًا وَنَحْوَهُ اسْتِعَارَةٌ بِالسَّكْنَاءِ ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّبِّيعِ الْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ  
بِقَرِينَةٍ نَسْبَةِ الْإِنْبَاتِ إِلَيْهِ ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ غَيْرُهُ . وَفِيهِ نَظَرٌ : لِأَنَّهُ  
يَسْتَلْزِمُ أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ بِعَيْشَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، صَاحِبَهَا  
كَأَيُّ شَيْءٍ . وَأَنَّ لَا تَصِحَّ الْإِضَافَةُ فِي نَحْوِ نَهَارُهُ صَائِمٌ ، لِإِطْلَاقِ إِضَافَةِ  
الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَنَّ لَا يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْبِنَاءِ هَامَانًا ، وَأَنَّ يَتَوَقَّفَ نَحْوُ :

مُسْتَعْمَلٌ فِي نَفْسِهِ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَالْمَجَازُ فِي إِسْنَادِهِ إِلَى الْإِبِلِ وَجَعَلَهُ فَعَلًا لَهَا  
( وَأُنْكِرُهُ السَّكَاكِي ) وَهَآكَ مَاقَالُهُ : الَّذِي عِنْدِي هُوَ نَظْمُ هَذَا النُّوعِ فِي سَلَكِ  
الِاسْتِعَارَةِ بِالسَّكْنَاءِ بِجَعْلِ الرَّبِّيعِ اسْتِعَارَةً بِالسَّكْنَاءِ عَنِ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ ،  
بِوَسَاطَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ وَجَعَلَ نَسْبَةَ الْإِنْبَاتِ إِلَيْهِ قَرِينَةً لِلِاسْتِعَارَةِ ، وَبِجَعْلِ  
الْأَمِيرِ الْمُدَبِّرِ لِأَسْبَابِ هَزِيمَةِ الْعَدُوِّ ، اسْتِعَارَةً بِالسَّكْنَاءِ عَنِ الْجُنْدِ الْهَازِمِ  
وَجَعَلَ نَسْبَةَ الْهَزِيمِ إِلَيْهِ قَرِينَةً لِلِاسْتِعَارَةِ ( وَفِيهِ نَظَرٌ ) إِنْ مَا أَوْرَدَهُ الْمَصْنُفُ  
عَلَى مَذْهَبِ السَّكَاكِي لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالشَّيْءِ نَفْسُ الْمَشْبَهَةِ بِهِ حَقِيقَةً  
وَالسَّكَاكِي صَرَحَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالشَّيْءِ أَدْعَاءُ فَاعَرَفَ هَذَا حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ  
مِنَ الْأَمْرِ ، نَعَمْ قَدْ رَدُّوا مَذْهَبَهُ فِي الْاسْتِعَارَةِ بِالسَّكْنَاءِ بِمَا يَصْعَبُ دَفْعُهُ  
وَسَيُجَرِّبُكَ فِي مَحَلِّهِ ( أَنَّ يَكُونَ الْمُرَادُ بِعَيْشَةٍ صَاحِبَهَا ) وَهُوَ بَاطِلٌ إِذْ لَا مَعْنَى  
لِقَوْلِنَا فَهُوَ صَاحِبُ عَيْشَةٍ ( كَأَيُّ شَيْءٍ ) يُرِيدُ تَفْسِيرَ الْاسْتِعَارَةِ بِالسَّكْنَاءِ  
عَلَى مَذْهَبِ السَّكَاكِي ( وَأَنَّ لَا تَصِحَّ الْإِضَافَةُ ) لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّهَارِ حِينَئِذٍ فُلَانٌ  
نَفْسُهُ . يَعْزِي وَيَقْدِرُ وَقَعْتَ هَذِهِ الْإِضَافَةَ فِي الْبَلِيغِ مِنَ الْكَلَامِ : فَمَا دَبَحَتْ تَجَارَتُهُمْ  
( وَأَنَّ لَا يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْبِنَاءِ هَامَانًا ) لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ حِينَئِذٍ هُوَ الْعَمَلَةُ أَنْفُسُهُمْ  
وَالْإِزْمَ بَاطِلٌ ، لِأَنَّ الدَّعَاءَ لَهُ وَالْخُطَابَ مَعَهُ ( وَأَنَّ يَتَوَقَّفَ ) لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ



أَثَبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ عَلَى السَّمْعِ : وَاللَّوْازِمُ كُلُّهَا مُنْتَفِيَةٌ ؛ وَلِأَنَّهُ يَنْتَقِضُ  
بِنَحْوِ : نَهَارُهُ صَائِمٌ ، لَاشْتِمَالِهِ عَلَى ذِكْرِ طَرَفٍ فِي التَّشْبِيهِ .

﴿ أَحْوَالُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴾

أَمَّا حَذْفُهُ : فَلِلْإِحْتِرَازِ عَنِ الْعَبَثِ بِنَاءً عَلَى الظَّاهِرِ ، أَوْ تَخْيِيلِ  
الْعُدُوِّ إِلَى أَقْبَوَى الدَّلِيلَيْنِ مِنَ الْعَقْلِ وَاللَّفْظِ كَقَوْلِهِ :

توقيفية ، يعني وليس كذلك ، لأن مثل هذا التركيب صحيح شائع ، سمع من  
الشارع أو لم يسمع ( لاشتماله إلخ ) وذلك يمنع من حمل الكلام على الاستعارة  
كما صرح به السكاكي ، لكن أجابوا عن هذا بأن ذلك إنما يكون مانعاً إذا كان  
ذكرهما على وجه يفني عن التشبيه مثل زيد أسد « وبعد ، فقط اعتاد السكاكي  
أن يخالف أئمة البلاغة فيما لا غناء في مخالفتهم فيه ، وما كان أغنانا عن معرفة  
مذهبه هذا . وحذا عمل المصنف لو أنه جعله دبر أذنه ( أما حذفه ) قال  
عبد القادر يصف الحذف : إنه لعجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به  
ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجحدك  
أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين ( فلاحتراز إلخ )  
يقول : إن المسند إليه — بعد أن تدل عليه القرينة — تختلف مقاصد البلغاء  
من حذفه ، فإارة يكون الغرض التجرؤ عن العبث ، لأن ذكره يعد عبثاً  
لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به ، وأخرى يكون لتخييل أن في تركه تعويلاً  
على شهادة العقل ، وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكثيرين  
للمهادتين ، إلى آخر ما ذكره ، هذا . وإنما قال تخييل لأن الدال حقيقة

﴿ قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ ﴾ أَوْ اخْتِبَارِ تَنْبَهُ السَّامِعِ عِنْدَ  
الْقَرِينَةِ ، أَوْ مَقْدَارِ تَنْبَهُهِ ، أَوْ إِيْهَامِ صَوْتِهِ عَنْ لِسَانِكَ ، أَوْ عَكْسِهِ ، أَوْ  
تَأْتِي الْإِنْكَارَ لَدَى الْحَاجَةِ ، أَوْ تَعْيْنِهِ ، أَوْ ادْعَاءِ التَّعْيِينِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ،

عند الحذف هو اللفظ المدلول عاينه بالقرائن ( قال لي ) تمامه :  
﴿ سهر دائم وحزن طويل ﴾ فلم يقل أنا عليل للاحتراز أو التخيل . وربما  
يكون الحذف غير ذلك لأن لكل امرئ في باب البلاغة مانوي ( أَوْ إِيْهَامِ صَوْتِهِ  
عَنْ لِسَانِكَ ) تعظيماً له ( أَوْ عَكْسِهِ ) أَيْ إِيْهَامِ صَوْنِ لِسَانِكَ عَنْهُ تَحْقِيرًا لَهُ  
( أَوْ تَأْتِي ) أَيْ تَبَسُّرِ الْإِنْكَارِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِنْكَارِ ، نَحْوِ نَذْلِ لَثِيمٍ ، عِنْدَ  
قِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى أَنْ الْمُرَادُ زَيْدٌ ، لِيَتَأْتِيَ لَكَ أَنْ تَقُولَ مَا أَرَدْتَ زَيْدًا بَلْ غَيْرُهُ  
( أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ) كَاتِبَاعِ الْإِسْتِعْمَالِ الْوَاردِ عَلَى تَرْكِهِ مِثْلَ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ  
وَشَنْشَنَةِ (١) أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمٍ ، أَوْ عَلَى تَرْكِ نَظَائِرِهِ كَمَا فِي الرَّفْعِ عَلَى الْمَدْحِ أَوْ  
الذَّمِّ أَوْ التَّرْحِمِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يَذْكُرُونَ فِيهِ الْمُبْتَدَأَ ، قَالَ :

هُمْ حَلَوُ مِنْ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى      وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤَا  
بُنَاةٌ مِكَارِمٍ وَأُسَاةٌ كُلَّمِ      دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ  
وقال الحماسي :

رَأَى عَلَى مَا بِي عُجْمِيلَةٌ فَاشْتَكَى      إِلَى مَا لِهِ حَالِي أَسَةً كَمَا - هَرَّ

( ١ ) هو لَأَبَى أَخْزَمِ الطَّائِي وَكَانَ لَهُ ابْنٌ عَاقٍ يُقَالُ لَهُ أَخْزَمٌ . فَبَاتَ وَتَرَكَ  
بَنِينَ ، فَوُثِّبُوا يَوْمًا عَلَى جَدِّهِمْ أَبِي أَخْزَمٍ فَأَدَمَوْهُ فَقَالَ :  
لَنْ بَنِي ضَرْجُونِي بِالدَّمِ      شَنْشَنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ  
يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ أَشْهُوَا أَبَاهُمْ فِي الْعُقُوقِ ، وَالشَنْشَنَةُ : الطَّبِيبَةُ وَالْعَادَةُ .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلْيَكُونِ الْأَصْلَ وَلَا مُقْتَضَى لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، أَوْ لِلْإِحْتِيَاظِ

غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا لَهُ سَيْمِيَاهُ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصَرِ  
وقال الأفيشر في ابن عم له موسى سأله فذعه ، فشكاه إلى القوم وذمه ،  
فوثب إليه ابن عمه ولطمه :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ  
حَرِيسٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعٍ  
ومنه قولهم — بعد أن يذكروا الرجل — فتي من شأنه كذا وكذا ، وأغر  
من صفته كيت وكيت كقوله :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَأَخْتُ مَنِيَّتِي أَيْادِي لَمْ تُثْمَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ  
فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرِ الشُّكُورِ إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ  
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ  
وقوله :

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ أَسْتَفَنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ  
فَتَى لَا يَمُدُّ الْمَالَ رَبًّا وَلَا تُرَى بِهِ جَفْوَةٌ إِنْ نَالَ مَا لَا وَلَا كِبْرُ  
فَتَى كَانَ يُعْطَى السَّيْفَ فِي الرَّوْعِ حَقَّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِيَ وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزْرُ  
وقول جميل :

وَهَلْ بُلَيْتُهُ يَا لِلنَّاسِ قَاضِيَتِي دَيْنِي وَفَاعِلَةٌ خَيْرًا فَأَجْزِيهَا  
تَرْنُو مَيْتِي مَهَا أَفْصَدَتْ بِهِمَا قَلْبِي عَشِيَّةَ تَرْمِينِي وَأَرْمِيهَا

لِصَعْفِ التَّعْوِيلِ عَلَى الْقَرِينَةِ ، أَوْ لِلتَّنْيِيهِ عَلَى غَبَاوَةِ السَّامِعِ ، أَوْ زِيَادَةِ  
الِإِبْضَاحِ وَالتَّقْرِيرِ ، أَوْ إِظْهَارِ تَعْظِيمِهِ ، أَوْ إِهَانَتِهِ ، أَوِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهِ ، أَوْ  
اسْتِلْذَاقِهِ ، أَوْ بَسْطِ الْكَلَامِ حَيْثُ الْإِصْغَاءُ مَطْلُوبٌ ، نَحْوُ : هِيَ عَصَا .

هَيْفَاءَ مُقْبِلَةً عَجَزَاءَ مُدْبِرَةً رِيًّا الْعِظَامِ بِلَيْنِ الْعَيْشِ نَازِيهَا  
وبعد أن يذكروا الديار والمنازل : ربع كذا وكذا ، قال :  
اعْتَادَ قَلْبُكَ مِنْ كَثِيرِ عَوَائِدِهِ وَهَاجَ أَهْوَاؤُكَ الْمَكْنُونَةَ الطَّلُلُ  
رَبْعٌ قَوَالٍ أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتُ بِهِ وَكُلُّ حَيْرَانَ سَارِمًا وَهُوَ خَضِيلٌ (١)  
وهذه طريقة مستمرة عندهم . « هذا ، ومن لطيف الخذف قول بكر  
ابن النطاح :

الْعَيْنُ تُبْدِي الْحُبَّ وَالْبُغْضَ وَتُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالنَّقْصَا  
دُرَّةً مَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْهَوَى وَلَا رَحِمْتَ الْجَسَدَ الْمُنْصَى  
غَضَبِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَطْعَمُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى  
التقدير هي غضي . وهذا شعر يمتزج بأجزاء النفوس ، ويصل إلى القلوب  
بلا آذان (أو إظهار تعظيمه أو إهانتة) كما في بعض الأسماء المحمودة أو المذمومة  
( حيث الإصغاء مطلوب ) أى فى مقام يكون لإصغاء السامع مطلوباً للتسكلم

(١) أذاع المعصرات : أنزلت ماءها بكثرة . والحيران السارى : هو  
المون يجرى ليلاً .

وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ فَبِالإِضْمَارِ : لِأَنَّ الْمَقَامَ لِلتَّكْلِمْ أَوْ الْخُطَابِ أَوِ الْغَيْبَةِ . وَأَصْلُ  
الْخُطَابِ أَنْ يَكُونَ لِمَعِينٍ ، وَقَدْ يُتْرَكُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَعْمَ كُلَّ مُحَاطَبٍ نَحْوُ :  
وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، أَى تَنَاهَتْ حَالُهُمْ  
فِي الظُّهُورِ ، فَلَا يَخْتَصُّ بِهَا مُحَاطَبٌ . وَبِالْعَلَمِيَّةِ لِإِحْضَارِهِ بَعِيْنَهُ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ

لشرفه ، ولذلك يطال الكلام مع الأحياء ( للتكلم ) كقول بشار :  
أَنَا الْمُرْعَثُ لَا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَرَّتْ بِي الشَّمْسُ لِلْقَاصِي وَلِلدَّائِي (١)  
( أَوْ الْخُطَابِ ) كقول الخمسي :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَثَمْتَ بِي مِنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ  
( أَوْ الْغَيْبَةِ ) لِكَوْنِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مَذْكُوراً ، أَوْ فِي حَكْمِ الْمَذْكُورِ لِقَرِينَةِ ،  
كقول أبي تمام :

بِيَمْنِ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعُلَى وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ  
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَى النَّوَاحِي أَتَيْتُهُ فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ  
وقوله تعالى : وَلَا بُوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ . أَى وَلَا بُوَيْهِ الْمَيْتِ (لَمَعِين)  
وَاحِداً أَوْ كَثِيراً ( لِيَعْمَ كُلَّ مُحَاطَبٍ ) عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ لِأَعْلَى سَبِيلِ التَّنَاوُلِ دَفْعَةً  
وَاحِدَةً ( نَحْوُ : وَلَوْ تَرَى ) وَكَأَيُّ قَوْلٍ : فَلَانِ لَيْتَ إِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ  
أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ أَسَاءَ إِلَيْكَ ، فَلَا تَرِيدُ مُحَاطَباً بَعِيْنَهُ بَلْ تَرِيدُ إِنْ أَكْرَمْتَ أَوْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ  
قَصْداً إِلَى أَنْ سَوِّءَ مُعَامَلَتَهُ لَا يَخْتَصُّ بِوَاحِدٍ دُونَ وَاحِدٍ ( نَاكِسُوا رُءُوسَهُمْ )  
مِنْ أَحْيَاءٍ وَالْخُرَى ( بِهَا ) أَى بِرُؤْيَا حَالِهِمْ ( وَبِالْعَلِيَّةِ ) أَى تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ

( ١ ) كَانَ بَشَارٌ يَلْقَبُ بِالْمُرْعَثِ لِرُعْتِهِ كَانَتْ لَهُ فِي صُغُرِهِ ، وَالرُعْتَةُ : الْقِرْطُ  
الْبَنِي يَمُتُّ فِي شِجْمَةِ الْأُذُنِ . وَذَرَّتْ الشَّمْسُ : طَاعَتْ .

ابتداءً بِاسْمٍ مُخْتَصٍّ بِهِ ، نحو : قل هو الله أحد ؛ أو تعظيم أو إهانة أو  
كناية ، أو إيهام استلذاذه ، أو التبرك به أو نحو ذلك . وبالموصولية  
لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به نسوى الصلّة ، كقولك : الذي  
كان معنّا أمّس رجُلٌ عالمٌ . أو استهجان التصريح بالاسم ، أو زيادة

بإيراده علماً ( نحو : قل هو الله أحد ) هو ضمير الشأن مبتدأ أول والله مبتدأ  
ثان والجملة خبره ، فقد ورد المسند إليه علماً لأجل إحضاره في الذهن ابتداءً  
بجميع مشخصاته التي قام عليها الدليل كالقدرة ونحوها ، باسم خاص به تعالى ،  
ونحوه قول الشاعر :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ قَفْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غَدَاةً  
وقول الآخر :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قَتْلَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقِّ مَرْبِدٍ  
( أو تعظيم أو إهانة ) كما في الكنى والألقاب المحمودة والمذمومة ( أو كناية )  
حيث الاسم صالح لها ، وما ورد صالحاً للكناية من غير باب المسند إليه  
قوله تعالى : ثبت يدا أبي لهب ، كناية عن كونه جهنمياً ( أو إيهام استلذاذه )  
نحو قوله :

يَا ظَبْيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَى مِنْكُمْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ  
( أو نحو ذلك ) مما يناسب اعتباره في الإعلام كالتفاؤل والتطير ،  
( أو استهجان التصريح بالاسم ) قال السكاكي : والعدول عن التصريح  
باب من البلاغة يصار إليه كثيراً ، وإن أوردت تطويلاً . يحكى عن  
شريح أن عدى بن أرطاة أتاه ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها ،

التقرير نحو : وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، أَوِ التَّفْخِيمِ نحو :  
فَغَشَّيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيَهُمْ ، أَوْ تَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ عَلَى خَطَايَا نَحْو :

فلما جلس بين يدي شريح قال عدى : أين أنت ؟ قال بينك وبين الحائط . قال : إني  
أمرؤ من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال وأنا قدمت العراق ، قال : خير  
مقدم ، قال : وتزوجت هذه ؟ قال : بالرفاء والبنين ، قال : ولإنها ولدت  
غلاماً ، قال : ليهنك الفارس ، قال : وأردت أن أنقلها لى دارى ، قال : المره  
أحق بأهلك ، قال : قد كنت شرطت لها وكزها ، قال الشرط أملك . قال :  
أقض بيننا ، قال : فعات ، قال : فعلى من قضيت ؟ قال : على ابن أملك : عدل  
شريح عن لفظ عليك لئلا يواجهه بالصريح على ما يشق على المخاضم من القضاء  
عليه ( نحو وروادته ) فالكلام مسوق لنزاهة يوسف وطهارة ذيله والمذكور  
أدل عليه من امرأة العزيز أو زليخا . ومما هو نص فى زيادة تقرير الغرض  
المسوق له الكلام فى غير المسند إليه بيت السقوط :

أَعْبَادَ الْمَسِيحِ يَخَافُ صَحْبِي وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ الْمَسِيحَ

فإيه أدل على عدم خوفهم النصارى من أن يقول نحن عبيد الله ( نحو :  
فَغَشَّيَهُمْ ) وقوله تعالى : والمؤتفكة أهو فغشاها ما أغشى : ومثله قوله :

مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا وَفِي الرَّجَاحَةِ بَاقٍ يَطْلُبُ الْبَاقِ

ومنه فى غير هذا الباب بيت الحماسة :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَالَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَأَمَّا عِلَاقَةُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ

فإن ما مفعول ، وقول أبى نواس :

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْغَوَاوِ بِدَلْوِهِمْ وَأَسْمَتُ سَرَحَ اللَّهِ حَيْثُ أَسَامُوا

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْهُمْ إِيَّاهُمْ يَشْفِي غَدِيلَ ضُدُورِهِمْ أَنْ نَضْرَعُوا  
أَوْ الْإِيمَاءَ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الْخَيْرِ نَحْوُ : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ : ثُمَّ إِنَّهُ رَبَّمَا جَعَلَ ذَرِيعَةً إِلَى التَّعْرِيطِ بِالْمُتَعَطِّمِ  
لشأنه نَحْوُ :

وَبَلَغَتْ مَا بَلَغَ أَمْرُؤُا يَشَابَهُ فَأَذَا عَصَاةٌ كُلُّ ذَلِكَ أَثَمٌ<sup>(١)</sup>

(نحو : إن الذين) ففيه من التلميح على خطئهم في هذا الظن ما ليس في  
قولك إن القوم الفلاني . والبيت لعبد بن الطيب من قصيدة يعظ فيها بنيه  
(أو الإيماء إلى وجهه ببناء الخير) يقول : قد يعرف المسند إليه بالموصولية لما  
في صلته من الإشارة إلى نوع الخير من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم مثلاً .  
وحاصله أن يؤتى بالفاتحة على وجه يذبه الفطن على الخاتمة نحو : إن الذين  
يستكبرون الآية ، ففي مضمون الصلة الذي هو الاستكبار إيماء إلى أن الخير  
أمر من جنس الإذلال والعقوبة : قال السكاكي : ثم يتفرع على هذا اعتبارات  
لطيفة ، ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم كقولك : الذي يرافقك يستحق  
الإجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الإذلال والصفع ، ومنه قولهم جاء<sup>(٢)</sup>  
بعد اللتيا والتي ، أو بالإهانة كما إذا قايت الخبر في الصورتين ، وربما جعل

(١) أتمام : كسلام ، جزء الإثم .

(٢) قال السكاكي في فصل الإيجاز : وقول العرب جاء بعد اللتيا والتي  
بترك صلة الموصول لإيثاراً للإيجاز تليها على أن المشار إليهما باللتيا والتي وهي  
المحنة ، والشدائد بلغت من شدتها وفضاعة شأنها ، مبلغاً يبهت الواصف معها  
حتى لا يحير بلينت شفة .



إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَايَهُ أَهْمُ وَأَصُولُ  
أَوْ شَأْنٍ غَيْرِهِ نَحْوُ : الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ  
وَبِالإِشَارَةِ لِمَيِّزِهِ أَكْمَلَ تَمْيِيزَ نَحْوُ قَوْلِهِ :  
هَذَا أَبُو الصَّقْرِ فَرَدَّ فِي مَحَاسِنِهِ

ذريعة إلى تعظيم شأن الخبر كقول الفرزدق : إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ : البيت  
فإن فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الرفعة والبناء ؛ ثم في هذا  
الإيماء تعريض لتعظيم بناء بيته من حيث أنه فعل من رفع السماء ، أو تعظيم  
شأن غير الخبر نحو : الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ، ففيه إيماء إلى أن  
الخبر المبني عليه أمر من جنس الخسران ، وفيه مع ذلك تعظيم لشأن شعيب ،  
وفي هذه الاعتبارات كثرة ، فم لها حول ذكائك . وهذا ، وقد يقصد بالموصول  
الحث على التعظيم نحو : جاء الذي عليك ، أو التحقير نحو : جاء الذي سألك  
أو النهك كقوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ لِمَنَّكَ لِحَنُونَ . ولطائف هذا  
الباب لا تكاد تضبط ( لتمييزه أكبر تمييز ) لغرض من الأغراض كأن يكون  
في مقام المدح وفي حال إجراء أوصاف الرفعة ونعوت الأثرة ( نحو هذا  
أبو الصقر ) مثله قوله :

وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبِلٍ      مُتَسَرِّبٍ سِرّاً لَيْلٍ أُغْبِرِ  
أوما إلى الكوماء هذا طَارِقٌ      نَحَرْتُني الأعداء إن لم تُنَحَرِي

وقول المتنبي :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا      وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

أَوِ التَّعْرِيضِ بِغَاوَةِ السَّامِعِ كَقَوْلِهِ :

أُولَئِكَ آبَائِي فَجَنِّبِي عِمْلَهُمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْجَامِعُ  
أَوْ بَيَانِ حَالِهِ فِي الْقُرْبِ أَوِ الْبُعْدِ أَوِ التَّوَسُّطِ : كَقَوْلِكَ : هَذَا أَوْ ذَلِكَ  
أَوْ ذَلِكَ زَيْدٌ ؛ أَوْ تَحْقِيرِهِ بِالْقُرْبِ نَحْوُ : أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ؛ أَوْ  
تَعْظِيمِهِ بِالْبُعْدِ نَحْوُ : أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ؛ أَوْ تَحْقِيرِهِ كَمَا يُقَالُ : ذَلِكَ اللَّعِينُ  
فَعَلَ كَذَا ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عِنْدَ تَعَقُّبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ بِأَوْصَافٍ عَلَى أَنَّهُ جَدِيرٌ  
بِمَا يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ أَجْلِهَا نَحْوُ : أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمْ

والبيت لابن الرومي وتامه \* من نسل شيبان بين الضال والسلم \* الضال :  
هو السدر ، والسلم : شجر ذو شوك ، وهما من شجر البوادي ، وأشار بذلك إلى  
ما تتماح به العرب من سكنى البادية لأن العز مفقود في الحضر ( أو التعريض  
بغَاوَةِ السَّامِعِ ) وأنه لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس ( أولئك آبائي ) هو للفرزدق  
من قصيدة يقتخر فيها على جرير ( نحو هذا أو ذلك أو ذاك ) فهذا زيد في حال  
القرب وذلك في حال البعد وذاك في حال التوسط ، وإنما أخر لأنه إنما يتحقق  
بعد تحقيق الطرفين ( أهذا الذي يذكر آلهتكم ) مثله قوله تعالى : وما هذه الحياة  
الدنيا إلا لهو ولعب ، وقوله تعالى ، وهو من غير باب المسند إليه : ماذا أراد  
الله بهذا مثلاً . وقول الشاعر :

تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعِسِ<sup>(١)</sup>

( نحو ذلك الكتاب ) ذهاباً إلى بعد درجته ، ونحوه : فذلكن الذي لمتني  
فيه ، لم تقل فهذا — وهو حاضر — رفعاً لمنزله في الحسن وتمهيداً للعدر  
في الافتتان به ( نحو : أولئك على هدى ) فقد عقب المشار إليه وهو المتقين

( ١ ) المتقاعس : الذي يخرج صدره ويدخل ظهره .

الْمُفْلِحُونَ . وَبِاللَّامِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَعْنَى نَحْوُ : وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى

بأوصاف هي الإيمان بالغيب وإقام لصلاة وغير ذلك ، ثم عرف المسند إليه بالإشارة تنبيهاً على أن المشار إليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلاً والفوز والفلاح أجلاً من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة . . . ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

لَحَا اللَّهُ ضَعْلُوكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ	مُصَافِي الْمَشَاشِ <sup>(١)</sup> أَلِفًا كُلَّ حِجْرٍ
يَنَامُ ثَقِيلًا ثُمَّ يَصْبِحُ قَاعِدًا	يَحْتَ الْخَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرُ
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ	فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ
وَلَكِنْ ضَعْلُوكَ صَفِيحَةً وَجْهِهِ	كَضَوْءِ سِرَاجِ الْقَائِسِ الْمُتَنَوِّرِ
مُطْلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ	بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْتَرِ
وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ	تَشَوَّفُ أَهْلَ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا	حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِي يَوْمًا فَأَجْدَرِ

عدد له خصالا فاضلة كما ترى ثم عقب هذا بقوله ، فذلك فأفاد أنه حري بما ذكر بعده لأجل اتصافه بتلك الخصال (معهود) بين المتكلم والمخاطب لتقدم ذكره صريحا أو كناية كما في الآية ، أو لعلم المخاطب به نحو : إذ هما في الغار

(١) المشاش جمع مشاشة : قيل هي رموس المفاصل مثل الركبتين ، وفي إضافة مصافى إلى المشاش من التهكم ما لا يخفى . والجزر : موضع جزر الإبل . والمتعفر : المترب . والبعير المحسر : هو المعنى . وقوله وإن بعدوا الخ : على التقديم والتأخير ، أراد لا يأمنون اقترابه وإن بعدوا .

أَيُّ لَيْسَ الَّذِي طَلَبْتُ كَالْتِي وَهَبْتُ لَهَا ، أَوْ إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ كَقَوْلِكَ :  
الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ ؛ وَقَدْ يَأْتِي لِوَاحِدٍ بِاعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ كَقَوْلِكَ :  
أَدْخُلِ السُّوقَ حَيْثُ لَا عَهْدَ ؛ وَهَذَا فِي الْمَعْنَى كَالنَّكَرَةِ ، وَقَدْ يُفِيدُ

ونحو : إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَكَقَوْلِكَ لِمَنْ فَوْقَ سَهْمَا : الْقِرَاطُاسُ .  
أَوْ لِحَضُورِهِ نَحْوَ هَذَا الرَّجُلِ ، يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ (أَيُّ لَيْسَ الَّذِي أَخ) أَيُّ لَيْسَ الذَّكَرُ  
الَّذِي طَلَبْتَهُ امْرَأَةُ عِمْرَانَ كَالْأُنْثَى الَّتِي وَهَبْتُ لَهَا ، أَيُّ فَالْلامُ فِي الْأُنْثَى لِإِشَارَةِ إِلَى  
مَعْبُودِ تَقْدِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَدَافاً إِلَيْهِ  
لأنَّهُ مَجْرُورٌ بِالسَّكَفِ ، وَالْلامُ فِي الذَّكَرِ لِإِشَارَةِ إِلَى مَا سَبَقَ ذِكْرَهُ كَنَازِيَةٍ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ، فَإِنْ لَفْظُ مَا وَإِنْ كَانَ يَعْمُ الذَّكَورَ  
وَالْإِنَاثَ إِلَّا أَنْ التَّجْرِيرَ ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقَ الْوَلَدَ لِحُدُومَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، لِأَنَّمَا كَانَ  
لِلذَّكَورِ دُونَ الْإِنَاثِ (إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ) بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ عُمُومِهَا وَخُصُوصِهَا  
(الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ) مِثْلُهُ الدِّينَارُ خَيْرٌ مِنَ الدِّرْهَمِ وَقَوْلُ الْمَعْرَى :

وَالْخَلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِي صَمَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ السَّكَدَرِ

وقوله تعالى ، وَهُوَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ : وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .  
أَيُّ جَعَلْنَا مَبْدَأَ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ هَذَا الْجِنْسَ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ (يَأْتِي) أَيُّ الْمَعْرِفِ  
بِلَامِ الْحَقِيقَةِ (بِاعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ) لِطَابَقَتِهِ الْحَقِيقَةِ (أَدْخُلِ السُّوقَ)  
فَأَشِيرَ بِالْلامِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَكِنْ فِي ضَمْنِ بَعْضِ الْإِفْرَادِ لِقِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى ذَلِكَ  
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ (فِي الْمَعْنَى) وَأَمَّا فِي اللَّفْظِ فَتَجَرَّى  
عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمَعَارِفِ مِنْ وَقُوعِهِ مُبْتَدَأً وَذَا حَالٍ وَوَصْفًا لِلدَّعْوَةِ وَمَوْصُوفًا بِهَا  
وَنَحْوُ ذَلِكَ (كَالنَّكَرَةِ) فَيُعَامَلُ بِمِثْلِهَا وَيُوصَفُ بِالْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِ :

\* وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّهِ تَسْمِيَنِي \*

الاستغراق ، نحو : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ » وَهُوَ صَرِّحٌ : حَقِيقٌ ، نحو :

° وإنما لم يقل نكرة لما بينهما من تفاوت ما ، وهو أن النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة وهذا معناها نفس الحقيقة ، وإنما تستفاد البعضية من القرينة كالدخول والأكل فيما مر ( نحو إن الإنسان ) فأشير باللام إلى الإنسانية في ضمن كل فرد من أفرادها بدليل الاستثناء الذي هو معيار العموم لأن شرطه دخول المستثنى منه لو لم يذكر هذا . والحاصل أن المراد باسم الجنس المعرف باللام إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الأفراد وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه علم الجنس كإسماء ، وإما فرد معين وهو العهد الخارجي . ونحوه العلم الخاص كزيد ، وإما فرد غير معين وهو العهد الذهني ونحوه النكرة كرجل ، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق . ونحوه لفظ كل مضافاً إلى النكرة كقولنا كل رجل . ( وبعد ) فقد قال أستاذنا الشيخ محمد عبده في تفسير سورة والعصر : إن الاستغراق بأل في لسان العرب ليس كالاستغراق بلفظ كل وإيست أل مساوية لكل التي تضاف إلى النكرة ويراد بها تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس ، وإنما يراعى في أل استغراق المعهود عند المخاطبين ، لأنها في لسانهم للعهد . وتعريف الجنس إما في فرد أو أفراد وإن تفاوت العهد أبداً وكذلك التي يسميها النحاة العهد الذهني ويثيرون في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول فريق منهم إن الفرق في اللفظ وإجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه ، وهو وهم فاسد . وهذا كلام من قتل اللغة علماً وأحاط بأسرارها خيراً ( وهو ) أى الاستغراق ( حقيق ) وهو أن يراد كل فرد مما يتناول اللفظ لغة .

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَيُّ كُلِّ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ : وَعُرِفَتْ كَقَوْلِنَا : جَمَعَ الْأَمِيرُ الصَّاعَةَ ، أَيُّ صَاعَةٍ بَلَدِهِ أَوْ مَمْلَكَتِهِ . وَاسْتِغْرَاقُ الْمَفْرَدِ أَشْمَلُ : بِدَلِيلِ صَحَّةِ لَارِجَالٍ فِي الدَّارِ ، إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، ذُوهُ لَا رَجُلَ . وَلَا تَنَافٍ بَيْنَ الْاسْتِغْرَاقِ وَإِفْرَادِ الْأِسْمِ ، لِأَنَّ الْحَرْفَ إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مُجَرَّدًا عَنْ مَعْنَى الْوَحْدَةِ ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى كُلِّ فَرْدٍ لَا بِمَجْمُوعِ الْأَفْرَادِ ، وَهَذَا

(وعرفي) وهو أن يراد كل فرد مما يتناولُه اللفظ بحسب متفاهم العرف (أى صاعَة بلده أو مملكته) لاصاعَة الدنيا ( واستغراق المفرد أشمل ) هذه العبارة قد أشار إلى مغزاها جار الله الزمخشري في كشافه ، ومعناها أن اسم المجلس المفرد إذا دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي كانت شموله للأفراد أكثر من شمول المثنى والجمع الداخل عليهما تلك الأداة وذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، ولا ينافيه خروج الواحد ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ولا ينافيه خروج الواحد والاثنين . ودليل ذلك صحة : لَارِجَالٍ فِي الدَّارِ إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ وعدم صحة لَارِجَلٍ إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ . وهذا ، وقد قالوا إن كلام المصنف مسلم في النكرة المنفية دون المعرفة باللام ، لأن الجمع المعروف باللام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد بل هو في ذلك أقوى من المفرد (ولانافي) هذا جواب عن سؤال أورده السكاكي وهو أن إفراد الاسم ينافي أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستغراق ، لأن الإفراد يدل على الوحدة . والاستغراق على التعدد ( الحرف ) الدال على الاستغراق كحرف النفي ولام التعريف ( عليه ) أى على الاسم المفرد .

امْتَنَعَ وَصَفُهُ بِنَعْتِ الْجَمْعِ . وَبِالإِضَافَةِ لِأَنَّهَا أَخْصَرُ طَرِيقٍ نَحْوُ :

\* هَوَاىَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ \* أَوْ تَصْمِيحًا تَعْظِيمًا لِبَشَانِ  
الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، أَوْ الْمُضَافِ أَوْ غَيْرِهَا ، كَقَوْلِكَ عَبْدِي حَفَرٌ ، وَعَبْدُ  
الْخَلِيفَةِ رَكِيبٌ ، وَعَبْدُ السُّلْطَانِ عِنْدِي ؛ أَوْ تَحْقِيرًا نَحْوُ : وَلَدُ الْحَجَّامِ حَاضِرٌ .

( امتنع وصفه بنعت الجمع ) ولا اكتراث بما حكاه الأخفش في الدينار الصفر  
والدرهم البيض ( لأنها الخ ) أو لإغنائها عن تفصيل متعذر كقوله :

نَمْرَ مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ      أَسْوَدَ لَهَا فِي غَيْلٍ خَفَانٍ أَشْبَلُ  
أَوْ لِنُضْمِهَا عِتْبَارًا لَطِيفًا بِجَارِيَا كَقَوْلِهِ :

إِذَا كَوَّرَ كَبُّ الْخُرْقَاءِ لَاحَ بِسُجْرَةٍ      سَهِيلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ

( لأنها أخصر طريق ) والمقام مقام اختصار ( هوى ) هو لجعفر بن عتبة  
الحارثي من أبيات قالها وتماه :

\* جَنِيبٌ وَجْهَانِي بِسَكَّةٍ مُؤْتَقُ \*

وله له :

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ	إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ
أَلَمْ تَفَحِّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ	فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَرْهَقُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَ كَمْ	لِسَيِّئٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَا أَنَّ قَلْبِي يَزْدُمِيهِ وَعِيدُهُمْ	وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَحْرَقُ
وَأَسْكِنُ عَرَّتَيْنِي مِنْ هَوَاكَ ضَمَانَةً	كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ

وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ فَلِلْأَفْرَادِ نَحْوُ : وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى . أَوْ  
النَّوْعِيَّةِ نَحْوُ : وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ . أَوْ التَّعْظِيمِ أَوْ التَّخْفِيرِ كَقَوْلِهِ :  
لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

و الضمان الحب والعشق ، وهو اى بمعنى مهوى ، فهو أخصر من الذى أهواه  
ونحوه ، ومصعد : مبعد ذاهب فى الارض .

( فللافراد ) وقد يذكر لكون المقام غير صالح للتعريف إما لانك لا تعلم  
جهة من التعريف حقيقة أو تتجاهل ، وباب التجاهل فى البلاغة عريق ، وإن  
شئت فانظر لفظ كأن فى قول الخارجية :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكٌ مُورِقًا      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَارِفٍ  
ماذا ترى ؟ ولما لأنه يمنع من التعريف مانع كقوله :

إِذَا سَمِعْتَ مَهْنَدَهُ يَمِينٍ      لَطُولِ الْحَمَلِ بِدَلَّةٍ شَمَالًا

لم يقل يمينه احترازاً عن التصريح بنسبة السامة إلى يمين الممدوح (رجل)  
أى فرد من أشخاص الرجال (غشاة) أى نوع من الأغشية غير مايتعارفه الناس  
وهو غطاء النعاس عن آيات الله ، ورأى السكاكى أن التذكير للتعظيم أى غشاة  
عظيمة تحجب أبصارهم بالكلية وتحول بينها وبين الإدراك ، وهذا أليق  
( له حاجب ) أى له حاجب أى حاجب وليس له حاجب ما ومثله قوله :

وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أَضِيئُهُ      وَلِلَّهِ مِنِّي وَاحِلَةٌ لَا أُخْلَعُ جَانِبُ  
والبيت لابن أبي السمت من آيات منها :

فَتَى لَا يُبَالِي الْمُدْلِحُونَ بِنُورِهِ      إِلَى بَابِهِ أَنْ لَا تُغَيَّ السَّوَاكِبُ  
يَصْمُ عَنْ الْفَحْشَاءِ حَتَّى ضَعْفُهُ      إِذَا ذُكِرَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبُ



أَوِ التَّكْثِيرِ كَقَوْلِهِمْ : إِنَّ لَهُ لَا يَبْلَا وَإِنَّ لَهُ لَعَنًا . أَوِ التَّقْلِيلِ نَحْوُ :  
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ؛ وَقَدْ جَاءَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ نَحْوُ : وَإِنْ  
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ ، أَيْ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ وَأَيَّاتٍ عِظَامٍ .  
وَمِنْ تَنْكِيرٍ غَيْرِهِ لِلْأَفْرَادِ أَوِ النَّوَءِيَّةِ نَحْوُ : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ  
مَاءٍ ، وَلِلتَّعْظِيمِ نَحْوُ : فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِلتَّحْقِيرِ نَحْوُ : إِنْ  
نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا \* وَأَمَّا وَصْفُهُ : فَلِكُونِهِ مُبَيَّنًّا لَهُ كَاشِفًا عَنْ مَعْنَاهُ ،

(ورضوان من الله أكبر) أى وشىء من رضوانه أكبر مما ذكر قبل من  
الجنة ونعيمها لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه بما وراه  
من النعم وإنما تنها له برضاه ، كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة  
وإن عظمت (للتعظيم والتكثير) معاً (غيره) أى غير المسند إليه (كل دابة  
من ماء) أى كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة أو كل نوع من أنواع  
الدواب أو كل من نوع من أنواع المياه . وهذا ، ومن تنكير غير المسند إليه للنكارة  
وعدم التعين قوله تعالى : أو اطرحوه أرضاً ، وللتقليل قول المتنبي :

فَيَوْمًا يَخِيلُ تَطَرُّدُ الرُّومِ عَنْهُمْ وَيَوْمًا يَجُودُ تَطَرُّدُ الْفُقَرَا الْجُدْبَا

أى بعدد نزر من خيولك وشىء يسير من فيضان جودك . . . واعلم ، أنه  
كما أن التنكير لإبهامه يفيد التعظيم والتحقير والتقليل ، كذلك لفظ البعض  
كما في قوله :

تَرَاكِ أَمْسِكَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حَامِئَهَا

كقولك : الجسم الطويل العريض العميق ، يحتاج إلى فراغ يشغله ونحوه في الكشف قوله :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَيْفَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا  
أَوْ مَحْصَصًا نَحْوُ : زَيْدُ النَّاجِرِ عِنْدَنَا ، أَوْ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا نَحْوُ : جَاءَنِي  
زَيْدُ الْعَالِمِ أَوْ الْجَاهِلِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ الْمَوْصُوفُ قَبْلَ ذِكْرِهِ . أَوْ تَأْكِيدًا

أراد نفسه ، ونحو هذا كلام ذكره بعض الناس . ونحو قولهم : كفى هذا الأمر بفضله ( في الكشف ) وإن لم يكن وصفاً للشيء إليه ( الألمعي ) فالألمعي الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله : الذي يظن بك الظن . حكى أن الأصمعي سئل عن الألمعي فأئنفد البيت ولم يزد : وهو لؤس بن حجر التميمي من قصيدة يرثي بها فضالة بن كعدة وأولها :

أَيَّتَهَا النَّفْسُ أَتَجَلَّى جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا  
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّامِحَةَ وَالنَّجْدَةَ وَالْبِرَّ وَالتَّقَى جَمَعَا  
أَوْدَى فَمَا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةَ مِنْ شَيْءٍ لَمَنْ قَدْ يُخَاوِلُ الْبِدْعَا

الإشاحة : الخذر ، والبدع : الأمور الغريبة . ومثل البيت قوله : إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً . قال الزمخشري : الهلع : سرعة الجزع عند مس المكاره ، وسرعة المنع عند مس الخير . من قولهم ناقة هلوع : سريعة السير . وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر : ما الهلع ؟ قلت قد فسرهُ الله تعالى ( حيث يتعين الخ ) وإلا صار الوصف مخصصاً وهذا . وقد يكون الوصف لبيان المقصود وتفسيره ومنه قوله تعالى : وما من دابة

نحو: أَمْسِ الدَّابِرَ كَانَ يَوْمًا عَظِيمًا . وَأَمَّا تَوَكِيدُهُ : فَلِلتَّقْرِيرِ أَوْ دَفْعِ  
تَوْهَمِ التَّجَوُّزِ أَوِ السَّهْوِ ، أَوْ عَدَمِ الشُّمُولِ \* وَأَمَّا بَيَانُهُ : فَلِإِيضَاحِهِ بِاسْمِهِ

في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه . قال في الكشف : فإن قلت هلا قيل  
وما من دابة ولا طائر إلا أم أمثالكم ، وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير  
بجناحيه ؟ قلت : معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط  
في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه  
إلا أم أمثالكم بخنوخة أحوالها غير مهملة أمرها ، وللتقرير ، أى جعل المسند إليه  
مستقراً محققاً ثابتاً بحيث لا يظن به غيره نجو جاءنى زيد زيد إذا ظن المتكلم  
غفلة السامع عن سماع لفظ المسند إليه أو عن حمله على معناه (التجوز) أى التكلم  
بالمجاز ( أو عدم الشمول ) أى أو لدفع توهم عدم الشمول ، فأنت إنما : تقول  
جاء القوم كلهم ، لأنك لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز أن يتوهم السامع  
أنه قد تخلف بعضهم إلا أنك لم تعتد به ، أو أنك جعلت الفعل الواقع من  
البعض كالواقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة :  
فعلتم وصنعتم . يراد فعل قد كان من بعضهم . وربما يجمع بين كل وأجمعين  
بحسب اقتضاء المقام كقوله تعالى : فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، بناء على كثرة  
الملائكة واستبعاد وجود جميعهم مع تفرقهم واشتغال كل منهم بشأن وبهذا يزداد  
التعبير والتقريع على الإلipsis . واعلم أنهم لم يعنوا بقولهم التوكيد يفيد الشمول  
أنه يوجب من أصله وأنه لولاه لما فهم الشمول من اللفظ وإلا لم يسم توكيداً  
وإنما المأخوذ أنه يمتنع أن يكون اللفظ المقتضى للشمول مستعملاً على خلاف  
ظاهراً ومتجوزاً فيه ( بيانه ) أى تعقيبه بعطف البيان (فلايضاحه) وقد يحىء

مُخْتَصَرٌ بِهِ نَحْوُ : قَدِمَ صَدِيقُكَ خَالِدٌ . وَأَمَّا الْإِبْدَالُ مِنْهُ :  
فَلِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَخُوكَ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ أَكْثَرُهُمْ ،  
وَسَلِبَ عَمَرُو ثَوْبُهُ . وَأَمَّا الْعَطْفُ : فَلَتَفْصِيلِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مَعَ  
اِخْتِصَارٍ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَعَمَرُو . أَوِ الْمُسْنَدِ كَذَلِكَ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ

عطف البيان لغير الإيضاح كما في قوله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام  
قياماً للناس . فقد ذكر الزحشرى أن البيت الحرام عطف بيان للكعبة جرى به  
للبدح لا للإيضاح ، كما تجيء الصفة لذلك . وذكر في قوله تعالى : ألا بعداً لعاد  
قوم هود ، إنه عطف بيان لعاد ، وفائدته — وإن كان البيان حاصلًا بدونه —  
أن يوسموا بهذه الدعوة وسماً ، وتجعل فيهم أمراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من  
الوجوه ( فلزيادة التقرير ) إنما عبر بذلك لإيماء إلى أن البديل هو المقصود بالنسبة  
والتقرير زيادة تحصل تبعاً وضمناً ، أما التوكيد فإن الغرض منه نفس التقرير  
( نحو جاءني زيد أخوك ) مثال لبديل الكل والتقرير فيه ظاهر لما فيه من التكرير  
ومثله — وهو من غير المسند إليه — قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم  
صراط الذين أنعمت عليهم . قال في الكشاف : وفائدة البديل التوكيد لما فيه من  
التكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ( وجاء  
القوم أكثرهم ) مثال لبديل البعض ، وقد حصل التقرير فيه بذكر ما اشتمل  
عليه الأول بالدلالة الكلية ، فإن الأكبر بعض القوم ( وساب زيد ثوبه )  
مثال لبديل الاشتمال ، وبيان التقرير فيه أن المبدل منه يشعر به في الجملة ،  
فالنفس قبل ذكره تتشوف لشيء يطلبه المبدل منه ، فإذا ذكر كان  
تسكراً ( كذلك ) أي مع اختصار ( نحو جاءني زيد فعمرو الخ )

فَعَمَرُوا أَوْ نَمَّ عَمَرُوا ، أَوْ جَاءَنِي الْقَوْمُ حَتَّى خَالِدًا : أَوْ رَدَّ السَّامِعُ إِلَى الصَّوَابِ  
نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمَرُو ، أَوْ صَرَفَ الْحُكْمَ إِلَى آخَرٍ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ  
بَلْ عَمَرُوا ، وَمَا جَاءَنِي عَمَرُوا بَلْ زَيْدٌ : أَوْ الشَّكُّ ، أَوْ التَّشْكِيكُ لِلْسَّامِعِ  
نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْ عَمَرُوا \* وَأَمَّا فَصْلُهُ : فَبِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ .

فَالْقَاءُ وَثَمَّ وَحَتَّى تَشْتَرِكُ فِي تَفْصِيلِ الْمُسْنَدِ وَتَخْتَلِفُ مِنْ جِهَةِ أَنْ الْقَاءُ  
تَدُلُّ عَلَى أَنْ مَلَابَسَةَ الْفِعْلِ لِلتَّابِعِ بَعْدَ مَلَابَسَتِهِ لِلتَّبَوُّعِ بِمَا مَهْلَةٌ ، وَثَمَّ كَذَلِكَ مَعَ  
مَهْلَةٍ وَحَتَّى مِثْلُ ثَمَّ إِلَّا أَنْ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنْ مَا قَبْلَهَا مَا يَنْقُضِي شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى  
أَنْ يَبْلُغَ مَا بَعْدَهَا (جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمَرُوا) يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنْ عَمَرًا جَاءَكَ دُونَ  
زَيْدٍ أَوْ أَنَّهُمَا جَا آكَ جَمِيعًا . وَمِثْلُ أَنْ تَقُولَ : مَا جَاءَنِي زَيْدٌ لَكِنْ عَمَرُوا ، فَإِنَّكَ  
تَخَاطَبْتَ بِهِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ زَيْدًا جَاءَكَ دُونَ عَمَرُوا (آخِرُ) أَيْ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ آخِرُ  
(نَحْوُ جَاءَنِي زَيْدٌ بَلْ عَمَرُوا) . اعْلَمْ أَنَّ بَلْ إِذَا تَقَدَّمَ لَهَا إِيجَابُ جَعَلَتْ مَا قَبْلَهَا  
كَالْمُسْكُوتِ عَنْهُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَوْ مَقْطُوعًا بِنَفْيِ الْحُكْمِ عَنْهُ عِنْدَ ابْنِ الْحَاجِبِ وَأَثْبَتَتْ  
الْحُكْمَ لَهَا بَعْدَهَا عِنْدَ الْجَمِيعِ ، وَإِنْ تَقَدَّمَ نَفْيٌ أَوْ نَهْيٌ فَهِيَ لِتَقْرِيرِ مَا قَبْلَهَا عَلَى  
حَالَتِهِ وَجَعَلَ ضِدَّهُ لَهَا بَعْدَهَا . وَعِنْدَ الْمُبَرِّدِ أَنَّهَا تَنْقُلُ مَعْنَى النَفْيِ وَالنَهْيِ لَهَا بَعْدَهَا  
(أَوْ الشَّكُّ) أَيْ شَكُّ الْمَتَكَلِّمِ (أَوْ التَّشْكِيكُ لِلْسَّامِعِ) إِلَى إِيقَاعِهِ فِي الشَّكِّ . بَقِيَ  
الِإِبْهَامُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُم لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَالِإِبَاحَةُ  
وَالْتَخْيِيرُ مِثْلُ قَوْلِكَ : لِيَدْخُلِ الدَّارَ زَيْدٌ أَوْ عَمَرُوا ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَاضِحٌ ، فَإِنْ  
الِإِبَاحَةُ لَا تَمْنَعُ مِنَ الْإِثْنَانِ بِالشَّيْئَيْنِ أَوْ الْأَشْيَاءِ جَمِيعًا (فَصْلُهُ) أَيْ تَعْقِيْبُهُ بِضَمِيرِ  
الْفِعْلِ (فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ) أَيْ لِقَصْرِ الْمُسْنَدِ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ : وَقَدْ يَكُونُ الْفَصْلُ  
لِلتَّأَكُّدِ فَحَسِبَ وَذَلِكَ إِذَا كَانَ التَّخْصِيصُ حَاصِلًا بِدُونِهِ بَأَنْ يَكُونَ فِي السَّكَلَامِ

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَدَيْكُونِ ذِكْرِهِ أَهَمُّ ، إِمَّا لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَلَا مُقْتَضَى  
لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، وَإِمَّا لِإِتِمَاقِنِ الْخَبَرِ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ ، لِأَنَّ فِي الْمُبْتَدَأِ  
تَشْوِيقًا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانَ مُسْتَحْدَثٍ مِنْ جَمَادٍ  
وَإِمَّا لِلْعَجَلِ الْمَسْرُوعِ أَوِ الْمَسَاءَةِ لِلتَّفَاوُلِ أَوِ التَّطَوُّرِ ، نَحْوُ : سَعْدٌ فِي دَارِكَ ،  
وَوَيْلٌ السَّعَاحُ فِي دَارِ صَدِيقِكَ ، وَإِمَّا لِإِيْهَامِ أَنَّهُ لَا يَزُولُ عَنْ أَنْطَاطِرٍ أَوْ

مَا يَفِيدُ قَصْرَ الْمُسْنَدِ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ نَحْوُ : إِنْ اللَّهُ هُوَ الرِّزَاقُ ، أَوْ قَصْرَ الْمُسْنَدِ  
إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ

« وَاَعْلَمْ ، أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْمُبَاحِثِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْعُطْفِ وَالْفَصْلِ وَلَوْ بَيَّنْتَ  
فِي النَّحْوِ فَإِنَّهَا تَذَكَّرُ فِي الْبَيَانِ بِاعْتِبَارِ اسْتِعْمَالِهَا لِمُنَاسِبَةِ الْحَالِ . وَهَكَذَا كُلُّ مَا  
مِثْلُهَا فِي ذَلِكَ ( تَقْدِيمُهُ ) اَعْلَمْ أَنَّ التَّقْدِيمَ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ الْفُضْحِ الْمَعْلِيِّ فَإِنَّهُ  
لَا يَزَالُ يَفْتَرِّقُكَ عَنْ بَدِيعَةِ ، وَيَفْضِي بِكَ إِلَى أَطِيفَةٍ وَلَا تَزَالُ تَرَى شِعْرًا  
يُرْوَقُكَ مَسْمُوعًا ، وَيُلَطِّفُ لَدَيْكَ مَوْقِعَةً ، ثُمَّ تَنْظُرُ فَتَجِدُ سَبَبَ أَنَّ رَاقِكَ وَلَطْفَ  
عِنْدَكَ أَنَّ قَدِيمَ فِيهِ شَيْءٌ وَحَوْلَ اللَّفْظِ عَنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ( وَالَّذِي ) الْبَيْتِ  
لَأَبِي الْعَلَاءِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَعْرِيِّ ، مِنْ أَيْبَاتِ يَرْتِي بِهَا فَقِيهًا  
جَنْفِيًّا وَالْمَقْصُودُ بِالْحَيَوَانَ فِي الْبَيْتِ هُوَ الْإِنْسَانُ كَمَا لَا يَخْفَى ، وَالْحَيْرَةُ الْوَاقِعَةُ فِيهِ  
مِنْ وَجْهِ نِيَاظِ النَّفْسِ بِالْجَسَمِ « هَذَا ، وَقَدْ جَعَلَ السَّكَاتِي الْبَيْتَ شَاهِدًا لَكُونِ

أَنَّهُ يُسْتَلَذُّ بِهِ ؟ وَإِنَّمَا لِنَحْوِ ذَلِكَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَقَدْ يُقَدَّمُ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَهُ  
بِالْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ إِنِّ وَلِيَّ حَرْفِ النَّفْيِ نَحْوُ : مَا أَنَا قُتْتُ هَذَا ، أَيْ لَمْ أَقْلُهُ مَعَ  
أَنَّهُ يَقُولُ لِيُغَيِّرِي ، وَلِهَذَا لَمْ يَصِحَّ مَا أَنَا قُتْتُ هَذَا وَلَا غَيْرِي ، وَلَا : مَا أَنَا

المسند إليه موصولا وهو أحسن (ولما لنحو ذلك) مثل الدلالة على أن المطلوب  
إنما هو اتصافه بالخبر لا نفس الخبر ، كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول :  
الزاهد يشرب ويطرب ، ومثل إفادة زيادة تخصيص كقوله :

مَتَى تَهْزُرُ بَنِي قُطَانَ تَجِدُهُمْ سَيُوفًا فِي عَوَاتِقِهِمْ سَيُوفُ  
جُنُوسٍ فِي تَجَالِيهِمْ رِزَابٌ وَإِنْ ضَيَّفَ أَلَمَ فَهُمْ خُفُوفُ

قاله السكاكي ( وقد يقدم الخ ) هذا مغزى كلام عبد القاهر لا لفظه .  
( تخصيصه بالخبر الفعلي ) أي قصر الخبر الفعلي عاياه ( ولي حرف النفي ) أي وقع  
بعد حرف النفي بلا فصل ( أي لم أقله الخ ) فأفاد التقديم نفي الفعل عنك وثبوته  
لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول وأنت تريد نفي كونك  
قائلا له ، ومن ذلك قوله :

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

المعنى على أن السقم ثابت موجود وليس القصد بالنفي إليه ولكن إلى أن  
يكون هو الجالب له ويكون قد جره إلى نفسه ، ومثله قوله :

« وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرَ كُلَّهُ »

الشعر مقول على القطع والنفي لأن يكون هو وحده القائل له ( لم يصح  
ما أنا قلت هذا ولا غيري ) لمناقضة منطوق الثاني مفهيم الأول . والذي يصح  
عند قصد هذا المعنى أن يقال : ما قلت أنا ولا أحد غيري ( ولا ما أنا رأيت

رَأَيْتُ أَحَدًا ، وَلَا : مَا أَنَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا ، وَإِلَّا فَقَدْ يَأْتِي لِلتَّخْصِصِ رَدًّا  
عَلَى مَنْ زَعَمَ انْفِرَادَ غَيْرِهِ بِهِ ، أَوْ مُشَارَكَتَهُ فِيهِ نَحْوُ : أَنَا سَعَيْتُ فِي حَاجَتِكَ  
وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْأَوَّلِ بِنَحْوِ لَا غَيْرِي ، وَعَلَى الثَّانِي بِنَحْوِ وَحْدِي ؛ وَقَدْ يَأْتِي

أحداً ) لانه يقتضى المحال وهو أن يكون لإنسان غير المتكلم قد رأى كل أحد  
من الناس لانه قد نفى عن المتكلم الرؤية على جهة العموم في المفعول لأن النكرة  
في سياق النفي تعم فيجب أن تثبت انفراده على جهة العموم في المفعول (ولا بما أنا  
ضربت إلا زيدا ) لأن نقض النفي بالإلا يقتضى أن يكون القائل له قد ضرب  
زيداً وإبلاء الضمير حرف النفي يقتضى أن لا يكون ضربه وذلك تناقض .  
(ولإلا) قد علمت أن المسند إليه المقدم إن ولى حرف النفي فهو يفيد التخصيص  
اللبتة وإن لم يل حرف النفي بأن لا يكون ثم نفي أصلاً أو يكون حرف النفي  
متأخراً عن المسند إليه فقد يفيد التخصيص وقد يفيد التقوى (غيره) أى غير  
المسند إليه (به) أى بالخبر الفعلي (ويؤكد على الأول) وهو أن يكون الكلام  
الرد على من زعم انفراد الغير . (وعلى الثاني) وهو أن يكون للرد على من زعم  
المشاركة ، فإن قلت أنا فعلت كذا وحدى فى قوة أنا فعلته لا غيرى فلم يختص  
كل منهما بوجه من التوكيد دون وجه ؟ فإننا نقول لأن جدوى التوكيد لما كانت  
إماطة شبهة خالجت قلب السامع وكانت فى الأول أن الفعل صدر من غيرك  
وفى الثانى أنه صدر منك بشركة الغير أكدت وأمطت الشبهة فى الأول بقولك  
لا غيرى والثانى بقولك وحدى لانه محزه ولو عكست أحلت . وهذا ، ومن البين  
فى ذلك قولهم فى المثل :



التَّقْوِيَّةُ الْحُكْمُ نَحْوُ : هُوَ يُعْطَى الْجَزِيلَ . وكذا إذا كَانَ الْفِعْلُ مَسْفِيًا

﴿ أَنْتَ عَلِمْتَنِي <sup>(١)</sup> بَصَبٍ أَنَا حَرَشْتُه ﴾

( نَحْوُ هُوَ يُعْطَى الْجَزِيلَ ) فَأَنْتَ لَا تَرِيدُ أَنْ غَيْرَهُ لَا يُعْطَى الْجَزِيلَ وَلَا أَنْ تَعْرِضَ بِلِإِنْسَانٍ وَلَكِنْ تَرِيدُ أَنْ تَقَرَّرَ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ وَتَحَقِّقَ أَنَّهُ يَفْعَلُ إِعْطَاءَ الْجَزِيلِ . وَسَلْبُ التَّقْوِيَّةِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ هُوَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَا يُؤْتَى بِهِ مَعْرِى مِنَ الْوَأَمَلِ إِلَّا الْحَدِيثُ قَدْنَوَى إِسْنَادَهُ إِلَيْهِ فَإِذَا قَالَتْ عِبَادُ اللَّهِ فَقَدْ أَشْعَرَتْ قَلْبَ السَّامِعِ بِذَلِكَ أَنَّكَ تَرِيدُ الْحَدِيثَ عَنْهُ فَبِذَا تَوَطَّأَ لَهُ وَتَقَدَّمَ لِلْإِعْلَامِ بِهِ ، فَإِذَا جُمْتُ بِالْحَدِيثِ فَقُلْتُ : قَامَ مِثْلًا دَخَلَ عَلَى الْقَلْبِ دُخُولُ الْمَأْنُوسِ بِهِ وَذَلِكَ لَا مُحَالَةَ أَشَدَّ لثَبُوتِهِ وَأَنْفَى لِلشَّكِّهِ وَأَمْنَعُ لِلشَّكِّ . وَجَمَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِعْلَامِكَ بِالشَّيْءِ بَعْدَ مِثْلِ الْإِعْلَامِ بِهِ بِعَدِ التَّنْذِيرِ عَلَيْهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَجْرَى بِجَرَى تَكْرِيرِ الْإِعْلَامِ فِي التَّأْكِيدِ وَالْأَحْكَامِ . قَالَ : وَيَشْهَدُ لِمَا قُلْنَا أَنَا إِذَا تَأَمَّلْنَا وَجَدْنَا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ يَجْئِي فِيمَا سَبَقَ فِيهِ لِإِنْكَارٍ مِنْ مُنْكَرٍ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِالَّذِي تَقُولُ ، فَتَقُولُ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَقُولُ وَلَكِنَّكَ تَمِيلُ إِلَى تَخْصَمِي ، وَيَجْئِي فِيمَا اعْتَرَضَ فِيهِ شَكُّ نَحْوِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : كَأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ مَا صَنَعَ فُلَانٌ وَلَمْ يَلْمَعْكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ وَلَكِنِّي أَدَارِيهِ ، وَفِي تَكْذِيبِ مَدْعَى كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفَرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، فَإِنْ قَوْلُهُمْ آمَنَّا دَعَوَى مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا بِالْكَفَرِ كَمَا دَخَلُوا بِهِ

( ١ ) الْمِثْلُ يَقُولُهُ الْعَالِمُ بِالشَّيْءِ لِمَنْ يَرِيدُ تَعْلِيمَهُ لِمَا بِهِ ، وَحَرَشَ الضَّبُّ وَاحْتَرَشَهُ : صَادَهُ بِالْحِيلَةِ الْمَعْرُوفَةِ . وَهِيَ أَنْ يَحْرُكَ يَدَهُ عَلَى بَابِ جَحْرِهِ لِيُظَنَّهُ حَيًّا فَيَخْرُجُ ذَنْبُهُ لِيَضْرِبَهُ فَيَأْخُذَهُ .

فالموضع موضع تكذيب ، وفيما القياس في مثله أن لا يكون كقوله تعالى : والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، وذلك أن عبادتهم لها تقتضى أن لا تكون مخلوقة ، وفيما يستغرب من الأمر نحو أن تقول : ألا تعجب من فلان يدعى العظيم وهو يعنى باليسير ويزعم أنه شجاع وهو يفرع من أدنى شيء . وفي الوعد والضمان كقول الرجل : أنا أعطيك أنا أكفيك ، وذلك أن من شأن من تعدده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو من أحوج شيء إلى التأكيد ، وفي المدح والافتخار كقول الحماسي :

هُمْ يَفْرُشُونَ<sup>(١)</sup> اللَّبَدَ كُلَّ طُمُورَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبْدُ الْمَغَالِبَا  
وقوله :

هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كَلَامُهَا  
وقوله :

هُمْ يَضْرِبُونَ التَّكْبِشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ  
عَلَى وَجْهِهِ مِنْ الدِّمَاءِ سَبَائِبُ<sup>(٢)</sup>

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبعدهم عن الشبهة ، وكذلك المفتخر كقول طرفة :

( ١ ) اللبد : الصوف ، وقد جرت العادة بوضع قطعة منه على ظهر الفرس تحت السرج للينة . والطمرة : الفرس الجواد . والأجرد : الفرس القصير الشعر . والسباح : الذي يشبه عدوه السباحة ويبد : يغاب .  
( ٢ ) التكبش : رئيس الجيش يتركونه قنبلاً . والسبائب جمع سبيبة : الثوب ، يشبهون بها طرائق الدم .

نحو: أَنْتَ لَا تَكْذِبُ ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ لَنِي الْكَذِبِ مِنْ لَا تَكْذِبُ ، وَكَذَا مِنْ لَا تَكْذِبُ أَنْتَ ، لِأَنَّهُ لِنَا كَيْدَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ لَا الْحُكْمَ ؛ وَإِنْ بَنِيَ الْفِعْلَ عَلَى مُنْكَرٍ أَفَادَ تَخْصِصَ الْجِنْسِ أَوْ الْوَاحِدِ بِهِ ، نَحْوُ رَجُلٍ

\* نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى \*

المشتاة : مكان الشتاء أو زمانه . والجفلى : الدعوة العامة إلى الطعام (نحو أنت لا تكذب) مثله قوله تعالى : والذين هم بربهم لا يشركون ، فإنه يفيد من التأكيد في نفي الإشراك ما لا يفيدُه قولنا والذين لا يشركون بربهم ولا قولنا والذين بربهم لا يشركون (لأنه) أى لفظ أنت في لا تكذب أنت (لنا كيد المحكوم عليه) لئلا يتوهم أنه غير ضمير المخاطب وأسند الحكم للضمير تجوزاً أو سهواً أو نسياناً (ولأن بني الفعل على منكر) يعنى إن أخبر بالفعل عن منكر أفاد تخصيص الجنس أو الواحد به نحو ، رجل جاءنى أى لا امرأة أو لا رجلاً ، وذلك لأن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط ، كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أتاك آت ولم يدر جنسه أرجل هو أم امرأة ، أو اعتقد أنه امرأة . وتارة إلى الواحد فقط ، كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ولم يدر أرجل هو أم رجلاً أو اعتقد أنه رجلاً . وبعد ، فحاصل كلام عبد القاهر أن الاسم إذا قدم على الفعل فإن ولى حرف النفي أفاد التقديم أن نفي الفعل مخصوص بهذا الاسم ، وإن لم يل حرف النفي اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلا أن المعنى من هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما ما يفيد تخصيص فحوى الفعل بالاسم للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ، الثانى ما لا يفيد إلا تقوى

جاءني ، أي لا امرأة أو لا رجلان . ووافق السكاكي على ذلك ، إلا أنه قال : التقديم يفيد الاختصاص ، إن جاز تقدير كونه في الأصل مؤخراً على أنه فاعل معني فقط نحو : أنا قت ، وقدر ، وإلا فلا يفيد إلا تقوى الحكم ، سواء جاز كما مر ولم يقدر ، أو لم يجوز نحو زيد قام ؛ واستثنى المنكر بحمله من باب : وأسروا النجوى الذين ظلموا ، أي على القول

الحكم وتقريره في ذهن السامع وهكذا أيضاً الفعل المنفي فإذا قلت أنت لا تحسن هذا كان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول لا تحسن هذا حتى لو أتيت بأنت فيما بعد تحسن فقلت لا تحسن أنت لم يكن له تلك القوة هذا كله إذا بني الفعل على معرف ، فإن بني على منكر أفاد التقديم تخصيص الجنس أو الواحد بالفعل كما علمت ( على ذلك ) أي على أن التقديم يفيد التخصيص والتقوى ( إلا أنه قال ) حاصل مذهبه أن المسند إليه المقدم إن كان نكرة فهو للتخصيص إن لم يمنع منه مانع وإن كان معرفة فإن كان مظهراً فلا يكون للتخصيص البتة وإن كان مضمراً فإن قدر كونه في الأصل مؤخراً فهو للتخصيص وإلا فالتقوى ( نحو أنا قت ) فإنه يجوز أن تقدر أصله قت أنا ، على أن أنا تأكيد للفاعل الذي هو التاء في قت فيكون فاعلاً في المعنى وإن كان تأكيداً في اللفظ ( وقدر ) معطوف على جاز يقول إن إفادة التخصيص تتوقف على شيئين أحدهما جواز التقديم ، والآخر حصول ذلك التقدير من المتكلم ( نحو زيد قام ) فإنه لا يجوز أن يقدر أن أصله قام زيد فقدم ، لأنه يلزم عليه تقديم الفاعل اللفظي وهو لا يجوز ( واستثنى الخ ) لما كان مغزى كلامه قبل أن لا يكون نحو رجل

بالإبدال من الضمير لئلا يلتقي التخصيص إذ لا سبب له سواه ، بخلاف  
المعرف ؛ ثم قال : وشروطه أن لا يمنع من التخصيص مانع ، كقولنا  
رجل جاءني ، على ما مر ، دون قولهم : شرُّ أهرِّ ذا ناب ، أمّا على التقدير  
الأول فلا امتناع أن يراد المهرُّ شرُّ لا خير ، وأمّا على الثاني فلنبوه عن  
مضان استعماله ؛ إذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأولوه بما أهرَّ  
ذا ناب إلا شرُّ ، فالوجه تفضيع شأن الشرِّ بتكثيره . وفيه نظر ، إذ الفاعل

جاءني مفيداً للتخصيص لأنه إذا آخر فهو فاعل لفظاً لا معنى استثناء بأن قدر  
أصله جاءني رجل ، لا على أن رجل فاعل جاءني بل على أنه بدل من الفاعل  
الذي هو الضمير المستتر في جاءني ، فيكون فاعلاً معنى ، كما قيل في قوله تعالى :  
وأسرّوا النجوى الذين ظلموا : إن الذين ظلموا بدل من الواو في أسروا ، وفرق  
بينه وبين المعرف بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه إذ لا سبب لتخصيصه  
سواه ، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء  
فيه وهو التعريف ( وشروطه ) أي شرط جعل المنكر من هذا الباب واعتبار  
التقديم والتأخير فيه ( على ما مر ) من أن معناه رجل جاءني لا امرأة أو لا  
رجلان ( شرُّ أهرِّ ذا ناب ) هذا مثل يضرب في ظهور أمارات الشرِّ ومخايله ،  
وأهره : حمله على الهرير وهو التصويت ، وذو الناب : السبع ( الأول ) يعني  
تخصيص الجنس ( الثاني ) يعني الواحد ( فلنبوه ) لأنه لا يقصد به أن المهر شر  
لاشران ( تفضيع شأن الشر بتكثيره ) لأن التكثير كما يخفى يفيد التعظيم والتهويل  
فيكون المعنى شر عظيم أهرِّ ذا ناب لاشر حقير ، فيكون تخصيصاً نوعياً وهذا

اللفظي والمعنوي سواء في امتناع التقديم ما بقياً على حالها ، فتحوير  
تقديم المعنوي دون اللفظي تحكّم ؛ ثم لا نسلم انتفاء التخصيص لولا  
تقدير التقديم ، لحصوله بغيره كما ذكره ؛ ثم لا نسلم امتناع أن يراد  
المهر شرّاً لاخيراً . ثم قال : وَيَقْرُبُ مِنْهُ هُوَ قَامَ ، زَيْدٌ قَامَ ، في التقوى  
لِتَضْمِنِهِ الضمير ؛ وَشَبَّهَهُ بِالْحَالِيِّ عَنْهُ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ تَغْيِيرِهِ فِي التَّكْلُمِ .

ولاني لأعجب من السكاكي عفا الله عنه حيث أسمع جميعه ولا أرى طحناً .  
وليت شعري ما الذي حدا به إلى مخالفة الإمام عبد القاهر حتى وقع في ذلك  
الخطب الظاهر ، وبعد ، فإذا على المصنف لو أنه ثبت مذهبه هذا بين سطور  
كتابه ( والمعنوي ) كالتأكيد والبدل ( ما بقيا على حالهما ) أي مادام الفاعل فاعلاً  
والتابع تابعاً ( تحكّم ) أي حكم بلا موجب ( انتفاء التخصيص ) يعني في نحو  
رجل جاءني ( كما ذكره ) أي السكاكي في بيان وجه الخصوص في قولهم شرأهر  
ذا ناب من التهويل والتفطيع ( ثم لا نسلم امتناع أن يراد المهر شرّاً لاخيراً ) قال  
الشيخ عبد القاهر إنما قدم شر لأن المراد أن يعلم أن الذي أهر ذا ناب هو من  
جنس الشر لا من الخير ، فخرى مجرى أن تقول رجل جاءني ، تريد أنه رجل  
لا امرأة ، وقول العلماء إنه إنما صلح لأنه بمعنى ما أهر ذا ناب إلا شر بيان  
لذلك ، وهذا صريح في خلاف ما فكره السكاكي ( ثم قال ) هاك ما قاله  
السكاكي في مفتاحه بعد تقرير التقوى في نحوه هو قام لما فيه من الإسناد مرتين .  
ويقرب من قبيل أنا عرفت وأنت عرفت وهو عرف في اعتبار تقوى الحكم  
زيد عارف ؛ وإنما قات يقرب دون أن أقول نظيره لأنه لما لم يتفاوت في التكلم

وَالْخَطَابِ وَالْغَيْبَةِ : ولهذا لم يحكم بأنه جملة ، ولا عومل معاملةً لها في البناء .  
وَمَا يَرَى تَقْدِيمَهُ كَاللَّازِمِ ، لَفْظُ مِثْلٍ وَغَيْرُهُ ، فِي نَحْوِ : مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ ، وَغَيْرُكَ  
لَا يَجُودُ ، بِمَعْنَى أَنْتَ لَا تَبْخُلُ وَأَنْتَ تَجُودُ ، مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ تَعْرِيضٍ لغير

والخطاب والغيبية في أنا عارف وأنت عارف وهو عارف أشبه الخالي عن  
الضمير ، ولذلك لم يحكم على عارف بأنه جملة ولا عومل معاملةً لها في البناء حيث  
أعرب في نحو رجل عارف رجلاً عارفاً رجل عارف (مثل وغير) إذا استعملا  
على سبيل الكناية ( في نحو مثلك لا يبخل ) بما لا يراد بلفظ مثل لإنسان غير  
ما أضيف إليه ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى  
القياس أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل ولكون المعنى هذا قال الشاعر :

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَغْنِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا فِي مَحَاسِنِهِ

وعائنه قول المتنبي :

مِثْلُكَ يَبْنِي الْمَرْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غُرْبِهِ

( وغيرك لا يجود ) مثله قول المتنبي :

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ \*

فإنه معلوم أنه لم يرد أن يعرض بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ، بل أراد  
أنه ليس ممن ينخدع ، وكذا قول أبي تمام :

وَعَيْرِي يَا سَكْنُ الْعُرُوفِ سَحْتًا وَأَشَحَبُ عِنْدَهُ بَيْضُ الْأَيْدِي

فإنه لم يرد أن يعرض بشاعر سواه ، فيزعم أن الذي قرف به عند المدوح  
من أنه هجاء كان من ذلك الشاعر لا منه بل أراد أن ينفي عن نفسه أن يكون

المخاطب ، لِكَوْنِهِ أَعُوْنَ عَلَى الْمُرَادِ بِهِمَا « قِيلَ » وَقَدْ يُقَدَّمُ لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى الْعُمُومِ نَحْوُ : كُلُّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ ، بِخِلَافِ مَا لَوْ أُخِّرَ نَحْوُ : لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ ، فَإِنَّهُ يُفِيدُ نَفْيَ الْحُكْمِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ ، لَا عَنْ كُلِّ فَرْدٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَأْزِمُ تَرْجِيحُ التَّأْكِيدِ عَلَى التَّأْسِيسِ ، لِأَنَّ الْمَوْجِبَةَ الْمُهِمَّةَ الْمَعْدُولَةَ

من يكفر بالنعمة ويلوؤم ، هذا ، واستعمال مثل وغير هكذا مركز في الطباع وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يقدمان أبدأ على الفعل إذا نحى بهما نحو ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى فيما إذا لم يقدم ، والسر في ذلك أن تقديمهما يفيد تقوى الحكم كما سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالسكناية في مثل قولنا مثلك لا يخل وغيرك لا يوجد هو الحكم ، وأن السكناية أبلغ من التصريح فيما قصد بها ، فكان تقديمهما أعون للمعنى الذى جلبا لأجله ( قيل ) القائل ابن مالك وجماعة ( نحو كل إنسان لم يقم ) فتقديم كل لإنسان على لم يقم يفيد نفي القيام عن كل الناس ( وذلك لئلا يلزم الخ ) يقول هذا القائل : إنه لو لم يكن التقديم مفيداً لعموم النفي والتأخير مفيداً لنفي العموم للزم ترجيح التأکید على التأسيس . ومعلوم أن التأسيس الذى هو إنشاء معنى لم يكن حاصلًا قبل أرجح من التأكيد الذى هو إفادة ما قد حصل ، لأن الإفادة خير من الإعادة . وبينان اللزوم في التقديم ، أن قولنا إنسان لم يقم ، موجبة مهمة معدولة المحمول ، أما أنها موجبة فلأنه حكم فيها بثبوت عدم القيام لإنسان . وأما أنها مهمة فلأنه أهمل فيها بيان كمية أفراد المحكوم عليه ، وأما أنها معدولة المحمول فلأن حرف السلب قد جعل جزءاً من المحمول ، وإذا كانت كذلك كان معناها السلب عن جملة الأفراد من غير تعرض لكليتها ولا جزئيتها والمحقق منها السلب عن البعض



المَحْمُولِ فِي قُوَّةِ السَّالِبَةِ الْجُزْئِيَّةِ الْمُسْتَأْزِمَةِ نَفَى الْحُكْمِ عَنِ الْجُمْلَةِ  
دُونَ كُلِّ فَرْدٍ ، وَالسَّالِبَةُ الْمُهِمْلَةُ فِي قُوَّةِ السَّالِبَةِ السَّكَلِيَّةِ الْمُفْتَضِيَّةِ لِلنَّفْيِ  
عَنِ كُلِّ فَرْدٍ ، لَوُرُودِ مَوْضُوعِهَا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ ، وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّ النَّفْيَ  
عَنِ الْجُمْلَةِ فِي الصُّورَةِ الْأُولَى وَعَنِ كُلِّ فَرْدٍ فِي الثَّانِيَةِ ، إِنَّمَا أَفَادَهُ الْإِسْنَادُ

فَهِيَ فِي قُوَّةِ السَّالِبَةِ الْجُزْئِيَّةِ الْمُسْتَأْزِمَةِ نَفَى الْحُكْمِ عَنِ الْجُمْلَةِ أَلْبَتَهُ ، لِأَنَّ مَفْهُومَهَا  
سَلَبَ الْحُكْمِ عَنْ بَعْضِ الْأَفْرَادِ ، كَقَوْلِنَا لَيْسَ بَعْضُ الْإِنْسَانِ بِقَائِمٍ . وَهَذَا الْمَعْنَى  
يَصْدُقُ عِنْدَ انْتِفَاءِ الْحُكْمِ عَنْ بَعْضِ الْأَفْرَادِ دُونَ بَعْضٍ وَعِنْدَ انْتِفَاءِهِ عَنْ كُلِّ  
فَرْدٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَصْدُقُ النَّفْيُ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ أَيْ عَنْ مَجْمُوعِهَا عَلَى طَرِيقِ السَّلَبِ  
الْمَسَاطِ عَلَى الْإِثْبَاتِ الْكُلِّيِّ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَتْ الْمُهِمْلَةُ وَالْجُزْئِيَّةُ مُتَلَازِمَتَيْنِ  
لِأَنَّهُمَا كِلَاهُمَا يَصْدُقُ السَّلَبُ عَنِ الْبَعْضِ الَّذِي هُوَ مَقَادُ الْجُزْئِيَّةِ يَصْدُقُ ثَبُوتُ السَّلَبِ  
لِلْمُصَدَّقِ فِي الْجُمْلَةِ الَّذِي هُوَ مَقَادُ الْمُهِمْلَةِ ، وَكِلَاهُمَا يَصْدُقُ ثَبُوتُ السَّلَبِ الْمُصَدَّقِ  
فِي الْجُمْلَةِ يَصْدُقُ السَّلَبُ عَنِ الْبَعْضِ .

فَيَتَحَقَّقُ بِهَذَا أَنَّ الْمَوْجِبَةَ الْمُهِمْلَةَ الْمَعْدُولَةَ الْمَحْمُولَ لِلْسَّلَبِ عَنِ الْجُمْلَةِ لَا عَنْ كُلِّ  
فَرْدٍ . فَلَوْ كَانَ لِنَاسٍ لَمْ يَقُمْ بَعْدَ دُخُولِ كُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَيْضاً مَعْنَاهُ كَذَلِكَ كَانَ كُلُّ مَنْ يَدَّعِي  
الْمَعْنَى الْخَاصَّةَ قَبْلَهُ ، فَيَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ لَيْسَ بِكُلِّ  
لِتَأْسِيسٍ مَعْنَى آخَرَ تَرْجِيحاً لِلتَّأْسِيسِ عَلَى التَّأْكِيدِ . وَبَيَانُ الزُّوْمِ فِي التَّأْخِيرِ ، أَنَّ  
قَوْلَنَا لَمْ يَقُمْ لِنَاسٍ سَالِبَةٌ مُهِمْلَةٌ وَالسَّالِبَةُ فِي قُوَّةِ السَّالِبَةِ السَّكَلِيَّةِ الْمُفْتَضِيَّةِ لِلنَّفْيِ  
عَنِ كُلِّ فَرْدٍ مِثْلُ لَا شَيْءَ مِنَ الْإِنْسَانِ بِقَائِمٍ وَإِنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ فِي قُوَّةِ هَذِهِ لَوُرُودِ  
مَوْضُوعِهَا وَهُوَ نَسْكَرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ ، وَالنَّسْكَرَةُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ تَعْمُ . فَهِيَ لَمْ يَقُمْ  
لِنَاسٍ نَفَى الْحُكْمِ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ ، فَلَوْ كَانَ بَعْدَ دُخُولِ كُلِّ أَحَدٍ كَذَلِكَ كَانَ كُلُّ

إِلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلُّ ، وَقَدْ زَالَ ذَلِكَ بِالْإِسْتِدَادِ إِلَيْهِ ، فَيَكُونُ تَأْسِيسًا  
لَا تَأْكِيدًا ، وَلِأَنَّ الثَّانِيَةَ إِذَا أَفَادَتِ النَّفْيَ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ فَقَدْ أَفَادَتِ  
النَّفْيَ عَنِ الْجُمْلَةِ ، فَإِذَا سُمِّحَتْ عَلَى الثَّانِي لَا يَكُونُ كُلُّ تَأْسِيسًا ، وَلِأَنَّ  
النِّكَرَةَ الْمُنْفِيَّةَ إِذَا عَمَّتْ كَانَ قَوْلُنَا : لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ ، سَالِبَةً كَكَلِمَةِ  
لَا مُهْمَلَةً . . عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَتْ كُلُّ دَاخِلَةً فِي حَيْثُ النَّفْيِ بَأَنَّ أُخِّرَتْ

لِتَأْكِيدِ مَعْنَى حَصَلَ قَبْلَ فَيَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى نَفْيِ الْقِيَامِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ لِيَكُونَ  
كُلُّ تَأْسِيسٍ مَعْنَى آخَرَ ، إِذَا التَّاسِيسُ أَرْجَحَ . نِ التَّأْكِيدِ ( وَفِيهِ ) أَى فِيمَا اسْتَدَلَّ  
بِهِ هَذَا الْقَائِلُ أَمَّا أَصْلُ قَوْلِهِ فَصَحِيحٌ ( الْأَوَّلَى ) يَعْنَى الْمَوْجِبَةَ الْمُهْمَلَةَ الْمَعْدُولَةَ  
الْمَحْمُولَ كَقَوْلِنَا إِنْسَانٌ لَمْ يَقُمْ ( الثَّانِيَةِ ) يَعْنَى السَّالِبَةَ الْمُهْمَلَةَ كَقَوْلِنَا لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ  
( مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلُّ ) وَهُوَ لَفْظُ إِنْسَانٍ ( فَيَكُونُ تَأْسِيسًا لَا تَأْكِيدًا ) لِأَنَّ  
التَّأْكِيدَ لَفْظٌ يَفِيدُ تَقْوِيَةً مَا يَفِيدُهُ لَفْظُ آخَرَ وَمَا نَحْنُ فِيهِ لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَبَعْدَ ،  
فَقَدْ قَالُوا إِنْ هَذَا الْمَنْعُ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَرَادَ التَّأْكِيدُ الْإِصْطِلَاحِي ، أَمَّا  
لَوْ أُرِيدَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ لِفَادَةٍ مَعْنَى كَانَ حَاصِلًا بِدُونِهِ فَاَنْدِفَاعُ الْمَنْعِ ظَاهِرٌ  
( الثَّانِيَةِ ) يَعْنَى السَّالِبَةَ الْمُهْمَلَةَ ( حَمَلَتْ ) أَى كُلُّ ( الثَّانِيَةِ ) وَهُوَ النَّفْيُ عَنْ جُمْلَةِ  
الْأَفْرَادِ ( لَا يَكُونُ تَأْسِيسًا ) بَلْ تَأْكِيدٌ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى كَانَ حَاصِلًا بِدُونِهِ وَحَيْثُئِذْ  
قُلُوْ جَعَلْنَا لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ لِعُمُومِ النَّفْيِ مِثْلَ لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ لَمْ يَلْزَمْ تَرْجِيحُ التَّأْكِيدِ  
عَلَى التَّاسِيسِ إِذْ لَا تَأْسِيسَ أَصْلًا بَلْ يَلْزَمْ تَرْجِيحُ أَحَدِ التَّأْكِيدَيْنِ عَلَى الْآخَرِ  
( وَلِأَنَّ النِّكَرَةَ ) هَذَا بَحْثٌ فِي التَّسْمِيَةِ يَقُولُ إِنْ النِّكَرَةُ الْمُنْفِيَّةُ إِذَا عَمَّتْ كَانَتْ  
لِقَضِيَةِ الْمَحْتَوَبَةِ عَلَيْهَا سَالِبَةً كَلِمَةً لَا مُهْمَلَةً ، فَتَسْمِيَةُ ذَلِكَ الْقَائِلِ لَهَا بِالْمُهْمَلَةِ  
لَا يَصِحُّ ( وَعَبْدُ الْقَاهِرِ ) كَلَامُهُ هُوَ مَقَادُ كَلَامِ ابْنِ مَالِكٍ وَجَمَاعَتِهِ وَلَكِنْ أَيْنَ

عَنْ أَدَاتِهِ نَحْوُ \* مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ \* أَوْ مَعْمُولَةٌ لِلْفِعْلِ  
الْمَنْفِيِّ نَحْوُ : مَا جَاءَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ، أَوْ مَا جَاءَ كُلُّ الْقَوْمِ ، وَلَمْ أَخْذْ كُلَّ

الماء من السماء وموقع السيل من مطلع سهيل ، ثم إن ما ذكره المصنف هو مغزى  
كلام عبد القاهر لا لفظه ( نحو ما كل ) مثله قول الآخر :

\* مَا كُلُّ رَأْيٍ الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ \*  
والبيت للبتلي وتماه :

\* تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ \*

( أَوْ مَعْمُولَةٌ لِلْفِعْلِ الْمَنْفِيِّ ) الذي يظهر أن ذلك معمول لفعل مقدر معطوف  
على أخرت أى أو جعلت معمول . وهاك عبارة الشيخ عبد القاهر مع تصرف ما :  
واعلم أنك إذا أدخلت كلا في حيز النفي بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديرأ ،  
يعنى كما إذا قدمته على الفعل المنفى العامل فيه فإنه مؤخر تقديرأ لأن مرتبة  
المعمول التأخر عن العامل ، فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف  
نفسه . والسبب في ذلك أنك إذا قلت أتاني القوم مجتمعين ، فقال قائل لم يأتك  
القوم مجتمعين ، كان نفيه ذلك متوجهاً إلى الاجتماع الذي هو تقييد في الإتيان  
من أصله كان من سبيله أن يقول إنهم لم يأتوك أصلاً ، فما معنى قولك مجتمعين ،  
وإذا كان هذا حكم النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد ، فإن التأكيد ضرب من  
التقييد فتى نفيت كلاماً فيه تأكيد فإن نفيك ذلك بتوجه إلى التأكيد خصوصاً .  
فإذا قلت لم أر كل القوم كنت عمدت بنفيك إلى معنى كل خاصة ، وإذا ن يجب  
أن يكون قد أتاك بعض القوم . وإذا أخرجت كلا من حيز النفي ولم تدخله فيه  
لا لفظاً ولا تقديرأ كان المعنى على أنك تتبععت الجملة فنفيك الفعل والوصف عنها

الدَّارَاهِمِ ، أَوْ كَلَّ الدَّارَاهِمَ لَمْ آخُذْ ، تَوَجَّهَ النَّفْيُ إِلَى الشُّمُولِ خَاصَّةً وَأَفَادَ ثُبُوتَ الْفِعْلِ أَوْ الْوَصْفِ لِبَعْضٍ ، أَوْ تَعَلُّقَهُ بِهِ ، وَإِلَّا عَمَّ ، كَقَوْلِ

واحدًا وواحدًا ، والعلة في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضى أن لا يشذ شيء عن النفي فاعرفه ( توجه النفي إلى الشمول خاصة ) فإن قلت فما تصنع في قوله تعالى : والله لا يحب كل مختال فخور ، والله لا يحب كل كفار أثيم . فإننا نقول قد عرضنا ذلك على شيخنا الإمام الشيخ محمد عبده فأجاب — حفظه الله — بما يشرح الصدر ويملا النفس ارتياحاً ، قال : قد يعدل عما يدل على عموم السلب إلى ما يفيد سلب العموم ، والسلب عام على الحقيقة ، للتعريض بالمخاطب والإيماء إلى أنه شر صنفه ، مثلاً إذا قلت لسفيه ، تعرض بأنه شر السفهاء : أنا لا أحب كل سفيه ، فالعنى أنه لو فرض أن محبتي تتعاق بسفيه لكنت غير موضع لها ، وكذلك الذى جاء فى الآية السكرية أريد به والله أعلم التعريض بمن نزلت فيهم من أعداء الله وأنهم شر أصنافهم ، فقوله تعالى : والله لا يحب كل مختال فخور ، معناه أن محبة الله لا تعم المختالين الفخوريين حتى تشمل هؤلاء فكأنه سبحانه يقول لو أن محبتنا تعاقبت بمختال فخور لما تعلقت بأولئك لأن مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور ، وهكذا يقال فى سائر الآيات وما يكون ظاهره أنه من سلب العموم وحقيقته أنه من عموم السلب ( وأفاد ثبوت الفعل أو الوصف لبعض أو تعلقه به ) أما إفادته ثبوت الفعل أو الوصف ففياً إذا كانت كل فاعلاً معنى أو لفظاً للفعل أو الوصف ، وأما إفادته تعلق الفعل أو الوصف ففياً إذا كانت مفعولاً لفظاً أو معنى لها وإطلاق الثبوت على نسبة أحدهما للفاعل والتعلق على نسبته للمفعول اصطلاح شائع ( وإلا )

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمَّا قَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ : أَقْصَرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ تَسَيَّتَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخَيْلِ تَدْعِي \* عَلَى ذَنْبًا كُفُّهُ لَمْ أَصْنَعْ  
وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ فَلَا قِتْضَاءَ الْمَقَامِ تَقْدِيمَ الْمَسْنَدِ . . . هَذَا كُلُّهُ مُقْتَضَى

أى وإن لم تكن داخلة في حيز النفي بأن قدمت عليه لفظاً ولم تكن معمولة للفعل المنفي ( كل ذلك لم يكن ) فالمعنى لا محاولة على نبي الأمرين جميعاً وعلى أنه عليه السلام أراد أنه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان . والدليل على ذلك وجهان : أحدهما أن السؤال بأم عن أحد الأمرين لطلب التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الإبهام ، فجوابه إما بالتعيين أو بنفي كل واحد منهما ، وثانيهما ما روى أنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل ذلك لم يكن ، قال له ذو اليدين بعض ذلك قد كان ، والإيجاب الجزئى نقيضه السلب الكلى ( وعليه قوله ) أى قول أبى النجم وقد تقدم ، ومثله قول دعبل :

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي بِأَيِّ سِهَامٍهَا رَمَتْنِي وَكُلَّ عَيْنَدَنَا لَيْسَ بِالْمُسْكَدِي<sup>(١)</sup>  
أَبَا جَلِيدٍ أَمْ مَجْرَى الْوِشَاحِ وَإِنِّي لَأَتُهُمْ عَيْنِيهَا مَعَ الْفَاحِمِ الْجَفَدِ  
المعنى على نفي أن يكون في سهامها مكد على وجه من الوجوه ، ومن البين في ذلك قوله :

فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَمْدُو حِمَامَةً وَلَا لِمَرِي عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْحَلُ  
( كله لم أصنع ) برقع كله على معنى لم أصنع شيئاً مما تدعيه على من الذنوب ولهذا عدل عن النصف ( فلا قِتْضَاءَ الْمَقَامِ تَقْدِيمَ الْمَسْنَدِ ) وسيأتى بيان ذلك

( ١ ) المسكدي : الذى يحفر ولا يجد الماء ، أى وليس من سهامها ما يخطئ .

الظاهر ، وقد نخرج الكلام على خلافه ، فيوضع المضمرة موضع المظهر  
كقولهم : نعم رجلاً زيداً ، مكان نعم الرجل ، في أحد القولين .  
وقولهم هو أو هي زيداً عالم ، مكان الشأن أو القصة ، لتمكن ما يعقبه  
في ذهن السامع ، لأنه إذا لم يفهم منه معنى انتظاره وقد يعكس ،  
فإن كان اسم إشارة فيكامل العينية بتمييزه ، لاختصاصه بكم  
يدع كقوله :

إن شاء الله ( كقولهم ) ابتداء من غير جرى ذكر أو قرينة حال ( في أحد القولين )  
وهو القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، وأما من يجعل المخصوص مبتدأ  
ونعم رجلاً خبره فيجتمل عنده أن يكون الضمير عائداً إلى المخصوص وهو  
متقدم تقديراً ( وقولهم هو أو هي زيد عالم ) ويختار تأنيث هذا الضمير إذا  
كان في الكلام مؤنث غير فضلة نحو : هي هند مابجة ، وقوله جل شأنه : فإنها  
لا تعنى الأبصار ، قصداً إلى المطابقة لا أنه راجع إلى ذلك المؤنث ، ولم يسمع  
نحو : هي زيد عالم ، وإن كان القياس يقتضى قياسه « هذا » ومن ذلك وإن كان  
من غير باب المسند إليه قولهم : ياله رجلاً ، ويالها قصة ، وربه رجلاً . وقوله  
تعالى : فقطاهن سبع سموات ( لتمكن ) تعليل لوضع المضمرة موضع المظهر  
« هذا » وقد يكون وضع المضمرة موضع المظهر لاشتهاره ووضوح أمره مثل  
قوله تعالى : إنا أنزلناه أو لادعاء أن الذهن لا يلتفت إلى غيره كقوله في المطالع :

« زَارَتْ عَنْهَا الظَّلَامُ رَوَاقِ »

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد ( يعكس ) فيوضع المظهر موضع

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أُعْيِتَ مَذَاهِبُهُ      وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرُوزِقَا  
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً      وَصَيَّرَ الْعَالَمَ النُّحْرِيرَ زَنْدِيقَا

المضمّن ( كقولہ كم عاقل الخ ) فقوله في أول البيت الثاني هذا إشارة إلى حكم سابق غير محسوس وهو كون العاقل محروماً والجاهل مرزوقاً ، فكان القياس فيه الإضمار بأن يقال هما مثلاً ، فمدل إلى اسم الإشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى السامعين أن هذا الشيء المتعين المتعين هو الذي له الحكم العجيب ، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقاً ، فالحكم البديع هو الذي أسند للسند إليه المعبر عنه باسم الإشارة ، والبيتان لأحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى وعاقل الثانى صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل متناه فيه ، وأعيت مذاهبه : أعجزته وصعبت عليه طرق معاشه ، والنحرير : الخاذق الماهر المتقن ، كأنه ينحر العلم نحرأ ، والزنديق : الذى لا يؤمن بالربوبية ولا باليوم الآخر . وكلام ابن الراوندى هذا إحدى حماقاته وهو بالجهال أليق ، وما أبدع مايقول أبوتمام :-

بَنَى الْفَقْرُ مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ      وَيَكْدِي الْفَقْرُ فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ  
وَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحُجَا      هَلَكُنْ إِذَنْ مِنْ جَبَاهِنَ الْبَهَائِمِ  
وما أجمل قول الصابي :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ صِنَاعَةٍ      فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحَدُكُمَا  
فَلَا تَفْقَدْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ بِهِ لَهُمَا الْأَرْزَاقُ      حِينَ تَفَرَّقُ  
فَيْتُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ      وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ  
وأنت إذا أردت فلسفة هذا الباب فعليك بكتاب الفلاكة والمفلوكين

أَوِ التَّهَكُّمِ بِالسَّامِعِ ، كما إذا كانَ فَقِدِ الْبَصَرِ ، أَوِ الْبِدَاءِ عَلَى كَمَالِ  
بِلَادَتِهِ ، أَوْ فُطَاتِنَتِهِ ، أَوِ ادِّعَاءِ كَمَالِ ظُهُورِهِ : وَعَدَّتِهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ  
تَعَالَتْ كَيْهَ أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ تَرْيِدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ  
وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ فَيَزِيدُ الْتَمَسُّكِينَ ، نَحْوُ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ

( كما إذا كان فافد البصر ) ولم يكن ثم مشار إليه أصلا ( والنداء على كمال بلادته )  
لأن في اسم الإشارة إيماء إلى أن السامع لا يدرك إلا المحسوس ( أَوْ فُطَاتِنَتِهِ )  
ففي استعمال اسم الإشارة الذي أصله المحسوس في المعنى الغامض إيماء إلى أن  
السامع لذكائه صارت المعقولات لديه كالمحسوسات ( تعالت ) أى أظهرت العلة  
ومعنى أشجى : أحزن ، فأنت تراه عمد إلى اسم الإشارة مع أن المشار إليه غير  
محسوس ، وذلك لادعاءه ظهور القتل وأنه كالمحسوس ، والبيت لعبد الله بن  
الدمينة من قصيدة مطلعيها :

ففي قبل وشك البين يابنت مالك ولا تحرميني نظرة من جمالك  
( وإن كان غيره ) أى وإن كان المظهر الذى وضع موضع المضمهر غير اسم  
الإشارة ( فلزيادة التمسك ) ومن هنا كان لإعادة اللفظ في مثل قوله :

وَإِنْ طَرَفٌ رَأَيْتُكَ فَأَنْظُرْ فَرُبَّمَا أَمَرَ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ  
وقول المتننى :

بَيْنَ نَضْرِبِ الْأَمْثَالِ أَمْ مَنْ نَقِيصُهُ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالْدَّهْرُ

وبيت الحماسة : شِدَّةُ شِدَّةِ اللَّيْلِ عَذَا وَاللَّيْلُ عَضْبَانُ

من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل ما لا يخفى موضعه ، وكان لو ترك  
فيها الإظهار إلى الإضمار لعدمت الذى أتت واجده الآن ( نحو قل هو الآية )



وَنَظِيرُهُ مِنْ غَيْرِهِ : وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ ، أَوْ إِدْخَالَ الرُّوحِ  
فِي صَمِيرٍ السَّامِعِ وَتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ ، أَوْ تَقْوِيَةَ دَاعِيِ الْمَأْمُورِ : مِثْلُهُمَا قَوْلُ  
الْخُلَفَاءِ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا مُرَّكَ بِكَذَا ، وَعَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ : فَإِذَا عَزَمْتَ  
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، أَوْ الْإِسْتِعْظَافِ كَقَوْلِهِ : \* إِنْ هِيَ عَبْدُكَ الْعَاصِي أَمَّا كَا \*

فلم يقل هو الصمد لزيادة التمكن (الصمد) أى الذى يقصد فى الحوائج ولا يقضى  
فبها غيره (وبالحق) مثله قول عبد الله بن عتبة :

• إِنْ تَسَأَلُوا الْحَقَّ نَعِطْ سَائِلُهُ \* (داعى المأمور) أى ما يكون داعياً لمن -  
أمرته بشئ إلى الامتثال والابتيان به (أمير المؤمنين يأمر بكذا) مكان أنا  
أمرك (وعليه) أى على وضع المظهر موضع المضمحل تقوية داعى المأمور (من  
غيره) أى من غير اب المسند إليه (فتوكل على الله) فلم يقل فتوكل على لما  
فى لفظ الجلالة من تقوية الداعى إلى التوكل لدلالته على ذات موصوفة  
بالأوصاف الكاملة من القدرة وما إليها (كقوله : إِنْ هِيَ عَبْدُكَ الْعَاصِي أَمَّا كَا)  
فلم يقل أنا العاصى أتيتك ، لأن فى لفظ عبدك من الخضوع الموجب للعطف  
والشفقة ما ليس فى لفظ أنا ، وفيه مع ذلك تمسك من وصفه للعاصى ، ونظير  
هذا قوله تعالى : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً - إلى قوله - فَأَمِنُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأَمِىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ، لم يقل فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَبِى لِيَتِمَّ  
من إجماع الصفات المذكورة عليه ، ويشعر بأن الذى وجب الإيمان به بعد  
الإيمان بالله هو الرسول الموصوف بتلك الصفات كائناً من كان أنا أو غيرى  
إظهاراً للشفقة وبعداً عن التعصب لنفسه وتمايم البيت :

• مُقِرّاً بِالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَا كَا \*

السكاكي : هَذَا غَيْرُ مُخْتَصِرٍ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ، وَلَا يَهْدِي الْقَدْرَ ، بَلْ كُلُّ مَنِ  
التَّكْلُمِ وَالْخُطَابِ وَالْغَيْبَةِ مَطْلَقًا يُنْقَلُ إِلَى الْآخِرِ : وَيُسَمَّى هَذَا النُّقْلُ  
التَّفَاتًا كَقَوْلِهِ : تَطْلُو كَيْتَاكَ بِالْأَثْمَدِ .

وبعده :

فَإِنْ تَعْقِرَ فَتَتْ لِدَاكَ أَهْلُ وَإِنْ تَصُدِّدْ فَهَنْ يَرْحَمُ سِوَاكَ  
( السكاكي ) عبارته : وأعلم أن هذا النوع أعنى نقل الكلام عن الحكاية  
إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا هذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة  
ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، وهذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني  
والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل  
في القبول عند السامع . وأحياناً تطرية للشاطة . وأمثالاً باستدرار إصغائه وهم  
أحرى بذلك ، أليس قرى الأضياف جينهم ، ونحو المشاعر للضيف دأهم  
وهجراهم (١) ، لا مرقى أيدى الأدوار لهم أديماً ، ولا أباحت لهم حرماً ، أفترأهم  
يحسنون قرى الأشباح ، فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون  
قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد ( كقوله تطاول )  
لا مراء القيس السكندى الصبحى من فصيحة يرثى بها أباه وتماه : . نام الخلى ولم  
يرقد . الأثمد : اسم مكان ، والخطاب في ذلك لنفسه ومقتضى الظاهر ليلى ، فهو  
التفات على مذهب السكاكي ، وعند الجمهور تجريد ومثله قول ربيعة بن مقروم :

بَانتْ سَعَادٌ فَأَمْسَى الْقَنْبُ مَعْمُودًا وَأَخْلَفْتِكَ ابْنَةُ الْحَرْثِ الْمَوَاعِيدَا

( ١ ) عاداتهم .

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الِاتِّفَاتَ هُوَ التَّعْمِيرُ عَنْ مَعْنَى بِطَرِيقٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ التَّشْيِيرِ  
عَنْهُ بِآخَرَةٍ مِنْهَا وَهَذَا أَخْصَنُ . مِثَالُ الِاتِّفَاتِ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْخُطَابِ :  
وَمَا بِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؛ وَإِلَى الْغَيْبَةِ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ  
الْكِبْرَ ثُمَّ فَصَّلْ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . وَمِنْ الْخُطَابِ إِلَى التَّكَلُّمِ :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبُ      بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرٌ حَانَ مَشِيبُ  
يُكَلِّفُنِي نَيْلِي وَقَدْ شَطَّ وَلِيَّيْنِي      وَعَادَتْ عَوَادِي بَيْنَنَا وَخُطُوبُ

فالتفت كما ترى حيث لم يقل وأخلفتني ( والمشهور ) هذا من كلام المصنف  
( وهذا أخص ) من تفسير السكاكي ، لأن السكاكي أراد بالنقل أن يعبر بطريق  
من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها  
فشكل التفتات عندهم التفتات عنده من غير عكس ( ومالي الآية ) أي ومالي  
لا أعبدون الذي فطرهم ، تلتطف في الإرشاد بإبرازه في معرض المناصحة لنفسه  
وإحاطض النصيح حيث أراد لهم ما أرادوا لها . وإذا عمد إلى التكلم لذلك كان  
مقتضى الظاهر أن يجري الكلام على طريقة فيقول وإليه أرجع ، فلما قصد إلى  
الخطاب حيث قال وإليه ترجعون كان التفتاتاً ( طحاً بك ) الببتان لعلقمه بن عمة  
الفحل ، طحاً بك : ذهب بك كل مذهب ، وطروب : له طرب في طلب الحسن  
ونشاط في مراودتهن ، وبعيد الشباب : يعني حين ولي وكاد ينضرم ، ومعنى  
عصر حان مشيب : زمان قرب المشيب واهتمامه بالهجوم ، وفاعل يكلفني :  
ضمير يعود إلى القلب ، وشط : بعد ، والولي : القرب ، والعوادي : الصوارف ،  
وعوادي الدهر : عوائقه ، والخطوب : الأمور الشديدة تنزل ، فالتفت كما ترى  
في قوله يكلفني عن قوله بك ، وبعد ، فقد اشترطوا في الالتفات أن يكون

وَإِلَى الْغَيْبَةِ : حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ، وَمِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى  
التَّكَلُّمِ : وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنْثِيرُ سَحَابًا فَسُقْبَاهُ ، وَإِلَى الْخُطَابِ :  
مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وَوَجْهَهُ أَنَّ السَّكَامَ إِذَا نُقِلَ مِنْ أَسْلُوبٍ  
إِلَى أُسْلُوبٍ كَانَ أَحْسَنَ طَبَرِيَّةً لِلشَّاطِطِ السَّامِعِ وَأَكْثَرَ إِيقَاطًا لِلِاصْغَاءِ  
إِلَيْهِ : وَقَدْ تَحْتَضِرُ مَوَاقِعُهُ بِطَائِفِ كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَكَرَ  
الْحَقِيقَ بِالْحَمْدِ عَنْ قَدِّبِ حَاضِرٍ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ نَحْرًا كَالِإِقْبَالِ عَلَيْهِ  
وَكَمَا أَجْرَى عَلَيْهِ صِفَةً مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْعُظْمَى قَوِي ذَلِكَ الْمَحْرُكُ ،  
إِلَى أَنْ يُوَازِ الْأَمْرَ إِلَى خَاتَمَتِهِ مُنْقِذٌ ، أَنَّهُ مَالِكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ

المخاطب بالكلام في الحالين واحداً ومن هنا كان قول جرير :

أَعْنِي يَا فِدَاكَ ابْنِي وَأُمِّي سَيِّبَ مِنْكَ يَأْتِ ذَوْرُ رِيحِ  
ثَقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالْمُتَحِجِّ

ليس من الالتفات في شيء لأن المخاطب بالبيت الأول امرأته ، والمخاطب  
بالبيت الثاني هو الخليفة كما لا يخفى ( ووجهه ) أي وجه حسن الالتفات ( بطرية )  
تجديداً ( كما في الفاتحة ) وكما في قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ  
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَمْ يَقُولْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَعَسَدَ عَنْهُ إِلَى  
طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ تَفْخِيماً لِمَا أَنَّ الرَّسُولَ وَقَعْظِيماً لِمَا اسْتَغْفَرَهُ وَتَنْبِيهاً عَلَى أَنَّ شِمَاعَةَ  
مِنْ اسْمِهِ الرَّسُولُ مِنْ أَنَّ يُمْكِنُ ( مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ ) الدَّالُّ أَوْهَا عَلَى أَنَّهُ الْمُتَوَلَّى  
تَدْبِيرَ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ، وَثَانِيهاً عَلَى أَنَّهُ الْمُنْعَمُ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ جَلَالُهَا وَدَقَائِقُهَا .  
( خَاتَمَتِهَا ) وَهِيَ قَوْلُهُ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ ، وَتَكْمَلُهُ ، قَدْ يُطْلَقُ الْإِلْتِفَاتُ عَلَى مَعْنِيَيْنِ

فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ : خِذْنِذْ يُوجِبُ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ ، وَالْخَطَابَ بِتَخْصِيصِهِ بِغَايَةِ  
الْخُضُوعِ وَالِاسْتِعَانَةِ فِي الْمُهَمَّاتِ . وَمِنْ خِلَافِ الْمُقْتَضَى تَلَقَّى الْخَاطَبُ بغير  
مَا يَتَرَقَّبُ ، بِحَمَلِ كَلَامِهِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلَى

آخِرِينَ ، فَوَاحِدٌ أَنْ يَفْرَغَ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ الْمَعْنَى ، فَإِذَا ظَنَنْتَ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَحَاوِزَهُ  
يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَيَذْكُرْهُ بغير مَا تَقْدُمُ ذِكْرَهُ بِهِ قَالَ تَعَالَى : وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلُ  
كَانَ زَهُوقًا ، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ، وَقَالَ جَرِيرٌ :  
حَلَبَ الْحَمَامُ بِيْذِي الْأَرَاكِ فَشَاقَنِي لَا زِلْتَ فِي عَلَيِّ وَأَيْلِكَ نَاضِرٍ  
وَقَالَ :

مَتَى كَانَ الْخِيَمَةُ بِيْذِي طُلُوحٍ سَقَمْتُ الْغَيْثَ أَتَيْتُهَا الْخِيَامَ  
أَتَذْكُرُ يَوْمَ تَصْقَلُ عَرِيضَتِي بِفَرْعٍ بِشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامَ

وَالثَّانِي أَنْ تَذْكُرَ مَعْنَى فَتَوْهُمْ أَنَّ السَّامِعَ اخْتَلَجَهُ شَيْءٌ فَتَلْتَفِتَ إِلَى كَلَامِ يَزِيلُ  
اِخْتِلَاجُهُ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى مَقْضُودِكَ كَقَوْلِ ابْنِ مِيَادَةَ .

فَلَا حَرَمُهُ يَمْدُو وَفِي الْيَبْسِ رَاحَةٌ وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ  
(تَلَقَّى الْخَاطَبُ) هَذَا هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ السِّكَاكِي الْأَسْلُوبَ الْحَكِيمَ وَقَالَ فِيهِ :  
إِنْ هَذَا الْأَسْلُوبُ لَرَبَّمَا صَادَفَ الْمَقَامَ غَرَّكَ مِنْ نَشَاطِ السَّامِعِ مَا سَلَبَهُ حُكْمُ  
الْوُقُورِ ، وَأَبْرَزَهُ فِي مَعْرِضِ الْمَسْحُورِ وَهَلْ أَلَانَ شَكِيمَةَ الْحِجَاجِ لِذَلِكَ الْخَارِجِي  
وَسَلَّ سَخِيمَتَهُ (١) حَتَّى آثَرَ أَنْ يَحْسُنَ عَلَى أَنْ يَسِيءَ غَيْرَ أَنْ سَحَرَهُ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ ؟  
وَسَمَّاهُ الشَّيْخَ عَبْدَ الْفَاهِرِ مِغَالَطَةً : وَعَنْ سُلُوكِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي جَوَابِ الْخَاطَبِ  
عَرَفْنَا قَالَ مَفْتَخَرًا :

بِالْقَصْدِ ، كَقَوْلِ الْقَبْعَرِيِّ لِلْحَجَّاجِ - وَقَدْ قَالَ لَهُ مُتَوَعِّدًا لِأَحْلِكَ عَلَى  
الْأَدَمِ - مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَدَمِ وَالْأَشْهَبِ ، أَيْ مَنْ كَانَ مِثْلَ  
الْأَمِيرِ فِي الشُّطْرَانِ وَبَسْطَةِ الْيَدِ فَجَدِيرٌ بِأَنْ يُصْفَدَ لِأَنْ يُصْفَدَ ، أَوِ السَّائِلِ  
بِغَيْرِ مَا يَتَطَلَّبُ بِتَنْزِيلِ سُؤَالِهِ مَنْزِلَةً غَيْرِهِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ الْأَوَّلَى بِحَالِهِ  
أَوِ الْمَهْمُ لَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ  
وَالْحَيِجَّةِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أُنْفِقُهُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ

أَتَتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مُزَاوَلَةَ الْقَرَى وَقَدْ رَأَتْ الضَّيْفَانَ يَتَحَنُّونَ مَنْزِلِي  
فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا هُمُ الضَّيْفُ جَدِّي فِي قِرَاهِمُ وَعَجَلِي  
(لأحملك على الأدم) والحجاج يريد القيد (مثل الأمير الخ) فأنت ترى  
القبعري أبرز وعيد الحجاج في معرض الوعد وتلقاه بغير ما يترقب بحمل الأدم  
في كلامه على الفرس الأدم ، وأكد ذلك بذكر الأشهب تنبيهًا على أن ذلك هو  
الأولى أن يقصد ، الأمير (يصفد) أى يعطى (لا أن يصفد) يقيد (أو السائل)  
أى أو تلقى السائل الخ (يسألونك عن الأهله الآية) روى أن ثلة من الصحابة  
قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتراب قليلاً قليلاً حتى يمتلىء  
ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ . وهذا سؤال عن السبب فأجيبوا  
ببيان الحكمة تنبيهاً على أن الأولى أن يسألوا عن ذلك . وبعد ، فالحققون من  
المفسرين على أنه سؤال عن الحكمة ، الكلام آت على مقتضى الظاهر (يسألونك  
ماذا ينفقون الآن) سألوا عن بيان ما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصروف قال

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ؛ وَمِنَهُ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ  
بِلَفْظِ الْمَاضِي تَنْبِيْهًا عَلَى تَحَقُّقِ وَقْعِهِ نَحْوُ : وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ  
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَمِثْلُهُ : وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ، وَنَحْوُهُ :  
ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ ؛ وَمِنَهُ الْقَلْبُ نَحْوُ : عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى

في الكشف إن قوله من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل خير إلا أنه بفي  
الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع  
موقعها ، قال الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً . حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ  
( نحو ويوم ينفخ في الصور فصعق ) ومقتضى الظاهر فيصعق وهذا ، ونظم  
القرآن ففرع . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسمعه زنبور وهو طفل فجاء  
إليه يبكي فقال له : يا بني مالك ، قال : لسمعي طوير كأنه ملتف في بردى حبرة  
غضمه إلى صدره وقال : يا بني قد قلت الشعر ( ومثله ) أى ومثل التعبير عن  
المستقبل بغير انطباع اسم الفاعل واسم المفعول لأن كلا منهما ليس حقيقة للاستقبال  
( لواقع ) ومقتضى الظاهر يقع ( القاب ) هو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان  
الآخر والآخر مكانه وهو مما يؤيد أن الكلام ملاحقة ولا يشجع عليه إلا كمال  
البلاغة ( نحو عرضت الخ ) ومقتضى الظاهر عرضت الخوض على الناقة لأن  
المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور حتى يميل المعروض أو يحجم عنه ،  
وفد أخذ المصنف هذا من جعل الزمخشري قوله تعالى : ويوم يعرض الذين  
كفروا على النار ، من القاب . والسبب في هذا هو أن الأصل أن يجاء بالمعروض  
إلى المعروض عليه ، وهذا حىء بالمعروض عليه وهو الناقة إلى المعروض وهو

الْحَوْضِ ، وَقَبْلَهُ السَّكَاكِيُّ مُطْلَقًا ، وَرَدَّهُ غَيْرُهُ مُطْلَقًا ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ  
تَضَمَّنَ اعْتِبَارًا لَطِيفًا قُبْلَ ، كَقَوْلِهِ  
وَمَهْمَةٍ مُغْبِرَةٍ أَرْجَاؤُهُ \* كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ  
أَيُّ لَوْنُهَا ، وَإِلَّا رَدَّ ، كَقَوْلِهِ \* كَمَا طَيَّنْتَ بِالْقَدَنِ السِّيَّاعَا \*

الحوض فاعتبر ذلك ، فزل أحدهما منزلة الآخر ( ومهمه ) البيت لرؤية بن  
العباج . المهمه : المفاضة ، ومغبرة . مملوءة بالغبرة ، والأرجاء : الأطراف ، وقوله  
كَأَنَّ الْحَوْضَ : أَيُّ كَانَ لَوْنُ سَمَانِهِ لَغَبْرَتِهَا لَوْنُ أَرْضِهِ فَهُوَ مِنَ الْقَلْبِ وَالْإِعْتِبَارِ اللَّطِيفِ  
هُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي وَصْفِ لَوْنِ السَّمَاءِ بِالْغُبْرَةِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ يَصِفُ قَلَمَ الْمَدُوحِ :  
لَعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ أَمَانَةٌ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ  
( أَيُّ لَوْنُهَا ) يُرِيدُ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ وَالتَّقْدِيرُ كَانَ لَوْنُ أَرْضِهِ  
لَوْنُ سَمَانِهِ ( كَمَا طَيَّنْتَ ) صَدْرُهُ :

\* فَلَمَّا أَنْ جَرَى سِنَّنٌ عَلَيْهَا \*

وهو للقطامي من قصيدة يمدح بها زفر بن حارث السكلابي وقد أنفذه من  
أعدائه وأعطاه مائة ناقة وقبلة :

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرَّثَمَا  
وبعده :

أَمَرْتُ بِهِ الرِّجَالَ لِيَأْخُذُواهَا وَنَحْنُ نَخْشَى أَنْ لَنْ نُسْتَعَاذَ

فقد شبه النساء في سمنها بالقدن ، وهو القصر المطين بالسياع ، وهو الطين  
بالتبن ، وقد عكس فجعل المطين هو للسياع ، والمطير به هو القدن ، وإيس فيه



﴿أحوال المسند﴾

أَمَا تَرَ كُهُ فَلِمَا مَرَّ كَقَوْلِهِ \* فَإِنِّي وَقَّيَارٌ بِهَا الْغَرِيبُ \* وقوله :

اعتبار لطيف وفيه نظر لأن القلب ههنا يدل على تارة السباع حتى صار كأنه الأصل وسمن السافاة مشبه به ، فيدل حينئذ على عظم السمن حتى صار الشحم أكثر منه بالنسبة للعظم كأنه الأصل وما هو مردود لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً  
قول حسان :

يَسْكُونُ بِمِزَاجِهَا عَسَلًا وَمَاءً \*

وقول عروة بن الورد :

\* فَذَيْتٌ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي \*

وقول القطامي :

\* وَلَا يَأْتِ مَوْقِفٌ مِّنْكَ الْوَدَاعُ \*

، حق الاستعمال يكون مزاجها عسلاً وماءً ، فذيت بنفسي نفسه وماله .  
ولا يك موقفاً منك الوداع ( فلما مر ) في حذف المسند إليه ، وما يقتضى تركه  
سباع الاستعمال كقولهم ضربي زيداً قائماً وأكث شربي السويق ملتوتاً وأخطب  
ما يكون الأمير قائماً وقولهم كل رجل وضعيعته وقولهم لولا زيد لسكان كذا  
( كقوله فإني وقيار ) فإنه حذف المسند إلى قيار كما ترى ، وتقدير الكلام فإني  
لغريب وقيار كذلك ، وما عدا إلا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث مع  
ضيق المقام بسبب التراجع والمحافظة على الوزن والسر في تقديم قيار على خبر إن  
قصد التسوية بينهم في التحسر على الاعترا ب ، كأنه أثر في غير ذوى العقول  
أيضاً . ومن هنا قال البخشري عند قوله تعالى : إن الذين آمنوا والذين هادوا  
والصابئون الآية . الصابئون : مبتدأ وهو مع خبره الخذوف جملة معطوفة على

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ  
وَقَوْلُكَ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو ، وَقَوْلُكَ : خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ ، وَقَوْلُهُ

جملة إن الذين آمنوا إلى آخره لا محل لها من الإعراب وفائدة تقديم الصابئون  
التنبيه على أنهم مع كونهم أبين المذكورين ضلالاً وأشدّهم غيياً يتاب عليهم إن  
صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم « هذا » وقد أشد البيت  
صاحب السكامل فأني وقياراً بالنصب ثم قال ولو رفع لكان جيداً تقول إن  
زيداً منطلق وعمرأ وعمرؤ فن قال عمرأ فإنما رده على زيد ومن قال عمرؤ فله  
وجهان : جيد وهو أن تحمل عمرأ على الموضع ، وجائر وهو أن يعطف على المضمر  
في الخبر ، والبيت لضائبة بن الحارث البرقي من أبيات قالها وهو محبوس في  
المدينة أيام الخليفة الثالث وصدّره :

وَمَنْ يَلْبُ أَسْبَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ

الرحل : المنزل ، وقيار : اسم فرس أو جمل للشاعر ولفظ البيت خبر ومعهناه  
التوجع من الغربة ( بقوله نحن بما عندنا ) أي نحن بما عندنا راضون فالمسند إلى  
نحن محذوف كما ترى للاختراز عن العبث مع ضيق مقام الوزن قيل وبما حذف  
فيه المسند للاختراز عن العبث قوله تعالى : والله ورسوله أحق أن يرضوه ، أي  
والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك يريد جيني أن يكون جملة واحدة وتوسيد المشبهين  
لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضى واحد ، والبيت  
لقيس بن الخطيم من خول شعراء الجاهلية ( وقولك زيد منطلق وعمرؤ ) ومن هذا  
الباب قوله تعالى : واللاتي يئسن من المحض من نساءكم إن كنتم تعدن ثلاثة أشهر  
واللاتي لم يحضن أي واللاتي لم يحضن مثلهن ( وقولك حسرت فإذا زيد ) محذوف

\* إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا \* أَيْ إِنَّ لَنَا فِي الدُّنْيَا ، وَلَنَا عَنْهَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :  
قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكَوْنَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : فَصَبِّرْ بِجَهَنَّمَ ،

المسند إلى زيد الاحتراز عن العبت مع اتباع الاستعمال وإنما كان ذكره هنا  
عيباً لأن إذا المجازية تدل على مطلق الوجود وقد انضم إليها ما يدل على الخبر  
المختص وهو خرجت المشعر بازاء الماد ، فإذا ريد بالباب أو موجود مثلاً  
(وقوله إن محلاً) إذ التقدير — كما في المصنف — إن لنا في الدنيا محلاً ولنا عنها  
إلى الآخرة مرتحلاً ، فالمسند محذوف كما ترى لقصد الاختصار مع اتباع الاستعمال .  
ومن هذا قول الرجل للرجل : هل لكم أحد إن الناس ألب علمكم ، فبقول إن  
زيداً وإن عمراً أى لنا وقد وضع سيبويه في ذلك باباً فقال : هذا باب ما يحسن  
عليه السكوت في هذه الاحرف الخمسة لإضمار ما يكون مستقراً لها وموضعاً  
لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر : وذلك إن مالا وإن ولداً وإن  
عدداً ، قال عبد القاهر : لو أسقطت إن لم يحسن الحذف أو لم يجز لأنها الحاضنة  
له والمتكفلة بشأنه والمترجمة عنه . والبيت الأعشى وتماحه :

\* وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِذْ سَوَّوْا مَبَلًّا \*

في الصحاح : السفر جمع سافر كصحب وصاحب ، وفي القاموس : السافر  
المسافر لا فعل له ( وقوله تعالى قل لو أنتم تملكون ) قال صاحب الكشف  
وتقديره لو تملكون تملكون مكرراً لفائدة التأكيد فأضمر تملك الأول لإضماراً  
على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو  
أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره  
قال وهذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان فهو إن أنتم  
تملكون فيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشع البالغ

يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ ، أَيْ أَجَلُ ، أَوْ فَأَمْرِي : وَلَا أَبَدٌ مِنْ قَرِينَةٍ ، كَوُفُوْعِ  
الْكَلَامِ جَوَابًا لِلسُّؤَالِ — يُحَقِّقُ نَحْوُ : وَثَنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، أَوْ مُقَدَّرِ نَحْوُ : لَيْسَ بِكَ يَزِيدُ ضَارِعِ الْخُصُومَةِ ۞

ونحوه قول حاتم :

۞ لَوْ ذَاتُ سِوَايَ لَطَمْتَنِي ۞

وقول المتلبس :

۞ وَلَوْ غَيْرُ إِخْوَانِي أَرَادُوا تَقِيصَتِي ۞

وذلك لأن الفعل الأول لما ستمط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ  
والخبر (يحتمل الأمرين) يعني حذف المسند إليه وحذف المسند ، والتقدير  
فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجل . وما يحتمل الأمرين قوله تعالى :  
سورة أنزلناها ، وطاعة معروفة ، أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة ،  
والمطلوب منكم طاعة معروفة ، معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص  
من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا إيمان تقسمون بها بأفواهكم  
وقلوبكم على خلافها ، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل ،  
أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الإيمان الكاذبة قاله الزمخشري ، ومن  
هذا الباب قوله تعالى : لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً . أَيْ وَلَا تَقُولُوا لَنَا آلِهَةٌ ثَلَاثَةٌ  
أَوْ لَا تَقُولُوا اللَّهُ وَعِيسَى وَمَرْيَمُ آلِهَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ففي الحذف تكثير فائدة التوسعة  
بالاحتمال ، تسكلمة ، قال صاحب المفتاح : وقد يكون حذف المسند بناء على أن  
ذكره يخرج إلى ما ليس بمراد كقولك أزيد عندك أم عمرو فإذك لو قلت  
أم عندك عمرو أو أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع (نحو  
ليبك يزيد) وتماه ۞ ويحتمل بما تطيح الطوائج ۞ فأنت ترى أنه لما قال

وَفَضْلُهُ عَلَى خِلَافِهِ بِتَكَرُّرِ الْإِسْنَادِ إجمالاً ثُمَّ تَفْصِيلاً ، وَبِوُقُوعِ نَحْوِ :  
يَزِيدُ غَيْرَ فَضْلَةٍ ، وَبِكَوْنِ مَعْرِفَةِ الْفَاعِلِ كَحُصُولِ نِعْمَةٍ غَيْرِ مُتَرَقِّبَةٍ

ليبيك يزيد كان سائلاً سألته من يبيكه فقال ضارع أى يبيكه ضارع ، وقد روى البيت بفتح ياء يبك فيكون يزيد مفعولاً وضارع فاعلاً والضارع المستكن الخاشع وقوله لخصومة أى لأجل خصومة نالته لأنه كان ملجأً للعائدين ، والمختبط الذى يطلب المعروف من غير آصرة والطوائع جمع مطيعة وهى القواذف على غير قياس كواقح جمع ملحقة يقال طوحت الطوائع أى نزلت به الممالك والبيت لضرار بن نمير يرثى أخاه يزيد (وفضله) يعنى هذا التركيب وهو بناء لبيك للذم ول على الرواية المشهورة (على خلافه) يعنى لبيك يزيد ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد (إجمالاً ثم تفصيلاً) أى بأن أسند أولاً إجمالاً أى إسناد إجمالاً ثم أسند ثانياً تفصيلاً أى إسناد تفصيل . وبعد ، فقد قال السكاكي إن مثل هذا التركيب متى وقع موقعه رفع شأن الكلام فى باب البلاغة إلى حيث ينسأطع السماكين ويبارى الفرقدين وموقعه أن يصل من بليغ عالم بجهاى البلاغة بصير بمقتضيات الأحوال ساحر فى اقتضاب الكلام ماهر فى أفانين السحر إلى بليغ مثله مطلع من كل تركيب على حاق معناه وفصوص مستبعدة . ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : وجعلوا لله شركاء الجن ، على وجه فإن لله شركاء لأن جعلوا مفعولين فجعلوا فالجن يحتمل وجهين أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر أن يكون منصوباً بحذوف دل عليه سؤال مقدر كأنه قيل من جعلوا لله شركاء فقيل الجن فيفيد الكلام إنكار الشريك مطلقاً فيدخل اتخاذ الشريك من غير الجن فى الإنكار دخول اتخاذ من الجن ، والثانى ما ذكره صاحب الكشف أن ينتصب الجن بدلاً من شركاء فيفيد إنكار الشريك مطلقاً أيضاً ، قال : وإن جعلت لله لغواً

لأنَّ أَوَّلَ الكلام غير مُطْمَعٍ في ذِكْرِهِ . وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلَمَّا مرَّ ، أَوْ أَنَّ  
يَتَّعِينَ كَوْنُهُ اسْمًا أَوْ فِعْلًا . وَأَمَّا إِفْرَادُهُ فَلِكَوْنِهِ غَيْرَ سَلْبِيٍّ مَعَ

كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ  
لله شريك من كان ماسكاً أو جنّاً أو غيرهما ، ولذلك فسم اسم الله على الشركاء  
( فلما مر ) في ذكر المسند إليه من أن الذكر ذو الأس لا مقتضى للعدل  
عنه ومن الاحتياط لضعف التحويل على القرينة ومن التبريض بغباوة السامع  
مثل قوله تعالى : بل فعله كبيرهم هذا بعد ، وقوله : أنت فعلت هذا بالحقنا يا إبراهيم  
وغير ذلك ( أَوْ أَنَّ يَتَّعِينَ كَوْنُهُ اسْمًا ) فيستفاد منه الشيء ( أَوْ فِعْلًا ) فيستفاد  
منه التجدد ( فليكونه غير سلبى إلى آخره ) إليك عبارة السكاكى مع شيء من  
التصرف قال : وأما الحالة المقتضية لأفراد الاسم فهي إما أن كان فعلياً ولم يكن  
المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم والمراد بالفعل ما يكون مفهوماً محكوماً  
به بالثبوت المسند إليه أو بالانتفاء عنه كقولك أبو زيد منتظر في السكر من البرهتين  
وضرب أخو عمرو ويشكر عمرو أن تعطه وفي الدار حاله إذ تقديره واستقر  
أو حصل في الدار على أقوى الاحتمالين تمام الصلة بالظرف وبما يقتضى أن يكون  
جملة أن يراد تقوى الحكم بنفس التركيب كقولك (١) أنا عم فدا ، وأنت عرفت وهو

( ١ ) بينا لك سبب التقوى في مثل هذه المثل عند الكلام على تقديم المسند  
إليه على ما رآه الشيخ عبد القاهر ، أما على ما ذكره السكاكى فسبب التقوى أن  
المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعى أن يسند إليه شيء . فلهذا جاء بعده ما يصاحبه  
أن يسند إليه صرفه إلى نفسه فيعتقد بينهما حكم سواء كان خالياً عن الضمير  
أو متضمناً له ثم إذا كان متضمناً لضميره صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً  
فيكتسب الحسنة قوة .

عَدَمِ إِفَادَةِ تَقْوَى الْحَكَمِ ؛ وَالْمُرَادُ بِالسَّبَبِيِّ نَحْوُ : زَيْدٌ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ ،  
وَأَمَّا كَوْنُهُ فِعْلاً فَلِلتَّيْنِيدِ بِأَحَدِ الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ عَلَى اخْتِصَارِ وَجْهِهِ ، مَعَ  
إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ كَقَوْلِهِ :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظُ قَبِيلَةٍ \* بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّسُ

عرف وزيد عرف أو أن يكون المسند سببياً وهو أن يكون مفهومه مع الحكم  
عليه بالثبوت لما هو مبني عليه أو بالانقضاء عنه مطلوب التعليق بغير ما هو مبني  
عليه تعليق لإثبات لذلك الغير بنوع ما أو نفي عنه بنوع ما أو يكون المسند فعلاً  
يستدعي الاستناد إلى ما بعده بالإثبات أو بالنفي فيطالب تعليقه على ما قبله  
بنوع إثبات أو نفي ليكون ما بعده بسبب ما قبله ، فالأول نحو زيد أبوه منطلق  
فإن مفهوم منطلق مع الحكم عليه بثبوته لمبتدئه يعني أبوه قد عاق بزید بالإثبات  
له وزيد غير ما بني منطلق عليه ، والثاني نحو عمرو ضرب أبوه ، فإن ضرب فعل  
أسند إلى ما بعده وهو أخوه ثم عاق على ما قبله وهو عمرو بالإثبات لأن الآخر  
متعلق به ومضاف إلى صميره ( كقوله ) أى قول طريف بن تميم العنبري من  
أبيات يصف بها نفسه بالشجاعة ( أو كلما إلى آخره ) فالمعنى على توهم وتأمل  
ونظر يتجدد من العريف هناك حالا لحالا ، وتصفح منه لوجود واحد بعد  
واحد ، ولو قيل متوسماً لم يفد ذلك حق الإفادة . ومن البين في ذلك قوله  
جل شأنه : هل من خالق غير الله يرزقكم ، لاذلو قيل هل من خالق غير الله  
رازق لكم لكان المعنى غير ما أريد ، وقول الأعشى :

وَأَمَّا كَوْنُهُ اسْمًا فَلِإِفَادَةِ عَدَمِهِمَا كَقَوْلِهِ :

لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ ضَرْبَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ  
وَأَمَّا تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِتَفْعُولٍ وَنَحْوِهِ فَمِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ ، وَالْمَقْيِدُ فِي نَحْوِ

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحْرُقُ<sup>(١)</sup>  
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ  
المعنى على أن هناك موقداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالا بخلا ، وإذا  
قيل إلى ضوء نار مستحقة كان المعنى أن هناك ناراً قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة  
وجرى ذلك مجرى أن يقال إلى ضوء نار عظيمة في أنه لا يشيد فعلاً بفعل  
« هذا » وعكاظ متسوق للعرب يجتمعون فيه فيتناشدون ويتفاخرون . يقول  
الشاعر : إن لكل قبيلة على جناية فني وردوا عكاظ طابقي الكافل بأمرهم ،  
( فلإفادة عدمهما ) أى عدم التقييد المذكور وإفادة التجدد ، لأن الاسم وضيع  
لأجل أن ثبت به المعنى للشيء لحسب ( كقوله ) أى قول النضر بن جوية يشدح  
بالغنى والكرم — فالمعنى أن الانطلاق من الصرة ثابت للدرهم دائماً ، بما هو  
ظاهر في ذلك قوله تعالى : وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد ، فإن أحداً لا يشك  
في امتناع الفعل مهنأ كما لا يخفى ( ونحوه ) كالحال والتقدير ( فلتربية الفائدة )  
لأن الحكم العارى عن الفيود لا يزيد عن فائدة نسبة المحكوم به للمحكوم  
عليه بل ربما كان ذلك الحكم معلوماً عند السامع ، فلا يفيد فإذا زيد قيد كان

( ١ ) لاحت : لمعت ، واليفاع : ما ارتفع من الأرض . وتشب : توفد ،  
والمقرور : المصاب بالقر وهو البرد ، والندى : الكرم ، والمحلق : اسم رجل  
كريم من ولد أبي بكر بن كلاب من بني عامر



كَانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فَلَمَانَعٍ مِنْهَا . وَأَمَّا تَقْيِيدُهُ بِالشَّرْطِ ، فَلَا عَشَبَاتٍ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا بَيْنَ أَدَوَاتِهِ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي عِدِّ النَّحْوِ ، وَلَسْنَا لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ هَهُنَا فِي إِنْ وَإِذَا وَو . . . فَنُ وَإِذَا لِلشَّرْطِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ ، لَسْنَا أَصْلًا إِنْ عَدَمَ الْجُزْمُ بِوَقْعِهِ الشَّرْطِ ، وَأَصْلًا إِذَا الْجُزْمُ بِوَقْعِهِ ، وَإِلَّا كَانَ الْمَادِرُ مَوْقِعًا لِأَنَّ ، وَغَابَ لَمْ يَنْطِ الْمَاضِي مَعَ إِذَا نَحْوُ : فَإِذَا جَاءَتْهُمْ

فِيهِ فَائِدَةٌ غَرِيبَةٌ : وَكَلِمَا كَثُرَتْ فَيُرَدُّ كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ ( هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ ) لِأَنَّ مُنْطَلِقًا هُوَ الْمُسْنَدُ حَقِيقَةً وَكَانَ قَبْدٌ لَهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى زَمَانِ النِّسْبَةِ ( تَرْكُهُ ) أَيْ تَرْكُ تَقْيِيدِ الْمُسْنَدِ ( فَلَمَانَعٍ مِنْهَا ) أَيْ مِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ كَعَدَمِ الْعِلْمِ بِالْمَقْيِدَاتِ أَوْ عَدَمِ الْإِحْتِمَاحِ لَهَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ ( تَقْيِيدُهُ ) أَيْ الْفِعْلُ ( أَدَوَاتُهُ ) أَدَوَاتُ الشَّرْطِ ( لِلشَّرْطِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ ) أَيْ لِمَعْلُوقِ حَصُولِ الْجَزَاءِ بِحَصُولِ الشَّرْطِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ( وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَادِرُ مَوْقِعًا لِأَنَّ ) لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِهِ فِي غَايَةِ الْأَمْرِ ( وَغَابَ لَمْ يَنْطِ الْمَاضِي مَعَ إِذَا ) لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْقَطْعِ بِالْوُقُوعِ نَظَرًا إِلَى الْمَاضِي ، وَبَعْدُ ، فَلَا بُدَّ لِلْبَلَاغِ مِنَ الْعِلْمِ بِمَوْقِعِ أَنْ وَإِذَا حَتَّى يَكُونَ بِنَجْوَةٍ مِنَ الْخَطَأِ وَمَعَارَظَةٍ مِنَ اللَّوْمِ ، أَوْ مَا تَرَى كَيْفَ أَنْحَوْنَا بِاللَّامَةِ عَلَى عِبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمَانَ إِذَا أَخْطَأَ بِهِمَا الْمَوْمِعُ فِي قَوْلِهِ يَنْخَالِبُ بَعْضُ الْوَلَاةِ وَفَدَّ سَأَلَهُ سَاعِدَةً فَلَمْ يَقْضِهَا ثُمَّ شَفَعَهَا لَهَا فِيهَا فَقَضَاهَا :

( ١ ) قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَادِرَ - وَهُوَ مَا وَقَعَهُ قَلِيلٌ - قَدْ يَجْزَمُ بِوُقُوعِهِ كَمَا يَجْزَمُ بِوُقُوعِ الْيَوْمِ الْآخِرِ مَعَ نَدْوَرِ وَقُوعِهِ إِذْ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً .

الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، لَأَن الْمُرَادَ  
الْحَسَنَةَ الْمُطْلَقَةَ ، وَلِهَذَا عُرِفَتْ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ ، وَالسَّيِّئَةُ نَادِرَةٌ بِالنِّسْبَةِ  
إِلَيْهَا ، وَلِهَذَا نُكِّرَتْ ؛ وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ إِنْ فِي الْجِزْمِ تَجَاهُلًا أَوْ لِعَدَمِ جِزْمِ

ذُمِّتْ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا  
أَبَى لَكَ كَسَبَ الْحَمْدِ رَأْيِي مُقَصَّرٌ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالنَّدِيرِ بِاعْتِهَا  
إِذَا هِيَ حَبَّتُهُ نَهَى الْخُسِيرَ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا

( جاءتهم ) قزم موسى ( الحسنة ) من الخصب والرخاء ( لنا هذه ) لاجلنا  
ونحن مستحقوها ( سيئة ) جذب وبلاء ( لأن المراد إلى آخره ) أصل هذا  
الكلام لصاحب الكشف غفر الله له وهالك عبارته : فإن قلت كيف قيل فإذا  
جاءتهم الحسنة فإذا وتعريف الجنس وإن تصبهم سيئة بأن وتذكير السيئة ، قلت  
لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرة واتساعه ، وأما السيئة فلا تقع  
إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ، انتهى كلامه . أما قوله تعالى : إذا مس  
الناس ضر ، بلفظ إذا مع الضر فللنظر إلى لفظ المس وإلى تذكير الضر المفيد  
في المقام التوبيخى القصد إلى اليسير من الضر وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم  
كل ضرر وللتفنيه على أن مساس قدر يسير من الضر لا مشال هؤلاء حقه أن  
يكون في حكم المقطوع به ، وأما قوله تعالى : وإذا مسه الشر فذود دعاء عريض ،  
بعد قوله عز وجل : وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، أى أعرض  
عن شكر الله وذم نفسه وتكبر وتعظم ، فالذى تقتضيه البلاغة أن يكون  
الضمير في مسه للمعرض المتكبر ، ويكون لفظ إذا للتفنيه على أن مثله يحق أن  
يكون اتلاؤه بالشر مقطوعاً به ( تجاهلاً ) لاستدعاء المقام إياه كما إذا استطلت

الْمُخَاطَبِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُكَذِّبُكَ : إِنْ صَدَقْتُ فَمَاذَا تَفْعَلُ ، أَوْ تَنْزِيلِهِ  
مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ لِمُخَالَفَتِهِ مُقْتَضَى الْعِلْمِ أَوِ التَّوْبِيخِ ، وَتَصْوِيرِ أَنَّ الْمَقَامَ لاشْتِمَالِهِ  
عَلَى مَا يَقْلَعُ الشَّرْطُ عَنْ أَصْدَائِهِ لَا يَصْنَعُ إِلَّا لِفَرْضِهِ كَمَا يَفْرَضُ الْمَحَالُ نَحْوُ :  
أَفَنْضَرْبُ عَنْكُمْ الَّذِي كَرَّ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ، فَيَمَعْنُ قَرَأَ إِنْ  
بِالْكَسْرِ ، أَوْ تَغْلِيْبِ غَيْرِ الْمُتَصِفِ بِهِ عَلَى الْمُتَصِفِ ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِنْ كُنْتُمْ

لِإِتِّكَ فَمَقُولُ إِنْ يَطْلُعُ الْمَسِيحُ وَيَنْقُضُ اللَّيْلُ أَفْعَلُ كَذَا فَتَجَاهِلُ تَوَلَّاهَا وَتَضْجُرُ  
( أَوْ تَنْزِيلُهُ إِلَى آخِرِهِ ) كَمَا يَقُولُ الْآبُ لَابْنٍ لَا يَرَاعِي حَقَّهُ ، أَفْعَلُ مَا شِئْتُ لِمَنِ  
لَمْ أَكُنْ لَكَ أَبًا كَيْفَ تَرَاعَى حَقِّي ( كَمَا يَفْرَضُ الْمَحَالُ ) مَتَى تَعْلُقُ بِفَرْضِهِ  
غَرَضٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ نَحْوُ إِرْخَاءِ الْعِنَانِ لِإِزَامِ الْخَصْمِ وَالتَّبَكُّيْتِ كَمَا ذَكَرَ الرَّحْمَنُ فِي  
قَوْلِهِ تَعَالَى : فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ، أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّبَكُّيْتِ  
لِأَنَّ دِينَ الْحَقِّ وَاحِدٌ لَا يُوْجَدُ لَهُ مِثْلٌ ، فَقِيلَ فَإِنْ آمَنُوا بِكَلِمَةِ الشُّكِّ عَلَى سَبِيلِ  
الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ ، أَيْ فَإِنْ حَصَلُوا دِينًا آخَرَ مِثْلَ دِينِكُمْ مِثْلًا لَكُمْ فِي الصَّحَةِ  
وَالسَّادَةِ فَقَدْ اهْتَدَوْا . وَفِيهِ أَنْ دِينَهُمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ وَكُلُّ دِينٍ سِوَاهُ مُغَايِرٌ لَهُ  
غَيْرُ بَمِثَالٍ لِأَنَّهُ حَقٌّ وَهَدًى وَمَا سِوَاهُ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ ، وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُكَ الرَّجُلُ  
تَشِيرُ عَلَيْهِ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ وَالصَّوَابُ فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ رَأْيٌ أَصَوَّبُ مِنْهُ فَاعْمَلْ بِهِ  
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَا أَصَوْبَ مِنْ رَأْيِكَ ، وَإِذَا كُنْتَ تَرِيدُ تَبَكُّيْتِ صَاحِبِكَ وَتَوْقِيفَهُ  
عَلَى أَنْ مَا رَأَيْتَ لَا رَأْيَ وَرَأَاهُ ( نَحْوُ أَفَنْضَرْبِ الْآيَةِ ) فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الْإِسْرَافَ  
مَقْطُوعٌ بِهِ لَكِنْ جِيءَ بِالْفِظِ إِنْ لِقَصْدِ التَّنْذِيرِ وَالتَّجْهِيلِ فِي ارْتِكَابِ الْإِسْرَافِ ،  
وَتَصْوِيرِ أَنَّ الْإِسْرَافَ مِنَ الْعَاقِلِ فِي هَذَا الْمَقَامِ — مَقَامِ ظُهُورِ الْآيَاتِ وَنَزُولِ  
الْقُرْآنِ — حَرَى أَنْ لَا يَكُونَ ثَبُوتُهُ لَهُ إِلَّا عَلَى بَجْدِ الْفَرَاضِ وَالتَّقْدِيرِ ( بِهِ ) أَيْ

فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ، يَحْتَمِلُهُمَا . وَالتَّغْلِيْبُ يُجْرَى فِي فَنُونٍ كَقَوْلِهِ  
تَعَالَى : وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِنِينَ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، وَمِنْهُ أَيْوَانُ

بالشرط (يحتملهما) أى يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة وتصور أن الريبة  
بما لا ينبغي أن تثبت لهم إلا على الفرض لاشتغال المقام على ما يزيلها وهو الآيات  
وأن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم ، فإنه كان فيهم  
من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً (والتغليب) وهو أن يغلب على الشيء ما لغيره  
لتناسب بينهما أو اختلاط ، وهو أمر يجري في كل متناسبين ومختلطين بحسب  
المقامات لكن غالب أمره دائر على الشرف والخفة (وكانت من القانتين)  
فعدت الآتي من المذكور بحكم التغليب ، لأن القنوت مما يوصف به المذكور  
والإناث ، ولولا ذلك لقليل وكانت من القانتات (بل أنتم قوم تجهلون) فكان  
القياس يجهلون لأن الضمير عائد إلى قوم ولفظه لفظ الغائب لكونه اسماً مظهرآ  
لكنه في المعنى عبارة عن المخاطبين ، فغلب جانب الخطاب على جانب الغيبة ،  
(ومنه أيوان) ومنه قوله تعالى : لنخرجنك يا شعيب زوالين آمنوا معك من  
قريتنا أو لتعودن في مائتنا ، أدخل شعيب عليه السلام في اليهودن في مائتنا بحكم  
التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم ، وقوله تعالى : فسجدوا إلا إبليس ، عدد  
إبليس من الملائكة بحكم التغليب ، وقوله تعالى : جعل لكم من أنفسكم أزواجا  
ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ، فإن الخطاب فيه شامل للعقلاء والأنعام فغلب  
فيه المخاطبون على الغائبين والعقلاء على الأنعام ، وقوله يذروكم فيه : أى يدشكم  
ويكثركم في هذا التدبير ، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين  
ذكورهم وإناثهم التوالد والنبات ، فجعل هذا التدبير كالمعدن والمنبع للثب والتكثير  
ولذلك قيل يذروكم فيه ولم يقل به كما في قوله تعالى : واسكن في القصاص حياة .

ونحوه ، وَلِكَوْنِهِمَا لِتَعْلِيْقِ أَمْرٍ بِغَيْرِهِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ كَانَ كُلٌّ  
مِنْهُمَا مُجْتَمِعًا كُلٌّ فِعْلِيَّةٌ اسْتِقْبَالِيَّةٌ ، وَلَا يُخَالَفُ ذَلِكَ لَفْظًا

( ونحوه ) كالمشرق والمغرب ، والقمرين ، للشمس والقمر ، والحسين  
للحسن والحسين وما أشبه ذلك مما غلب أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر  
بأن جعل متفقاً له في الاسم ، ثم ثنى ذلك الاسم وقصد إليهما جميعاً ( ولكونهما )  
إن وإلذا ( لتعليق أمر ) وهو حصول مضمون الجزاء ( بغيره ) وهو حصول  
مضمون الشرط ( في الاستقبال ) مرتبط باللفظ غيره على معنى جعل حصول  
الجزاء مترتباً على حصول الشرط في الاستقبال ( كان كل من جماعتي كل فعالية  
استقبالية ) ذلك لأن الشرط كما لا يخفى مفروض الحصول في الاستقبال فيمتنع  
ثبوته ومضيه ، والجزاء معاق حصوله على حصول الشرط في الاستقبال ، ويمتنع  
كما هو ظاهر تعليق حصول الحاصل الثابت على حصول ما يحصل في المستقبل  
( لفظاً ) وأما معنى فلا يمكن التخالف بحال ، وقوله تعالى : وإن يكذبوك  
فقد كذبت رسل من قبلك ، معناه فاصبر ولا تحزن فقد كذبت رسل من قبلك ،  
وقوله : إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ، ومعناه ينصره  
من نصره قبل ذلك . وقس على هذا بقدر ما يناسب المقام وهذا ، وقد تستعمل (١)  
إن في غير الاستقبال قياساً إذا كان الشرط لفظاً كان مثل قوله تعالى : وإن كنتم  
في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية ، وفي غير ذلك قليلاً ، كقول أبي العلاء المعري :

( ١ ) يكون ذلك إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي  
ولا يقال إن هذا يناقض ما قدمناه آنفاً من أن الشرط مفروض الحصول في  
الاستقبال لأننا نقول هذا حين استعمال إن لتعليق في المستقبل كما هو غالب أمرها .

إِلَّا لِنُكْتَةٍ ، كإبراز غير الحاصل في مقريض الحاصل ، لقوة الأسباب  
أو كون ما هو للوقوع كالواقِع أو التفاؤل ، أو إظهار الرغبة في وقوعه

وَإِنْ ذَهَلَتْ عَمَّا أَجِنُّ صُدُورُهَا فَقَدْ أَلْهَبَتْ وَجَدًا نُفُوسَ رِجَالٍ (١)  
الظاهر أن المعنى على المضى دون الاستقبال ، وقد تستعمل إذا للضى مثل قوله  
تعالى : حتى إذا بلغ بين السدين . حتى إذا ساوى بين الصدفين . حتى إذا جعله  
ناراً ، وللاستمرار مثل قوله جن شأنه : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .  
(إلا لنكتة) فإن قلت فأى نكتة في قوله تعالى : إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء  
ويبدطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لتكفرون ، وقد ذكر في موضع  
جزاء هذا الشرط ثلاث جمل متعاطفة وعدل في الثالثة إلى لفظ الماضى ، فإنما  
تقول الغرض من ذلك كما قال الزمخشري الدلالة على أنهم ودوا قبل كل شيء  
كفر المؤمنين وارتدادهم ، يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا  
والدين جميعاً من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفاراً ، وردكم كفاراً  
أسبق المضار عندهم وأولها لعدهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون  
لها دونه والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه (لقوة الأسباب)  
وبذلك كما تقول حال انعقاد أسباب الاشتراء إن اشترينا كذا كان كذا (أو كون  
ما هو للوقوع كالواقِع) هذا كما هو ظاهر معطوف على قوة الأسباب يعنى أنه يعبر  
بالماضى عن المستقبل في جملة الشرط لقصد إبراز غير الحاصل في العرض الحاصل  
لكون المعنى شأنه الوقوع فهو كالواقِع في ترتب ثمرة الوقوع في الجملة على كل  
منهما وذلك مثل أن تقول إن مت كان كذا وكذا (في وقوعه) أى وقوع الشرط أو

(١) يقول : إن هذه الإبل قد أحرقت بحنيتها قلوب رجال ، يعنى  
راكبها وإن خلت صدورها عن اللوجد الذى أضمره .

نَحْوُ : إِنْ ظَفِرْتُ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ فَهُوَ الْمَرَامُ ، فَإِنَّ الطَّالِبَ إِذَا عَظُمَتْ رَغْبَتُهُ  
فِي حُصُولِ أَمْرٍ تَكَثَّرَ تَصَوُّرُهُ إِيَّاهُ ، فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ إِلَيْهِ حَاصِلًا ، وَعَلَيْهِ :  
إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنًا . السَّكَائِيُّ : أَوَّلِ التَّعْرِيفِ نَحْوُ : لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبُطَنَّ .

غير الحاصل ( إن ظفرت إلى آخره ) هو مثال للأمرين قبله ( فر بما يخيل إليه  
حاصلًا ) وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب حتى إذا وجد حكم المحس بخلاف  
حكمه غلطه تارة واستخرج له محملا أخرى وعليه قول أبي العلاء المعري :

مَا سِرْتُ إِلَّا وَطَبَفْتُ مِنْكَ يَضْحَكُنِي سُرِّي أُمَامِي وَتَأْوِيًا عَلَى أَثَرِي .

يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي فأعدك بين يدي مغاطًا  
للبحر بعلة الظلام إذ لم يدركك ليلا أُمَامِي وأعدك خافي إذ لم يتيسر لي تغليط  
حين لا يدركك بين يدي نهاراً ( وعاليه ) أى على إظهار الرغبة في الوقوع قوله  
تعالى : وَلَا تَكْرَهُوا قِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحْصُنًا ، فلم يقل إن يردن  
وجيء بلفظ الماضي للدلالة على توفر الرغبة في إرادتهن التحصن ، وإنما قال  
وعاليه لأن الله منزعه عن الرغبة ، والمراد ههنا لا زمها وهو كمال الرضا به ..  
وهذا ، وفائدة قوله إن أردن تحصنًا أن يدشع عند المخاطب الوقوع في الإكراه  
لكي يعرف أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة ، وإن لم يكن ثم زاجر  
شرعى ، ذلك لأن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت  
التحصن عن الفاحشة وهو يأبى الإكراه عليها ( نحو لئن أشركت ) فالخطاب  
لمحمد عليه السلام وعدم إشراكه مقطوع به . لكن جيء بلفظ الماضي إبرازاً  
للإشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير تعريضاً لمن صدر عنهم  
الإشراك بأنهم قد حبطت أعمالهم ، وبما هو بين في ذلك قوله تعالى : وَلَئِنْ  
اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ، قال صاحب الكشف .

عَمَلَك ، وَنَظِيرُهُ فِي التَّعْرِِيضِ : وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ؟ أَيْ وَمَا لَكُمْ  
لَا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ ، بِدَلِيلٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؛ وَوَجْهٌ حُسْنِهِ إِسْتِمَاعُ  
الْمُخَاطَبِينَ الْحَقَّ عَلَى وَجْهِ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ ، وَهُوَ تَرْكُ التَّصْرِيحِ بِنِسْبَتِهِمْ  
إِلَى الْبَاطِلِ ، وَيُعِينُ عَلَى قَبُولِهِ لِسُكُونِهِ أَدْخَالَ فِي إِمْتِحَانِ النَّصْحِ ، حَيْثُ  
لَا يُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ . وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ  
الشَّرْطِ فَيَلْزَمُ عَدَمُ الثَّبُوتِ وَالْمُضَى فِي جَمَلَتَيْهَا ، فَدُخُولُهَا عَلَى الْمَضَارِعِ

هذا كلام ورد على سبيل الفرض والتقدير ، وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير  
واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إمارته ، فبتبع الهوي ( ونظيره في التعريض  
ومالي لا أعبد الذي فطرني ) ومثل ذلك قوله تعالى : أَلَمْ تَخْلُقْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ  
يَرِدُنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَأَنْزِلَنَّ عَنْ سَمَاعِهِمْ شَيْئًا وَلَا يَنْقُذُونَ إِنْ إِذَا لَقِيَ ضَلَالٌ مَبِينٌ ،  
إِذَا الْمُرَادُ أَنْتَخِذُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يَرِدْكُمْ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تَنْفَعُ عَنْكُمْ شَفَاعَتُهُمْ  
شَيْئًا وَلَا يَنْقُذُونَكُمْ إِنْكُمْ إِذَا لَقِيَ ضَلَالٌ مَبِينٌ وَلِذَلِكَ قِيلَ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ دُونَ بَرِيٍّ  
وَأَتَّبَعْتُمْ فَاسِحِينَ ( بدليل وإليه ترجعون ) إِذَا لَوْلَا التَّعْرِِيضُ لَكَانَ الْمُنَاسِبُ وَإِلَيْهِ  
أَرْجَعُ لِأَنَّهُ الْمَوَافِقُ لِلسياقِ ( حسنه ) أَيْ التَّعْرِِيضُ ( الْمُخَاطَبِينَ ) الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ  
الْمُتَكَلِّمِ ( وَيُعِينُ ) عَنَّفَ عَلَى قَوْلِهِ لَا يَزِيدُ أَيْ أَنَّ ذَلِكَ الْوَجْهَ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ وَهُوَ  
عَلَى ذَلِكَ يُعِينُ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ ( وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي إِلَى آخِرِهِ ) يَقُولُ أَصْلُ  
لَوْ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجُزْأَ كَانَ فِيمَا مَضَى بِحَيْثُ يَقَعُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِ الشَّرْطِ  
مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ الشَّرْطِ الْمُقْتَضَى انْتِفَاءَ الْجُزْأِ فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ لَوْ جِئْتَنِي لَا كَرَمَتِكَ  
فَهَمَّ أَنَّ الْحِجَى شَرْطٌ فِي الْإِكْرَامِ وَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِهِ يَقَعُ وَفَهَمَ مَعَ هَذَا  
أَنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَقَعْ فَيَلْزَمُ — حَيْثُ كَانَ الْحِجَى شَرْطًا وَانْتَفَى — انْتِفَاءُ الْمَشْرُوطِ  
الَّذِي هُوَ الْجُزْأُ ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ إِنْ لَوْ لَا مَتْنَاعُ الشَّيْءِ لَا مَتْنَاعَ غَيْرِهِ وَتَوْفِيْقُهُ  
ذَلِكَ حَقُّهُ مِنَ الْبَيَانِ أَمْسَ يَعْلَمُ اللَّغَةَ ( وَالْمُضَى ) وَذَهَبَ الْمُرَادُ إِلَى أَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ



فِي نَحْوٍ : لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ، لِقَصْدِ اسْتِمرارِ الْفِعْلِ  
فِيمَا مَضَى وَقْتًا فَوْقَتًا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، وَفِي نَحْوٍ :  
وَلَوْ تَرَى إِذْ وُفِّيُوا عَلَى النَّارِ ، لِنَزِيلِهِ مَنَزِلَةٌ مِّنَ الْمَاضِي لِصُدُورِهِ عَمَّنْ

فِي الْمُسْتَقْبَلِ اسْتِعمالُ إِنْ وَأَنْشَدَ قَوْلَ الْهَذَلِيِّ :

وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا

وَمِنْ دُونَ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ (١)  
أَطْلَّ صَدَى صَوْتِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً لِّصَوْتِ صَدَى لَيْسِي يَهْشُ وَيَطْرَبُ  
( لعنتهم ) أى لوقعتم في العنت والهلاك ، يقال فلان ينعنت فلاناً : أى يطلب  
ما يؤديه إلى الهلاك ، وقد أعنت الأظلم إذا هيض بهد الجبر ( لقصد استمرار  
الفعل إلى آخره ) قال الزمخشري : إنما قيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه  
كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه ، وإنه كلما عن لهم رأى  
في أمر كان معسولاً عليه بدليل قوله : في كثير من الأمر ، كقولك فلان يقرى  
الضيف ويحمى الحرم : تريد أنه بما اعتاده ووجد منه مستمرراً ( كما في قوله  
الله يستهزئ بهم ) قال في الكشف : فإن قلت هلا قيل الله يستهزئ بهم ليكون  
طبقاً لقوله إنما نحن مستهزؤن ، قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء  
وتجدده وقتاً بعد وقت وهكذا كانت نكبات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم  
( وفي نحو ولو ترى إلى آخره ) من هذا الباب قوله : ولو ترى إذ الظالمون  
موقوفون عند ربهم ، وقوله : ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم . هذا

( ١ ) الأصداء جمع صدى : ظل الصوت ، يرجع مثله في الجبل ونحوه ،  
والرمس : القبر ، والسبب : المغازة ، ويهش : يرتاح ويميل .

لَا خِلَافَ فِي إِخْبَارِهِ ، كَمَا فِي : رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ! أَوْ لَا اسْتِحْضَارَ  
الصُّورَةِ كَمَا قَالَ تَسَالَى : فَتَثِيرُ سَحَابًا ، اسْتِحْضَارًا لِتِلْكَ الصُّورَةِ الْبَدِيعَةِ  
الدَّالَّةِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ . وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ : فَلِإِرَادَةِ عَدَمِ الْحَظَرِ وَالْعَهْدِ ،  
مَقُولِكَ : زَيْدٌ كَاتِبٌ وَعَمْرُو شَاعِرٌ ، أَوْ لِلتَّمْخِيصِ ، نَحْوُ : هَذِي

ويجوز أن تكون لو في هذه الآيات للتمنى ، كأنه قال وليتك ترى ، وحينئذ  
لا استشهاد لأن التي للتمنى تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي ( كما  
في ربما يود ) قال صاحب الكشف : فإن قلت لم دخلت ربما على المضارع  
وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ؟ قلت لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة  
الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود ( أو لاستحضار الصورة )  
هو معطوف على قوله لتنزله يعني صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار  
قائلين ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ، وكذا صورة رؤية الظالمين موقوفين  
عند ربهم والمجرمين ناكسي رؤسهم متقاولين بتلك المقالات وصورة وذابة  
الكافرين لو أسلبوا ( كما في قوله تعالى فتثير سحابا ) وكما في قول تأبط شرأ :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيَانَ فَنَهُمِ      بَمَا لَأَقِيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانِ  
يَأْنِي قَدْ لَقِيْتُ الْغَوْلَ تَهْوِي      بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحَصَحَانِ  
فَقُلْتُ لَهَا كَلَا نَا نِضْوُ أَرْضِي      أَخُو سَفَرٍ فَخَلَّى لِي مَكَانِي  
فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَتْ      لَهَا كَفَى بِمَقُولِ يَمَانِي  
فَأَضْرِبَهَا بِأَلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ      حَرِيغًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ  
إِذْ قَالَ فَأَضْرِبَهَا لِيَصُورَ لِقَوْمِهِ لِحَالَةَ الَّتِي تَشْجَعُ فِيهَا عَلَى ضَرْبِ الْغَوْلِ كَأَنَّهُ

مستقين ، أو للتخفيف . وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ : فَلِتَكُونَ  
الْفَائِدَةُ أَتَمَّ كَمَا مَرَّ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فظَاهِرٌ مِمَّا سَبَقَ . وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ : فَلِإِفَادَةِ  
السَّمْعِ حَكْمًا عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ لَهُ بِإِحْدَى طَرِيقِ التَّعْرِيفِ بِآخَرٍ مِثْلِهِ ،

يبصرهم إياها ، وطلب منهم مشاهدتها تعجيباً من جراته على كل هول وثباته  
عند كل شدة . نكلمة ، قد يكون دخول لو على المضارع للدلالة على أن العمل  
من الغفاعة بحيث يحترز عن أن يعبر عنه بلفظ الماضي لكونه مما يذل على  
الوقوع في الجملة ، كما تقول : لقد أصابني حوادث لو تبقى إلى الآن لما بقي مني  
أثر . وقد يعدل عن عدم الثبوت إلى جعل الجملة الثانية اسمية مثل قوله تعالى : ولو  
أنهم آمنوا واتقوا لمتوبة من عند الله خير ، دلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها  
أما الجملة الأولى فلا تقع إلا فعلية البتة ( نحو هدى للتقين ) على أنه خبر  
مبتدأ محذوف أو خبر ذلك الكتاب ، أي هدى لا يكتنه كنهه ، ومثله قول  
الله جل شأنه : إن زلزلة الساعة شيء عظيم ( أو للتخفيف ) كما تقول الحاصل لي  
من هذا المال شيء أي حقير ( كما سر ) من أن زيادة الخصوص توجب اتمية  
العائدة ( تركه ) أي ترك تخصيص المسند بالإضافة أو الوصف ( مما سبق ) في ترك  
تقديم المسند لما نفع من تربية الفائدة ( وإفادة السامع إلى آخره ) قال في الإيضاح  
تفسير هذا أنه قد يكون للشيء صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالماً  
باتصافه بإحدهما دون الأخرى ، فإن أردت أن تخبره بأنه متصف بالأخرى فإنك  
تعتمد إلى اللفظ الدال على الأولى وتجعله مبتدأ وتعتمد إلى اللفظ الدال على الثانية  
وتجعله خبراً ، فتفيد السامع ما كان يحمله من اتصافه بالثانية ، كما إذا كان السامع  
أخ يسمى زيداً وهو يعرفه بعينه واسمه ، ولكن لا يعرف أنه أخوه ،  
فأردت أن تعرفه أنه أخوه فتقول له : زيد أخوك ، سواء عرف أن له

أَوْ لَا زِمَ حُكْمٍ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : زَيْدٌ أَخُوكَ وَنَحْوُ الْمُنْطَلِقِ ،  
بِاعْتِبَارِ تَعْرِيفِ الْعَهْدِ أَوْ الْجَنْسِ وَعَكْسِيهِمَا ، وَالثَّانِي قَدْ يُفِيدُ قَصْرَ

أَخَا ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَنْ زَيْدًا أَخُوهُ أَوْ لَمْ يَعْرِفْ أَنْ لَهُ أَخًا أَصْلًا ، وَإِنْ عَرَفَ أَنْ  
لَهُ أَخًا فِي الْجُمْلَةِ وَأَرَدَتْ أَنْ تَعَيَّنَ عِنْدَهُ قُلْتُ : أَخُوكَ زَيْدٌ ، أَمَا إِذَا لَمْ يَعْرِفْ أَنْ  
لَهُ أَخًا أَصْلًا فَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لِامْتِنَاعِ الْحُكْمِ بِالتَّعْيِينِ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُهُ الْمُخَاطَبُ  
أَصْلًا ، فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِنَا زَيْدٌ أَخُوكَ وَقَوْلِنَا أَخُوكَ زَيْدٌ ، وَكَذَا إِذَا  
عَرَفَ السَّامِعُ إِنْسَانًا يُسَمَّى زَيْدًا بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ  
انْطَلَقَ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ زَيْدٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَأَرَدَتْ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ زَيْدًا هُوَ  
ذَلِكَ الْمُنْطَلَقُ ، فَتَقُولُ زَيْدُ الْمُنْطَلَقِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ ذَلِكَ الْمُنْطَلَقُ هُوَ  
زَيْدٌ ، قُلْتُ الْمُنْطَلَقُ زَيْدٌ ، وَكَذَا إِذَا عَرَفَ السَّامِعُ إِنْسَانًا يُسَمَّى زَيْدًا بِعَيْنِهِ  
وَاسْمِهِ وَهُوَ يَعْرِفُ مَعْنَى جَنْسِ الْمُنْطَلَقِ ، وَأَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنْ زَيْدًا مُتَّصِفٌ  
بِهِ فَتَقُولُ زَيْدُ الْمُنْطَلَقِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعَيَّنَ عِنْدَهُ جَنْسَ الْمُنْطَلَقِ ، قُلْتُ  
الْمُنْطَلَقُ زَيْدٌ ، انْتَهَى . فَقَوْلُهُ هُنَا بآخر مثله مرتبط بقوله حكما أي لإفادة  
السامع حكما على أمر معلوم بأمر آخر ، مثل ذلك الأمر المحكوم عليه في أنه  
معلوم للسامع بإحدى طرق التعريف ، وقوله أو لازم حكم كذلك معطوف  
على حكما أي أو لإفادة السامع لازم حكم على أمر معلوم بإحدى طرق التعريف  
بأمر آخر مثله ، وفي هذا إشارة إلى أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافي  
كون الكلام مفيدا للسامع فائدة مجهولة ، لأن ما يستفيد السامع من الكلام هو  
انتساب الخبر إلى المبتدأ ، أو كون المتكلم عالما به ، والعلم بنفس المبتدأ والخبر  
لا يوجب العلم بانتساب أحدهما إلى الآخر ، وقوله باعتبار متعلق بمحذوف  
حال من المنطلق ( والثاني ) أي اعتبار تعريف الجنس ( قد يفيد ) وقد لا يفيد  
القصر كقول الخنساء .

الجنس عَلَى شَيْءٍ ، تَحْقِيقًا نَحْوُ : زَيْدُ الْأَمِيرِ ، أَوْ مُبَالَغَةً لِكَمَالِهِ فِيهِ ؛ نَحْوُ :  
عَمَرُو الشُّجَاعُ ، وَقِيلَ : الْأَسْمُ مُتَعَيِّنٌ لِلْإِبْتِدَاءِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الذَّاتِ وَالصِّفَةِ  
لِلخَبَرِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَمْرٍ نِسْبِيٍّ ؛ وَرُدَّ بِأَنَّ الْمَعْنَى الشَّخْصُ الَّذِي

إِذَا قَبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ \* رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَ  
لم يَرَدُّ أَنَّ مَا عَدَا الْبُكَاءَ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِحَسَنٍ وَلَا جَمِيلٍ ، وَلَكِنَّمَا أَرَادَتْ أَنْ  
تَقْرَهُ فِي جِنْسٍ مَا حَسَنَهُ الْحَسَنُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَا يَنْكَرُهُ أَحَدٌ وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :  
أُسُوذُ إِذَا مَا أَبَدَتْ الْحَرْبُ نَابَهَا وَفِي سَائِرِ الدَّهْرِ الْغِيُوثُ الْمَوَاطِرُ  
وَقَوْلُ حَسَنٍ :

وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ \* بَنُو بَنَاتِ نَحْرُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ  
أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ لَهُ الْعُبُودِيَّةَ ثُمَّ يَجْعَلُهُ ظَاهِرَ الْأَمْرِ فِيهَا مَعْرُوفًا بِهَا ( نَحْوُ  
زَيْدِ الْأَمِيرِ ) إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِيرٌ سِوَاهُ ( لِكَمَالِهِ فِيهِ ) أَيْ لِكَمَالِ ذَلِكَ الْجِنْسِ  
فِي الْمَقْصُورِ عَلَيْهِ أَوْ لِكَمَالِ الْمَقْصُورِ عَلَيْهِ فِي الْجِنْسِ ( نَحْوُ عَمَرِ الشُّجَاعِ )  
أَيْ الْكَامِلِ فِي الشُّجَاعَةِ ، فَتَخْرُجُ الْكَلَامُ فِي صُورَةِ تَوْهَمٍ أَنَّ الشُّجَاعَةَ لَمْ تَوْجَدْ  
إِلَّا فِيهِ لِعَدَمِ الْإِعْتِدَادِ بِشُّجَاعَةِ غَيْرِهِ لِقُصُورِهَا عَنْ رَنبَةِ الْكَمَالِ . . . وَبَعْدُ .  
فَالْمَقْصُورُ قَدْ يَكُونُ نَفْسُ الْجِنْسِ مُطْلَقًا ، أَيْ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ تَقْيِيدِهِ بِشَيْءٍ كَمَا  
فِي الْأَمْثَلَةِ الْمَذْكُورَةِ قَبْلَ ، وَقَدْ يَكُونُ الْجِنْسُ بِاعْتِبَارِ تَقْيِيدِهِ بِظَرْفٍ أَوْ غَيْرِهِ ،  
كَقَوْلِكَ هُوَ الْوَافِي حِينَ لَا تَنْظُرُ نَفْسُ نَفْسٍ خَيْرًا ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَعَشَى :

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِائَةِ الْمُضْطَفَّةُ \* إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارًا  
فَإِنَّهُ قَصَرَ عَلَيْهِ هِبَةُ الْمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ حَالِ كَوْنِهَا مَخَاضًا أَوْ عِشَارًا لِأَهْبَةِ  
الْمِائَةِ بِأَيِّ خَالَ كَانَتْ وَلَا أَهْبَةُ مُطْلَقًا ، سِوَاهُ كَانَتْ هِبَةُ الْإِبِلِ أَوْ غَيْرِهَا ، هَذَا .

لَهُ الصِّفَةُ صَاحِبُ الْإِسْمِ . وَأَمَّا كَوْنُهُ مُجَلَّةً : فَلِلتَّقْوَى أَوْ لِكَوْنِهِ سَبَبِيًّا

وقد ذكر الشيخ في دلائل الإعجاز للخبر المعروف باللام معنى غير ما ذكر دقيقاً ،  
وذلك مثل قولك : هو البطل المحامي ، لا تريد أنه البطل المعهود ولا قصر جنس  
البطل عليه مبالغة ونحو ذلك ، بل تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل  
المحامي ، وهل حصلت معنى هذه الصفة ، وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى  
يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فإن كنت قتلتة علماً وتصورته حق تصوره  
فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك ، وطريقه كطريق  
قولك ، هل سمعت بالأسد ، وهل تعرف ماهو ؟ فإن كنت تعرفه فزيد هو هو  
بعينه . ويزداد هذا المعنى ظهوراً بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار بها عن  
المبتدأ مجرأة على موصوف ، وإن أردت أن تسمع في ذلك ما تسكن للنفس إليه  
سكون الصادي إلى برد الماء فاسمع قول ابن الرومي :

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلٍّ مَالِهِ وَلَكِنَّهُ بِالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ مُفْرَدٌ

وليس شيء أغلب على هذا الضرب من الذي ، فإنه يحییء كثيراً على أنك  
تقدر شيئاً في وهمك ثم تعبر عنه بالذي ، ومثال ذلك قوله :

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدَّعَاهُ لِمِلَّةٍ يُجِبْكَ وَإِنْ تَقَضَّبَ إِلَى السَّيْفِ يَفْضُبُ

وقول الآخر :

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رَبَّنَا قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهُ

وهذا فن عجيب الشأن ، وله مكان من الفخامة والنبيل ، وهو من سحر  
البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه ( وقيل إلى آخره ) ذهب الإمام  
الرازي إلى أن الاسم في نحو زيد المنطلق والمنطلق زيد ، لما كان دالاً على  
الذات تعين للابتداء تقدم أو تأخر ، والصفة لما كانت دالة على أمر نسبي تعينت

لِما مرَّ ، واسْمِيتُهَا وَفَمِيتُهَا وَشَرَطِيتُهَا لِما مرَّ ، وَظَرَفِيتُهَا لِاخْتِصَارِ الْفِعْلِيَّةِ

للخبرية قدمت أو أخرت ، فأجاب المصنف بأن المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً ، وزيد لا يجعل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ (فللتقوى) أى تقوى الحكم الذى هو ثبوت المسند للسند إليه أو سلبه ، كزيد قام وما زيد قام (أو لكونه سلبياً) نحو زيد أبوه قائم (لما مر) أن أفراده يكون لكونه غير سلبى مع عدم إفادة التقوى ، هذا وسبب التقوى فى مثل زيد قام على ما ذكره السكاكى هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعى أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إلى ذلك المبتدأ ، صرفه ذلك المبتدأ إلى نفسه سواء كان خالياً عن الضمير أو متضمناً له فينعقد بينهما حكم ، ثم إذا كان متضمناً لضميره المعتد به بأن لا يكون مشابهاً للخالى عن الضمير كما فى زيد قائم . صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً فيكتسب الحكم قوة ، فعلى هذا يختص التقوى بما يكون مسنداً إلى ضمير المبتدأ ويخرج عنه نحو : زيد ضربته ، ويجب أن يجعل سلبياً . وأما على ما ذكره عبد القاهر فى دلائل الإعجاز وهو أن الاسم لا يؤتى به معرى عن العوامل إلا لخديث قد نوى إسناده إليه ، فإذا قلت زيد فقد أشعرت قلب السامع بأنك تريد الإخبار عنه ، فهذا توطئة له وتقديم الإعلام به ، فإذا قلت قام دخل فى قلبه دخول المأنوس وهذا أشد للثبوت . أ منع من الشبهة والشك . وبالجملة ليس الإعلام بالشئ بغتة مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه والتقدمة ، فإن ذلك يجرى بجرى تأكيد الإعلام فى التقوى ، فيدخل فيه نحو زيد ضربته وزيد مررت به (لما مر) فتسكون اسمية لإفادة الثبوت وفعلية لإفادة التجدد ، قال السكاكى : وما تسمع من تفاوت الجملتين الفعلية والإسمية تجدداً وثبوتاً هو يطلعك على أنه حين ادعى المناقون الإيمان

إِذْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ بِالْفِعْلِ عَلَى الْأَصَحِّ . وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ : فَلِأَنَّ ذِكْرَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ  
أَهَمُّ كَمَا مَرَّ . وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ نَحْوُ : لَا فِيهَا غَوْلٌ ؛  
أَيُّ بِخِلَافِ حُجُورِ الدُّنْيَا ، وَلِهَذَا لَمْ يُقَدِّمِ الظَّرْفُ فِي نَحْوِ : لَا رَيْبَ فِيهِ ،  
لِتَلَّا يُفِيدُ ثُبُوتَ الرَّيْبِ فِي سَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ مِنْ أَوَّلِ  
الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لَا نَعْتَ كَقَوْلِهِ :

بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جائين به جملة فعلية ، على معنى أحدنا الدخول  
في الإيمان ، وأعرضنا عن الكفر ليروج ذلك عنهم كيف طبق المفصل في رد  
دعواهم الكاذبة قوله تعالى : وما هم بمؤمنين ، حيث جرى به جملة اسمية ومع الباء  
وعلى تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه جل وعلا عنهم  
وهو : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ،  
تفاوتاً إلى جملة فعلية وهي آمنا ، وإلى اسمية ومع إن وهي إنا معكم ، كيف أصاب  
شاكلة الرمي ، وعلى أن إبراهيم حين أجاب الملائكة عن قولهم له سلاماً بالنصب  
بقوله لهم سلام بالرفع ، كيف كان عاملاً بالذي يتلى عليك في القرآن المجيد : وإذا  
حييتهم بنحية لحياها أحسن منها . وتكون شرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة  
من أدوات الشرط ( إذ هي إلى آخره ) يعني إنما قلنا إن الظرفية يثبت بها  
اختصار الفعلية لأن الظرف في قولنا زيد عندك مقدر بالفعل على الأصح فصار  
في تأويل الجملة لا بالاسم حتى يكون الظرف في تأويل المفرد ( فلتخصيصه بالمسند  
إليه ) أي لقصر المسند إليه على المسند ( نحو لا فيها غول ) مثله قوله عز وعلا :  
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ، وقولك لمن يقول زيد إما قائم وإما قاعد فيرده بين القيام  
والقعود من غير أن يخصه بأحدهما قائم هو ( أي بخلاف خمور الدنيا ) فإنها تغتال  
العقول ( وأول التنبيه إلى آخره ) قال السكاكيني وإنما يصر إلى هذا التنبيه لأن الظرف



لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ  
أَوْ التَّفَاوُلِ ، أَوْ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :  
ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهَا تَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ  
﴿ تَنْبِيهِ ﴾ كَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرَ فِي هَذَا الْبَابِ وَالَّذِي قَبْلَهُ غَيْرُ مُخْتَصَرٍ  
بِهِمَا ، كَالَّذِ كَرَّ ، وَالْحَذْفِ وَغَيْرِهِمَا ؛ وَالْفَطْنُ إِذَا أَتَقَنَ اعْتِبَارَ ذَلِكَ فِيهِمَا  
لَا يَخْنَى عَلَيْهِ اعْتِبَارُهُ فِي غَيْرِهَا .

بتأخره عن المنكر يكون بالحل على الوصف أولى منه بالحل على الخبر للأمرين  
بتعاضدان في ذلك ، استدعاء المنكر في مقام الابتداء أن يوصف ليتقوى بذلك  
فائدة الحكم ، وصلاحيية الظرف أن يكون من صفاته ، ولذلك لا يجب تقديم  
الظرف على المنكر إذا كان موصوفاً ، قال الله تعالى : وأجل مسمى عنده ،  
( كنوله له همم ) وقوله تعالى : ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ،  
وقول الشاعر :

نَسُكٌ جَدِيدٌ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنْتَى وَجَدْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ  
والبَيْتَ الْحَسَنَ مِنْ ثَابِتٍ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( أَرِ النَّفَاوِلَ ) نَحْوُ :  
سَمِدَتْ بِغُرَّةٍ وَجْهَكَ الْأَيَّامُ \*

( أَرِ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ) قَالَ السَّكَاكِيُّ : وَحَقُّ هَذَا الْاِعْتِبَارِ تَطْوِيلُ  
الْكَلَامِ فِي الْمُسْنَدِ وَالْأَلَمْ يَحْسُنْ ذَلِكَ الْحَسَنُ ( كَقَوْلِهِ ثَلَاثَةٌ ) وَقَوْلُ الْآخَرِ :  
وَكَاثِلَاتُ الْحَيَاةِ فَمِنْ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانٌ

﴿ أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ﴾

الْفِعْلُ مَعَ الْمَفْعُولِ كَالْفِعْلِ مَعَ الْفَاعِلِ ، فِي أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ  
إِفَادَةُ تَكْبِيهِ بِهِ ، لَا إِفَادَةُ وَقُوعِهِ مُطْلَقًا ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ فَالْغَرَضُ  
إِنْ كَانَ إِنْبَاءتُهُ لِفَاعِلِهِ ، أَوْ نَفْيِهِ عَنْهُ مُطْلَقًا ، نُزِّلَ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ ، وَلَمْ  
يُقَدَّرْ لَهُ مَفْعُولٌ ، لِأَنَّ الْمُقَدَّرَ كَالْمَذْكُورِ ؛ وَهُوَ ضَرْبَانِ : لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُجْعَلَ  
الْفِعْلُ مُطْلَقًا كِنَايَةً عَنْهُ مُتَعَلِّقًا بِمَفْعُولٍ مَحْصُوصٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ قَرِينَةٌ  
أَوْ لَا ، الثَّانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى : قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟

والبيت لمحمد بن وهيب يمدح المصنف بالله (الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل)  
أصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز جعله تمهيداً للكلام على  
حذف المفعول والعبارة الواضحة أن يقال : إن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى  
إليه حاله مع الفاعل . فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل ، كان غرضك أن  
تفيد وقوعه منه ، لأن تفيد وجوده في نفسه فقط ، كذلك إذا عديته إلى المفعول  
كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل  
فيهما لما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة  
وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، أما إذا  
أريد الإخبار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يعلم بمن وقع أو على من وقع  
فالعبارة عنه أنه يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو وجد أو نحو ذلك من  
ألفاظ تفيد الوجود المجرد . . . وإذا قد عرفت هذا فاعلم أن الفعل المنعدي إذا  
أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول ، فإما أن يكون الغرض إنبات المعنى في نفسه

السَّكَاكِ : ثُمَّ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ خِطَابِيًّا لَا اسْتِدْلَالِيًّا أَفَادَ ذَلِكَ مَعَ التَّعْمِيمِ ، دَفْعًا لِلتَّحَكُّمِ ، وَالْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْبُحْثَرِيِّ فِي الْمُقْتَرَضِ بِاللَّهِ :

للفاعل من غير اعتبار عمومته وخصوصه ، ولا اعتبار تعلُّقه بمن وقع عليه . وأما أن لا يكون كذلك ، فإن كان الأول كان المتعدي بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول ، لأن ذكره ينقض الغرض ، ألا ترى أنك لو قلت هو يعطى الدنانير كان المعنى بيان جنس ما تناوله الإعطاء نفسه ، لا بيان كونه معطياً ، ولا يقدر أيضاً لأن المقدّر في حكم المذكور ، وهذا النوع قسيمان : قسم هو مثل قوله تعالى : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . المعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على مفعول ، وقوله تعالى : وأنه هو أغنى وأقنى ، وقوله : وأنه هو أمات وأحيا ، على معنى أنه الذى منه الإغناء والإقناء والإحياء والإماتة . وهنا قال السكاكى : إذا كان المقام خطابياً يكتفى فيه بمجرد الظن لاستدلالية يطلب فيه اليقين البرهاني ، أفاد ذلك مع العموم في أفراد الفعل بعلة إيهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فهما تحكّم ، ثم جعل قولهم في المبالغة فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع محتملاً لذلك ولتعميم المفعول ، وعنده الشيخ عبد القاهر مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار بشيء من ذلك . وقسم هو أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه ، إما لجرى ذكر ، أو دليل حال ، إلا أنك تنسبه نفسك وتخفيه ، وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء ، أو تعرض فيه لمفعول ، وهذا هو ما أراه المصنف بقوله أن يجعل الفعل مطلقاً كناية عنه متعلقاً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة . ومثاله قول السحترى يمدح المعتر بالله ويعرض المستعين بالله :

شَجَّوْهُ حُسَّادِهِ وَغَيِظُ عِدَائِهِ \* أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ  
أَيُّ أَنْ يَكُونَ ذُو رُؤْيَا وَذُو سَمْعٍ ، فَيُدْرِكَ مَحَاسِنَهُ وَأَخْبَارُهُ الظَّاهِرَةَ  
الدَّالَّةَ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الْإِمَامَةَ دُونَ غَيْرِهِ فَلَا يَجِدُوا إِلَى مُنَازَعَتِهِ سَبِيلًا ،  
وَالْإِلَّا وَجِبَ التَّقْدِيرُ بِحَسَبِ الْقَرَأَيْنِ . ثُمَّ احْذَفْ إِمَّا لِلْبَيَانِ بَعْدَ

شجوه حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع  
المعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره ، بيد أنه تغافل  
عن ذلك ، لأنه أراد أن يقول محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصير  
لكثرتها وأشهارها ، ويكفي في معرفة أنها سبب لاستحقاقه الإمامة دون  
غيره ، أن يقع عليها بصر ويعنيها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد ،  
لحساده وأعدائه يتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع  
بها كي يخفى استحقاقه للإمامة ، فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها ، ومن  
هذا قول طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُرْلِفَتْ بَيْنَا نَعْمُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتْ  
أَبْوَا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنًا تَلَاقَى الَّذِي لَأَقُوهُ مِنَّا لَمَكَّتْ  
هُمْ خَلَطُونَا بِالْفُؤُسِ وَالْجَنُّوا إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَلَتْ وَأُظْلَمَتْ  
فقد حذف المفعول في أربعة مواضع ، لأن الأصل لم نمتنا وألجونا وأدفلتنا  
وأظلمتنا ، إلا أنه كالمتناسي حتى كأن لا قصد إلى مفعول وكان الفعل أهم أمره  
فلم يقصد به شيء يقع عليه ، وإن كان الثاني وهو أن يكون الغرض إفادة  
تعلقه بمفعول وجب تقديره بحسب القرائن ، ثم حذفه من اللفظ إما للبيان بعد  
الإبهام كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، كقولك لو شئت  
جئت أو لم أجي . أي لو شئت . الخ . أو عديم المجيء . فإنك متى قلت لو

الْإِبْهَامِ كَمَا فِي قِتْلِ الشَّيْثَةِ ، مَا لَمْ يَكُنْ تَعْلُقُهُ بِهِ غَرِيبًا ، نَحْوُ : فَلَوْ شَاءَ  
لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ، بِخِلَافِ نَحْوِ : \* وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ \*  
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

شِئْتُ عِلْمَ السَّامِعِ أَنَّكَ عُلِقْتَ الْمَشِيشَةَ بِشَيْءٍ فَيَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنْ هُنَاكَ شَيْئًا تَعْلَقُ  
بِهِ مَشِيشَتَكَ بَأَنْ يَكُونَ أَوْ لَا يَكُونَ ، فَإِذَا قُلْتَ جِئْتُ أَوْ لَمْ أَجِءْ عَرَفَ ، ذَلِكَ  
الشَّيْءَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : مَنْ يَشَأْ اللَّهُ  
يُضِلَّهُ ، وَقَوْلُ طَرْفَةِ :

فَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلْتُ

مُخَافَةَ تَلَوِيٍّ مِنَ الْقَدِّ مُخَصَّدٍ (١)

وقول البحرى :

لَوْ شِئْتُ عُدْتُ بِلَادَ تَجْدٍ عَوْدَةً . فَحَلَلْتُ بَيْنَ عَمِيقِهِ وَزُرُودِهِ  
وقوله أيضاً :

لَوْ شِئْتُ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ

فَإِنْ كَانَ فِي تَعْلُقِ الْفِعْلِ بِهِ غَرَابَةٌ ، ذَكَرْتُ الْمَفْعُولَ لِتَقَرُّرِهِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ  
وَتَوَاضُعِهِ ، يَقُولُ الرَّجُلُ يَخْبِرُ عَنْ عِزِّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُرْدَ عَلَى الْأَمِيرِ رَدَدْتُ ،  
وَلَمَّا شِئْتُ أَنْ أُلْقَى الْخَافِيفَةُ كُلُّ يَوْمٍ لَقِيْتَهُ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْخَزَّيْمِيِّ يَرِثُ أَبَا الْهَيْدَامِ :  
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

(١) الْإِرْقَالُ : سُرْعَةُ السَّيْرِ ، وَنَاقَةُ مَرْقَالٍ وَمَرْقَلَةٌ : سَرِيعَةٌ ، وَالْقَدُّ :

السُّوْطُ مِنَ الْجِلْدِ ، وَالْمُخَصَّدُ : كَالْمَلْوِيِّ الْمَفْتُولِ .

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ بِكَ كَيْتُ تَفَكُّرِي  
فَلَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ الْبُكَاءَ الْحَقِيقِيَّ ، وَإِنَّمَا لِدَفْعِ تَوَهُّمِ إِرَادَةِ  
غَيْرِ الْمُرَادِ ابْتِدَاءً كَقَوْلِهِ :

وَكَمْ ذُدَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَدِيثِ وَسُورَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظَمِ  
إِذْ لَوْ ذُكِرَ اللَّحْمُ لَرُبَّمَا تَوَهُّمَ قَبْلَ ذِكْرِهِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الْحَزَّ لَمْ يَنْتَهَ

فلما كان أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً بدءاً عجيباً ، صرح بذكره ليقرره  
في نفس السامع ويؤنسه ، فأما قول أبي الحسين علي بن أحمد الجوهري أحد  
شعراء الصاحب بن عباد :

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ بِكَ كَيْتُ تَفَكُّرِي  
فَلَيْسَ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ أَلْ يَقُولُ فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ تَفَكُّرًا بِكَ كَيْتُ تَفَكُّرِي ،  
وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ أَفَنَأَيَّ النَّحْوِ فَلَمْ يَبْقَ مِنِّي وَفِي غَيْرِ خَوَاطِرٍ تَجُولُ ، حَتَّى  
لَوْ شِئْتُ الْبُكَاءَ فَرَبِيتُ جَفَوْنِي وَعَصَرْتُ عَيْنِي لَيْسِيلَ مِنْهَا دَمْعٌ لَمْ أَجِدْهُ وَيَخْرُجُ  
بَدَلَ الدَّمْعِ التَّفَكُّرُ ، فَالْمُرَادُ بِالْبُكَاءِ فِي الْأَوَّلِ الْحَقِيقِيَّ ، وَفِي الثَّانِي غَيْرَ الْحَقِيقِيَّ ،  
فَالثَّانِي لَا يَصْلَحُ لِأَنَّهُ يَكُونُ تَفْسِيرًا لِلأَوَّلِ ، وَلِأَنَّ الدَّمْعَ أَنْ يَتَوَهُّمَ السَّامِعُ فِي أَوَّلِ  
الْأَمْرِ إِرَادَةَ شَيْءٍ غَيْرِ الْمَزَادِ . كَقَوْلِ الْبَاحْتَرِي فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا :

هَ أَعْنُ سَفَهَ يَوْمَ الْإِبْرَقِ أَمْ حِلْمِ

وهو يذكر محاسبة الممدوح عليه وصيائمه له ، ودفعه نواصب الزمان عنه  
وَكَمْ ذُدَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَدِيثِ وَسُورَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظَمِ  
إِذْ لَوْ قَالَ حَزَزْنَ اللَّحْمَ لَجَازَ أَنْ يَتَوَهُّمَ السَّامِعُ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الْحَزَّ  
كَانَ فِي بَعْضِ اللَّحْمِ وَلَمْ يَنْتَهَ إِلَى الْعَظَمِ ، فَتَرَكْ ذِكْرَ اللَّحْمِ لِيَرَى السَّامِعُ مِنْ  
هَذَا التَّوَهُّمِ وَيَجْعَلُهُ بَحْثًا يَقَعُ الْمُنَى مِنْهُ فِي أَنْفِ النَّبِيهِ وَيَصُورُ فِي نَفْسِهِ مِنْ أَوَّلِ

إِلَى الْعَظَمِ . وَإِمَّا لِأَنَّهُ أُريدَ ذِكْرُهُ ثَانِيًا عَلَى وَجْهِهِ يَتَضَمَّنُ إِيقَاعَ الْفِعْلِ  
عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ ، إظهاراً لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْكَ فِي السُّورِ \* دَدِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا  
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ تَرْكُ مُوَاجَهَةِ الْمَدْحِ بِطَلَبِ مِثْلِ لَهُ ؛ وَإِمَّا  
لِلتَّعْمِيمِ مَعَ الْإِخْتِصَارِ كَقَوْلِكَ : قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلَمُ ، أَيْ كُلِّ أَحَدٍ ،  
وَعَلَيْهِ : وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَلِيلِ السَّلَامِ . وَإِمَّا لِمَجَرَّدِ الْإِخْتِصَارِ عِنْدَ قِيَامِ

الأمر أن الحز مضمي في اللحم حتى لم يردده إلا العظم ، وإما لأنه أُريدَ ذكره  
ثَانِيًا عَلَى وَجْهِهِ يَتَضَمَّنُ إِيقَاعَ الْفِعْلِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ ، إظهاراً لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ  
بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِ الْبَاجِزِيِّ أَيْضاً :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْكَ فِي السُّورِ دَدِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا  
الْمَعْنَى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا ثُمَّ حَذَفَ الْمِثْلَ ، إِذْ كَانَ غَرَضُهُ أَنْ يَوْقَعَ نَفْيُ  
الْوُجُودِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِ الْمِثْلِ ، وَلِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى بَعِيْنُهُ عَكْسُ ذَوَالرَّمَةِ فِي قَوْلِهِ :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشِعْرِي لَنِيْمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا  
فِيْنَهُ أَعْمَلَ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ أَمْدَحُ فِي صَرِيحِ لَفْظِ اللَّيْمِ ، وَالثَّانِي الَّذِي  
هُوَ أَرْضَى فِي ضَمِيرِهِ ، إِذْ كَانَ غَرَضُهُ إِيقَاعُ نَفْيِ الْمَدْحِ عَلَى اللَّيْمِ صَرِيحاً دُونَ  
الْإِرْضَاءِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ الْحَذْفِ فِي بَيْتِ الْبَاجِزِيِّ قَصْدُ الْمُبَالَغَةِ فِي  
التَّأْدِيبِ مَعَ الْمَدْحِ بِتَرْكِ مُوَاجَهَتِهِ بِالتَّصْرِيحِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَجَوُّزِ أَنْ يَكُونَ لَهُ  
مِثْلٌ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَطْلُبُ إِلَّا مَا يَحْجُوزُ وَجُودَهُ .

قَرِينَةٍ ، نَحْوُ : أَصَغَيْتُ إِلَيْهِ ، أَيْ أَذْنِي ، وَعَلَيْهِ : أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، أَيْ ذَاتَكَ ، وَإِمَّا لِلرَّتَابَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ ، نَحْوُ : مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ، وَإِمَّا لِاسْتِهْجَانِ ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى مَيِّ ، أَيْ الْعَوْرَةِ ، إِمَّا لِلسَّكَنَةِ أُخْرَى . وَتَقْدِيمُ مَفْعُولِهِ وَنَحْوِهِ عَلَيْهِ ، لِرَدِّ الْخَطَأِ فِي التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِكَ : زَيْدًا عَرَفْتُ ، لَعِنَ اعْتَقَدَ أَنَّكَ عَرَفْتَ إِنْسَانًا ، وَأَنَّهُ غَيْرُ زَيْدٍ ، وَتَقُولُ لِنَأْ كَيْدِهِ لَا غَيْرُهُ . وَلِلذَلِكَ لَا يَقَالُ : مَا زَيْدًا

وقد بين المصنف بقية أسباب الحذف بقوله وإما للتعميم إلى آخره ( نحو ماودعك ربك وما قلى ) أى ما قلاك . وقال صاحب الكشف : حذف المفعول في مثل هذا اختصار لفظي للعلم به . وقال بعضهم : إن الحذف هنا لترك مواجهته عليه السلام بإيقاع لفظ القلى على ضميره ولو كان منفياً ولم يفعل ذلك فى ودع لأن لفظ ودع ليس كلفظ قلى ( وإما لسكنة أخرى ) كالتمكن من إنكاره إن مست الحاجة إليه أو تعينه أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك ، قال الله جل شأنه : لينذر بأساً شديداً ، أى لينذر الذين كفروا الحذف لتعينه ، ولأن الغرض هو ذكر المنذر به ( ونحوه ) من الجار والظرف والحال وغيرها من سائر المعمولات ( عليه ) أى على الفعل ( ارد الخطأ فى التعيين ) أى لرد المتكلم خطأ المخاطب فى ظنه وقوع الفعل على مفعول معين . وقد يكون لرد الخطأ فى ظن الاشتراك فى المفعول ، فتقوا زَيْدًا عَرَفْتُ ، لمن اعتقد أنك عرفت زَيْدًا وعمراً ( ولهذا لا يقال ما زَيْدًا ضربت ولا غيره ) الناقضة دلالة الأول والثانى . وهذا كما هو ظاهر عند إرادتك أن ترد على المخاطب فى اعتقاده وقوع الضرب منك على زيد ، أما إذا لم ترد ذلك فإنه يجوز لك أن تقول : ما زَيْدًا ضربت ولا غيره .



ضَرَبْتُ وَلَا غَيْرُهُ ، وَلَا مَازِيدًا ضَرَبْتُ وَلَكِنْ أَكْرَمْتُهُ ، وَأَمَّا نَحْوُ زَيْدًا  
عَرَفْتُهُ فَتَأْكِيدٌ ، إِنْ قُدِّرَ الْمَفْسَرُ قَبْلَ الْمَنْصُوبِ ، وَإِلَّا فَتَخْصِصٌ . وَأَمَّا  
نَحْوُ : وَأَمَّا ثُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ ، فَلَا يُفِيدُ إِلَّا التَّخْصِصَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ يَزِيدُ

( ولا مازيداً ضربت ولكن أكرمته ) لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع في الفعل بأنه الضرب فترده إلى الصواب بأنه الإكرام وإنما هو على أن الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد فردّه إلى الصواب أن تقول ولكن عمراً ( إن يُقدر المفسر قبل المضروب ) فكان الأصل عرفت زيدا عرفته ( وإلا ) أى وإن لم يقدر المفسر قبل المنصوب بل قدر بعده فكان الأصل زيدا عرفت عرفته ( فتخصيص ) لأن المقدر كالمذكور فكأن تقدم المفعول على الفعل المذكور يفيد الاختصاص كذلك تقديمه على المقدر . « وبعد » فقد علمت أن نحو زيدا عرفته يحتمل التخصيص وبمجرد التأكيّد والقرينة هي المفعول عليها في إفادة أحدهما ، وإذا دلت على التخصيص كان في هذا التركيب أبلغ منه في نحو : زيدا عرفت . لما فيه من التكرير المفيد للتأكيّد . ومعلوم أن ليس التخصيص إلا تأكيّداً على تأكيّد ، فيتقوى بازدياد التأكيّد لا محالة ، ومن هنا قال صاحب الكشف في قوله جل شأنه : وإياي فارهبون ، أنه من باب زيدا وهيبته وهو أؤكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد ( فلا يفيد إلا التخصص ) لامتناع تقدير ، أما هدينا ثمود لا إزمامهم وجود فاصل بين ألما والهاء . « وبعد » فالظاهر أن مثل هذا التقديم ليس للتخصيص لأنه ليس الغرض إنا هدينا ثمود دون غيرهم ردّاً على من زعم الاشتراك أو انفراد الغير بالهداية ، وإنما الغرض إثبات أصل الهداية لهم ثم الإخبار عن سوء صنيعهم ( وكذلك قولك يزيد مررت ) فإنه يفيد أن سامعك كان يعتقد مرورك

مَرَرْتُ . وَالتَّخْصِصُ لَا زِمَ لِلتَّقْدِيمِ غَالِباً وَهَذَا يُقَالُ فِي : إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ ، مَعْنَاهُ تَخَفُّصُكَ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ ، وَفِي : لَا إِلَى اللَّهِ تَحْشُرُونَ ،  
مَعْنَاهُ إِلَيْهِ تَحْشُرُونَ لَا إِلَى غَيْرِهِ ؛ وَيُفِيدُ فِي الْجَمِيعِ وَرَاءَ التَّخْصِصِ اهْتِمَاماً

يُغَيِّرُ زَيْدَ فَازَلْتُ عَنْهُ الْخَطَأَ مَخْصِصاً مَرُورَكَ بِزَيْدٍ دُونَ غَيْرِهِ ( غَالِباً ) يُرِيدُ أَنَّ  
التَّقْدِيمَ قَدْ لَا يَكُونُ الْاِخْتِصَاصُ بِأَنْ يَكُونَ لِمُرَاعَاةِ نَظْمِ الْكَلَامِ مِثْلاً وَذَلِكَ أَنْ  
يَكُونَ نَظْمُهُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِالتَّقْدِيمِ مِثْلَ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا : خَذُوهُ فَعْلُوهُ ثُمَّ الْجَمِيعُ  
صَلُوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةِ ذُرْعَاهَا سَبْعُونَ ذُرْعاً فَاسْلُكُوهُ ، وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : وَإِنْ  
عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ . إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا  
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ . إِلَى غَيْرِهِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَا يَحْسُنُ فِيهَا اعْتِبَارُ التَّخْصِصِ  
لِنُبُوِّ الْمَقَامِ عَنْهُ ، كَمَا نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ صَاحِبُ الْمَثَلِ السَّائِرِ ( وَيُفِيدُ فِي الْجَمِيعِ  
وَرَاءَ التَّخْصِصِ اهْتِمَاماً بِالْمَقْدَمِ ) قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ وَهُوَ يَذْكُرُ الْفَاعِلَ  
وَالْمَفْعُولَ : — كَأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ الَّذِي شَأْنُهُمْ أَهَمُّ وَهُمْ بِدَيَانَةِ أَعْنَى « وَبَعْدَ ، فَقَدْ  
قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ فِي دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ : أَعْلَمُ أَنَا لَمْ نَجِدْهُمْ اعْتَمَدُوا فِي التَّقْدِيمِ شَيْئاً  
يَجْرَى بِجَرَى الْأَصْلِ غَيْرَ الْعَنَاءِ وَالِاهْتِمَامِ ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَفْسَرْ وَجْهَ الْعَنَاءِ  
بشَيْءٍ وَيَعْرِفَ لَهُ مَعْنًى ، وَقَدْ وَقَعَ فِي ظَنُونِ النَّاسِ أَنَّهُ يَكْفِي أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ قَدْ  
لِلْعَنَاءِ ، وَلَئِنْ ذَكَرَهُ أَهَمُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ مِنْ أَيْنَ كَانَتْ تِلْكَ الْعَنَاءُ وَلَمْ تَكُنْ  
أَهَمُّ ، وَمِنَ الْخَطَأِ أَيْضاً أَنْ يَجْعَلَ التَّقْدِيمَ مَفِيداً فِي كَلَامٍ فَائِدَةٌ وَغَيْرُ مَفِيدٍ فِي  
آخِرٍ ، وَأَنْ يَعْطِلَ تَارَةً بِالْعَنَاءِ ، وَآخَرَى بِأَنَّهُ تَوْسِيعَةٌ عَلَى الشَّاعِرِ وَالْكَاتِبِ ،  
حَتَّى تَطْرُدَ هَذَا قَوَافِيهِ ، وَلِذَاكَ سَجَّعَهُ ، ذَاكَ لِأَنَّ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يَكُونَ فِي جُمْلَةٍ

بِالْمُقَدَّمِ ، وَلِهَذَا يَقْدَرُ فِي بِسْمِ اللَّهِ مُؤَخَّرًا ، وَأُورِدَ : اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ  
وَأَجِيبَ بِأَنَّ الْأَهَمَّ فِيهِ الْقِرَاءَةُ ، وَبِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِاقْرَأِ الثَّانِي ، وَمَعْنَى الْأَوَّلِ  
أَوْجِدِ الْقِرَاءَةَ . وَتَقْدِيمُ بَعْضِ مَعْمُولَاتِهِ عَلَى بَعْضٍ لِأَنَّ أَصْلَهُ التَّقْدِيمُ  
وَلَا مُقْتَضَى لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، كَالْفَاعِلِ فِي نَحْوِ : ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَالْمَفْعُولِ  
الْأَوَّلِ فِي نَحْوِ : أُعْطِيتُ زَيْدًا دِرْهَمًا ، أَوْ لِأَنَّ ذِكْرَهُ أَهَمُّ كَقَوْلِكَ :

النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى ( ولهذا يقدر في بسم الله مؤخرًا ) ليفيد  
مع الاختصاص الاهتمام ، لأن المشركون كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم فقصده  
الموحد تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرد عليهم ( وأورد اقرأ باسم )  
فإن الفعل فيه مقدم ( وأجيب بأن الأهم فيه القراءة ) لأنها أول سورة  
نزلت ، فكان الأمر بالقراءة أهم من الأمر باختصاص القراءة باسم الله ، إذ  
لا يناسب المقام وأصل هذا لصاحب الكشف . ( وبأنه إلى آخره ) هذا  
ما أجاب به السكاكي وإليك عبارته . الوجه عندى أن يحمل اقرأ على معنى  
افعل القراءة وأوجدها ، على نحو ما تقدم في قولهم فلا يعطى ويمنع في أحد  
الوجهين غير معدى إلى مقروء به ، وأن يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى  
بعده . ولا يذهب عليك أن ما ارتآه الزنخشرى هو بالبلاغة ألصق بنظم القرآن  
أليق ( أو لأن ذكره أهم ) قال فى الإيضاح : فيقدم المفعول على الفاعل  
إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه بمن وقع  
منه كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الأذى والقتل ،  
وأردت أن تحجب بقتله فتقول قتل الخارجى فلان بتقديم الخارجى ، إذ ليس للناس  
فائدة فى أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا  
من شره . ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل بمن

قَتَلَ الْمَاجِجِيَّ فَلَانَ ، أَوْ لِأَنَّ فِي التَّأخيرِ إِخْلَالًا بَدِيانِ الْمَعْنَى ، نَحْوُ :  
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، فَإِنَّهُ لَوْ أَخْرَجْنَا آلَ  
فِرْعَوْنَ عَنْ قَوْلِهِ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ لَشَوْهَهُمْ أَنَّهُ مِنْ صِلَةِ يَكْتُمُ ، فَلَمْ يُنْمِئْهُمْ  
أَنَّهُ مِنْهُمْ ، أَوْ بِالتَّنَاسُبِ كَرِعايَةِ الْفَاصِلَةِ نَحْوُ : فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ  
خِيفَةً مُوسَى .

وقع منه لا وقوعه بمن وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر  
فيه أن يقتل أو يقتل رجلاً وأردت أن تخبر بذلك فتقول قتل فلان رجلاً بتقديم  
القاتل ، لأن الذي يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ،  
ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل  
من حيث كان واقعاً بمن وقع منه ، وعليه قوله تعالى : ولا تقتلوا أولادكم من  
إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، وقوله جل شأنه : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق  
نحن نرزقهم وإياكم . قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى  
للفقراء بدليل قوله تعالى : من إملاق ، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق  
أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية  
للأغنياء بدليل قوله خشية إملاق ، فإن الخشية إنما تكون بما لم يقع فكان  
رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم ، لأنه حاصل فكان أهم ، فقدم الوعد  
برزق أولادهم على الوعد برزقهم ( أو بالتناسب ) أى أو لأن في التأخير  
إخْلالاً بالتناسب ( نحو فأوجس ) الآية ، فقدم خيفة على موسى مع أنه فاعل  
لرعاية ما بعده وما قبله من الفواصل المختومة بالافتتاح لو أخر خيفة لقات ذلك

﴿ الْقَصْر ﴾

الْقَصْرُ حَقِيقٌ ، وَغَيْرُ حَقِيقٍ ، وَكُلُّهُمَا نَوْعَانِ : قَصْرُ الْمُوصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ ، وَقَصْرُ الصِّفَةِ عَلَى الْمُوصُوفِ ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَ الْحَقِيقِيِّ نَحْوُ : مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ إِذَا أُريدَ أَنَّهُ لَا يَتَّصِفُ بِغَيْرِهَا وَهُوَ لَا يَكْذِبُ يُوْجَدُ لِتَعَزُّرِ الْإِحَاطَةِ بِصِفَاتِ الشَّيْءِ ، وَالثَّانِي كَثِيرٌ نَحْوُ : مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ ، وَقَدْ يُقْصَدُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ ، لِعَدَمِ الْإِعْتِدَاءِ بِغَيْرِ الْمَذْكُورِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ غَيْرِ الْحَقِيقِيِّ تَخْصِيسُ أَمْرٍ بِصِفَةٍ دُونَ أُخْرَى أَوْ مَكَانَهَا ، وَالثَّانِي تَخْصِيسُ صِفَةٍ بِأَمْرٍ دُونَ أُخْرٍ أَوْ مَكَانَهُ ؛ فَكُلُّهُمَا

(القصر) في اصطلاح البيهقيين تخصيص شيء بشيء بطريق معهود (حقيق) بأن يكون تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوز أصله (وغير حقيق) وهو الإضافي بأن يكون بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر (والمراد المعنوية) يقول : إن الصفة هنا يراد بها المعنى القائم بالذات لا النعت النحوي وهو التابع الذي يدل على معنى في متبوعه غير الشمول (بغيرها) أي بغير الكتابة (لتعذر الإحاطة بصفات الشيء) وإذن فلا يمكن إثبات شيء منها وثبت ما عداه (وقد يقصد به المبالغة) كما يقصد بقولنا ما في الدار إلا زيد ، أن جميع من في الدار من عدا زيدا في حكم المعدوم (فكل منهما) أي كل قسم من قسمي الإضافي وهما قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة

ضَرْبَانِ ، وَالْمُخَاطَبُ بِالْأَوَّلِ مِنْ ضَرْبَيْنِ كُلٌّ مِنْ يَعْتَقِدُ الشَّرِكَةَ  
وَيُسَمَّى قَصْرَ إِفْرَادٍ لِقَطْعِ الشَّرِكَةِ ، وَبِالثَّانِي مَنْ يَعْتَقِدُ الْعَكْسَ وَيُسَمَّى  
قَصْرَ قَلْبٍ ، لِقَلْبِ حُكْمِ الْمُخَاطَبِ ، أَوْ تَسَاوِيَا عِنْدَهُ وَيُسَمَّى قَعْرَ تَعْيِينِ

على الموصوف (ضربان) الأول تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص  
صفة بأمر دون آخر والثاني تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة  
بأمر مكان آخر (من يعتقد الشركة) أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة  
وغيرها جميعاً في الأول واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة في الثاني  
فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ما  
شاعر إلا زيد من يعتقد أن زيدا شاعر لكن يدعى أن عمرأ أيضاً شاعر (من  
يعتقد العكس) أي عكس الحكم الذي أثبتته المتكلم فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا  
قائم من اعتقد اتصافه بالقعود دون القيام ، وبقولنا ما شاعر إلا زيد من اعتقد  
أن الشاعر عمرو ولا زيد (أو تساويا عنده) هو معطوف على قوله يعتقد العكس  
يقول : إن المخاطب بالثاني إما من يعتقد العكس أو من تساوى عنده الأمران  
أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة ، واتصافه بغيرها في الأمر واتصافه بها  
واتصاف غيره بها في الثاني ، فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من يعتقد اتصافه  
بالقيام أو القعود من غير علم بالتعيين ، وبقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن  
الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلمه على التعيين ، والحاصل ، أن تخصيص  
شيء بشيء دون آخر قصر لإفراد وتخصيص شيء بشيء مكان آخر إن اعتقد  
المخاطب فيه العكس قصر قلب ، وإن تساويا عنده قصر تعيين ، والذي نشعر به  
عبارة السكاكي أن القسمة ثنائية وأر ما جعله المصنف قسماً ثالثاً وسماه قصر  
تعيين منظوم في سلك قسمة الإفراد ، ونوع منه وهاك عبارته : حاصل معنى

وَشَرَطُ قَصْرِ الْمُوصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ إِفْرَادًا عَدَمُ تَنَافِي الْوَصْفَيْنِ ، وَقَلْبًا  
تَحَقُّقُ تَنَافِيهِمَا ، وَقَصْرُ التَّعْيِينِ أَعْمُ ؛ وَلِلْقَصْرِ طُرُقٌ : مِنْهَا الْعَطْفُ ، كَقَوْلِكَ  
فِي قَصْرِهِ إِفْرَادًا : زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ ، أَوْ مَا زَيْدٌ كَاتِبًا بَلْ شَاعِرٌ ،  
وَقَلْبًا : زَيْدٌ قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ ، وَمَا زَيْدٌ قَاعِدًا بَلْ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ  
لَا عَمْرُو ، أَوْ مَا عَمْرُو شَاعِرًا بَلْ زَيْدٌ . وَمِنْهَا النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ ، كَقَوْلِكَ

القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك  
زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعراً ومنجماً ، أو قولك زيد قائم لا قاعد لمن  
يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ويسمى هذا قصر أفراد أو بوصف  
مكان آخر كقولك لمن يعتد زيدا منجماً لا شاعراً ما زيد منجم بل شاعر ،  
أو زيد شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب ، أو إلى تخصيص الوصف بموصوف  
قصر أفراد أو قصر قلب والمثل ظاهره وهو كلام متين وتقسيم قريب ( عدم  
تنافي الوصفين ) ليمتصوا اعتقاد المخاطب اجتماعهما ، فتكون المنفية في قولنا  
ما زيد شاعر كونه كاتِباً أو منجماً أو نحو ذلك لا كونه مفجماً لا يقول الشعر  
( وقليلاً تحقق تنافيهما ) ليكون إثبات الصفة مشعراً بانتفاء غيرها فتكون المنفية  
في قولنا : ما زيد إلا قائم كونه قاعداً أو جالساً أو نحو ذلك لا كونه أسود  
أو أبيض ( وقصر التعيين أعم ) وإذن فكل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر  
الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين من غير عكس .  
« وبعد » فبعد أهمل السكاكي القصر الحقيقي وأدخل قصر التعيين في قصر  
الأفراد كما علمت ، فلم يشترط في قصر الموصوف أفراداً عدم تنافي الصفتين ،  
ولا في قصره قلباً تحقق تنافيهما وجبذاً صليغاً ، وكان أمس بالمصنف أن يحذو  
حذوه في ذلك كما لا يخفى على طبع الذكي وقلب الفطن ( كقولك في قصره

في قصره : مَا زَيْدٌ إِلَّا شَاعِرٌ ، وَمَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : مَا شَاعِرٌ إِلَّا زَيْدٌ ؛ وَمِنْهَا إِنَّمَا كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِه : إِنَّمَا زَيْدٌ كَاتِبٌ وَإِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : إِنَّمَا قَائِمٌ زَيْدٌ ، لِتَضْمِينِهَا مَعْنَى مَا وَإِلَّا ، اقْوِلِ الْمُتَسَرِّينَ : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ، بِالنَّصِّ ، مَعْنَاهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ إِلَّا الْمَيْتَةَ وَهُوَ الْمُطَابِقُ

مازید إلا شاعر إلى آخره ) قال الساكبي : وتحقيق وجه القصر في الأول أنه متى قيل مازید توجه النفي إلى صفته لادانته . لأن أنفس الذوات يتمتع بنفسها وإنما تنفي صفاتها كما بين ذلك في غير هذا العلم وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولها النفي . فإذا قيل إلا شاعر جاء القصر ، وفي الثاني أنه متى قيل ما شاعر فأدخل النفي على الوصف المسلم بثبوته ، أعني الشعر الغير من الكلام فيهما كزيد وعمر مثلاً توجه النفي إليهما ، فإذا قيل إلا زيد جاء القصر ( لتضمنها معنى ما وإلا ) يقول : إن السبب في إفادة إنما معنى القصر هو تضمنها معنى ما وإلا . والدليل على ذلك ثلاثة أوجه : أولها قول المفسرين في قوله تعالى : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ، فنصب الميئة إن المعنى ما حرم عليكم إلا الميئة . وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميئة المقتضية لانهصار التحريم على الميئة ، بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون موصولاً صلته حرم عليكم واقعاً اسماً لأن ويكون المعنى إن المحرم عليكم الميئة وقد سبق أن المنطوق زيد وزيد المنطوق ، كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق على زيد ؛ الثاني أنك ترى أئمة النحو يقولون إنما تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها ونفيّاً لمساواه . الثالث صحة انفصال الضمير معها كقولك إنما يضرب أنا مثله في ما يضرب إلا أنا . قال الفرزدق : أنا الزائد . . . البيت ، كما قال عمرو بن معد يكرب



لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ ، لِمَا مَرَّ ، وَلِقَوْلِ النُّجَاةِ : إِنَّمَا لِإِثْبَاتِ مَا يُذَكَّرُ بَعْدَهَا ،  
وَنَفْيِ مَا سِوَاهُ ، وَلِصِحَّةِ انفِصَالِ الضَّمِيرِ مَعَهَا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَنَا الدَّائِدُ الْحَامِي الذَّمَّارُ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي  
وَمِنْهَا التَّقْدِيمُ ، كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ : تَتِمِّمِي أَنَا ، وَفِي قَصْرِهَا : أَنَا كَفَيْتُ

قَدْ بَلَغْتَ سَلَمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أن الذي صنعه الفرزدق شيء لو لم يصنعه لم  
يصح له المعنى ، ذلك لأن غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه ، وأنه يزعم  
أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم كما يكون إذا قال  
وما أَدافع إلا عن أحسابهم ، وليس ذلك معناه ، إنما معناه أن يزعم أن المدافع  
هو لا غيره ، قال : ولا يجوز أن ينسب فيه إلى الضرورة فيجعل مثلاً نظير  
قول الآخر :

كَأَنَّا يَوْمَ فُرِّقَ إِنَّمَا نَقْتُلُ إِيَّانَا

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك من حيث أن أَدافع ويدافع واحد في  
الوزن . وهذا ، وقد نقل في تضمنها معنى ما وإلا مناسبة عن علي بن عيسى  
الرُبْعِي وهي أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت  
بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو . ناسب أن  
تضمن معنى القصر ، لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد ، فإن قولك زيد  
جاء لآخر ولم يردد المحيى الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد في الابتداء صريحاً  
وفي الآخر ضمناً ( أنا كفيت مهمك ) بمعنى وحدني إذا كنت تحاط به من  
يعتقد أنك وغيرك كفيهما مهمه ، وبمعنى لا غيري إذا كان المخاطب يعتقد

مُهِمَّكَ وَهَذِهِ الطَّرِيقُ تَخْتَلِفُ مِنْ وَجْهِهِ فِدَلَالَةُ الرَّابِعِ بِالْفَحْوَى ، وَالْبَاقِيَةُ  
بِالْوَضْعِ وَالْأَصْلِ فِي الْأَوَّلِ النَّصُّ عَلَى الْمُثَبَّتِ وَالْمُنْفَى كَمَا مَرَّ ، فَلَا يُتْرَكُ  
إِلَّا كَرَاهَةً الْإِطْنَابِ ، كَمَا إِذَا قِيلَ : زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَالتَّصْرِيفَ وَالْعَرُوضَ ،  
أَوْ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَعَمَرُو وَبَكْرٌ ، فَتَقُولُ فِيهِمَا زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لَا غَيْرُ  
أَوْ نَحْوُهُ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ الْبَاقِيَةِ النَّصُّ عَلَى الْمُثَبَّتِ فَقَطْ ، وَالنَّفْيُ لَا يُجَامِعُ

أَنْ غَيْرَكَ كَفَى مِهْمَهُ دُونَكَ (الرابع) وهو التقديم (بالفحوى) أى بمفهوم  
الكلام ، بمعنى أنه إذا تأمل من له الذوق السليم في مفهوم الكلام الذى فيه  
التقديم فهم منه القصر وإن لم يعرف أنه في اصطلاح البلغاء كذلك (والأصل  
إلى آخره) هذا هو الوجه الثانى من وجوه الاختلاف (فى الأول) وهو  
طريق العطف (كما مر) من الأمثلة ، فإن المعطوف عليه فى لا هو المَثْبُوت  
والمعطوف هو المنفى وفى بل بالعكس (زيد يعلم النحو لا غير) أما فى الأول  
فعنائه لا غير النحو وهو قائم مقام لا التصريف ولا العروض ، وأما فى  
الثانى فعنائه لا غير زيد وهو قائم مقام لا عمرو ولا بكر (أو نحوه) أى  
أو نحو لا غير مثل ليس إلا (والنفي إلى آخره) يقول الوجه الثالث من  
وجوه الاختلاف أن النفي بلا العاطفة لا يجامع النفي والاستثناء ، فلا يصح  
ما زيد إلا قائم لا قاعد ، لأن شرط جواز النفي بلا ، أن لا يكون ما قبلها  
منفياً بغيرها من أدوات النفي ، لأنها موضوعة لأن ينفى بها ما أوجبه المتبوع ،  
لا لأن تنفياً بها شيئاً قد نفى أولاً أو تنفى بها نفياً فنعود لإيجاباً ، وإذا كان  
ذلك كذلك تعذر أن ينفى بها بعد النفي والاستثناء . لأنك إذا قلت ما زيد  
إلا قائم ، فالغرض نفى كل صفة وقع فيها التنازع والصفة التى تنفيها بلا بعد  
هذا يجب أن تسكن بما رقع فيها النزاع ، وإلا خرجت عما يرأسى فى خطاب

الثاني ، لأنَّ شرطَ النفيِّ بلا أن لا يكون منفيًّا قبلها بغيرها ، ويُجامعُ  
الأخيرين ، فيقال : إنما أنا تميمي لا قيسي ، وهو يأتيني لا عمرو ، لأنَّ  
النفيَّ فيهما غيرُ مُصرَّحٍ به ، كما يقال امتنع زيد عن المجيء لا عمرو .  
السكاكي : شرطُ نجامعته للثالث أن لا يكون الوصف مختصًّا

العطف بها من إفادة الحصر أو تأكيد ، فإذا قلت مثلاً لاقاعد فقد نفيت بها شيئاً  
هو منفي قبلها بما النافية فلا يصح الإتيان بها بعد النفي والاستثناء ، وبصح الإتيان  
بها مع إنما والتقديم ، فتقول إنما زيد كاتب لاشاعر وهو يأتيني لا عمرو لأن النفي  
فيهما غير مُصرَّحٍ به وإنما صرح فيهما بالإثبات فلم يقبح تأكيد ما تضمناه والنفي  
بلا بخلاف ما ، وإلا فقد صرح فيهما بالنفي وحينئذ فالنفي الصريح ليس كالضمني  
يدل على ذلك أنه يقال امتنع زيد عن المجيء لا عمرو فيعطف على فاعل امتنع بلا ،  
فيفيد الكلام حصر الامتناع في زيد بواسطة العطف بلا ، وصح ذلك لأن  
صريح امتنع زيد لإثبات الامتناع ، فلفظ لا يفيد نفي ذلك الإثبات ، وأما نفي  
المجيء فهو ضمنى فجاز العطف بلا لكون النفي في امتنع ضمناً ولو صرح به  
وقيل لم يحى زيد لم يصبح أن يقال لا عمرو لأنه نفي للنفي فيكون إثباتاً ووضع  
لا للنفي لا للإثبات ( السكاكي إلى آخره ) وإليك عبارته : إذا جمعت  
لا العاطفة إنما جامعتهما بشرط وهو أن لا يكون الوصف بعد إنما يستجيب الذين  
يسمعون ، فإن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا لمن يسمع ويعقل وقوله :  
إنما أنت منذر من يخشاها ، فلا يخفى على أحد من به مسكك أن الإنذار إنما  
يكون إنداراً ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة  
وأهوالها ويخشى عتابها ، وقولهم : إنما يعجل من يخشى القوت ، فركز في العقول

بالموصوف ، نحو : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ . لَا تَحْسُنُ  
فِي الْمُخْتَصِّ كَمَا تَحْسُنُ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا أَقْرَبُ . وَأَصْلُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ  
مَا اسْتُعْمِلَ مِمَّا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَيُنْكَرُهُ ، بخلافِ الثَّالِثِ ، كَقَوْلِكَ  
لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَبَحًا مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ ، إِذَا اعْتَقَدَهُ غَيْرُهُ

أَنْ مَنْ لَمْ يَخْشِ الْقُوَّةَ لَمْ يَعِجِلْ ، وَإِذَا كَانَ لَهُ اخْتِصَاصٌ لَمْ يَصَحَّ فِيهِ اسْتِعْمَالُ  
لَا الْعَاطِفَةِ ، فَلَا تَقُلْ إِنَّمَا يَعِجِلُ مَنْ يَخْشَى الْقُوَّةَ لَا مَنْ يَأْمَنُ ( وَهَذَا أَقْرَبُ )  
يَقُولُ إِنْ كَلَامُ عَبْدِ الْقَاهِرِ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ عِبَارَةِ السَّكَكِ . . وَبَعْدُ ،  
فَإِنْ مِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ السَّكَكِ إِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ شَرْطًا فِي الْحَسَنِ فَهُوَ فِي الْوَاقِعِ لَمْ  
يَقُلْ شَيْئًا غَيْرَ مَا قَالَهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ وَغَرِيبُ ذَهْوِلِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا  
( وَأَصْلُ الثَّانِي إِلَى آخِرِهِ ) يَقُولُ الرَّجُلُ الرَّابِعُ مِنْ وَجْهِهِ الْاِخْتِلَافُ أَنْ  
أَصْلَ النَّبِيِّ وَالِاسْتِثْنَاءِ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الَّذِي اسْتُعْمِلَ هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي  
يَجْهَلُهَا الْمُخَاطَبُ وَيُنْكَرُهَا ، بخلافِ إِنَّمَا ، فَإِنْ أَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الْمُسْتَعْمَلُ هُوَ  
فِيهِ مِمَّا يَعْلَمُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَنْكَرُهُ . . وَأَصْلُ هَذَا السَّكَلَامِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَاهِرِ رَحِمَهُ  
اللَّهُ . وَإِلَيْكَ عِبَارَتُهُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفِ : إِنْ مَوْضُوعٌ مَا وَإِلَّا عَلَى أَنْ يَكُونَ  
لِلْأَمْرِ يَنْكَرُهُ الْمُخَاطَبُ وَيَشْكُ فِيهِ ، أَوْ مَا يَنْزِلُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَلَا يَصَحُّ اسْتِعْمَالُهَا  
فِي الْأَمْرِ الظَّاهِرِ ، فَلَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ تَرْفَقْ عَلَى أَخِيهِ وَتَلْمِزْهُ . الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ  
صَلَةِ الرَّحِمِ : مَا هُوَ إِلَّا أَخُوكَ مِثَالُ الْأَوَّلِ قَوْلُكَ لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَبَحًا  
مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ إِذَا وَجَدْتَهُ يَعْتَقِدُهُ غَيْرُ زَيْدٍ وَبَصَرَ عَلَى الْإِنْكَارِ ، وَمِنْهُ  
قَوْلُهُ تَعَالَى : وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ . وَمِثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا  
رَسُولٌ ، أَيْ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَعَدَّى الرِّسَالَةَ إِلَى التَّهَرَّى مِنَ الْهَلَاكِ ، نَزَلَ  
اسْتِعْظَامُهُمْ هَلَاكَ مَنْزِلَةَ الْإِنْكَارِ إِيَّاهُ ، وَمِثْلُهُ : وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ

مُصِرًّا ، وَقَدْ يُنْزَلُ الْمَعْلُومُ مَنْزِلَةً الْجَهْلِيَّ ، لِاعْتِبَارِ مُنَاسِبٍ ، فَيُسْتَعْمَلُ لَهُ  
الثَّانِي إِفْرَادًا ، نَحْوُ : وَمَا نَحْمَدُ إِلَّا رَسُولًا : أَيْ مَقْصُورًا عَلَى الرَّسَالَةِ لَا يَتَعَدَّاهَا  
إِلَى التَّبَرُّيِّ مِنَ الْهَلَاكِ ، نُزِّلَ اسْتِعْظَامُهُمْ هَلَاكُهُ مَنْزِلَةً إِنْكَارِهِمْ  
إِيَّاهُ ، أَوْ قَلْبًا ، نَحْوُ : إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِاعْتِقَادِ الْقَائِلِينَ أَنَّ  
الرُّسُولَ لَا يَكُونُ بَشَرًا ، مَعَ إِصْرَارِ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى دَعْوَى الرَّسَالَةِ

أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ لَشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ يَكْرُرُ دَعْوَةَ  
الْمُتَمَنِّعِينَ عَنِ الْإِيمَانِ وَلَا يَرْجِعُ عَنْهَا ، فَمَكَانٌ فِي مَعْرُضٍ مِنْ ظَنِّ أَنَّهُ يَمْلِكُ  
مَعَ صِفَةِ الْإِذَارِ إِجْهَادَ الشَّيْءِ فِيمَا يَمْتَنِعُ قَبُولُهُ إِيَّاهُ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنْ  
أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِأَنَّ الْكُفَّارَ جَعَلُوا الرُّسُلَ كَأَنَّهُمْ بِأَدْعَائِهِمُ النَّبُوَّةَ قَدْ أَخْرَجُوا  
أَنْفُسَهُمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا بَشَرًا مِثْلَهُمْ ، وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أَخْرَجَ اللَّفْظَ مَخْرَجَهُ  
حَيْثُ يَرَادُ لِيُثَبَّتَ أَمْرٌ يَدْفَعُهُ الْمُخَاطَبُ وَيَدْعَى خِلَافَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْجَوَابُ مِنْ  
الرُّسُلِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، كَذَلِكَ بَيَّنَّ وَإِلَّا  
لَإِنْ مِنْ حُكْمٍ مِنْ ادِّعَى عَلَيْهِ خِصْمُهُ الْخِلَافَ فِي أَمْرٍ هُوَ لَا يَخَالِفُ فِيهِ أَنْ  
يُعِيدَ كَلَامَ الْخِصْمِ عَلَى وَجْهِهِ وَيَجْهِي بِهِ عَلَى هَيْئَتِهِ وَيُحْكِيهِ كَمَا هُوَ ، فَإِذَا قَالَتِ الرَّجُلُ  
أَنْتَ مِنْ شَأْنِكَ كَيْتُ وَكَيْتُ ، قَالَ نَعَمْ أَنَا مِنْ شَأْنِي كَيْتُ وَكَيْتُ ، وَلَسَكِنْ  
لِإِضْهِارِ عَلَى وَلَا يَلْزَمُنِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَلْزَمُ ، فَالرُّسُلُ كَأَنَّهُمْ قَالُوا  
إِنْ مَا قَالْتُمْ مِنْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ كَمَا قَالْتُمْ لَنَا نَسْكُرُ ذَلِكَ وَلَا نَجْهَلُهُ ، وَلَسَكِنْ ذَلِكَ  
لَا يَمْنَعُنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ مِنْ عَلَيْنَا رَأَاكَرْمَنَا بِالرَّسَالَةِ . . . وَأَمَّا إِذَا  
فُوضُوا عَلَيْهَا أَنْ تَجْهِي . لَخَبَرِ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ صَحْتَهُ . أَوْ لَمَّا يَنْزِلُ

وَقَوْلُهُمْ : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، مِنْ بَابِ مُجَارَاةِ الْخَصْمِ لِيَعْتَرِ  
حَيْثُ يُرَادُ تَبْكِيئُهُ ، لَا لِنَسْلِيمِ انْتِفَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَكَقَوْلِكَ إِنَّمَا  
هُوَ أَخُوكَ ، لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيُقِرُّ بِهِ ، وَأَنْتَ تَمُرِدُ أَنْ تُرَقِّقَهُ  
عَلَيْهِ وَقَدْ يُعْرَلُ الْمَجْهُونَ مَنْزِلَةُ الْمَعْلُومِ ، لِادِّعَاءِ ظُهُورِهِ ، فَيُسْتَعْمَلُ  
لَهُ الثَّالِثُ ، نَحْوُ : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، وَلِذَلِكَ جَاءَ : أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ  
الْمُفْسِدُونَ ، لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مُؤَكِّدًا مَا تَرَى ، وَمَزِيَّةً إِنَّمَا عَلَى الْعُطْفِ

هذه المنزلة ، مثال الأول قولك للرجل : إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك  
القديم ، لا نقوله لمن يحول ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويقربه إلا أنك  
تنبه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب ، ومثله قول المتنبي :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَائِلُ طَعُ أَخِي مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ  
لم يرد أن يعلم كافوراً أنه والد ولا ذاك بما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ،  
ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبني عليه استدعاء ما بوجه كونه  
بمنزلة الوالد . ومثاله من التنزيل قوله تعالى : إِنَّمَا تَنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ  
الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ، وقوله عز وجل : إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ اخْشَاهَا ، كل ذلك تذكير  
بأمر ثابت معلوم ، ومثال الثاني قول قيس الرقيات :

إِنَّمَا مَضَعَبٌ شِبَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ  
ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر معلوم للجميع على عادة الشعراء  
إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتة لهم ،  
وأنهم قد شهروا بها ، وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد  
كما قال الخطيب :

أَنَّهُ يُعْقَلُ مِنْهَا الْحُكْمَانِ مَعًا ، وَأَحْسَنُ مَوَاقِعِهَا التَّعْرِيزُ ، نَحْوُ :

وَتَعَذَّلْنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ<sup>(١)</sup>

وكما قال البحترى :

لَا أَدْعِي لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عَبْدَاهُ

ومثل البيت قوله تعالى حكاية عن اليهود : وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، المعنى أنهم يدعون أن كونهم مصلحين أمر ظاهر معلوم ، ولذلك أكد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم لجمع بين إلا التي للتنبيه وإن التي هي للتأكيد ، فقال ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ( الحكمان ) أى الإثبات للذكور والنفي عما سواه ( وأحسن مواقفها التعريض ) قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أنك إذا استقررت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ماترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه نحو إنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى : إنما يتذكر أولوا الألباب ، أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذم الكفار ، وأن يقال إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل . وأنكم إذا طمعت منهم في أن ينظروا ويتذكروا كنتم كن طمع في ذلك من غير أولى الألباب ، ومثال ذلك من الشعر قوله :

أَنَا لَمْ أَرْزُقْ حُجَّتَهَا إِنَّمَا لِلْعَبِيدِ مَا رَزَقَا

الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها ، ويأس من أن يكون منها إسعاف ، ومن ذلك قوله :

( ١ ) الإفناء : الغوغاء والسقاط من الناس .

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ، فَإِنَّهُ تَعْرِيفٌ بِأَنَّ الْكُفَّارَ مِنْ فَرْطِ جَهْلِهِمْ  
كَالْبَهَائِمِ ، فَطَمَعُ النَّظَرِ مِنْهُمْ كَطَمَعِهِ مِنْهَا . ثُمَّ الْقَصْرُ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ  
وَالْخَبَرِ عَلَى مَا مَرَّ ، يَقَعُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَغَيْرِهِمَا . فِيهِ الْإِسْتِثْنَاءُ يُؤَخَّرُ  
الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ أَدَاةِ الْإِسْتِثْنَاءِ وَقَدْ تَقَدَّمَ هُمَا مَحَالُهُمَا ، نَحْوُ : مَا ضَرَبَ إِلَّا

\* وَإِنَّمَا يَعْذِرُ الْعُشَّاقُ مَنْ عَشِقَا \*

يقول إنه ليس ينبغى للعاشق أن يلوم من يلومه في عشقه ، وأنه ينبغى أن  
لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان ابتلى به لعرف ما هو  
فيه فعذره ( وغيرهما ) كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وكذا الحال  
والحال تقول في قصر الفاعل على المفعول لإفرا دأ أو قلباً بحسب المقام : ما  
ضرب زيد إلا عمراً ، ومن الوارد على قصر القاب قوله تعالى حكاية عن السيد  
المسيح عليه السلام : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله له لأنه قاله في  
مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى لم تقل للناس ما أمرتك لأنني أمرتك أن  
تدعوا الناس إلى أن يعبدوني ، ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا من هو دوني  
ألا ترى إلى ما قبله : وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني  
وأُمي إلهين من دون الله وفي قصر المفعول على الفاعل ما ضرب عمراً إلا  
زيد وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو كسوت وظننت ما كسوت زيداً  
إلا جبة وما ظننت زيداً إلا منطلقاً وفي قصر الثاني على الأول ما كسوت جبة  
إلا زيداً وما ظننت منطلقاً إلا زيداً ، وفي قصر ذي الحال على الحال ما جاء  
زيد إلا راكباً ، وفي قصر الحال على ذي الحال ما جاء راكباً إلا زيد ( وقيل  
تقديمهما محالهما ) أي جاز على قلة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء بمحالهما  
على المقصور ، ومن ذلك قول الشاعر :



عَمْرًا زَيْدًا ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عَمْرًا ، لَا سِتْلَازِمَهُ قَصْرَ الصِّفَةِ قَبْلَ تَمَامِهَا ؛  
وَوَجْهُ الْجَمْعِ أَنَّ النَّفْيَ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ الْمَفْرَغِ يَتَوَجَّهُ إِلَى مُقَدَّرٍ هُوَ  
مُسْتَثْنَى مِنْهُ عَامٌ مُنَاسِبٌ لِلْمُسْتَثْنَى فِي جِنْسِهِ وَصِفَتِهِ ، فَإِذَا أُرْجِبَ

لَا أَشْتَرِي يَا قَوْمُ إِلَّا كَارِهَا      بَابُ الْأَمِيرِ وَالْإِدْفَاعِ الْحَاجِبِ  
وقول الآخر :

كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَسْوَكَ وَلَمْ يَقُمْ      عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَمِيكَ التَّوَائِخِ  
وَأَنشُدَ سَيَبَوِيهَ :

النَّاسُ أَلْبَ عَالِيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا      إِلَّا السُّيُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَرُذْ

وقوله بجملهما ، احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن  
المقصود عليه ، كقولك في ما ضرب زيد إلا عمراً ما ضرب عمراً إلا زيد ، فإنه  
يختل المعنى ( لا سِتْلَازِمَهُ قَصْرَ الصِّفَةِ قَبْلَ تَمَامِهَا ) كالضرب الصادر من زيد  
في ما ضرب زيد إلا عمراً والضرب الواقع على عمرو في ما ضرب عمراً إلا زيد  
( ووجه الجمع ) أى وجه إفادة النفي والاستثناء الحصر في جميع ما ذكر بما بين  
المبتدأ والخبر والمفعول والحال وصاحبها والمفعول الأول والثاني  
وغير ذلك ( يتوجه إلى مقدر إلى آخره ) أما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه  
فليسكون إلا للإخراج واستدعاء الإخراج نزعاً منه ، وأما عمومه فليستحقق  
الإخراج ولا يلزم التخصيص من غير تخصيص . قال صاحب المفتاح ولذلك  
ترانا في علم النحو نقول نأنيث الضمير في كانت في قراءة أبي جعفر : إن كانت  
إلا صيحة ، بالرفع وفي ترى المبني للمفعول في قراءة الحسن : فأصبحوا لا ترى  
إلا مساكنهم ، برفع مساكنهم ، وفي بقيت في بيت ذى الرمة :

مِنْهُ شَيْءٌ ، بِإِلَّا جَاءَ الْقَصْرُ ، وَفِي إِنَّمَا يُؤَخَّرُ الْمُقْصُورُ عَلَيْهِ ، تَقُولُ :  
إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدٌ نَحْرًا ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى غَيْرِهِ لِلْإِلْبَاسِ . وَغَيْرُ

\* وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَّاشِعُ \*

للنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من  
الاشياء ، وأما مناسبتها في جنسه وصفته فظاهرة ، لأن المراد بجنسه أن يكون  
في نحو : ماضرب زيد إلا عمرأ أحدأ ، وفي نحو قولك : ما كسوت زيداً إلا جبة  
لباساً ، وفي نحو : ما جاء زيد إلا راكباً ، كائناً على حال من الأحوال . وفي  
نحو : ما اخترت رفيقاً إلا منكم من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميري :

لَوْ خَيْرَ الْمُنْبَرِّ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا

لأن أصله ما اختار فارساً إلا منكم . والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً  
أو ذا حال أو حالا ، وعلى هذا القياس ( وفي إنما ) هو معطوف على قوله  
ففي الاستثناء ( وفي إنما يؤخر المقصود عليه ) حيث يستفاد القصر منها فقط ،  
فخرج مثل قول أبي الطيب :

أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا

إذ المفيد للقصر فيه هو التقديم ( ولا يجوز تقديمه على غيره ) بخلاف  
إلا لعدم إفضائه إلى الإلباس ، وههنا مفضل إلى الإلباس كما قال ، لأنك لو  
قلت إنما ضرب زيد عمرأ لكان في المعنى عكس قولك إنما ضرب عمرأ زيد .  
قال السكاكي : وبما ذكر تعرض على الفرق بين : إنما يخشى الله من عباده  
العلماء ، وبين إنما يخشى العلماء من عباده الله ، بتقديم المرفوع على المنصوب ،  
فالأول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضي انحصار خشية

كَأَيِّ لَّا فِي إِفَادَةِ الْقَصْرَيْنِ ، وَامْتِنَاعِ مُجَامَعَةٍ لَّا .

### ﴿الإنشاء﴾

الإنشاء إن كَانَ طَلِبًا اسْتَدْعَى مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقَدْ طَلَبَ ؛  
وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : التَّمَنِّي ، وَاللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ لَهُ لَيْتَ ، وَلَا يُشْتَرَطُ  
إِمْكَانُ التَّمَنِّي تَقُولُ : لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ ، وَقَدْ يَتَمَنَّى سَهْلٌ نَحْوُ : هَلْ لِي

العلماء على الله ( في إفادة القصرين ) قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة  
على الموصوف ، تقول في قصره : ما زيد غير شاعر . إفراداً . وما زيد غير  
قائم . قلباً . وفي قصرها : ما شاعر غير زيد ، بالاعتبارين بحسب المقام  
( وامتناع مجامعة لا ) . فلا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا ما شاعر  
غير زيد لا عمرو ( الإنشاء ) هو كما يطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارج  
قطايقه أو لا ، كذلك يطلق على فعل المتكلم أعني إلقاء الكلام الإنشائي  
كالإخبار ، والمراد هنا هو الثاني ، ثم هو نوعان : طلب وغيره ، والمصنف لم  
يتعرض لغير الطلب لقلة المباحث البيانية المتعلقة به ، وذلك كبعض أفعال  
المقاربة ، وأفعال المدح والذم . وصيغ العقود ، والقسم ، ولعل . على أن كثيراً  
منها نقل من الخبر إلى الإنشاء فيستغنى بأبحاثه الخبرية عن الإنشائية ( استدعى  
مطلوباً غير حاصل ) لامتناع تحصيل الحاصل . قال التفتازاني : فإذا وردت  
صيغة الطلب في الحاصل حملت على ما يناسب المقام كما في قول الله جل شأنه :  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ، المعنى دم على التقوى ( التمني ) هو طلب حصول الشيء  
بشرط المحبة ونفي الطاعة ( ولا يشترط إمكان التمني ) لأن الإنسان  
كثيراً ما يحب المحال ويطلبه . لكن إذا كان التمني ممكناً يجب ألا يكون

مِنْ شَفِيعٍ ، حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ لَا شَفِيعَ ، وَبَلَوْ نَحْوُ : لَوْ تَأْتِنِي فَتُحَدِّثْنِي ،  
بِالنَّصْبِ ، السَّكَائِي : كَانَ حُرُوفَ التَّنْدِيمِ وَالتَّحْضِيضِ - وَهِيَ هَلَا وَأَلَا  
يَقْلِبُ الْهَاءَ هَمْزَةً ، وَلَوْ لَا وَلَوْ مَا - مَأْخُودَةٌ مِنْهُمَا مُرَكَّبَتَيْنِ مَعَ لَا وَمَا  
الْمَزِيدَتَيْنِ لِيَتَضَمَّنِيَا مَعْنَى التَّمَنَّى لِيَتَوَلَّدَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي التَّنْدِيمُ ، نَحْوُ : هَلَا  
أَكْرَمْتَ زَيْدًا ، فِي الْمَضَارِعِ التَّحْضِيضُ ، نَحْوُ : هَلَا تَقُومُ : وَقَدْ يَتِمَّنِي

لك توقع وطاعية في وقوعه ، وإلا لصار ترجيحاً يستعمل فيه لعل أو عسى ،  
( حيث يعلم أن لاشفيع ) لأنه إذ ذاك يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول  
النجزم بانتفاء هذا الحكم ، واستدعاء الاستفهام الجهل بثبوت وانتفائه هذا .  
والسر في العدول عن ليت والتنى بهل ، هو إبراز الممتنى لجمال العناية به  
في صورة الممكن انتهى لا جزم بانتفائه ( ولو ) ولعل السر في ذلك هو  
الإشعار بعزة متمناه حيث أبرزه في صورة مالا يوجد ، لأن لو بحسب أصلها  
حرف امتناع لا امتناع ( منهما ) أى من هل ولو المنقولتين للتمنى ( لتضمينهما  
إلى آخره ) يقول إن الغرض من هذا التركيب والتزامه جعل هل ولو  
متضمنتين معنى التمنى ، وذلك ليتولد منه مع الماضى التنديم ومع المستقبل  
التحضيض ، فتقول : هَلَا أَكْرَمْتَ زَيْدًا ، وَلَوْ لَا أَكْرَمْتَ زَيْدًا ، وَلَوْ مَا  
أَكْرَمْتَهُ . على معنى لَيْتَكَ أَكْرَمْتَهُ قَصْداً إِلَى جَعْلِهِ نَادِماً عَلَى تَرْكِ الْإِكْرَامِ ،  
وَتَقُولُ : هَلَا تَقُومُ ، وَلَوْ مَا تَقُومُ ، عَلَى مَعْنَى لَيْتَكَ تَقُومُ قَصْداً إِلَى حَثِّهِ  
عَلَى الْقِيَامِ . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ والموم على ما كان

يَلْعَلْ ، فَتُعْطَى حُكْمَ آيَةٍ ، نَحْوُ : آتَى أَحْجُ فَأَزُورَكَ ، بِالنَّصْبِ ، لِبَعْدِ  
الْمَرْجُوِّ عَنِ الْحُصُولِ . وَمِنْهَا الْإِسْتِفْهَامُ ، وَالْفَاظَةُ الْمَوْضُوعَةُ لَهُ الْهَمْزَةُ ،  
وَهَلْ ، وَمَا ، وَمَنْ ، وَأَيُّ ، وَكَيْفَ ، وَأَيْنَ ، وَأَنَّى ، وَمَتَى ، وَأَيَّانَ ، فَالْهَمْزَةُ

يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطالب منه ( فتعطي حكم ليت ) فينصب المضارع  
بعدها على تقدير أن ( لبعده المرجوع عن الحصول ) فصار يشبه المحالات التي  
لا طمع فيها ، فاستعملت فيه لعل كاستعمال ليت لمشابهة هذا المعنى لمعانها  
( ومنها الاستفهام ) وحقيقته طلب الفهم بالفاظ معروفة . والمطابوب فهمه  
إن كان حكماً بشيء على شيء إثباتاً أو نفياً فهو التصديق لإلا فهو التصور ( وأيان )  
قال السكاكي بفتح الهمزة وبكسرها ، وهذه اللغة أعنى كسر همزتها تقوى  
أباه أن يكون أصلها أى وإن ( فالهمزة لطلب التصديق إلى آخره ) اعلم أن  
هذه الكلمات ثلاثة أنواع : أحدها يختص طلب التصديق وهو هل ، وثانيها  
يختص طلب التصور وهو سائر الأسماء الاستفهامية ، وثالثها مشترك بينهما  
وهو الهمزة فإنها تجيء لطلب التصور والتصديق لعراقتهما في الاستفهام ، ولهذا  
يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة ، قال الله جل شأنه :  
أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتِ وَالنُّورُ ، وقال : أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُكُمْ .  
وقال : أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وقال التغلبي :

أَنْبَى جَزَوْا عَابِرَا سَوَا يَفْعَلِيح

أَمْ كَيْفَ يَجْرُوسِي السَّوَاىَ مِنَ الْحَسَنِ

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعَمَلُوقُ بِهِ رِثْمَانِي أَنْتَبِ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّيْلِ (١)

( ١ ) العلوق بفتح العين المهملة : الناقة تعطف على غير ولدها ولا تراه  
ولما تشبه بأنفها وتمنعه لبنها . والبیت ينشد لمن يعد بالجميل ولا يفعله لانتواء  
قلبه على ضده .

لَطَلَبِ التَّصْدِيقِ كَقَوْلِكَ : أَقَامَ زَيْدٌ ، وَ : أَزِيدُ قَائِمٌ ، أَوِ التَّصَوُّرِ كَقَوْلِكَ :  
أَدْبَسُ فِي الْإِنَاءِ أَمُ عَسَلٌ ، وَ : أَفِي الْخَلَابِيَةِ دِبْسُكَ أَمُ فِي الزُّقِّ ، وَهَذَا لَمْ

وَأَم ههنا بمعنى بل التي تكون للانتقال من كلام إلى آخر من غير اعتبار  
استفهام هذا ، والفرق بين الاستفهام عن التصديق والاستفهام عن التصور  
يسكاد يكون ظاهراً ، ذاك لأن الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد  
الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها ، والاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين  
الشيئين ( كقولك أقام زيد ) في طلب التصديق بمضمون الجملة الفعلية ( وأزيد  
قائم ) في طلب التصديق بمضمون الجملة الإسمية ، فقد تصورت القيام وزيداً  
والنسبة بينهما ، وسألت عن وقوع تلك النسبة هل هو محقق خارجاً أو لا ، فإذا  
قيل قام أو هو قائم حصل التصديق . والحاصل أن السائل عالم بأن بينهما نسبة  
ملتبسة بالوقوع أو الالاقوع ويطلب تعيين ذلك ( كقولك ) في طلب تصور  
المسند إليه ( أدبس في الإناء أم عسل ) فأنت تعلم أن في الإناء شيئاً والمطلوب  
هو تعيينه ( وأفي الخابية إلى آخره ) أي وكقولك في طلب تصور المسند  
أفي الخابية دبسك أم في الزق ، فأنت تعلم أن الدبس محكوم عليه بأنه في أحدهما  
والمطلوب هو التعيين . . . هذا ، وإنا إذا أنعمنا النظر وألطننا الفكر  
وجدنا الهمزة لا تكون إلا لطلب التصديق في سائر أحوالها لأنه إذا قصد  
تعيين المسند إليه ، فالمطلوب هو العلم بتعيين النسبة ، فإذا قلت أزيد قام أم عمرو  
فإنما تسأل عن تعيين النسبة في أحدهما ، أما زيد وعمرو فكلاهما معلوم وكذلك  
استناد القيام لأحدهما فاعرف هذا ولا تكن رهين التقليد ( ولهذا إلى آخره )  
يقول لما كانت الهمزة تكون لطلب التصور وهل مختصة بالتصديق لا تتجاوز  
كان قولك : أزيد قام وأعمراً عرفت حسناً بليغاً ، وقولك : هل زيد قام وهل

يَقْبَحُ أَزِيدٌ قَامَ ، وَأَعْمَرُ عَرَفَتْ ، وَالْمَسْئُولُ عَنْهُ بِهَا هُوَ مَا يَلِيهَا كَالْفِعْلِ  
فِي أَضْرَبْتَ زَيْدًا ، وَالْفَاعِلِ فِي : أَأَنْتَ ضَرَبْتَ ، وَالْمَفْعُولِ فِي : أَزِيدًا ضَرَبْتَ  
وَهَلْ لَطَلَبِ التَّصْدِيقِ فَحَسْبُ نَحْوُ : هَلْ قَامَ زَيْدٌ ، وَهَلْ عَمَرُو قَاعِدٌ ، وَلِهَذَا  
امْتَنَعَ هَلْ زَيْدٌ قَامَ أَمْ عَمَرُو ، وَقَبِحَ هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَ ، لِأَنَّ التَّقْدِيمَ

عمرًا عرفت قبيحاً مردولاً ، ذاك لأن التقديم كما علمت يستدعى حصول  
التصديق بنفس الفعل فتكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال ، بخلاف  
الهمزة فإنها تكون لطلب التصور وتعيين الفاعل أو المفعول ( والمسئول عنه  
ها إلى آخره ) يقول إن المسئول عنه بالهمزة هو ما يليها فنقول : أضربت زيداً ،  
إذا كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده  
وتقول : أنت ضربت إذا كان الشك في الفاعل من هو مع العلم بوقوع الفعل  
وتقول : أزيداً ضربت إذا كان الشك في المفعول من هو مع الجزم بوقوع  
ضرب من المخاطب . قال الشيخ عبد القاهر : وبما يؤيد ذلك أنك تقول : أفلت  
شعراً قط ، أرايت اليوم إنساناً ، فيكون كلاماً مستقيماً ، ولو قلت : أنت قلت شعراً  
قط ، أنت رأيت إنساناً أحلت ، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من  
هو في مثل هذا ، لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص  
نحو أن تقول : من قال هذا الشعر ، ومن بنى هذه الدار : وما أشبه ذلك مما يمكن  
أن ينص فيه على معين ، فأما قيل شعر على الجملة ورؤية إنسان على الإطلاق  
فمحال ذلك فيه لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله  
( ولهذا امتنع هل زيد قام أم عمرو ) لأن وقوع المفرد بعد أم دليل على  
أنها متصلة وأم المتصلة لطلب تعيين الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم فهي  
لا تكون إلا لطلب التصور بعد حصول التصديق بنفس الحكم وهو ليس

يَسْتَدْعِي حُصُولَ التَّصْدِيقِ بِنَفْسِ الْفِعْلِ ، دُونَ : هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَهُ ، إِجْوَازِ  
تَقْدِيرِ الْمُفَسِّرِ قَبْلَ زَيْدًا ، وَجَعَلَ الشَّكَاكِي قُبْحَ : هَلْ رَجُلٌ عَرَفَ لِدَلِكْ ،  
وَيَلْزَمُهُ أَنْ لَا يَقْبَحَ هَلْ زَيْدٌ عَرَفَ ، وَعَلَّ غَيْرُهُ قُبْحَهُمَا بِأَنَّ هَلْ بِمَعْنَى  
قَدْ فِي الْأَصْلِ ، وَتَرَكَ الْهَمْزَةَ قَبْلَهَا لِكَثْرَةِ وَقُوعِهَا فِي الْإِسْتِفْهَامِ ،

إلا لطلب التصديق فبينهما تدافع فيمتنع ، بخلاف ما إذا لم يذكر أم عمرو ،  
وقيل هل زيد قام فإنه يقبح ولا يمتنع لما سيجيء . وبعد ، فإذا علمت هذا  
علمت أنه لا يجوز استعمال أم بعد هل إلا أن تريد المنقطعة كقوله :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَمَيَّزَتِ الرَّحَى \* رَحَى الْحَرْبِ أَمْ أَفْخَعْتُ بِفَلَجٍ كَلْهِيَا  
ولذلك قال سيديوية هو على كلامين ( لجواز تقدير المفسر قبل زيدا ) بل هذا  
أرجح لأن الأصل تقدم العامل على المفعول وحينئذ فلا يستدعي حصول التصديق  
بنفس الفعل فتكون هل لطلب التصديق فيحسن (لذلك) أى لما قبح له هل زيدا  
ضربت وهو أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل ، ولأنه جعله لذلك  
لأن مذهبه كما تقدم أن الأصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير  
في عرف قدم للتخصيص . وإنما لم يجعله بمنزلة لاحتمال أن يكون رجل فاعل  
فعل محذوف ( ويلزمه أن لا يقبح هل زيد عرف ) لأن تقديم المظهر  
المعروف ليس للتخصيص حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل على  
ما سبق . مع أن هذا التركيب قبيح بالإجماع ، وما ذكره الزحشرى في الفصل  
من أن نحو : هل زيد خمرج ، على تقدير الفعل فتصحيح الوجه القبيح لا أنه  
شائع حسن ( غيره ) أى غير السكاكي ( قبحهما ) أى قبح هل رجل عرف  
وهل زيد عرف ( بأن هل بمعنى قد في الأصل ) يعنى وقد من لوازم الأفعال



وَهِيَ تُخَصِّصُ الْمُضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ ، فَلَا يَصِحُّ : هَلْ تَضْرِبُ زَيْدًا

فكذا ما هي معناها . وأصل كلام المصنف هذا ما زعمه الزمخشري أن هل بمعنى قد أبداً ، وأن الاستفهام إنما هو استفاد من همزة مقدرة معها . قال في المفصل : وعنه سيبويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في استفهام ، وقد جاء دخولها عليها في قول زيد الخيل :

سَائِلٌ فَوَاسٍ يَرْبُوعٌ بِسِدَّتِنَا أَهْلُ رَأْوَنَابِسْفَحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكْمِ<sup>(١)</sup>  
وقال الراجز :

أَهْلٌ عَرَفَتِ الدَّارَ بِالْغَرِيِّينِ<sup>(٢)</sup>

قال التمامي : فإن قلت هذا يقتضي أن لا يصح أو يقبح دخولها على الجملة الاسمية التي طرفاها اسمان نحو هل عمرو قاعد ، وإلا فالفرق بينه وبين ما إذا كان الخبر فعلا ، قلت : الفرق أنها إذا رأت الفعل في حينها تذكرت عهوداً بالحمى وحننت إلى الإلف المألوف وعانقته ، ولم ترض بافتراق الاسم بينهما ، بخلاف ما لو إذا تراه في حينها فإنها تسكت عنه ذاهلة ( هي تخصص المضارع بالاستقبال ) لما كانت هل ليست أصلاً في الاستفهام تقاصرت عن الهمزة فاختص المضارع بعدها بالاستقبال . فلا يصح استعمالها في التوبيخ على الفعل الواقع في الحال كما يصح استعمال الهمزة فيه ، فلا تقول هل تضرب

( ١ ) ربوع : أبو حمى من تميم ، والأكم جمع أكمة : وهي الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله .

( ٢ ) الغريان : هما بنا آن طويلان ، يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمي الأبرش ، وسميا غريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج في يوم يؤسه .

وَهُوَ أَخُوكَ ، وَلَا اخْتِصَاصَ التَّصَدِيقِ بِهَا وَتَخْصِصَهَا الْمَضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ  
كَانَ لَهَا مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِمَا كَوْنُهُ زَمَانِيًّا أَظْهَرَ كَالْفِعْلِ ، وَلِهَذَا كَانَ :  
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، أَدَلَّ عَلَى طَلَبِ الشُّكْرِ مِنْ : فَهَلْ تَشْكُرُونَ ،  
و : فَهَلْ أَنْتُمْ تَشْكُرُونَ ، لِأَنَّ إِبرَارَ مَا سَيَجِدُّدُ فِي مَعْرِضِ الثَّابِتِ أَدَلَّ  
عَلَى كَمَالِ الْعِنَايَةِ بِمَحْصُولِهِ ، وَمِنْ : أَفَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، وَإِنْ كَانَ لِلشُّبُوتِ ،  
لِأَنَّ هَلْ أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الْهَمْزَةِ ، فَتَرْكُهُ مَعَهَا أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ وَلِهَذَا

زيداً وهو أخوك ، على نحو أنضرب زيداً وهو أخوك في أن يكون الضرب  
واقعاً في الحال ( ولا اختصاص التصديق بها الخ ) إليك قول السكاكي في ذلك  
فإنه أوضح وأتم قال : ولا يكون هل لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء  
وقد نهت على أن الإلبيات والنفي لا يتوجهان إلى الذوات وإنما يتوجهان  
إلى الصفات ولاستدعائه التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك ، وأنت تعلم  
أن احتمال الاستقبال إنما يكون لصفات الذوات لا لأنفس الذوات ، لأن  
الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال استلزم  
ذلك مزيد اختصاص هل دون الهمزة بما يكون كونه زمانياً أظهر كالأفعال  
( أدل على كمال العناية بمحصوله ) من إبقائه على أصله في فهل تشكرون .  
لأنها داخلية على الفعل حقيقة ، وفي فهل أنتم تشكرون لأنها داخلية على الفعل  
تقديراً ، لأن أنتم فاعل فعل محذوف يفسره الظاهر ( على ذلك ) أي على  
كمال العناية بمحصول ما سيجدد ( ولهذا ) أي لكون هل أَدْعَى للفعل من

لَا يَحْسُنُ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ إِلَّا مِنَ الْبَلِيغِ ، وَهِيَ قِسْمَانِ ، بَسِيطَةٌ وَهِيَ  
الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وَجُودُ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ مَوْجُودَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ  
وَهِيَ الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وَجُودُ شَيْءٍ لَشَيْءٍ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ دَائِمَةٌ .  
وَالْبَاقِيَةُ لَطَافُ التَّصَوُّرِ فَقَطْ ، قِيلَ : فَيُطْلَبُ بِمَا شَرَّحُ الْأَسْمَ كَقَوْلِنَا :  
مَا الْعَنْقَاءُ ، أَوْ سَاهِيَّةِ الْمُسَمَّى . كَقَوْلِنَا : مَا الْحَرَكَةُ ، وَتَقَعُ هَلِ

الهمزة ( لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ ) لأنه الذي يقصده به الدلالة  
على الثبوت وإبراز ماسيتجدد في معرض الوجود . قال السكاكي : كما لا يحسن  
نظير قوله :

لَيْسَ لَكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ \*

من كل أحد ( بسيطة الخ ) والبساطة والتركيب كما لا يخفى بالنظر لما تدخل  
عليه ، فمطلوب هل البسيطة هو التصديق بوجود الشيء . فحسب ، ومطلوب المركبة  
هو التصديق بوجود الشيء ووجود شيء له . وهو بعده فلا يذهب عليك أن مثل  
هذا التقسيم قليل الجداء إذ البلاغة ( والباقية ) أى من ألفاظ الاستفهام  
( شرح الاسم ) أى بيان مدلول الاسم لغة ، فتقول يا عنقاء ، وأنت تطلب  
مدلوله ، والمعنى الذى وضع له فى اللغة ( أو ماهية المسمى ) قال التفزازانى :  
والفرق بين المفهوم من اللفظ بالجملة ، وبين الماهية التى تفهم من الحد بالتفصيل  
غير قليل . فإن كل من خوطب باسم ففهم ففهما ما ، ووقف على الشيء الذى يدل  
عليه الاسم إذا كان عالماً باللغة ، وأما الحد فلا يقف عليه إلا المتراض بصناعة  
المنطق . فالوجودات لما كان لها مفهومات وحقائق كان لها حدود بحسب الاسم

الْبَسِيطَةُ فِي التَّرْتِيبِ بَيْنَهُمَا . وَبَيْنَ الْعَارِضِ الْمَشْخَصِ لِذِي الْعِلْمِ  
كَقَوْلِنَا : مَنْ فِي الدَّارِ ؛ وَقَالَ السَّكَكِيُّ : يُسْتَلْ بِمَا عَنِ الْجِنْسِ تَقُولُ :  
مَا عِنْدَكَ ، أَيْ أَى أَجْنَاسِ الْأَشْيَاءِ ، وَجَوَابُهُ : كِتَابٌ وَنَحْوُهُ ، أَوْ عَنْ

وبحسب الحقيقة ، وأما المعدومات فلما لم يكن لها إلا المفهومات لم يكن لها حدود  
إلا بحسب الاسم لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات  
موجودة ، حتى أن ما يوضع في أول التعاليم من حدود الأشياء التي يبرهن على  
وجودها في أثناء العلم إنما هي حدود بحسب شرح الاسم . ثم لما أثبت وجودها  
وبرهن عليه صارت تلك الحدود بعينها حدوداً بحسب الذات والحقيقة ، ثم قال :  
فعلم أن الجواب الواحد جاز أن يكون حدّاً بحسب الاسم وبحسب الذات بالقياس  
إلى شخصين . وبالقياص إلى شخص واحد في وقتين (وتقع هل البسيطة في الترتيب  
بينهما) يعني أن مقتضى الترتيب الطبيعي أن يطلب أولاً شرح الاسم ثم وجود  
المفهوم في نفسه ثم ماهيته وحقيقته ، لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحالة  
منه طلب وجود ذلك المفهوم ، ومن لا يعرف أنه موجود استحالة منه  
طلب ماهيته وحقيقته ، إذ لاحقيقة للمعدوم ولا ماهية له (وبين الخ)  
أى يطلب بمن الأمر الذي يعرض لذي العلم فيفيد تشخصه وتعيينه ، فإذا قلت  
من في الدار قيل لك زيد ونحوه مما يفيد تشخصه . قال التفتازاني : وأما الجواب  
بنحو رجل فاضل من قبيلة كذا ، ونحو : ابن فلان وأخو فلان ، وما أشبه  
ذلك ، فإنما يصح من جهة أن المخاطب يفهم منه التشخص بحسب انحصار  
الأوصاف في الخارج في شخص ، وإن كانت تلك الأوصاف نظراً إلى مفهوماتها  
كليات ( تقول ما عندك ) قال السكاكي . وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام

الْوَصْفِ نَقَرًا : مَا زِيدَ لَا وَجَوَابُهُ : الْكَرِيمُ ، وَمَحْوُهُ : وَبَيْنَ عَنِ الْجِنْسِ

وفي التنزيل : فما خطبكم أي أجناس الخطوب خطبكم ، وفيه : ما تعبدون من بعدى ، أي أي من في الوجود تؤثرونه في العبادة . قال : وأما سؤال فرعون : وما رب العالمين ، فهو إيمان بالجناس لا اعتقاد للجهل بالله تعالى أن لا موجود مستقلا بنفسه سوى الأجسام اعتقاد على جاهل لا نظر له ، كأنه قال : أي أجناس الأجسام هو ، وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف تنبيهاً على النظر المؤدى إلى معرفته ، لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب من حوله من جماعة الجهلة فقال لهم : ألا تستمعون ، ثم لما وجدته مصراً على الجواب بالوصف إذ قال في المرة الثانية : ربكم ورب آبائكم الأولين ، استهزأ به وجننه بقوله : إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ، وحين رآهم موسى غايه السلام لم يقنطوا لذلك في المرتين غاظ عليهم في الثالثة فقال : إن كنتم تعقلون . وإما عن الوصف طمعاً في أن يسلك موسى عليه السلام في الجواب معه مسلك الحاضرين لو كانوا هم المسؤلين مكانه اشتهرت بينهم رب العالمين إلى درجة دعت السحرة إذ عرفوا الحق أن عقبوا قولهم : آمنا برب العالمين ، بقولهم : رب موسى وهرون ، نفياً لانتهاهم أنهم عنوه وجهله بحال موسى وعلو شأنه إذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلس بدليل ما جرى في ذلك الوقت من قوله : أو لو جئت بك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين ، حين سمع الجواب تعداه عجب واستهزأ وجفن وتفريق بما تفريق من قوله . ابن اتخذت لها غيري لأجعل لك من المسجونين . معال الزمخشري : والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله

مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ ، تَقُولُ : مَنْ جِبْرِيلُ ؟ أَيُّ أَبَشَرٍ هُوَ أَمْ مَلَكٌ أَمْ جِنٌّ . وَفِيهِ  
نَظَرٌ ؛ وَيُسْئَلُ بِأَيِّ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرِ يَعْمَهُمَا ، نَحْوُ : أَيُّ  
الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ؟ أَيُّ أَنْحُنْ أَمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ . وَبِكُمْ عَنِ الْعَدَدِ :

هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية ( تقول من جبريل  
إلى آخره ) قال السكاكي : ومن هذا الباب قوله تعالى حكاية عن فرعون : فمن  
ربكما ياموسى . أى أملك هو أم بشر أم جنى منكرأ لأن يكون لهما رب سواه  
لادعائه الربوبية لنفسه ذاهباً فى سؤاله هذا إلى معنى ألكا رب سواى ، فأجاب  
موسى عليه السلام بقوله : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، كأنه قال  
نعم لنا رب سواك هو الصانع الذى إذا سلكك الطريق الذى بين بإيجاده  
لما أوجده ، وتقديره إياه على ما قدر ، وانبعث فيه الحزيت الماهر ، وهو العقل  
الهادى من الضلال لزمك الاعتراف بكونه رباً وأن لا رب سواه ، وأن العبادة  
له منى ومنك ومن الخاق أجمع حق لا مدفع له ( وفيه نظر ) قال فى الإيضاح :  
لأنه إذا قيل من فلان يجاب بزيد ونحوه ، مما يفيد التشخص ، ولا يصح الجواب  
بنحو بشر أو جنى ، وبعد ، فمن الظاهر أن مثل هذا يرجع فيه إلى السماع وربما  
يؤيد رأى السكاكى بيت الكتاب وهو :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوَنَ أَتُمْ فَقَالُوا الْجَنُّ قُلْتُ عَمُوا ظَلَامًا

فقد سئلوا بمن وأجابوا بالجنس ( ويسئل بأى الخ ) قال السكاكى وأما  
أى فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما ، يقول القائل عندى ثياب هـ  
فتقول أى الثياب هى ، فتطاب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية  
قال تعالى حكاية عن ساجان : أياكم يأتينى بعرشها ؟ أى الإناى أم الجنى ، وقال  
حكاية عن الكفار : أى الفريقين خير مقاماً ، أى أنحن أم أصحاب محمد ( عن العدد )

نَحْوُ : سَلِ بْنِ إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ . وَيَكَيْفَ عَنِ الْحَالِ ،  
وَبِأَيِّ عَنِ الْمَكَانِ . وَيَمْتَنِي عَنِ الزَّمَانِ ، وَبِأَيَّانَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ . قِيلَ :  
وَتُسْتَعْمَلُ فِي مَوَاضِعِ التَّفْخِيمِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .  
وَأَيْ تَسْتَعْمَلُ تَارَةً بِمَعْنَى كَيْفَ ، نَحْوُ : فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ، وَآخَرَى

قَالَ فِي الْمِفْتَاحِ : فَإِذَا قُلْتَ كَمْ دَرَاهِمًا لَكَ وَكَمْ رَجُلًا رَأَيْتَ فَسَأَلْنَاكَ قُلْتَ أَعَشْرُونَ  
أَمْ ثَلَاثُونَ أَمْ كَذَا أَمْ كَذَا ، وَتَقُولُ كَمْ دَرَاهِمًا وَكَمْ مَالًا أَيْ كَمْ دَانِقًا وَكَمْ دِينَارًا  
وَكَمْ ثَوْبًا أَيْ كَمْ شِبْرًا وَكَمْ ذِرَاعًا وَكَمْ زَيْدًا مَا كُنْتَ أَيْ كَمْ يَوْمًا أَوْ كَمْ شَهْرًا وَكَمْ  
رَأَيْتَكَ أَيْ كَمْ مَرَّةً وَكَمْ سِرًّا أَيْ كَمْ فَرَسًا أَوْ كَمْ يَوْمًا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

كَمْ عَمَّةً لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَاتٌ فِدَاءً قَدْ حَابَتِ عَلَى عِشَارِي

فِيهِ (١) رَوَى بَنَصْبُ الْمَمِيْزِ (عَنِ الْحَالِ) فَإِذَا قِيلَ كَيْفَ زَيْدٌ لِحَوَابِهِ  
صَحِيحٌ أَوْ سَقِيمٌ أَوْ شَجٌّ أَوْ جَرَلَانٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (عَنِ الْمَكَانِ) فَإِذَا قِيلَ  
أَيْنَ زَيْدٌ ، فَالْجَوَابُ فِي الدَّارِ أَوْ السُّوقِ مِثْلًا (عَنِ الزَّمَانِ) مَا صِيًّا كَانَ أَوْ  
مُسْتَقْبَلًا ، فَتَقُولُ مَتَى جِئْتَ ، وَالْجَوَابُ سَحَرًا مِثْلًا ، وَتَقُولُ مَتَى تَأْتِي ، وَالْجَوَابُ  
بَعْدَ شَهْرٍ (عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ) فَتَقُولُ أَيَّانَ يَشْرَعُ هَذَا الْفَرَسُ ، وَالْجَوَابُ بَعْدَ سَنَةٍ  
مِثْلًا (قِيلَ) الْقَائِلُ هُوَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّبْعِيُّ إِمَامُ أَهْلِ بَغْدَادِ فِي عِلْمِ النَّحْوِ  
(نَحْوُ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) أَيْ مِنْ أَيْ شَيْءٍ أَرَدْتُمْ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْمَأْنَى

(١) وَيَكُونُ الِاسْتِفْهَامُ عَلَى هَذَا لِلنَّهْكِ ، أَيْ أَخْبَرَنِي بِعَدَدِ عَمَّاتِكَ وَخَالَاتِكَ  
الَّتِي كُنْتَ تَخْدُمُنِي فَمَدَّ لِسَانَهُ . وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ الْخُسْبِيَّةَ ، وَهِيَ قَدْ  
كُنْصَبُ الْمَمِيْزِ .

يَعْنَى مِنْ أَيْنَ، نَحْوُ: أَيْنَ لَكَ هَذَا. ثُمَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كَثِيرًا مَا تُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْاسْتِفْهَامِ، كَالِاسْتِطْطَاءِ نَحْوُ: كَمْ دَعَوْتُكَ، وَالْتَجَشُّبِ نَحْوُ: مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَى، وَالتَّشْبِيهِ عَلَى الضَّلَالِ، نَحْوُ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَالْوَعِيدِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَسِيءُ الْأَدَبَ: أَلَمْ أَأَدِّبْ فَلَانَا، إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ، وَالتَّقْرِيرِ

موضع الحرث، قال النفتازاني: ولم يحىء أنى زيد بمعنى كيف هو (كثيراً ما تستعمل في غير الاستفهام) على سبيل المجاز. قال النفتازاني وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أى نوع من أنواعه مما لم يحتم حوله أحد (نحو كم دعوتك) ومنه بيت السقط:

إِلَى مَ وَفِيمَ تَنْقَلُبُنَا رِكَابَ رَوَّاقِلٍ أَنْ يَنْكُونُ لَنَا أَوَّالَ

(والتقرير) أى حمل المخاطب على الإفراز بما يعرفه وإجائه إليه (بإيلا إلى آخره) أى يشترط أن يكون المقرر به تالياً للهمزة (١) كما من أن المستفهم عنه هو ما يلي الهمزة فتقول: أفعلت، إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه: وتقول: أنت فعلت، إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، وتقول: أزيداً ضربت إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد وبما جعلت الهمزة فيه للتقرير بالفاعل قوله تعالى حكاية عن قول نمرود: أنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم، قال الشيخ في دلائل الإعجاز: لاشبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام

(١) أى إذا كان التقرير بالهمزة فإنها هى التى تجيء للتقرير بالفعل والفاعل والمفعول بخلاف البواقي فإن هل تكون للتقرير بنفس الحكم نحو: هل ثوبتك؟ ما كانوا يفعلون، والأسماء الاستفهامية للتقرير بما يسأل بها عنه نحو: كم أتيتهم من آية بيّنة، ومن الذى ضربته وهكذا.



بِإِيلَاءِ الْمُقَرَّرِ بِهِ الْهَمْزَةُ ، كَمَا مَرَّ : وَالْإِنْكَارِ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : أَعْيَرَ اللَّهُ

وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان كيف ، وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم : أنت فعلت هذا ، وقال هو عليه السلام في جوابهم بل فعله كبيرهم هذا ، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب : فعلت أو لم أفعل ( والإنكار كذلك ) فيشترط أن يلي المنكر الهمزة (١) قال امرؤ القيس :

\* أَيْقَتْنِي وَالْمَشْرِفُ مَضَا جَعِي \*

فهذا لإنكار الفعل ، لأنه قال والمشرقي مضاجعي ، فذكر ما يكون مانعاً من الفعل ، والمانع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون في نفسه عاجزاً عنه ، وقال الله جل شأنه : أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، فهذا لإنكار الفاعل ، أى ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بظاهر قدرته وبالف حكمته ، وعد الزمخشري قوله : فأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وقوله : فأنت تسمع الصم أو تهذي العمى ، من هذا تضرب ، على أن المعنى أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ، وأفأنت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والإلجام ، أى إنما يقدر على ذلك الله لا أنت ، وحمل السكاكي تقديم الاسم في هذه الآيات على البناء

( ١ ) يعنى إذا كان الإنكار بالهمزة ، وأما غيرها وإن صح بحمته الإنكار لكن لايجرى فيه هذا التفضيل ، وهو مثل قولك : فإذا يضرك لو فعلت كذا ، وكيف تؤذى أباك وقوله :

\* مِنْ أَيْنَ تَدْرِي مَا الْعَرَارُ مِنَ الرَّندِ \*

العرار : نبت طيب الرائحة ، والرند : شجر كذلك .

تَدْعُونَ ، وَمِنْهُ : أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ، أَيُّ اللَّهِ كَافٍ عَبْدَهُ ، لِأَنَّ إِنْكَارَ  
النَّفْيِ نَفْيٌ لَهُ ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ ؛ وَهَذَا مُرَادُ مَنْ قَالَ إِنَّ الِهِمَزَةَ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ ،  
أَيُّ بِمَا دَخَلَهُ النَّفْيُ لَا بِالنَّفْيِ ، وَلَا لِإِنْكَارِ الْفِعْلِ صُورَةَ أُخْرَى ، وَهِيَ نَحْوُ :  
أَزِيدًا ضَرَبْتَ أَمْ عَمْرًا ، لِمَنْ يُرَدُّ الضَّرْبُ بَيْنَهُمَا . وَالْإِنْكَارُ إِمَّا لِلتَّوْبِيخِ

على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر في نحو : أنا ضربت ، فلا يفيد  
إلا تقوى الإنكار . وقال تعالى : أغير الله اتخذ ولياً ، فهذا لإنكار المفعول ،  
فإن المذكر هو اتخاذ غير الله ولياً ، وأما قوله عز وجل : ألتخذ أصناماً آلهة ،  
فالمسكوك هو نفس اتخاذ الآلهة فلهذا ولي الفعل ( ومنه ) أى من بجىء الهمزة  
للإنكار ( أليس الله بكاف عبده ) ومثله قوله تعالى : ألم نشرح لك صدرك ،  
وَألم يجحدك يثما فأوى ، وقول جرير في عبد الملك :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ اللَّطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ يُطَوْنَ رَاحَ

ولهذا كان مدحاً بل قيل إنه أمدح بيت قالتها العرب ( من قال ) هو  
الزحشرى ( أى بما دخله النفي ) وحينئذ يحسن أن يقال إن الهمزة للتقرير  
كما يحسن أنه يقال إنها للإنكار ( لمن يردد الضرب بينهما ) أى لمن يدعى أنه  
ضرب إما زيدا وإما عمراً دون غيرهما ، لأنه إذا لم يتعلق الفعل بأحدهما  
والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة . ومن هذا الباب  
قوله تعالى : قل الذكركين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرجام الأنثيين ،  
أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم في أحد الأشياء ، ثم أريد  
معرفة عين المحرم ، مع أن المراد بإنكار التحريم من أصله ، وكذا قوله :  
الله أذن لكم ، إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى

أَيُّ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَحْوُ : أَعَصَيْتَ رَبَّكَ ، أَوْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ  
نَحْوُ : أَتَعْصِي رَبَّكَ ؛ أَوْ لِلتَّكْذِيبِ ، أَيُّ أَمٍّ يَكُنْ ، نَحْوُ : أَفَأَصْنَأَكُمْ  
رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِينَ ، أَوْ لَا يَكُونُ نَحْوُ : أَنْزَلُكُمْ هَا ، وَالتَّهْكُّمُ نَحْوُ :  
أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَالتَّحْقِيرُ نَحْوُ : مَنْ هَذَا ، وَالتَّهْوِيلُ  
كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ : وَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ

إِذْنٌ فِيمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِذْنُ قَدْ كَانَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ ، فَأَصَافُوهُ إِلَى  
اللَّهِ ، إِلَّا أَنْ اللَّفْظَ أَخْرَجَ مَخْرَجَهُ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَيْسَ أَشَدُّ لِنَفْيِ ذَلِكَ  
وَلِإِبْطَالِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَفَى الْفِعْلَ عَمَّا جَعَلَ فَاعِلًا لَهُ فِي الْكَلَامِ وَلَا فَاعِلَ لَهُ غَيْرُهُ  
لَزِمَ نَفْيُهُ مِنْ أَصْلِهِ ( نَحْوُ أَعَصَيْتَ رَبَّكَ ) أَيُّ لَمْ كَانَ الْعَصِيَانِ وَمَا كَانَ يَنْبَغِي  
أَنْ يَقَعَ ( نَحْوُ أَتَعْصِي رَبَّكَ ) مِثْلُهُ قَوْلُكَ لِلرَّجُلِ يَضِيعُ الْحَقُّ : أَتَنْفِي قَسْدِي  
لِحَسَانِ فُلَانٍ ، أَتَتْرَكَ صَحْبَهُ وَتَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِكَ مَعَهُ ، لِأَنَّ تَغْيِيرَ الزَّمَانِ . وَقَوْلُكَ  
لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتَخْرُجُ فِي هَذَا الْوَقْتُ ، أَتَذْهَبُ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ ، أَتَغْرُرُ  
بِنَفْسِكَ ( نَحْوُ أَنْزَلُكُمْ هَا ) أَيُّ أَنْسَكُرْهُمْ عَلَى قَبُولِ الْبَيِّنَةِ وَنَقْصَرِكُمْ عَلَى الْإِهْتِمَامِ  
بِهَا وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَهَا لَا يَكُونُ ذَلِكَ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَتَتْرَكَ أَنْ قُلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذَا لَلَّيْتُ

هَذَا ، وَقَدْ يَكُونُ اسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِ الَّذِي بِمَعْنَى النَّفْيِ لِلتَّوْبِيخِ أَيْضًا مِثْلُ  
قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ ، الْمَعْنَى أَيُّ تَبَعُوا عَلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ  
وَتَرَكَ الْفِتَاكَ ، وَهَذَا اللَّزْمُ وَالتَّوْبِيخُ وَإِلَّا فَلِكُلِّ مَصْلَحَةٍ فِيهِ ( وَالتَّهْكُّمُ )  
مَعْطُوفٌ عَلَى الْاسْتِغْطَامِ ( كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ ) فَإِنَّ الْمَعْنَى عَلَيْهَا أَنَّهُ لَمَّا وَصَفَ  
اللَّهُ تَعَالَى الْعَذَابَ بِأَنَّهُ مُهِينٌ لَشِدَّتِهِ وَفُظَاةِ شَأْنِهِ ، أَرَادَ أَنْ يَصُورَ كُنْهَهُ فَقَالَ :

مَنْ فِرْعَوْنُ ، بِإِفْظَالِ الْإِسْتِفْهَامِ وَرَفْعِ فِرْعَوْنُ ، وَلِهَذَا قَالَ : إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا  
مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالْإِسْتِفْهَامُ نَحْوُ : أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ  
مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ . وَمِنْهَا الْأَمْرُ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صِغَتَهُ مِنَ الْمُقْتَرَنَةِ  
بِالْأَمْرِ ، نَحْوُ : لِيَحْضُرَ زَيْدٌ ، وَغَيْرِهَا ، نَحْوُ : أَكْرِمَ عَمْرًا ، وَرَوَيْدَ بَكْرًا

من فرعون ، أتعرفون من هو في فرط عتوه وتكبره ونجبره ، ما ظنكم بعذاب  
يكون هو المعذب به ، ثم عرف حاله بقوله : إنه كان عالياً من المسرفين «تكملة»  
قد يراد بالاستفهام التوبيخ والتعجيب جميعاً مثل قوله تعالى : كيف تكفرون  
بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم الآية ، أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون  
بهذه القصة . أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبغي عن الانهماك في  
الغفلة أو الجهل ، وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم  
بإلصاف وعليه به يأبى أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ،  
ونظيره : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب .  
والحاصل أن كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على حقيقة تولد منه بمعونة  
القرائن ما يناسب المقام ، ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف ، ولا  
ينحصر أيضاً شيء منها في أداة دون أداة بل الحاكم في ذلك هو سلامة الذوق  
وتتبع التركيب ، فلا ينبغي أن تقتصر في ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته  
من غير أن تنخطأ : بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله الهادي (ومنها  
الامر) وهو في اللغة استعمال صيغة دالة على طالب من المخاطب على طريق  
الاستعلاء (من المقترنة باللام إلى آخره) في هذا إشارة إلى أن أقسام صيغة  
الامر ثلاثة : الأول : المقترنة باللام للجازمة ويختص بما ليس للعامل المخاطب ،

مَوْضُوعَةً لَطَلَبِ الْفِعْلِ اسْتِعْمَالًا، لِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ سَمَاعِهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ،  
وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ لِغَيْرِهِ كَالْإِهَانَةِ نَحْوُ : جَالِسِ الْحَسَنِ أَوْ ابْنِ سِيرِينَ ، وَالتَّهْدِيدِ  
نَحْوُ : اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، وَالتَّعْجِيزِ نَحْوُ : فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَالتَّخْذِيرِ  
نَحْوُ : كُونُوا قِرْدَةً حَاسِثِينَ ، وَالْإِهَانَةِ نَحْوُ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ،  
وَالتَّسْوِيةِ نَحْوُ : اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ، وَالتَّعْنِي نَحْوُ \* أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ

والثاني : ما يصلح أن يطلب بها الفعل من الماعل المخاطب بمحذف حرف  
المضارعة ، والثالث : اسم دال على طلب الفعل ، وهو عند النحاة من أسماء  
الأفعال ، والأولان لغاية استعمالهما في حقيقة الأمر ، أعنى طلب الفعل على  
سبيل الاستعلاء ، سماهما النحويون أمراً ، سواء استعملتا في حقيقة الأمر  
أو في غيرها ، حتى إن لفظ اغفر في قولنا : اللهم اغفر لنا ، أمر عندهم .  
وأما الثالث : فلما كان اسماً لم يسموه أمراً تمييزاً بين البابين ( رويد بكرة ) رويد  
اسم فعل بمعنى اعمل ( وقد تستعمل لغيره ) مما يناسب المقام بحسب القرائن  
نحو : ( جالس الحسن أو ابن سيرين ) قال السكاكي : ومن أحسن ما جاء  
فيه قول كثير :

أَيُّهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ لَا تَقْلِبُوا أَعْيُنَكُمْ عَنْ حَقِّهِ وَلَا تَقْلِبُوا أَعْيُنَكُمْ عَنْ حَقِّهِ

أي لا أنت ملومة ولا مقامية ، ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل  
تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أي مهما اخترت في حق من الإساءة  
والإحسان ، فأنا راض به غاية الرضا فعمامتي بهما ، وانظري هل تتفاوت حالى  
معك في الحالين ( نحو ألا أيها الليل ) وتماه :

أَلَا أَنْجَلِي \* وَاللَّعْنَةُ نَحْوُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَالْإِثْمَاسِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ  
رُتْبَةً : افْعَلْ ، يَدُونِ الْإِسْتِعْلَاءِ ثُمَّ الْأَمْرُ ؛ قَالَ السَّكَاكِيُّ : حَقُّهُ الْقَوْرُ ،  
لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ الطَّائِبِ ، وَلِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْأَمْرِ  
بِخِلَافِهِ إِلَى تَغْيِيرِ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ دُونَ الْجَمْعِ وَإِرَادَةِ التَّرَاخِي ، وَفِيهِ نَظَرٌ .  
وَمِنْهَا النَّهْيُ ، وَلَهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ لَا الْجَارِمَةَ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : لَا تَفْعَلْ ،  
وَهُوَ كَالْأَمْرِ فِي الْإِسْتِعْلَاءِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ طَائِبِ الْكَفِّ أَوْ التَّرَكِّ  
كَالتَّهْدِيدِ ، كَقَوْلِكَ لِعَبْدٍ لَا يَتَّبِعُ أَمْرَكَ : لَا تَمْتَنِّشْ أَمْرِي : وَهَذِهِ

\*: يَصْبُحُ وَمَا الْأَصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ \*

وهو لامرئ القيس . الانجلاء : الانكشاف ، والامثل : الأفضل . يقول  
ليزل ظلامك بضياء من الصبح ثم قال : وليس الصبح بأفضل منك عندي لأنني  
أفاسي الهموم نهراً كما أعانيها ليلاً ، أو لأن نهاري أظلم في عيني لازدحام  
الهموم على حتى حكي الليل . فلما كان الليل لا يصح أن يطلب منه الانجلاء  
كانت هذه الصيغة للمتنى ولم تجعل للترجي ، لأن التنمى لما بعد ، ومن شأن  
الحب أن يستبعد انجلاء الليل ( إلى تغيير الأمر الأول الخ ) قال السكاكبي :  
فإن المولى إذا قال لعبده قم ، ثم قال له قبل أن يقوم اضطجع حتى المساء ،  
يتبادر الفهم إلى أنه غير الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ، لا أنه أراد  
الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخي أحدهما ( وفيه نظر ) لأن ذلك غير  
مسل عند خلو المفاتم عن القرائن ، فليس مفهوماً الأمر إلا الطلب استعماله ،  
والقور والتراخي مفوض إلى القرينة ( ومنها النهي ) وهو طلب الكف  
عن الفعل استعماله ( طاب الكف أو الترك ) يشير بذلك إلى الخلاف الذي

الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها، كقولك: لیت لی مالا أنفقهُ ، أي  
إن أَرَفَقَهُ أنفقهُ ، وأینَ بَیْتُكَ أَرُوكَ ، أي إن أَعْرِفْنِيهِ أَرُوكَ ، وأَكرِمْنِي  
أَكرِمَكَ ، أي إن تُكرِمْنِي أَكرِمَكَ ، ولا تُشْتَمْنِي یَكُنْ خَیْراً لك ،  
أي إن لا تُشْتَمْنِي یَكُنْ خَیْراً لك . وأَمَّا العَرَضُ كقولك : أَلَا تَنْزِلُ تُصِيبُ  
خَیْراً ، فَمَوْلَاكَ مِنَ الاستفهام ، و يجوز تقدير الشرط في غيرها لقرينة نحو :

قام بين الأشاعرة والمعتزلة ، فإن الأشاعرة يزعمون أن مقتضى النهي كف  
النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده ، والآخرين ذهبوا إلى أنه ترك  
الفعل . وتحقيق هذا البحث مما تكفل به علم الأصول ( الأربعة ) يعنى  
التمنى والاستفهام والأمر والنهى ( يجوز تقدير الشرط بعدها ) قال التفنيزانى :  
ووجه ذلك أن كل كلام لابد فيه من حامل المتكلم عليه ، والحامل على  
الكلام الخبرى لإفادة المخاطب بمضمونه ، وعلى الطالب كون المطالب مقصود  
المتكلم لما لذاته أو لغيره يعنى يتوقف ذلك النبر على حصوله وتوقف غيره  
على حصوله هو معنى الشرط . فإذا ذكرت الطالب ولم تذكر بعده ما يصاح  
توقفه على المطالب ، جوز المخاطب كون ذلك المطالب مقصوداً لنفسه ولغيره  
ولأن ذكرت بعد ذلك غاب على ظنه كون المطالب مقصوداً لذلك المذكور  
لا لنفسه ، فيكون إذن معنى الشرط فى الطالب مع ذكر ذلك الشيء ظاهراً  
( فبولد من الاستفهام ) وليس به ، لأن التقدير أنه لا ينزل فالاستفهام عن  
عدم النزول طلب للحاصل وهو محال ( النداء ) هو طلب لإقبال المدعو على  
الداعى بأحد حروف مخصوصة كائناً وأصله لنداء البعيد وقد ينزل غير البعيد  
منزلة البعيد لكونه نائماً أو ساهياً حقيقة ، أو بالنسبة إلى الأمر الذى تساديه

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَلَوْلَا هُوَ الْوَلِيُّ ، أَيْ إِنْ أَرَادُوا أَوْلِيَاءَ بِحَقِّ .  
وَمِنْهَا النَّدَاءُ ، وَقَدْ تَشَبَّهَتْ صَيِّغَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْنَاهُ ، كَالْإِغْرَاءِ فِي قَوْلِكَ لِمَنْ

له يعني أنه بلغ من علو الشأن إلى حيث أن المخاطب لا يقي بما هو حقه من السعي فيه وإن بذل وسعه واستفرغ جهده ، فكأنه غافل عنه بعيد منه ، وأى بالهزمة ، وأصاها للقريب ، وقد يستعملان في البعيد تنبيهاً على أنه حاضر في القلب لا يغيب عنه أصلاً كقول الشاعر :

أَسْبَكَّانَ نِعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا      بِأَنْتَكُمُ فِي رُبْعٍ قَائِي سَكَّانُ

وأما يا فقال ابن الحاجب إنها حقيقة في القريب والبعيد ، لأنها لطلب الإقبال مطلقاً ، وقال الزمخشري إنها للبعيد ، واستعمالها في القريب إما لاستبعاد الداعي نفسه عن مرتبة المدعو نحو يا الله ، وإما للتنبيه على معظم الأمر وعلو شأنه وأن المخاطب مع شدة حرصه على الامتثال كأنه غافل عنه نحو : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ، وإما للحرص على إقباله كأنه أمر بعيد نحو : يا موسى أقبل ، وإما لغير ذلك من الأغراض والمقاصد ( كالإغراء ) والاستغاثة كقولك : يا الله من ألم الفراق ، والتعجب نحو : يا ليلاء والعشب والتدله والتحجير والنضجر كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا كقوله :

« يَا مَنَازِلَ سَلَامِي أَيَّنَ سَلَامِكَ »

، قوله :

بَانَاقٍ حِدِّي فَقَدْ أَفْنَتَ أَنَاثَكَ بِي      صَبْرِي وَغَمْرِي وَأَحْلَاسِي وَأُنْسَايَ <sup>(١)</sup>

( ١ ) الأناثة : الثاني والأحلاس جميع حاس : وهو كسواء يطرح على ظهر البعير ، والأنساع جمع نسع : وهو ما ينسج للتصدير أى الحزام في صدر البعير .



أَقْبَلَ يَنْظُرُ : يَا مَظْلُومُ ، وَالِاخْتِصَاصِ فِي قَوْلِهِمْ : أَنَا أَفْعَلُ كَذَا أَيُّهَا

والتوجه والتحسر كقوله :

فَيَا قَبْرَ مَعْنَى كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُنْزَعًا  
وأما هذه المعاني كثيرة في الكلام ( والاختصاص ) وهو إما في معرض  
التفاخر نحو : أنا أكرم الضيف أيها الرجل ، أو التصاغر نحو : أنا  
المسكين أيها الرجل ، أو مجرد بيان المقصود بذلك الضمير ، فكل هذا صورته  
صورة النداء وليس به ، لأن أيا وما جعل وصفاً له لم يرد به المخاطب بل هو  
عبارة عما دل عليه ضمير المتكلم السابق ولا يجوز فيه إظهار حرف النداء لأنه  
لم يبق فيه معنى النداء أصلاً فذكره التصريح بأدائه ، فقوله أيها الرجل : فأى  
مضموم والرجل مرفوع كما في النداء لكن مجموعه في محل نصب على الحال ،  
ولذلك قال المصنف أى مختصاً من بين الرجال . وقد يقوم مقام أى اسم  
منصوب إما معرف باللام نحو : نحن العرب أقرى الناس للضيف ، أو مضاف  
نحو إنما معاشر الأنبياء لأنورث ، وربما يكون علماً كقوله :

بِنَا نَمِيماً يُكْشِفُ الضُّيَابُ

قال ابن الحاجب المعروف ليس منقولاً عن النداء ، ونحو : أيها الرجل  
منقول عنه قطعاً ، والمضاف يحتمل الأمرين النقل فيكون منصوباً بياء مقدزة ،  
وكونه مثل المعرف فيكون منصوباً بتقدير أعنى أو أخص ، قال الإمام  
المرزوقي في قول الحماني :

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نُدْعَى لِأَبٍ

الفرق بين أن ينصب بنى نهشل على الاختصاص ، وبين أن يرفع على

الرَّجُلُ ، أَمَّا مُتَخَصِّصًا مِنْ بَيْنِ الرِّجَالِ . ثُمَّ الْخَبَرُ فَدَقَّ يَقَعُ مَوْقِعَ الْإِنْشَاءِ  
إِمَّا لِلتَّنَاقُلِ ، أَوْ لِإِظْهَارِ الْحَرْصِ فِي وَقْعِهِ ، كَمَا مَرَّ ، وَالذَّعَاءُ بِصِغَةِ الْمَاضِي  
مِنَ الْبَلِيغِ يَحْتَمِلُهُمَا ، أَوْ لِلإِحْتِرَازِ عَنْ صُورَةِ الْأَمْرِ ، أَوْ لِجَمَلِ الْمُخَاطَبِ  
عَلَى الْمَطْلُوبِ ، بَأَنَّهُ يَكُونُ يَمْنَنٌ لَا يَحِبُّ أَنْ يُكَذَّبَ الطَّالِبُ .

﴿ تَنْبِيْهُ ﴾ الْإِنْشَاءُ كَالْخَبَرِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا ذُكِرَ فِي الْأَبْوَابِ الْخَمْسَةِ  
السَّابِقَةِ ، فَلْيَعْتَبِرْهُ النَّاطِرُ .

الخبرية هو أنه لو جعله خبراً لسكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب وكان  
فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم ، وإذا نصب  
من ذلك ( قد يقع موقع الإنشاء ) مجازاً ( للتناول ) كما إذا قيل لك في  
مقام الدعاء : أعاذك الله من الشبهة ، وعصمك من الخيرة ، وحجب إليك التثبت  
وزين في عنك الإنصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأودع صدرك برد اليقين  
ليتفادى بلفظ المضى سلباً عدها من الأمور الحاصلة التي حتمها الإخبار عنها  
بأفعال ماضية ( أو لإظهار الحرص في وقوعه ) لما تقدم من أن الطالب إذا  
عظمت رغبته في شيء كثرت تصوره إياه ، فربما يخيل إليه حاصلاً فيورد بلفظ  
الماضي ( يحتملها ) أي التناول وإظهار الحرص ( أو للاحتراز عن صورة الأمر )  
كقول العبد للولي إذا حول عنه الوجه ينظر الولي إلى ساعة ( أو لجل  
المخاطب الخ ) فتقول لصاحبك الذي لا يحب أن تنسب إلى الكذب : تأتيني  
غداً ، تحمله أبلغ حمل بالطف وجه على الإتيان

﴿ الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ﴾

الْوَصْلُ عَطْفُ بَعْضِ الْجُمْلِ عَلَى بَعْضٍ ، وَالْفَصْلُ تَرْكُهُ ، فَإِذَا أَتَتْ جُمْلَةٌ بَعْدَ جُمْلَةٍ ، فَأَلَاوَلَى إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهَا مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ ، أَوْ لَا ، وَعَلَى الْأَوَّلِ ، إِنْ قَصِدَ تَشْرِيكَ الثَّانِيَةِ لَهَا فِي حُكْمِهِ عَطْفَتْ عَلَيْهَا كَلْفَرْدٍ ، فَشَرِطُ كَوْنِهِ مَقْبُولًا بِالْوَاوِ وَنَحْوِهِ <sup>(١)</sup> أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ ،

﴿ الفصل والوصل ﴾ قال الشيخ الإمام في دلائل الإعجاز : اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجىء بها متشورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ، وما لا يأتي بتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخاص ، والاقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد ، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل ، ذاك لغموضه ودقة مسلكه ، وأنه لا يسكل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلاكمل لمائر معاني البلاغة .

وأما بعد : فإن من سئنا في هذا الشرح أننا عند الكلام على المبحث الذي تلحقه أجزاءه وتشترك كلماته ، نعود إلى نظم شرحه في سمط واحد ، حتى يكون على ظهر العيس وطرف الثمام فنقول :  
بما يسكاد يكون معروفاً أن فائدة العطف هو التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإن من الحروف العاطفة ما يفيد هذا القدر لحسب وهو

( ١ ) قول المصنف ، ونحوه : أى نحو الواو ، حشو فاسد ، لأن هذا الحكم يختص بالواو كما ستقف عليه .

نحو : زَيْدٌ يَكْتُبُ وَيَشْعُرُ ، أَوْ يُعْطَى وَيَتَمَتَّعُ ، وَلِهَذَا عَيَّبَ عَلَى  
أَبِي تَمَّامٍ قَوْلَهُ :

الواو ومنها ما يفيد مع ذلك معاني مثل إن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ  
وتم توجيه مع تراخ ، وأو تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه .  
ثم العطف إما في المفردات وإما في الجمل . فالذي في المفردات يقتضى تشريك  
الثاني في إعراب الأول وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك .  
الإعراب ، نحو إن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله ، والمعطوف على  
المنصوب أنه مفعول به أو فيه أو له شريك له في ذلك . والذي في الجمل ،  
فالجمل على ضربين : أحدهما أن يكون المعطوف عليها موضع من الإعراب  
وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد ، إذ لا يكون للجملة موضع من  
الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع  
المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد ، فإذا قلت : مررت  
برجل خلقه حسن وخلقه قبيح ، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى وذلك  
الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للشكرة . قال الشيخ الإمام : ونظائر ذلك  
تكثر ، والأمرفيها يسهل . الثاني : أن تكون الجملة المعطوف عليها عارية  
الموضع من الإعراب نحو : زيد قائم وعمرو قاعد ، وهذا الضرب هو الذي  
يدق مذهبه ويغمض أمره ، وإنما تكون الدقة في الواو دون غيرها من حروف  
العطف لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني كما علمت ، فإذا عطفت بواحد منها  
ظهرت الفائدة ، فإذا قلت : أعطاني فشكرته ، ظهر بالفاء أن الشكر كان معقباً  
على العطاء ومسبباً عنه ، وإذا قلت أخرجت ثم خرج زيد ، أفادت ثم إن خروجه  
كان بعد خروجه وأن مهلة وقعت بينهما ، وإذا قلت : يعطيك أو يكسرك

لَا وَالَّذِي هُوَ عَلِيمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ<sup>(١)</sup>  
وَالْأُفْصَلَتْ عَنْهَا ، تَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ  
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، لَمْ يُعْطَفَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ  
عَلَى إِنَّا مَعَكُمْ لِأَنَّهُ نَسِ مِنْ مَقُولِهِمْ ، وَعَلَى الثَّانِي إِنْ قَصِدَ رِبْطُهَا بِهَا

دلت أو على أنه يفعل واحداً منهما لابعينه . أما الواو فليس لها معنى سوى  
الإشراك ، فإذا قلت : جاءني زيد وعمرو ، لم تنفد بالواو شيئاً أكثر من اشتراك  
عمرو في المجرى الذي أنبته لزيد ولا يتصور اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك  
معنى يقع ذلك الاشتراك فيه . وإذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنا في قولنا  
زيد قائم وعمرو قاعد معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه كانت  
الدقة وثبت أن النموذج ، فنقول :

هذا الضرب .. وهو ما تكون الجملة الأولى فيه عارية الموضع من الإعراب -  
لا يخلو إما أن تكون الثانية متصلة من ذات نفسها بالأولى ومستغنية بربط  
معناها لها عن حرف عطف يربطها بأن كانت مؤكدة لها ومبينة ، وكانت إذا  
حصلت لم تكن شيئاً سواها ، وهذا لا يجوز إدخال العاطف عليه .. وإما أن  
لا تكون كذلك ، فيما أن يكون بين الثانية وبين الأولى مناسبة . وهنا يجب

( ١ ) قبله :

رَغِمَتْ هَوَاكَ عَفَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَا عَنْهَا طَلَّالٌ بِاللَّوَى وَرُسُومٌ  
وبعده :

مَا حَاطَتْ عَنْ سَتَنِ الْمِرْدَادِ وَلَا غَدَتْ نَفْسِي عَلَى إِلْفِ سِوَاكَ تَحْوُمُ

عَلَى مَعْنَى عَاطِفٍ سِوَى الْوَاوِ عُظِفَتْ بِهِ نَحْوُ : دَخَلَ زَيْدٌ فَخَرَجَ عَمْرُو ،  
أَوْ : ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو ، إِذَا قُصِدَ التَّعْقِيبُ أَوْ الْمُهْلَةُ ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ لِلْأَوَّلَى  
حُكْمٌ لَمْ يَقْصَدْ إعْطَاؤُهُ لِلثَّانِيَةِ فَالْفَصْلُ ، نَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ،  
الآيَةُ ، لَمْ يُعْطَفَ اللَّهُ يَسْتَنْزِي بِهِمْ عَلَى مَا قَالُوا إِسْلَامًا<sup>(١)</sup> يُشَارِكُهُ  
فِي الْإِخْتِصَاصِ بِالظَّرْفِ ، لِمَا<sup>(٢)</sup> مَرَّةً ، وَإِلَّا<sup>(٣)</sup> فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا كَمَالُ  
الْإِنْقِطَاعِ بِلَا إِيهَامٍ ، أَوْ كَمَالُ الْإِتِّصَالِ أَوْ شِبْهُ أَحَدِهِمَا ، فَكَذَلِكَ

ذكر العاطف ، أولاً يكون بينهما مناسبة رأساً ، وهنا لا يجوز ذكر العاطف .  
تقرير لهذا المعنى بعبارة أخرى : إن كان بين الجملتين كمال الاتصال أو كمال  
الانقطاع أو كانت الثانية بمنزلة المتصلة بالأولى أو بمنزلة المنقطعة عنها تعين  
الفصل ، وإن كان بينهما توسط بين الاتصال والانقطاع تعين الوصل . . أما  
كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه الأول أن تختلف  
الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى كقولهم : لاتدن من الأسد يأكلك بالرفع  
وقول الأخطل .

( ١ ) فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم وهو أن خذلهم وخلاهم وماسولت  
لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون مختصاً بحال خلوهم إلى شياطينهم  
وليس كذلك بل هو متصل لا انقطاع له بحال ( ٢ ) من كون تقديم الظرف  
يفيد الاختصاص ( ٣ ) أى إن لم يكن الأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية  
وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو يكون ذلك ولكن  
قصد إعطاؤه للثانية أيضاً .



أَوْ مَعْنَى فَقَطْ ؛ نَحْوُ : مَاتَ فُلَانٌ رَحِمَهُ اللهُ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا جَامِعَ بَيْنَهُمَا  
كَمَا سَيَأْتِي . وَأَمَّا كَمَالُ الْإِتِّصَالِ فَلْيَكُونِ الثَّانِيَةُ مُؤَكَّدَةً لِلأُولَى لِذِفْعِ  
تَوْحُمِ تَجَوُّزِ أَوْ غَلَطِ ، نَحْوُ : لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا بُولِغَ فِي وَصْفِهِ  
بِبُلُوغِهِ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى فِي الْكَمَالِ يَجْعَلُ الْمُبْتَدَأُ ذَلِكَ وَتَمْرِيفِ

إِذْنٍ وَلَيْسَ وِرَاءَ الْفَصْلِ إِلَّا الْوَصْلُ . يَحْكِي أَنَّ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ  
بِأَعْرَابِي فِي يَدِهِ ثَوْبٌ ، فَقَالَ لَهُ الصَّدِيقُ : أَتَبِيعُ هَذَا . فَقَالَ لَا يَرْحَمُكَ اللهُ . فَقَالَ  
لَهُ الصَّدِيقُ : قَدْ قَوْمَتِ أَلْسِنَتُكُمْ لَوْ تَسْتَقِيمُونَ ، لَا تَقُلْ هَكَذَا ، قُلْ لَا يَرْحَمُكَ  
اللهُ . وَيَحْكِي أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ قَالَ حِينَ سَمِعَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ : لَا أَيْدِكَ  
اللهُ ، هَذِهِ الْوَاوُ أَحْسَنُ مِنْ وَاوَاتِ الْأَصْدَاغِ عَلَى خُدُودِ الْمَلَاةِ . الثَّانِي أَنَّ  
لَا يَكُونُ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ جَامِعٌ ، وَمِنْ هُنَا عَابُوا أَبَا تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ (١) :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمُ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَمَرَارَةِ النَّوَى وَلَا تَعْلُقُ لِأَحَدِهِمَا  
بِالْآخَرِ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْجَامِعِ . وَأَمَّا كَمَالُ الْإِتِّصَالِ فَيَكُونُ لِأَحَدِ أُمُورِ  
ثَلَاثَةٍ : الْأَوَّلُ : أَنَّ تَكُونِ الثَّانِيَةُ مُؤَكَّدَةً لِلأُولَى وَالْمَقْتَضَى لِلتَّأْكِيدِ ذِفْعُ تَوْحُمِ  
التَّجَوُّزِ أَوْ الْإِطْلَافِ ، وَهُوَ قَسَمَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ تَنْزِلَ الثَّانِيَةِ مِنَ الْأَوَّلَى مَنَزَلَةُ التَّأْكِيدِ

(١) وَقَدْ تَمَحَّلَ النَّاسُ لِتَصْحِيحِ الْوَصْلِ فِي الْبَيْتِ بِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّ مَرَارَةَ  
النَّوَى سَبَبٌ يَقْتَضِي انْتِجَاعَ أَبِي الْحُسَيْنِ لِمَكَارِمِهِ الَّتِي تَزِيلُ شِظْلَةَ النَّوَى ، وَقَدْ  
بَالِغُ الطَّبِيعِي فِي اسْتِحْسَانِهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ مُتَضَادِّينِ ، هُمَا مَرَارَةُ النَّوَى  
وَحِلَاوَةُ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَأَبْرَزَهُمَا فِي مَعْرِضِ التَّوَخُّيِ .



الْخَبَرِ بِاللَّامِ ، جَازَ أَنْ يَتَوَهَّمَهُ السَّامِعُ قَبْلَ التَّأَمُّلِ أَنََّّهُ مِمَّا يُرْمَى بِهِ

المعنوى من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى مثل قوله تعالى (١) :  
ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، فإنه لما بواغ في وصف الكتاب بأنه بلغ  
الدرجة القصوى من الكمال حيث (٢) جعل المبتدأ لفظة ذلك وأدخل على الخبر  
حرف التعريف كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أن ينظمه في سلك ما قد  
يرمى به على سبيل الجراف من غير تحقق وإيقان ، فأتبعه لا ريب فيه نفيًا  
لذلك ، وقد أصيب به المحرز ، فوزانه وزان نفسه في قولك : جاءني زيد نفسه ،  
وبش هذا قوله جل شأنه : كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ . الثاني : مقرر لما أفاده  
الأول ، من اللطيف في ذلك قوله تعالى : ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، فصل

(١) ذلك على تقدير أن يكون ألم جملة مستقلة ، وذلك الكتاب جملة ثانية ،  
ولاريب فيه جملة ثالثة ، وهناك وجوه آخر ذكرها المفسرون . هذا والنبي ذكره  
الشيخ في دلائل الإعجاز أن قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك  
الكتاب وزيادة تلييت له وبمزالة أن تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب  
فتعيده مرة ثانية تثبيته ، وإذن يكون التوكيد لفظياً .

(٢) وأنت قد علمت أن تعريف المسند إليه بالإشارة يدل على كمال العناية  
بتمييزه وأنه ربما يجعل ذريعة إلى تعظيمه وبعد درجته ، وأن تعريف المسند إليه  
باللام يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ؛ فعنى ذلك الكتاب : أنه الكتاب الكامل  
كان ما غداه من الكتب في مقابله ناقص ، وأنه يستحق أن يسمى كتاباً كما تقول  
هذا هو الرجل أى الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات  
الخصال ، وكما قال : هم القوم كل القوم بأمر خالد .

جَزَافًا فَأَتْبَعَهُ <sup>(١)</sup> نَفِيًّا لِذَلِكَ التَّوَهُّمِ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ نَفْسِهِ فِي : تَجَافَى زَيْدٌ  
نَفْسَهُ ، وَتَتَوَّعُ : هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ فِي الْهِدَايَةِ بِالْغَرَجَةِ لَا يُدْرِكُ  
كُنْهَهَا حَتَّى كَأَنَّهُ هِدَايَةٌ مُحْضَةٌ ، وَهَذَا مَعْنَى ذَلِكَ الْكِتَابُ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ -  
كَمَا مَرَّ - الْكِتَابُ الْكَامِلُ ، وَالْمُرَادُ بِكَمَالِهِ كَمَالُهُ فِي الْهِدَايَةِ ، لِأَنَّ  
الْكِتَابَ السَّمَاوِيَّ بِحَسَبِهَا تَتَفَاوَتُ فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ : فَوَزَانُهُ وَزَانُ

إِنْ هَذَا لِكُرُونِهِ مُؤَكِّدًا لِلأَوَّلِ نَفِيٌّ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا ، وَلِئِنْ <sup>(٢)</sup> أَنْ تَقُولَ الَّذِي  
عَلَيْهِ الْعَرَفُ مَتَى قِيلَ فِي حَقِّ إِنْسَانٍ مَا هَذَا بَشَرًا ، مَا هُوَ بَادِي فِي حَالِ الْعَظِيمِ  
لَهُ وَالتَّعَجُّبُ عَمَّا يَشَاهِدُ مِنْهُ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ ، وَالْخَلْقُ هُوَ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ أَنَّهُ مُلْكٌ  
فَوْقَ قَوْلِهِ إِنْ هَذَا إِلَّا مُلْكٌ تَأْكِيدًا لِلْمَلَكِيَّةِ فَفَصَّلَ ، وَثَانِيهَا أَنْ تَنْزِلَ الثَّانِيَّةُ  
مِنَ الْأُولَى مِنْزِلَةً التَّأْكِيدِ اللَّفْظِيِّ مِنْ مَتَّبِعِهِ فِي اتِّحَادِ الْمَعْنَى ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى :  
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي الْهِدَايَةِ بِالْغَرَجَةِ لَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا حَتَّى كَأَنَّهُ  
هِدَايَةٌ مُحْضَةٌ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ذَلِكَ الْكِتَابُ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَمَا تَقْدُمُ الْكِتَابُ  
الْكَامِلُ ، وَالْمُرَادُ بِكَمَالِهِ كَمَالُهُ فِي الْهِدَايَةِ ، لِأَنَّ الْكِتَابَ السَّمَاوِيَّ بِحَسَبِهَا يَتَفَاوَتُ  
شَأْنُهَا فِي دَرَجَاتِ الْكَمَالِ . الثَّانِي أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَّةُ بَدَلًا مِنَ الْأُولَى وَالْمَقْتَضَى  
لِلإِبْدَالِ أَنْ تَكُونَ الْأُولَى غَيْرَ وَاقِعَةٍ بِتِمَامِ الْمُرَادِ وَإِيرَادِهِ ، أَوْ كَغَيْرِ الْوَاقِعَةِ

( ١ ) وَلِئِنْ أَنْ تَخْرُجَهُ مِنَ التَّأْكِيدِ وَتَجْعَلَهُ مِنْ بَابِ الْيَمِينِ قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ  
لأنه إذا نفي أن يكون بشراً فقد أثبت له جنس سواه ، إذ من المحال أن يخرج  
من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس آخر ، وإذا كان كذلك كان إثباته ملكاً  
تبييناً لذلك الجنس وتعييناً له

( ٢ ) قول المصنف فأتبعه : أى أتبع لاريب فيه ذلك الكتاب ، أى جعل  
لاريب فيه تابعاً لذلك الكتاب .

زَيْدُ الثَّانِي فِي جَاءَنِي زَيْدُ زَيْدًا ، أَوْ بَدَلًا مِنْهَا ، لِأَنَّهَا غَيْرُ وَافِيَةٍ بِتِمَامِ  
الْمُرَادِ أَوْ كَغَيْرِ الْوَافِيَةِ ، بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ وَالْمَقَامُ يَقْتَضِي اعْتِنَاءَ بِشَأْنِهِ  
لِلْمُسْكِنَةِ ، كَكَوْنِهِ مَطْلُوبًا فِي نَفْسِهِ أَوْ فَظِيلًا أَوْ عَجِيبًا أَوْ لَطِيفًا ، نَحْوُ :  
أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ  
التَّنْبِيْهُ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِي أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَيْهَا بِالتَّفْصِيلِ  
مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ عَلَى عِلْمِ الْمُخَاطَبِينَ الْمُعَانِدِينَ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ وَجْهِهِ فِي :  
أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَجْهَهُ لِدُخُولِ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

والمقام مقام اعتناء بشأنه ، إما لكونه مطلوباً في نفسه ، أو لكونه فظيلاً أو  
عجيباً أو لطيفاً أو غير ذلك مما له وجه استدعاء للاعتناء بشأنه ، فيعيده  
المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناس القصد إلى المراد ، ليظهر بمجموع  
القاصدين إليه في الأول ، والثاني أغنى المبدل منه والبديل مزيد الاعتناء بالشأن  
وهذا ضريران أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه  
مثل قوله تعالى : أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، فإنه مسوق  
للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ، أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ  
مما قبله لذلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ،  
والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون فوزانه وزان  
وجهه في قولك أعجبني زيد وجهه . قال السكاكي : ويحتمل الاستئناس . وثانيهما :  
أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتغال من متبوعه ، مثل قوله تعالى :  
اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ، فإن المراد به حمل  
المخاطبين على اتباع الرسل وقوله تعالى : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ ،

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا « وَإِلَّا فَسَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا  
فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ كَمَالُ إِظْهَارِ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ ، وَقَوْلُهُ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا  
أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَيْهِ بِالمُطَابَقَةِ مَعَ التَّأْكِيدِ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ  
حُسْنِهَا فِي : أَعْجَبَنِي الدَّارُ حُسْنُهَا ، لِأَنَّ عَدَمَ الإِقَامَةِ مُعَارِزُ الإِرْتِمَالِ

أَوْفَى بِتَأْدِيَةِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ اتَّبَعُوا مَنْ لَا تَخْشَرُونَ مَعَهُمْ شَيْئاً مِنْ دُنْيَاكُمْ  
وَتَرْجَحُونَ صِحَّةَ دِينِكُمْ ، فَيَنْتَظِمُ لَكُمْ خَيْرُ الدُّنْيَا وَخَيْرُ الْآخِرَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ  
القَائِلِ :

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا « وَإِلَّا فَسَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا  
فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ كَلَامِهِ هَذَا إِظْهَارُ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ بِسَبَبِ خِلَافِ سِرِّ  
الْعَلَنِ ؛ وَقَوْلُهُ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا أَوْفَى بِتَأْدِيَةِ هَذَا الْمَقْصُودِ مِنْ قَوْلِهِ ارْحَلْ لِذِلَالَةِ  
ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالتَّضَمُّنِ مَعَ التَّجَرُّدِ عَنِ التَّأْكِيدِ ، وَذِلَالَةُ هَذَا عَلَيْهِ بِالمُطَابَقَةِ مَعَ  
التَّأْكِيدِ . وَوَزَانُ الثَّانِيَةِ فِي الْآيَةِ وَالسُّنَنِ وَزَانُ حُسْنِهَا فِي قَوْلِكَ : أَعْجَبَنِي الدَّارُ  
حُسْنُهَا ، لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُغَايِرَ لِمَعْنَى مَاقِبِلِهَا وَغَيْرِ دَاخِلٍ فِيهِ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَلَابِسَةِ .  
الثَّالِثُ : أَنَّ تَكُونَ الثَّانِيَةَ (١) بَيَاناً لِلأُولَى ، وَذَلِكَ بِأَنَّ تَنْزِلَ مِنْهَا مَنْزِلَةٌ عَظُفَ

( ١ ) وَقَدْ تَعَطَّفَ الْجُمْلَةُ الَّتِي تَصْلُحُ بَيَاناً لِلأُولَى عَلَيْهَا تَنْبِيْهَا عَلَى اسْتِقْلَالِهَا  
وَمُغَايِرَتِهَا لَهَا ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْعَذَابِ  
وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ، مَعَ الْوَاوِ ، وَقَدْ قَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ يَذْبَحُونَ : غَيْرِ وَآوِ خِفَتْ  
طَرَحُ الْوَاوِ جَعَلَ التَّنْذِيحَ تَفْسِيرًا لِلْعَذَابِ وَبَيَانًا لَهُ . حَيْثُ أَثْبَتَ جَعَلَ التَّنْذِيحَ  
لِأَنَّهُ أَوْفَى عَلَى جَنْسِ الْعَذَابِ ، وَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً ظَاهِرَةً كَأَنَّهُ جَنْسُ آخِرِ .

وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملازمة ، أو بياناً لها ، لحقائهما ، نحو :  
فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك  
لا يبلى ، فإن وزانه وزان عمر في قوله :

« أقسم بالله أبو حفص عمر »

وأما كونها كلمة مقطوعة عنها فلا يكون عطفها عليها موهباً لعطفها  
على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله :  
وتظن سلمى أننى أبغى بها \* بدلاً أراها في الضلال تهيم

البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى  
فوق خفاء مع اقتضاء المقام إزالته مثل قوله تعالى : فوسوس إليه الشيطان قال  
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك لا يبلى ، فصل جملة قال عما قبلها لكونها  
تفسيراً له وتبييناً ، فوزانه وزان عمر في قول الأعرابي : أقسم بالله أبو حفص  
عمر ، أما كون الثانية بمنزلة المقطوعة عن الأولى ، فلا يكون عطفها عليه موهباً  
لعطفها على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظن سلمى أننى أبغى بها \* بدلاً أراها في الضلال تهيم

لم يعطف أراها كي لا يحسب السامع العطف على أبغى ، وبعد أراها  
في الضلال تهيم من مظهرات سلمى في حق الشاعر ، وليس هو بمراد ،  
بل المراد أنه حكم للشاعر عليها بذلك ، وليس بمستبعد أن يكون قد  
قطع أراها ليقع جواباً لسؤال مقدر على سبيل الاستئناف ، وإياك أن  
ترى الفصل لأجل الوزن فما هو هناك . . . وأما كونها بمنزلة المتصلة بها  
فلاكونها جواباً عن سؤال اقتضاه الأولى ، فنزل منزلته ، فتفصل الثانية

وَيَحْتَمِلُ الِاسْتِثْنَاءَ . وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُتَّصِلَةِ بِهَا فَلِكَوْنِهَا جَوَابًا  
لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الْأُولَى ، فَتَنْزِلُ مَنْزِلَتَهُ ، فَتُفْصَلُ عَنْهَا ، كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ  
عَنِ السُّؤَالِ . السَّكَائِي : فَيُنْزَلُ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ ، لِتُسَكَّنَةِ كَإِغْنَاءِ  
السَّامِعِ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ أَوْ أَنْ لَا يُسْمَعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ  
اسْتِثْنَاءً ، وَكَذَا الثَّانِيَةُ ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَضْرَبُ ، لِأَنَّ السُّؤَالَ إِمَّا عَنْ سَبَبِ  
الْحُكْمِ مُطْلَقًا ، نَحْوُ :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَائِلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحَزَنٌ طَوِيلٌ

عنها كما يفصل الجواب عن السؤال . قال السكاكي : النوع الثاني من الحالة المقتضية  
للقطع أن يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال ، فينزل ذلك منزلة  
الواقع ، ويطلب بهذا الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الجواب السابق لذلك  
وتنزل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصر إليه إلا الجهات لطيفة ، إما لتبنييه  
السامع على موقعه ، أو لإغناؤه أن يسأل : أو لئلا يسمع منه شيء ، أو لئلا يقطع  
كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال  
وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ، ويسمى الفصل لذلك  
استثناءً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى استثناءً ، والاستثناء ثلثة أضرب  
لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَائِلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحَزَنٌ طَوِيلٌ

لما كان في العادة إذا قيل فلان عائل ، أن يسأل عن سبب علمته وموجب  
مرضه ، فيقال ما به وما علمته قدر كأنه قيل له ذلك فأنت بقوله سهر دائم جواباً  
عن هذا السؤال المفهوم من نحوى الحال ، وكذلك قول المعري :

أَيُّ مَا بِالْكَ عَيَّالًا أَوْ مَا سَبَّبَ عَلَيْكَ ، وَإِمَّا عَنْ سَبَبٍ خَاصٍّ ، نَحْوُ :  
وَمَا أَبْرَى ، نَفْسِي إِنَّ لِلنَّفْسِ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَّارَةٌ  
بِالسُّوءِ ؟ فَقِيلَ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ؛ وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ  
الْحُكْمِ كَمَا مَرَّ ، وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهَا ، نَحْوُ : قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ، أَيُّ فَمَاذَا  
قَالَ ، وَقَوْلُهُ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ \* صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرْتَنِي لَا تَنْجَلِي

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَعَمِي مُعْطٍ حَيَاتِي لِغَيْرٍ بَعْدُ مَا غَرَضًا (١)  
جَرَّبْتُ ذَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضًا  
لم يصل جررت بالعطف على غرضت بناء على سؤال ينساق إليه معنى البيت  
الأول وهو : لم تقول ويحك هذا ، وما الذي اقترضاك أن تطوى كشحك عن  
الحياة إلى هذه الغاية ، وإما عن سبب خاص له كقوله تعالى : وما أبرئ نفسي  
إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، فَقِيلَ نَعَمْ  
إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ الْحُكْمِ كَمَا مَرَّ فِي بَابِ  
أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ أَنَّ الْخَطَابَ إِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِي الْحُكْمِ طَالِبًا لَهُ حَسَنَ تَقْوِيَتِهِ  
عَوَّكَدٌ . . . وَإِمَّا عَنْ غَيْرِهَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرْتَنِي لَا تَنْجَلِي  
فإِنَّهُ لَمَّا أَبْدَى الشَّكَايَةَ مِنْ جَمَاعَاتِ الْعَذَالِ ، كَانَ ذَلِكَ بِمَا يَحْرُكُ السَّمَاعَ  
لِإِسْأَالِ أَصْدَقِيهِ فِي ذَلِكَ أَمْ كَذَبُوا ، فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ نَجْرَجَهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ قَدَقِيلَ

وَأَيْضًا مِنْهُ مَا يَأْتِي بِإِعَادَةِ اسْمِهِ مَا اسْتَوْفِيَ عَنْهُ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ إِلَى

له ففصل وطبق بذلك المفصل ، ومثله قول جندب بن عمار :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ      بِجَهْوَبٍ خَبَتْ عُرْيَتُ وَأَجَّتِ  
كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَا مَنَّاخَنَا      بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وَذَلَّتِ

وقد زاد هنا أمر الاستئناف وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمَر ، فقال كذب العوازل ولم يقل كذب ، وذلك أنه لما أعاد ذكر العوازل ظاهراً كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه وضِعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به ما أتى ما ليس قبله كلام ، ومن الحسن البين في هذا الباب قول الوايد بن يزيد :

عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الْخَالِي      عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ  
عَفَاهُ كُلَّ حَنَانٍ      عَسُوفِ الْوَبْلِ هَطَالِ

لما قال عفا من بعد أحوال ، قدر كأنه قيل له فاعفاه ، فقال عفاه كل حنان ، ومثله قول المتنبي :

وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا      عَفَا مِنْ حَدَا يَبِهِمْ وَسَاقَا

فإنه لما نفى أن يكون الذي يرى به من الدروس والعفاء من الرياح ، وأن تكون التي فعلت ذلك ، كان مظنة أن يسأل عن الفاعل . قال الشيخ الإمام : واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصلاً غير معطوف ، هذا هو التقدير فيه والله أعلم ، أعني مثل قوله تعالى : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة قالوا



زَيْدٌ زَيْدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ : وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى صِفَتِهِ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ  
إِلَى زَيْدٍ صَدِيقُكَ الْقَدِيمُ أَهْلٌ لِدَلِّكَ ، وَهَذَا أَبْلَغُ ، وَقَدْ يُحذفُ صَدْرُ  
الِاسْتِثْنَاءِ ، نَحْوُ : يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ ، فَيَمْنَنُ قَرَاهَا  
مَفْتُوحَةً الْبَاءُ ، وَعَلَيْهِ : نِعَمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ ، عَلَى قَوْلٍ ، وَقَدْ يُحذفُ كُلُّهُ ،  
إِمَّا مَعَ قِيَامِ شَيْءٍ مَقَامَهُ ، نَحْوُ قَوْلِ الْحَمَّاسِيِّ :  
زَعَمْتُمْ أَنْ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافٌ

لا تحذف ، لما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم دخل قوم على  
فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو ، ويقول المجيب قال كذا أخرج الكلام  
ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذي  
يسلكونه ، وكذلك قوله : قال ألا تأكلون ، وقوله : قالوا لا تحذف « تقسيم آخر  
للاستثناء ، الاستثناء منه ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه كقوله : أحسنت  
إلى زيد زيد حقيق بالإحسان ، ومنه ما يبنى على صفة كقولك : أحسنت إلى  
زيد صديقك القديم أهل لذلك . وهذا أبليغ لانطوائه على بيان السبب  
« تقسيم ثالث ، الاستثناء قد يحذف صدره لقيام قرينة كقوله تعالى : يسبح له  
فيها بالغدو والآصال رجال ، فيمن قرأ يسبح مبنياً للفعول ومنه قولهم : نعم  
الرجل أو رجلاً زيد ، وبئس الرجل أو رجلاً عمرو على القول بأن المخصوص خبر  
مبتدأ محذوف أي هو زيد كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهوداً ذهنياً  
مظهراً أو مضمراً ، مثل عن تفسيره : فقيل هو زيد ثم حذف المبتدأ . . وقد  
يحذف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يهجو بني أسد :  
زَعَمْتُمْ أَنْ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافٌ

أَوْ يَدُونِ ذَلِكَ ، نَحْوُ : فَتَنِمَ الْمَاهِدُونَ ، أَيِ نَحْنُ ، عَلَى قَوْلٍ . وَأَمَّا  
الْوَصْلُ لِيُدْفَعَ الْإِبْهَامُ فَكَقَوْلِهِمْ : لَا وَائِدَكَ اللَّهُ . وَأَمَّا لِلتَّوَسُّطِ فَإِذَا  
اتَّفَقْنَا خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً لِمَعْنَى أَوْ مَعْنَى فَقَطُّ بِجَامِعٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :  
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنْ  
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى :  
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا \* وَقَدْ جَاءَتْ بَنُو أُسْدٍ وَخَافُوا  
التقدير أصدقنا أم كذبنا ، فقال تقديرأ كذبتم والدليل على ذلك قوله  
لهم إلف وليس لكم إلاف ، ويجوز أن يقدر لهم إلف جواب سؤال اقتضاه  
الجواب المحذوف كأن المتكلم قال كذبتم ، فقالوا لم كذبنا ، فقال لهم إلف ،  
وقد يحذف ولا يقام شيء مقامه <sup>(١)</sup> كقوله تعالى : فتَنِمَ الْمَاهِدُونَ ، أَيِ نَحْنُ  
على قول من يجهل المخصوص خبر المبتدأ أي هم نحن . وأما ، الوصل للتوسط  
بين حالتي كمال الاتطاع وكمال الانصال ، فإذا اتفق الجملتان خبراً أو طلباً لمعطاً  
ومعنى أو معنى فقط مع جامع بينهما ، كقوله تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنْ  
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ، وقوله : يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، وقوله :  
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، هذا في المتفقتين خبراً لمعطاً ومعنى ، وقوله : كُلُوا  
وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، وهذا في المتفقتين إنشاءً لمعطاً ومعنى وكقوله تعالى : وَإِذْ

( ١ ) لك أن تقول الفصل لا يعقل إلا بين كلامين منطوق بهما ، فإذا كانت  
الجملة المستأنفة محذوفة فكيف يسمى ذلك فصلاً ، إلا أن يقال إن المصنف  
استطرد إلى أنواع الجملة المستأنفة ولم يسمه فصلاً فليس من هذا الباب .

وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، أَمَّا لَا تَعْبُدُوا  
وَتُحْسِنُونَ ؛ بِمَعْنَى اسْتَسْنُوا أَوْ أَحْسِنُوا . وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ  
بِإِعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمَا وَالْمُسْنَدَيْنِ جَمِيعًا ، نَحْوُ : يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ وَيُعْطَى  
وَيَمْنَعُ ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ لِمُنَاسَبَةِ  
بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، بِدُونِهَا ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ

أَخَذْنَا مِنْهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا عَلَىٰ قَوْلِهِ لَا تَعْبُدُونَ ، لِأَنَّهُ  
بِمَعْنَى لَا تَعْبُدُوا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا فَتَقْدِيرُهُ إِمَّا ، وَتُحْسِنُونَ بِمَعْنَى  
وَأَحْسِنُوا ، وَإِمَّا وَأَحْسِنُوا ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ صَرِيحِ الْأَمْرِ وَالنَهْيِ لِأَنَّهُ كَانَ  
سُورِعَ إِلَى الْإِمْتِثَالِ وَالْإِنْتِهَاءِ فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْهُ . وَالْجَامِعُ ، بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ يَجِبُ  
أَنْ يَكُونَ بِإِعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ وَبِإِعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ فِي  
هَذِهِ وَالْمُسْنَدِ فِي هَذِهِ جَمِيعًا كَقَوْلِنَا : يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ وَيُعْطَى وَيَمْنَعُ ، وَقَوْلُكَ :  
زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ ، إِذَا كَانَ عَمْرٌو بِسَبَبِ  
مِنْ زَيْدٍ وَكَانَا كَالنَّظِيرَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ ، وَبِحَيْثُ إِذَا عَرَفَ السَّامِعُ حَالِ الْأَوَّلِ  
عَنْهُ أَنْ يَعْرِفَ حَالِ الثَّانِي ، بِخِلَافِ قَوْلِنَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ إِذَا لَمْ  
يَكُونَا كَذَلِكَ ، بِخِلَافِ قَوْلِنَا زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو طَوِيلٌ ، كَانَ كَذَلِكَ أَوْ لَا . قَالَ  
السَّيِّخُ فِي دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ : أَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْدَثُ عَنْهُ فِي أَحَدِ  
الْجَمْعَيْنِ بِسَبَبِ مِنَ الْمَحْدَثِ عَنْهُ فِي الْآخَرِ ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ عَنِ  
الثَّانِي بِمَا يَجْرِي مَجْرَى الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ أَوْ التَّقْيِضِ لِلْخَبَرِ عَنِ الْأَوَّلِ ، فَلَوْ قُلْتُ

وَعَمَرُوا طَوِيلَ مُطْلَقًا . « السَّكَاتِي » الْجَامِعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ : إِمَّا عَقْلِيٌّ  
بَأَن يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ فِي التَّصَوُّرِ أَوْ تَمَازُلٌ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ بِتَجَرُّدِهِ الْمُثَلِّينِ  
عَنِ التَّشْخِصِ فِي الْخَارِجِ يَرْفَعُ التَّعَدُّدَ ، أَوْ تَضَايُفُ كَمَا بَيْنَ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ  
أَوِ الْأَقْلِ وَالْأَكْثَرِ ، أَوْ وَهْمِيٌّ بِأَن يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا شِبْهُ تَمَازُلٍ  
كَكُلُونِي بَيَاضٍ وَصُفْرَةٍ ، فَإِنَّ الْوَهْمَ يُبْرِزُهُمَا فِي مَعْرِضِ الْمُثَلِّينِ ، وَلِذَلِكَ  
حَسَنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ :

زيد طويل القامة وعمره شاعر كان خلفا . ه هذا ، وقد قال السكاكي الجامع  
بين الجملةين : إما عقلي أو وهمي أو خيالي . فالعقل أن يكون بينهما اتحاد في  
تصور مثل الاتحاد في الخبر عنه أو في الخبر أوفى قيد من قيودهما ، أو تماثل ،  
فإن العقل بتجريد المثلين عن التشخيص في الخارج يرفع التعدد عن البين ،  
أو تضاييف كالذي بين العلة والمعْلُول ، والسبب والمسبب ، أو السفل والعلو ،  
والأقل والأكثر ، فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن وأن العقل سلطان  
مطاع . والوهمي هو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل ، نحو أن يكون الخبر  
عنه في أحدهما لون بياض ، وفي الثانية لون صفرة ، فإن الوهم يحتمل في أن  
يبرزهما في معرض المثلين ، وكما للوهم من حيل وإلا فعليك بقوله :

( ١ ) ربما تقول إن هذا يشعر بأنه يكفي للوصول أن يكون الجامع بين  
الخبر عنها فقط أو الخبر بها فقط ، وأنت قد قلت آنفاً خلافاً ذلك ، فإن  
نقول كلام السكاكي هذا ليس إلا في بيان الجامع بين الجملةين ، وأما إن أي  
قدر من الجامع يجب لصحة الوصول فمفوض إلى مكان آخر .

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا \* شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ  
أَوْ تَضَادَّ ، كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ، وَمَا يَنْصِفُ بَهَا ،  
كَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، أَوْ شَبَهُ تَضَادَّ ، كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
وَالْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، فَإِنَّهُ يُنَزِّلُهُمَا مَنَزِلَةَ التَّضَايُفِ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ الضِّدَّ  
أَقْرَبَ خَطُورًا بِالْبَالِ مَعَ الضِّدِّ ، أَوْ خَيَالِيٍّ ، أَنَّ يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا  
تَقَارُنٌ فِي الْخَيَالِ سَابِقٌ ، وَأَسْبَابُهُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَتِ الصُّوَرُ

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر  
وقل لي : ما الذي حسن الجمع بين الشمس وأبي إسحاق والقمر هذا التحسين  
سواء أو بقوله :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَفِ فِي الْخَلْقِ مَطْمَعٌ فَذُو النَّجَاحِ وَالسَّقْلَاءِ وَالذَّرُّ وَاحِدٌ  
أَوْ تَضَادَّ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْهَمْسِ وَالْجَهَارَةِ وَالطَّيْبِ وَالنَّعْنَاعِ ، وَكَالتَّحَرُّكِ  
وَالسُّكُونِ ، وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ ، وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ، وَكَالْمُتَصَفَاتِ بِذَلِكَ فِي نَحْوِ :  
الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ ، وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، أَوْ شَبَهُ تَضَادَّ كَالَّذِي بَيْنَ نَحْوِ : السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ ، وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ ، وَالْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، فَإِنَّ الْوَحْمَ يَنْزِلُ الْمُتَضَادِّينَ  
وَالشَّبِيهِينَ بِهَمَا مَنَزِلَةَ الْمُتَضَايِفِينَ فَيَجْتَمِعُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فِي الذَّهْنِ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ  
الضِّدَّ أَقْرَبَ خَطُورًا بِالْبَالِ مَعَ الضِّدِّ ، وَالْخَيَالِ هُوَ أَنَّ يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا  
تَقَارُنٌ فِي الْخَيَالِ سَابِقٌ لِأَسْبَابٍ مُؤَدِيَةٍ إِلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا يَثْبُتُ فِي الْخَيَالِ  
يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَارِجِ يَثْبُتُ فِيهِ عَلَى نَحْوِ مَا يَتَأَدَّى إِلَيْهِ وَيَتَكَرَّرُ لَدَيْهِ ،  
وَلِذَلِكَ لَمَّا لَمْ تَكُنْ الْأَسْبَابُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا بَيْنَ الْبَشَرِ ، اخْتَلَفَتِ الْحَالَ

الثَّابِتَةُ فِي الْخَيَالِ تَرْتِيبًا وَوُضُوحًا ، وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الْجَامِعِ ، لَا سِوَا الْخَيَالِي ، فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى تَجَرُّي الْإِنْفِ وَالْعَادَةِ

فِي ثُبُوتِ الصُّورِ فِي الْخَيَالَاتِ تَرْتِيبًا وَوُضُوحًا فَكَمْ مِنْ صُورٍ تَتَعَانَقُ فِي الْخَيَالِ وَهِيَ فِي آخِرٍ لَيْسَتْ تَتَرَامَى ، وَكَمْ مِنْ صُورٍ لَا تَتَكَادُ تَلُوحُ فِي الْخَيَالِ وَهِيَ فِي غَيْرِهِ نَارٌ عَلَى عِلْمٍ . يَحْكِي أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ ذَوِي الْحَرْفِ الْمُخْتَلِفَةِ وَصَفُوا الْكَلَامَ . فَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : أَحْسَنَ الْكَلَامَ مَا ثَقِبَتْهُ الْفِكْرَةُ وَنَظَّمَتْهُ الْفُطْنَةُ ، وَفَصَّلَ جَوْهَرُ مَعَانِيهِ فِي سِمْطِ أَلْفَاظِهِ فُجَائِظَهُ نَحْوُ الرِّوَاةِ . وَقَالَ الصِّيرَفِيُّ : خَيْرَ الْكَلَامِ مَا نَقَدَتْهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ ، وَسَجَلَتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَةِ ، وَوَزَنَهُ مَعْيَارُ الْفَصَاحَةِ ، فَلَا يَنْطِقُ فِيهِ بَزَائِفٌ ، وَلَا يَسْمَعُ فِيهِ بِبَهْرَجٍ . وَقَالَ الصَّائِغُ : خَيْرَ الْكَلَامِ مَا أَحْمَيْتَهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرِ وَسَبَكْتَهُ بِمَشَاعِلِ النَّظَرِ وَخَلَصْتَهُ مِنْ خَبَثِ الْإِطْنَابِ ، فَبَرَزَ بَرُوزُ الْإِبْرِيزِ مُرَكَّبًا فِي مَعْنَى وَجِيزٍ . وَقَالَ الْحِدَادُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ مَتَفَاحَ الرُّوِيَةِ وَأَشْعَلْتَ فِيهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ ، ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ غَمِّ الْإِلْهَامِ ، وَرَفَقْتَهُ بِغَطِّيسِ الْإِفْهَامِ . وَقَالَ الْخَنَازِرُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا طَبَخْتَهُ مَرَاجِلَ الْعِلْمِ ، وَضَمَنْتَهُ دَنَانَ الْحِكْمَةِ وَصَفَّاهُ رَاوُوقَ الْفَهْمِ ، فَتَمَشَّتْ فِي الْمَفَاصِلِ عَذُوبَتُهُ وَفِي الْأَفْكَارِ رَفَّتُهُ ، وَسَرَتْ فِي تَجَاوِيفِ الْعَقْلِ سُورَتُهُ وَحَدَّتُهُ . وَقَالَ الْبَرَّازُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ أَلْفَاظِهِ وَحَسَنَ رَسْمُ مَعَانِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَعْجَمْ عِنْدَ نُشْرِ ، وَلَمْ يَسْتَهْجَمْ عِنْدَ طَيِّ . وَقَالَ السَّكْحَالُ : أَصَحَّ الْكَلَامِ مَا سَحَقَتْهُ فِي مَنَاجِرِ الذِّكَاةِ ، وَنَخَلَتْهُ بِحَرِيرِ التَّيْمِيزِ ، وَكَأَنَّ الرَّمْدَ قَذَى الْعَيْنِ ، كَذَا الشَّهْبَةَ قَذَى الْبَصَائِرِ ، فَاحْكُلْ عَيْنَ اللَّسَكْنَةِ بِمِيلِ الْبَلَاغَةِ ، وَأَجَلْ رَمْدَ الْفُتْلَةِ بِرُودِ الْيَقِظَةِ . وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجٍ فِي هَذَا الْفَنِّ إِلَى التَّنْبِيهِ لِأَنْوَاعِ هَذَا الْجَامِعِ وَالتَّيَقُّظِ لَهَا ، لَا سِوَا النُّوعِ الْخَيَالِيِّ . فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى تَجَرُّي الْإِنْفِ وَالْعَادَةِ ، بِحَسَبِ مَا تَتَعَدَّدُ الْأَسْبَابُ فِي اسْتِدْعَاغِ

وَمِنْ مُحَسِّنَاتِ الْوَصْلِ تَنَاسُبُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْأِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، وَالْفِعْلِيَّتَيْنِ

الصور خزانة الخيال ، فقل لي إذ لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر ، أنى يستحلى كلام رب العزة مع أهل الوبر ، حيث يبصرهم الدلائل ناسقاً كذلك النسق : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها ، وكذا البواقي لكن إذ وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقاليمهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء ، وذلك إذا نظر أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشى كانت عنايتهم مصروفة لاحتالة إلى أكثرها نفعاً وهي الإبل ، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرعى غرضهم نزول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ، ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال .

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَنُّهُ مِنْ نَجِيرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَالِإِبِلِ

فما ظنك بالتمعات خاطرم لإيها ، ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل — ومن لأصحاب مواشٍ بذلك — كان عقد الهمّة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور ، فعند نظره هذا يرى البدوى إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك ، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة أو تعوزة صورة الجبال بعدهما أو لا تنصاع إليه صورة الأرض بعدهن ؟ لا — وإنما الحضري حيث لم تتأخذ عنده تلك الأمور ، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه إذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ظن النسق بجهله جميعاً . . هذا أذا ذاقك الله حلاوة العلم وأشعر قلبك برد الليقين هو لباب ما قالوه

فِي الْمُضِيِّ وَالْمُضَارَعَةِ ، إِلَّا لِمَانِعٍ .

﴿ تَذْنِيبٌ ﴾

أَصْلُ الْحَالِ الْمُنتَقِلَةِ أَنْ تَكُونَ بِغَيْرِ وَאוٍ ، لِأَنَّهَا فِي الْمَعْنَى حُكْمٌ

فِي بَابِ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ ، اسْتَخْرَجْنَاهُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِبَنَاءٍ خَالِصاً سَائِغاً  
لِلشَّارِبِينَ ( إِلَّا لِمَانِعٍ ) كَمَا إِذَا أُرِيدَ بِإِحْدَاهُمَا التَّجَدُّدُ ، وَبِالْأُخْرَى الثَّبُوتُ كَمَا  
إِذَا كَانَ زَيْدٌ وَعَمْرُو قَاعِدَيْنِ ، ثُمَّ قَامَ زَيْدٌ دُونَ عَمْرُو ، فَإِنَّكَ تَقُولُ قَامَ زَيْدٌ  
وَعَمْرُو قَاعِدٌ . قَالَ السَّكَّاكِيُّ : وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ  
أَنْتُمْ صَامِتُونَ ، الْمَعْنَى سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَحَدْتُمْ الدَّعْوَةَ لَهُمْ أَمْ اسْتَمَرَّ عَلَيْكُمْ صَمْتُكُمْ  
عَنْ دَعَائِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ دَعَا لِلَّهِ دُونَ أَصْنَائِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى :  
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضَرُّ الْآيَةِ ، فَسَكَتَ حَالُهُمُ الْمُسْتَمِرَّةُ أَنْ يَكُونُوا عَنْ دَعْوَتِهِمْ  
صَامِتِينَ ﴿ تَذْنِيبٌ ﴾ لِمَا كَانَتْ الْحَالُ الْوَاقِعَةُ جُمْلَةً تَارَةً تَدْخُلُهَا الْوَاوُ ، وَأُخْرَى  
لَا تَدْخُلُ ، صَارَ لَهَا فِي الصُّورَةِ حَالَتَانِ فَفَصْلٌ وَوَصْلٌ ، فَنَاسَبَ أَنْ يَذْكَرَ ذَلِكَ  
عَقِبَ السَّكَلَامِ عَلَى الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ . وَبَعْدُ ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ سَنَقْنَا  
فِي شَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُبْحَثِ الَّذِي تَلْتَحِمُ أَجْزَاؤُهُ  
وَتَشْتَبِهُ كَلِمَاتُهُ ، نَعْمِدُ إِلَى نَظْمِ شَرْحِهِ فِي سَمَطٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَكُونَ هَيْئَ الْمُنَاوِلِ  
سَهْلَ الْمَأْخُذِ ، فَتَقُولُ : الْغَرَضُ الْآنَ هُوَ بَيَانُ أَنَّ الْحَالُ إِذَا وَقَعَتْ جُمْلَةٌ تَحْتِهَا  
تَارَةً مَعَ الْوَاوِ وَأُخْرَى بِغَيْرِ وَاوٍ ، وَالْكَلَامُ فِي ذَلِكَ مُسْتَدَعٍ تَمْيِيدُ قَاعِدَةٍ ،  
وَهِيَ أَنَّ الْحَالَ نَوْعَانِ : حَالٌ بِالْإِطْلَاقِ (١) وَحَالٌ تَسْمَى مُؤَكَّدَةً ، وَكُلُّ وَاحِدٍ  
مِنِ النَّوْعَيْنِ أَصْلٌ فِي الْكَلَامِ ، وَلَهُمَا مَعْنًى نَهْجٌ فِي الْإِسْتِعْمَالِ وَاحِدٌ ، فَأَصْلُ  
الثَّانِي أَنْ يَكُونَ وَصْفًا ثَابِتًا نَحْوُ : هُوَ الْحَقُّ بَيِّنًا ، وَزَيْدٌ أَبُوكَ شَفِيفًا ، وَفِي التَّنْزِيلِ :

(١) وَهِيَ الَّتِي تَسْمَى الْمُنْقَلَةً



عَلَى صَاحِبِهَا كَانْخَبَرِ ، وَوَصَفَ لَهُ كَالنَّعْتِ ، لَكِنْ خُولِفَ هَذَا إِذَا

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ، وَأَصْلُ الْأَوَّلِ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا غَيْرَ ثَابِتٍ مِنَ الصِّفَاتِ  
الْجَارِيَةِ كَاسْمِ الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ نَحْوُ جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضَرَبْتُ اللَّصَّ مَكْشُوفًا ،  
وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَقَالَ : نَجَاءَ زَيْدٌ طَوِيلًا أَوْ قَصِيرًا ، أَوْ أَسْوَدًا أَوْ أَيْضًا ، اللَّهُمَّ إِلَّا  
بِتَأْوِيلٍ ، وَنَهَجُهُمَا فِي الِاسْتِعْمَالِ أَنْ يَأْتِيَا عَارِبَيْنِ عَنْ حَرْفِ النِّفْيِ كَمَا يَقَالُ  
هُوَ الْحَقُّ بَيْنَنَا دُونَ لَا خَفِيَا ، وَجَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا دُونَ لَا مَاشِيًا . وَالْأَصْلُ (١)  
فِي النَّوْعَيْنِ أَنْ يَكُونَا بَغِيرِ الْوَاوِ لَوْجُوهَ : الْأَوَّلُ : أَنْ إِعْرَابُ الْحَالِ أَصْلُ  
لَيْسَ يَقْبَعُ وَلَا بِجَالِ الْوَاوِ فِي الْمَعْرَبِ بِالْإِصَالَةِ لِأَنَّ الإِعْرَابَ ذَالٌ عَلَى تَعْلُقِ  
مَعْنَايَ هُنَاكَ ، فَذَلِكَ التَّعْلُقُ يَكُونُ مَعْنِيًّا عَنْ تَكْلُفٍ تَعْلُقُ آخَرَ . الثَّانِي : إِنْ  
حُكِمَ الْحَالُ مَعَ ذِي الْحَالِ أَبَدًا نَظِيرَ حُكْمِ الْخَبَرِ مَعَ الْخَبَرِ عَنْهُ ، أَلَا تَرَكَ إِذَا  
أَلْفَيْتَ هُوَ ، فِي قَوْلِكَ هُوَ الْحَقُّ بَيْنَنَا ، بَقِيَ الْحَقُّ ، وَجَاءَ فِي قَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ  
رَاكِبًا ، بَقِيَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضَرَبْتُ فِي قَوْلِكَ : ضَرَبْتُ اللَّصَّ مَكْشُوفًا ، اللَّصَّ  
مَكْشُوفٌ ، فَتَجِدُ الْحَالُ وَذَا الْحَالِ خَبْرًا وَمُخْبَرًا وَالْخَبَرُ لَيْسَ (٢) مَوْضِعًا لِدُخُولِ

(١) يُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلْمَصْنَفِ فِي أَنْ يَقِيدَ الْحَالُ بِالْمُسْتَقْلَةِ لِأَنَّ  
أَصْلَ الْحَالِ مُطْلَقًا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ وَجِبَ هَذَا الْأَصْلُ فِي الْمَوْكَدَةِ ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى  
مَاقِبَلِهَا ، وَالْوَاوُ تَوْذُنٌ بِالْمُقَابَرَةِ .

(٢) قَدْ يَخْدُشُ فِي هَذَا أَنْ الْأَخْفَشَ فِي طَائِفَةِ جُوزِ دُخُولِ الْوَاوِ فِي خَبَرِ  
كَانَ وَأَخْوَاتِهَا وَأَنْشَدُوا :

لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهِ إِذَا مَا قَابَلَتْهُ عَيْنُ الْبَصِيرِ اعْتِبَارٌ  
وَقَوْلُ الْخَامِسِ :

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ غُرِيَانُ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ وَكُنْتُ وَقَدْ بَدَسْتُ مِنَ الدُّخُولِ

كَانَتْ جُمْلَةً ، فَإِنَّهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِالْإِفَادَةِ ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مَا يَرْبُطُهَا بِصَاحِبِهَا ، وَكُلُّ مِنَ الضَّمِيرِ وَالْوَاوِ صَالِحٌ لِلرَّبْطِ ، وَالْأَصْلُ هُوَ الضَّمِيرُ ، بِدَلِيلِ الْمَفْرَدَةِ وَالْخَبَرِ وَالنَّعْتِ . فَالْجُمْلَةُ إِنْ خَلَتْ عَنْ ضَمِيرٍ صَاحِبِهَا وَجَبَ فِيهَا الْوَاوُ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ضَمِيرٍ مَا يَحْجُوزُ أَنْ يَنْتَضِبَ عَنْهُ حَالٌ يَصِحُّ أَنْ تَقَعَ حَالًا عَنْهُ بِالْوَاوِ إِلَّا الْمُدَّرَةُ بِالْمُضَارِعِ

وقد يجاب بأن أمثال ذلك مما ورد في على خلاف الأصل تشبيهاً بالحال .  
الثالث : أنها في الحقيقة وصف لذى الحال فلا يدخلها الواو كالنعت ، فظهر لك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا يدخلها الواو ، ولكن النظر إليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالأولى وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينهما يبدط العذر في أن يدخلهما ما يربطها بالأولى وكل واحد من الضمير والواو صالح الربط والأصل الضمير بدليل الاختصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت . وإذا تمهد هذا فاعلم أن الجملة التي تقع حالاً ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه ، وغير خالية . أما الأولى فيجب أن تكون بالواو لثلاث تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز (١) أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالاً عنه إذا كانت مع الواو إلا المصدرة بالمضارع المثبت كقولك : جاء زيد ويتكلم عمرو ، على أن يكون ويتكلم عمرو حالاً عن زيد . لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده . وأما الثانية : فتارة يجب أن تكون بالواو وتارة

( ١ ) بأن تكون فاعلاً أو مفعولاً ، معروفاً أو منكراً مخصوصاً . لا مبتدأ وخبراً ، ولا منكراً محضاً .

المثبت نحو: جاء زيد ويتكلم عمرو لما سيأتي، وإلا فإن كانت فعلية  
والفعل مضارع مثبت امتنع دخولها، نحو: ولا تمنن تستكثر، لأن  
الأصل المفردة، وهي تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما

يتمتع ذلك، وتارة يترجح أحدهما، وتارة يستوى الأمران والواو غير مناف  
للضمير في إفادة الربط، فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف، فنقول الجملة  
إما أن تكون فعلية والفعل مضارع مثبت غير منفي، وحينئذ يتمتع الواو بل  
ترى الكلام على مجيئها عارية من الواو كقوله:

وقوله:

وَقَدْ غَلَبَتْ قَنْتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي يَوْمَ تَجِيءُ بِهِ الْجُوزَاءُ مَسْمُومٌ (١)

وقوله:

وَلَمَّا أَغْتَدَى يَدَافِعُ رُكْنِي أَخُوذِي ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحُ (٢)

وفي النزول: ولا تمنن تستكثر - وسيجئها الاتق الذي يؤق ماله  
يتزكى - ويذرهم في طغيانهم يعمهون. قال المصنف: والسبب في ذلك هو أن  
أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن ذلك الحصول  
لما جعلت قيداً له وهو العامل فيها والمضارع المثبت كذلك، أما دلالة على  
حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم

(١) القنود جمع قند: وهو خشب الرحل المهود؛ ويسفعه اليوم: ياحقه  
بحره فيغير لونه، وأصله تأثير النار وتعليمها ما تصيبه، والجوزاء: برج تنزله  
الشمس في آخر الربيع، وحينئذ تهب الرياح الحارة واليوم مسموم ريحه حارة.  
(٢) الأخوذى: الحاذق، وميعة الفرس: أول جريه وأنشطه،  
والأضريح: الفرس الشديد العدو.

جَعَلْتُ قَيْدًا لَهُ ، وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَمَّا الْحُصُولُ فَلْيَكُونِهِ فِعَالًا مُشَبَّهًا ،  
وَأَمَّا الْمُقَارَنَةُ فَلْيَكُونِهِ مُضَارِعًا ، وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ نَحْوِ : قُمْتُ وَأَصْكُ  
وَجِبْهُ ، وَقَوْلُهُ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكََا  
فَقِيلَ عَلَى حَذْفِ الْمُبْتَدَأِ ، أَيْ : وَأَنَا أَصْكُ وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ ، وَقِيلَ  
الْأَوَّلُ شَاذٌ وَالثَّانِي ضَرُورَةٌ ، وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : هِيَ فِيهِمَا لِلْعَطْفِ وَالْأَصْلِ

الثبوت ، وأما دلالاته على المقارنة فليكونه مضارعاً وهو يصلح للحال . وأما  
قول ابن همام السلولى :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيكََا  
، فى رواية من رواه وأرهنهم ، وما شبهوه به من قولهم . قت وأصك  
وجهه ، فقيل على حذف المبتدأ ، أَيْ : وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ وَأَنَا أَصْكُ ، فتكون الجملة  
اسمية ، وقيل الأول ضرورة والثانى شاذ . وقال الشيخ الإمام : ليست الواو  
فيهما للحال بل هى للعطف ، وأرهن وأصك بمعنى رهننت وصككت ، وعدل  
إلى صيغة المضارع لحكاية الحال كما فى قوله :

وَلَقَدْ أُمِرْتُ عَلَى اللَّيْسِيمِ يَسْبُئُنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتُ قُلْتُ لَا يَغْنِيَنِ  
يبين ذلك أنك ترى الغاء تجيء مكان الواو فى مثل هذا ، وذلك كمنحو ما فى  
الخبر فى حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبى رافع اليهودى حصنه قال :  
فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم لا أدرى أنى هو من البيت ، فقلت  
أبا رافع ، فقال من هذا ، فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ، وأنا دهش ،  
فكما أن أضربه مضارع قد عطمه بالغاء على ماضٍ لانه فى المعنى ماض ،

وَصَكَّكَتْ وَرَهَنْتْ ، عَدِلَ عَنْ لَفْظِ الْمَاضِي إِلَى الْمَضَارِعِ لِحِكَايَةِ الْحَالِ  
وَإِنْ كَانَ مَنفِيًّا فَالْأَمْرَانِ ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ : فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ  
بِالتَّخْفِيفِ وَنَحْوِ : وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمُقَارَنَةِ لِكَوْنِهِ مُضَارِعًا

كذلك يكون أرهنتهم معطوفاً على الماضي قبله ، وكما لا يشك في أن المعنى في  
الخبر فأهويت فضربت ، كذلك يكون المعنى في البيت نجوت ورهنت . قلنا  
إن الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ، أما إن دخل  
حرف تنقي على المضارع فإنه يجوز فيه الأمران ، وذلك مثل قراءة ابن ذكوان :  
فاستقيما ولا تتبعان ، بتخفيف النون <sup>(١)</sup> ، وقولهم : كنت ولا أخشى بالذنب ،  
وقول مسكين الدارمي :

أَكَسَبَتْهُ الْوَرِيقُ الْبَيْضُ أَبَاً وَلَقَدْ كَانَ وَلَا يُدْعَى لِأَبٍ

ونزل مالك بن ربيع وكان جني جنابة فطالبه مصعب بن الزبير :

أَتَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ فَأَيُّنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ

أَقَادُوا مِنِّي دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يُنْهِنُهُنِّي الْوَعِيدُ

كان في هذا كله نامية ، والجملة الداخل عليها الواو في موضع الحال ولا معنى  
لجعلها ناقصة ، وجعل الواو مزيدة وليس بجيء المضارع حالاً على هذا الوجه  
بمعزى في الكلام ألا تراك تقول : جعلت أمشي ولا أدرى أين أضع رجلي ،  
وجعل يقول ولا يدرى ، وقال أبو الأسود :

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِئُ وَمَا دَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَلِكَ

( ١ ) فإنها تكون حينئذ نون رفع وتكون لا للنفي دون النهي والواو للحال .

ذَوْنَ الْحَصُولِ لِيَكُونَ مَنفِيًّا . وَكَذَا إِنْ كَانَ مَاضِيًّا لَفْظًا أَوْ مَعْنَى  
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ، وَقَوْلِهِ : أَوْجَاؤُكُمْ

وهو شائع كثير . ومثال مجيء المضارع منفياً حالا من غير واو قوله :  
مَضُوءًا لَا يُرِيدُونَ الرِّمَاحَ وَغَالَهُمْ مِنْ الدَّهْرِ أَشْبَابُ جَرِيْنَ عَلَى قَدَرٍ  
وقول أُرِطَاةَ بْنِ سَهْبَةَ وهو لطيف جداً :

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السِّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ  
فقوله لا ترى في موضع حال ، ومثله في اللطف قول أعشى همدان وصحب  
عباد بن ورقاء إلى أصهبان فلم يحمداه فقال :

أَتَيْنَا إِصْبَهَانَ فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ  
وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجْهًا مَسِيرِي الْأَسِيرُ إِلَى حِمِيمٍ

وقال خالد بن يزيد بن معاوية :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا لَا رَتْفَاقَ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلَتْهَا لَا أُحْجَبُ

وهو كثير إلا أنه لا يهتدى إلى وضعه بالموضع المرضي إلا من كان  
صحيح الطبع ، قال المصنف : والسبب في جواز الأمرين هو دلالة المضارع على  
المقارنة لكونه مضارعاً دون الحصول لكونه منفياً ، أى والمقارنة يناسبها  
ترك الواو وعدم الحصول يناسبه وجودها . وأما ، إِنْ كَانَ الْفِعْلُ مَاضِيًّا لَفْظًا  
أَوْ مَعْنَى ، فكذلك مجيء بالواو وبغير الواو ، أما مجيئه بالواو فالكثير الشائع  
كقولك : أَتَانِي وَقَدْ جَهَدَ السَّيْرَ ، وقال تعالى : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ  
الْكِبَرُ ، وقال امرؤ القيس :

أَتَقْتَلِنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْشُوءَةُ الرَّجُلَ الطَّالِي

حَصَرْتُ صُدُورَهُمْ، وَقَوْلِهِ: أَلَيْسَ كُنُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، وَقَوْلِهِ: فَاثْقَلُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ أَمٍّ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ، وَقَوْلِهِ: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ

وقال:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَصْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السَّيْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ  
هذا في الماضي انقضاء، وأما الماضي (١) معنى فثاله قوله تعالى: أَوْ قَالَ أَوْحَى  
إِلَى وَلَمْ يَوْحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَقَوْلِهِ: أَلَيْسَ كُنُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، وَقَوْلِ كَعْبٍ:  
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذِيبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ  
وقوله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْسِكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ  
قَبْلِكُمْ وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

بَانَتْ قَطَامٌ وَأَمَّا يَحْظُ ذُو مِقَّةٍ مِنْهَا يَوْصَلُ وَلَا إِنْجَازٍ مِيعَادِ  
وَأَمَّا بَغِيرُ الْوَاوِ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى: أَوْ جَاؤَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورَهُمْ وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:  
يَمْشُونَ قَدْ كَسَرُوا الْجُفُونَ إِلَى الْوَعَى مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتِشَارُ  
وقوله:

فَأَبْنَا بِالرَّمَاكِ مَكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالشُّيُوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا  
وقول الآخر:

مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ نَحَائِلُهُ وَاللَّيْلَ قَدْ مَزَّقَتْ عَنْهُ السَّرَابِيلُ  
وكقوله تعالى: فَاثْقَلُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ أَمٍّ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ، وَقَوْلِهِ: وَرَدَّ  
اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:

(١) المراد به المضارع المنقى بلم ولما.

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ أَمَّا الْمُنَبِّتُ  
فَلَيْدَلَالَتِهِ عَلَى الْحُصُولِ ، لِيَكُونَ فِعْلاً مُنْبِتًا ، دُونَ الْمُقَارَنَةِ ، لِيَكُونَ مَاضِيًا  
وَلِهَذَا شُرِطَ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَدْ ظَاهِرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً ، وَأَمَّا الْمُنْفَى فَلَيْدَلَالَتِهِ  
عَلَى الْمُقَارَنَةِ دُونَ الْحُصُولِ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ لَمَّا لِلِاسْتِغْرَاقِ ، وَغَيْرُهَا  
لِانْتِفَاءٍ مُتَقَدِّمٍ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ اسْتِمْرَارُهُ ، فَتَحْصُلُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا

\* فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدَ وَلَمْ يَثْنِ شَأْوُهُ \*

وقول زهير :

كَانَ فِتَاةَ الْعِيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يَحْطَمِ

وقول الآخر :

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَرَتَا كَالدَّرِّ لَمَّا يَنْقَبِ

قال المصنف : والسبب في أن جاز الأسران فيه إذا كان مثبتاً دلالاته على  
حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً ، وعدم دلالاته على المقارنة لكونه ماضياً ،  
ولهذا اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة حتى تقربه إلى الحال فيصح  
وقوعه حالا ، وظاهر هذا يقتضي وجوب الواو في المنفى لانتهاء المعنيين ،  
لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ، أما المنفى بلما فلأنها للاستغراق ، وأما المنفى  
بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم وكان الأصل استمرار ذلك حصلت

( ١ ) يقول كأن قطع الصوف المصوغ الذي زينت به الهواجج في كل  
منزل نزله هؤلاء النسوة حب غيب الثعلب في حال كونه غير محطم لأنه إذا  
حطم زايله لونه .



عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، بِخِلَافِ الْمُثَبَّتِ ، فَإِنَّ وَضَعَ الْفِعْلَ عَلَى إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ وَتَحْقِيقِهِ أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْعَدَمِ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى سَبَبٍ ؛ بِخِلَافِ اسْتِمْرَارِ الْوُجُودِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلِكُونِهِ مَنْفِيًّا . وَإِنْ كَانَتْ اسْمِيَّةً فَلِلْمَشْهُورِ جَوَازُ تَرْكِهَا لِعَكْسِ مَا مَرَّ فِي الْمَاضِي الْمُثَبَّتِ ، نَحْوُ : كَلَّمَتْهُ فَوْهُ إِلَى فِيَّ

الدلالة على المقارنة عند إطلاقه بخلاف المثبت ، فإن وضع الفعل على إفادة التجدد ، وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب ، بخلاف استمرار الوجود كما بين في غير هذا العلم ، وأما ، إن كانت الجملة اسمية فالمشهور جواز الأمرين ، وأن يجيء الواو أولى ، مثال وجود الواو قوله تعالى : فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ مُنَادَرًا ، وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وقول الشاعر :

لِيَالِي بَدْعُوْنِي الْهَوَى وَأَحْيِيهِ وَأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانِ

ومثال تركها ما رواه سيبويه كلفته فوه إلى في ورجع عوده على بدته ، في قول من رفع وبيت الإصلاح :

نَصَفَ النَّهَارُ الْمَاءَ غَامِرَهُ وَرَفِيقَهُ بِالْغَيْبِ لَا يَدْرِي (١)

وما أنشده أبو علي في الإغفال :

وَلَوْلَا جَنَارُ اللَّيْلِ مَا آبَ غَامِرُهُ إِلَى جَفَقَةٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يُبْمَزَقْ

وقول الآخر :

\* مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا لَا يَرْقَأُ \*

( ١ ) يصف غائصاً على الدر : يقول إنه بقي غائصاً تحت الماء من الصباح

إلى الظهر ورقيقه الممسك الحبل على البر لا يدري .

وَأَنَّ دُخُولَهَا أَوْلَى ، لِعَدَمِ دَلَالَتِهَا عَلَى عَدَمِ الثَّبُوتِ ، مَعَ ظَهْوَرِ الاسْتِثْنَاءِ فِيهَا ، فَحَسَنَ زِيَادَةُ رَابِطٍ ، نَحْوُ : فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ : وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَتْ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ

قال المصنف : أما جواز الآخرين فلنعكس مامر في الماضي المثبت يعنى دلالة الاسمى على المقارنة اكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالاتها على الدوام والثبوت ، وأما أن يحىء الواو أولى فلعدم دلالة الاسمى على عدم الثبوت مع ظهور الاستثناء فيها لاستقلالها بالفائدة فتحسن زيادة رابطة ليتأكد الربط ، وقال ، الشيخ الإمام : إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَ الْوَائِدُ . كَقَوْلِكَ جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يَسْرِعُ أَوْ وَهُوَ مُسْرِعٌ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْجُمْلَةَ لَا تَتْرَكُ فِيهَا الْوَائِدَ حَتَّى تَدْخُلَ فِي صِلَةِ الْعَامِلِ وَتَنْتَضِمَ إِلَيْهِ فِي الْإِبْهَاتِ ، وَتَقْدَرُ تَقْدِيرَ الْمَفْرُودِ فِي أَنْ لَا يَسْتَأْنِفَ لَهَا الْإِبْهَاتِ وَهَذَا مَا يَمْتَنِعُ فِي نَحْوِ جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يَسْرِعُ أَوْ وَهُوَ مُسْرِعٌ ، لِأَنَّكَ إِذَا أَعْدَدْتَ ذَكَرَ زَيْدٍ وَجِئْتَ بِضَمِيرِهِ الْمُنْفَصِلِ الْمَرْفُوعِ كَانَ مَبْزُورًا لِإِعَادَةِ اسْمِهِ صَرِيحًا فِي أَنَّكَ لَا تَجِدُ سَبِيلًا إِلَى أَنْ تَدْخُلَ يَسْرِعُ فِي صِلَةِ الْحَيِّ وَتَضُمَّهُ إِلَيْهِ فِي الْإِبْهَاتِ لِأَنَّ إِعَادَةَ ذِكْرِهِ لَا تَكُونُ حَتَّى تَقْصِدَ اسْتِثْنَاءَ الْخَبَرِ عَنْهُ بِأَنَّهُ يَسْرِعُ وَإِلَّا اسْكَنْتَ تَرَكْتَ الْمُبْتَدَأَ بِمَضْمُونَةٍ وَجَعَلْتَهُ لَفْظًا فِي الْبَيْنِ ، وَجَرَى بِحَرَى أَنْ تَقُولَ : جَاءَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو يَسْرِعُ أَمَامَهُ ، ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَمْ تَسْتَأْنِفْ كَلَامًا وَلَمْ تَبْتَدِئْ لِلْمُرْعَةِ إِبْهَاتًا ، وَعَلَى هَذَا فَالْأَصْلُ وَالْقِيَاسُ أَنَّ لَا تَحْيَى الْجُمْلَةَ الْاسْمِيَّةَ إِلَّا مَعَ الْوَائِدِ وَمَا جَاءَ بِدُونِهِ فَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الشَّيْءِ الْخَارِجِ عَنْ قِيَاسِهِ وَأَصْلُهُ بِضَرْبِ مِنَ التَّأْوِيلِ وَنَوْعِ مِنَ التَّشَابِيهِ فَقَوْلُهُمْ : فَوَهْ إِلَى فِى ، مَعْنَاهُ مَشَافَهًا ، وَقَوْلُهُمْ : عَوْدُهُ عَلَى يَدَيْهِ ، مَعْنَاهُ ذَاهِبًا فِي طَرِيقِهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ :

يسرع أو وهو يسرع ، وإن جعل نحو : على كتفه سيفٌ حالاً كثر

إذا أثبت أبا مروان تسأله ~~وجدته حاضراً الجود والكرم~~  
 فلامنه بسبب تقديم الخبر قرب في المعنى من قولك وجدته حاضراً عنده  
 الجود والكرم ، وتنزيل الشيء منزلة غيره ليس بعزير في كلامهم ، ويجوز أن  
 يكون جميع ذلك على إرادة الواو كما جاء الماضي على إرادة قد . ( وبعد ) فقد  
 وجب علينا الآن أن نتحقق أيها القارئ بما قاله ذلك الإمام في بيان العلال  
 والأسباب التي اقتضت أن يختلف الأمر بالجل الواقعة حالاً هذا الاختلاف  
 وأن يكون ههنا جملة لا تصلح إلا مع الواو ، وأخرى لا تصلح فيها الواو ،  
 وثالثة تصلح أن تجيء فيها بالواو وأن تدعها ( قال ) ما خواه إن كل جملة  
 وقعت حالاً ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع  
 في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وكل جملة جاءت حالاً  
 ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبراً ، فإذا قلت جاني زيد يسرع ،  
 كان بمنزلة جاني مسرعاً في أنك تثبت له مجيئاً فيه لمسراع وتصل أحد المعنيين  
 بالآخر ، وتجمل الكلام خبراً واحداً ، كأنك قلت جاني بهذه الهيئة ، وإذا  
 قلت جاني زيد وهو مسرع أو وغلामه يسعى بين يديه أو وسيفه على كتفه  
 كان المعنى على أنك بدأت فأثبت المجيء ثم استأنفت خبراً وابتدأت لإثباتاً  
 ثانياً لما هو مضمون الحال ولهذا احتجج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجاء  
 بالواو كما جيء بها في قولك العلم حسن والجهل فبيح ، وتسميتنا لها واو حال  
 لا تخرجها عن كونها مجتلية لضم جملة إلى جملة كالفاء في جواب الشرط ،  
 فإنها بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها ،  
 فالجملة في نحو : جاني زيد يسرع ، بمنزلة الجزاء المستغنى عن الفاء ، لأن  
 من شأنه أن يرتبط بنفسه ، والجملة في نحو جاني زيد وهو مسرع أو وغلामه

فِيهَا تَرَاهُهَا ، نَحْوُ \* خَرَجْتُ مَعَ الْبَارِي عَلَى سَوَادٍ \* وَيَحْسُنُ التَّرْكُ تَأْرَةً .  
لِدُخُولِ حَرْفٍ عَلَى الْمُبْتَدَأِ كَقَوْلِهِ :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبْصِرَ بَنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْخَوَارِدُ

يسعى بين يديه أو سيفه على كتفه بمنزلة الجزاء الذي ليس من شأنه أن يرتبط  
بنفسه (ثم) قال الشيخ : وإن جعل نحو على كتفه سيف بتقديم الظرف حالا عن  
شيء كما في قولنا جاءني زيد على كتفه سيف كثر فيها أن تجيء بغير واو كقول بشار :  
إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلَدَّةٍ أَوْ فَكَّرْتَهَا خَرَجْتُ مَعَ الْبَارِي عَلَى سَوَادٍ  
يعني على بقية من الليل ، وقول أمية :

فَأَشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ النَّاجُ مَرْتَفِقًا فِي رَأْسِ نَعْمَانَ دَارًا مِنْكَ مَحَلَّلًا  
وقول الآخر :

لَقَدْ صَبِرْتَ لِلْأَعْوَادِ مَذْبَرِ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ

ثم قال : والوجه أن يقدر الاسم في الأمثلة مرتفعاً بالظرف فإنه جاز  
باتفاق من صاحب الكتاب ، وأبى الحسن لاعتماده على ما قبله . ثم ينبغي أن  
يقدر ههنا خصوصاً أن الظرف في تقدير اسم الفاعل دون الفعل ، اللهم إلا  
أن يقدر فعلاً ماضياً مع قد ( ومن ) كلام الشيخ قوله : وما ينبغي أن يراعى  
في هذا الباب أنك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو ويحسن ذلك ، ثم تنظر  
فترى أنك إنما حسن من أجل حرف دخل عليها مثاله قول الفرزدق :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبْصِرَ بَنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْخَوَارِدُ (١)

فإنه لولا دخول كأن عليه ، لم يحسن الكلام إلا بالواو ، كقولك عسى

(١) الخوارد : جمع حورد ، وهو المجتمع الخاق المهيب المنظر يرى لعزته  
كالغضبان .

وَأُخْرَى لِرُفُوعِ الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ بِعَقَبٍ مُفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :  
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا \* بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ  
﴿الْإِيحَازُ وَالْإِطْنَابُ وَالْمَسَاوَاةُ﴾

السكاكي : أما الإيحاز والإطناب فليكونيهما نسيبتين لا يتيسر  
الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والتعيين ، والبناء على أمر عوفي ،  
وهو متعارف الأوساط ، أي كلامهم في مجرى عرفهم في تأدية  
المعاني ، وهو لا يحمّد في باب البلاغة ولا يذم ؛ فالإيحاز أداه القصور

أن تبصريني وبني حوالى الأسود . وشييه بهذا أن تقع حالا بعقب مفرد حال  
فيلطف مكانها ، بخلاف مالوا أفردت ، كقول ابن الرومي :

وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا \* بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

فإنه لو قال : والله يبقيك لنا برداك تبجيل لم يكن شيئاً ﴿الإيحاز والإطناب﴾  
هو باب رفيع المنزلة شامخ في الشرف بل هو أنف البلاغة الذي تعطس منه ونابها  
الذي تفرغ عنه وقديماً تكلم العلماء فيه وأفردوه بالقول والإيضاح واقتدأت المصنف  
رحمه الله منه بجملة صالحة سنضم إليها ما تسكن إليه النفس وينتاج منه الصدر إن  
شاء الله (نسيبين) لأن الموجز إنما يكون موجزاً بالنسبة إلى كلام أزيد منه ،  
وكذا المطب إنما يكون مطباً بالنسبة إلى ما هو أنقص منه (الأوساط) أي  
الذين لم يرتقوا إلى ذروة البلاغة ولم يتدلوا إلى حضيض العي والفاهة (وهو)

بِأَقْلٍ مِنْ عِبَارَةِ الْمُتَعَارِفِ ، وَالْإِطْنَابُ أَدَاؤُهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ :  
 الْإِخْتِصَارُ لِيَكُونَ نِسْبِيًّا يُرْجَعُ فِيهِ تَرَدُّدٌ إِلَى مَا سَبَقَ ، وَأُخْرَى إِلَى كَوْنِ  
 الْمَقَامِ خَلِيقًا بِأَبْسَطِ مَا ذَكَرَ ؛ وَفِيهِ نَقَارٌ ، لِأَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ نِسْبِيًّا  
 لَا يَقْتَضِي تَعَسُّرَ تَحْقِيقِ مَعْنَاهُ ، ثُمَّ الْبِنَاءُ عَلَى الْمُتَعَارِفِ وَالْبَسْطُ الْمُوصُوفِ  
 رَدٌّ إِلَى أَجْمَلِهِ ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ : الْمَقْبُولُ مِنْ طُرُقِ التَّعْيِيرِ عَنِ الْمُرَادِ  
 تَأْدِيَةُ أَصْلِهِ بِلَفْظٍ مُسَاوٍ لَهُ أَوْ نَاقِصٍ عَنْهُ وَافٍ ، أَوْ زَائِدٍ عَلَيْهِ لِفَائِدَةٍ ؛  
 وَاحْتِرَازَ يَوَافٍ عَنِ الْإِخْلَالِ ، كَقَوْلِهِ :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ النَّوْكِ مِنْ عَاشٍ كَدًّا

أى هذا الكلام الذى هو متعارف الأوساط ( إلى ماسبق ) أى إلى اعتبار  
 متعارف الأوساط ( بما ذكر ) أى بما ذكر فى المقام ( ثم البناء على المتعارف  
 والبسط الموصوف ) بأن يقال الإيجاز قد يكون لكونه أقل من المتعارف ؛  
 وقد يكون لكونه لمقام خليقاً بكلام أبسط من الكلام المذكور ، هذا ،  
 وقد فسر القوم صاحب المفتاح على المصنف بما لا يسعه شرحنا وليس بطالب  
 البلاغة حاجة وحيداً صليح المصنف لو كان كفى نفسه مؤنة الاعتراض بعد  
 وله عن كلام السكاكى ، وقصده لأول وهلة إلى ما هو بالبلاغة أفس وبمصنفه  
 أليق ( عن الإخلال ) وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ، كقول  
 الحرث بن حنظلة البشكري :

والعيش خير في ظلال النوك من عاش كدا

أراد والعيش الناعم خير في ظلال النوك — بضم النون وقتحها الحق —

أَيِّ النَّاعِمِ فِي ظِلَالِ الْعَقْلِ ، وَبِفَائِدَةِ عَنِ التَّطْوِيلِ ، نَحْوُ :  
 \* وَأَلْفِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنًا \* وَعَنِ الْحُشْوِ الْمُسَدِّ كَالْنَدَى فِي قَوْلِهِ :  
 وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى \* وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ

من العيش الشاق في ظلال العقل . وليس يدل لحن كلامه على هذا ، فهو من الإيجاز المقصر ، ومن ذلك قول الآخر :

أَعَادِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهَى أَحَبُّ مِنَ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ  
 يريد عاجل ما أشتهى مع الفلة ، أحب إليه من رائثه مع الكثرة ، ومثله قول عروة بن الورد

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ وَمَقْتَلُهُمْ عِنْدَ الْوَعَى كَانَ أَعْدَرَا  
 يعني إذ يقتلون نفوسهم في السلم ( عن التطويل ) وهو أن لا يتعين الزائد في الكلام كقول عدى بن زيد العبدي من قصيدته التي أولها :  
 أَبْدَأْتُ الْمَنَازِلُ أَمْ عَيْنِيَا بِقَادِمِ عَهْدِهِنَّ فَقَدْ بَلِيْنَا  
 وهو يذكر غدر الزباء بجذيمة الأبرش :

وَقَدَدَتِ الْأَدِيمَ لِرَأْسِيهِ وَأَلْفِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنًا

فإن الكذب والمين واحد . ولا يتعين أحدهما للزيادة ، والتقدير : التقطيع ، والأديم : الجلد ، والرهبان : العرقان في باطن الذراع ( في قوله ) أي قول أبي الطيب المتنبي ( ولا فضل فيها ) يقول : لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندي لولا الموت . وهذا الحكم صحيح في الشجاعة والصبر دون الندي ، لأن الشجاع إذا علم علماً ليس بالظن أنه يخلد في الدنيا ، هان عليه اقتحام الحروب والمعارك لأنه من الهلاك إذ ذاك فلم يكن هنا فضل ، وكذا الصابر

وَعَبِيرُ الْمُسْفِدِ ، كَقَوْلِهِ : \* وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ \* .

إِذَا أُيْقِنَ بَزُولُ الْمُسْكُورِ وَبَقَاءُ الْعَمْرِ هَانَ عَلَيْهِ صَبْرُهُ لَوَثُوقِهِ بِالْخُلَاصِ ، وَأَمَّا  
النَّدَى فَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْبَازِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَمُوتُ هَانَ عَلَيْهِ بَذْلُهُ .  
وَلِهَذَا يَقُولُ إِذَا عَوَّتَبَ فِيهِ كَيْفَ لَا أَبْذِلُ مَا لَا أُبْقِي لَهُ أَنْ أَتَقَى بِالْتَّمَتِ بِهَذَا  
الْمَالِ . وَعَلَيْهِ قَوْلُ طَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ :

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِّي  
فَدَعْنِي أَبَادِرُهَا بِمَا مَكَتْ بِي

وقول ميمار الديلمي :

فَسَكُنْ إِنْ أَكَلْتَ وَأَطْعِمْتَ أَخَاكَ فَلَا الزَّادَ يَبْقَى وَلَا الْآكِلَ

فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ يَمُوتُ ثُمَّ جَادَ بِمَا لَهُ كَانَ جُودَهُ أَفْضَلَ وَعَلَى كَرَمِ الطَّبِيعِ أَدْلُ ، وَقَدْ  
تَحَمَّلَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّدَى فِي الْبَيْتِ ، بَذْلُ النَّفْسِ لَا بَذْلُ الْمَالِ ، كَمَا قَالَ  
مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجُودَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وَرَدَ أَنَّ لَفْظَ النَّدَى لَا يَكَادُ يَسْتَعْمَلُ فِي بَذْلِ النَّفْسِ ، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ فَعَلَى  
وَجْهِ الْإِضَافَةِ ، فَأَمَّا مِطَاقًا فَلَا يَفِيدُ إِلَّا بَذْلَ الْمَالِ ، نَعَمْ قَالَ ابْنُ جَنِّي إِنَّ فِي  
الْخُلُودِ وَتَنْقُلُ الْأَحْوَالُ فِيهِ مِنْ عَمَرٍ إِلَى يَسَرٍّ ، وَمِنْ شِدَّةٍ إِلَى رَخَاءٍ ، مَا يَسْكُنُ  
النَّفْسُ وَيَسْهَلُ الْبُوسُ فَلَا يَظْهَرُ لِبَذْلِ الْمَالِ كَثِيرُ فَائِدَةٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ ( كَقَوْلِهِ )  
الْقَائِلُ هُوَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ ( وَأَعْلَمُ ) وَتَمَامُهُ :

\* وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِي \*

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ قَبْلَهُ مُسْتَفْنَى عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُفْسَدٍ ، فَإِنْ قَالَتْ قَدْ يَقَالُ  
أَبْصَرْتَهُ بَعِيْنِي وَسَمِعْتَهُ بِأَذْنِي وَضَرَبْتَهُ بِيَدِي ، وَلَا يَجْعَلُ مِثْلَ هَذَا مِنَ الْجَشْوِ



﴿المساواة﴾ نحو : وَلَا يَحْيِي الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، وَقَوْلُهُ :

لوقوعه في التزويل مثل : فويل لهم عما كسبت أيديهم ، فإنما أمثال ذلك إنما يقال في مقام يقتصر إلى التوكيد ، كما تقول لمن ينسکر معرفة ما كتبه يا هذا لقد كتبت بيمينك هذه ، وأما قوله تعالى : ذلك قولهم بأفواههم . فعنايه أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهمة التي هي أجراس ونغم لاتدل على معان ، وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مفعول بالضم ومعناه مؤثر في القلب ، ومالامعنى له مقول بالضم لا غير ( نحو : ولا يحيق ) ومن المساواة هذه الآيات المشهورة :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْقَلٍ كُلِّ حَاجَةٍ      وَمَسَّحَ بِالْأَرْضِ كَانَ مَنْ هُوَ مَسْحُ  
وَشَدَّتْ عَلَى ذُهُمِ الظَّالِمِينَ رِجَالُنَا      وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَاحُ  
أَخَذْنَا بِأُطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا      وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ  
ومنها تلك الآيات التي قال فيها الجاحظ ، لا أعرف شعراً يفضل هذه  
الآيات التي لأبي نواس :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا      بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَمِيدٌ وَدَارِسُ  
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزَّفَاقِ عَلَى التَّرَى      وَأَضْعَافُ رِيحَانٍ جَنَى وَيَاسُ  
حَبَسْتُ بِهَا تَعْبِي فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ      وَإِنِّي دَرُّ أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسُ  
نَدَارُ عَالَمِ الرِّاحِ فِي عَسَجِدِيَّةٍ      حَبَسَهَا بِتَوَاجِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ  
فَرَارَتُهَا كَيْسَرَى وَفِي جَنَابَاتِهَا      مَبَاهِجٌ تَدْرِيهَا بِالْقَيْسِيِّ الْفَوَارِسُ

فَإِنَّكَ كَأَنَّمَا تَنبِيْلُ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ۖ وَإِنْ خِلْتَ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ قَاسِعٌ  
وَالْإِيْجَازُ ضَرَبَانِ : إِيْجَازُ الْقَمَرِ وَهُوَ مَا لَيْسَ بِمَحْذُوفٍ ، نَحْوُ :  
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ وَالْمَقْطَعُ يَسِيرٌ ، وَلَا حَذْفَ فِيهِ

فَلَارَاحَ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا ۖ وَالْمَاءُ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقُلَاسِ

( فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ ) الْبَيْتُ لِلنَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُهَا أَبَا قَابُوسَ وَهُوَ  
النَّعْنَاعُ بْنُ الْمُنْذَرِ مَلِكُ الْحِيرَةِ . يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَفُوتُ الْمَمْدُوحُ وَإِنْ أَبْعَدَ فِي الْحَرْبِ  
وَسَارَ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ لَسَعَةً مَأْسُكُهُ وَطُولُ يَدِهِ ، وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ  
مَطِيْعًا لَأَمْرِهِ يَرُدُّ الْهَارِبَ إِلَيْهِ . وَقَدْ انْتَقَدَ الْأَصْمَعِيُّ النَّابِغَةَ ، فَقَالَ : أَمَا تَشْبِيهِ  
الْإِدْرَاكَ بِاللَّيْلِ فَقَدْ تَسَاوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِيمَا يَدْرِكَانِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يَأْتِيَ  
بِمَا لَا قِسْمَ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَ بِمَعْنَى مُنْفَرِدٍ ، فَلَوْ قَالَ قَاتِلُ إِنْ قَوْلُ الْبَيْرُوتِيِّ فِي ذَلِكَ  
أَحْسَنُ مِنْهُ ، لَوَجَدَ مَسَاقًا إِلَى ذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ :

فَلَوْ كُنْتُ كَالْعَفْوَاءِ أَوْ كَسُوْهُهَا ۖ خِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تُصَدِّقَ تَرَانِي

( نَحْوُ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ) مِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ فِيمَا يُخَاطَبُ  
بِهِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ .  
فَجَمَعَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ بِأَسْرَافِهَا ، لِأَنَّ قَوْلَهُ خُذِ الْعَفْوَ فَالْعَفْوُ ضِدُّ الْجَهْدِ .  
أَيُّ خُذْ مَا عَفَاكَ . مِنَ أَعْمَالِ النَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ وَمَا أَتَى مِنْهُمْ ، وَتَسَهَّلَ مِنْ غَيْرِ  
كَانَتْ ، وَلَا تَدَاوَقَهُمْ ، وَلَا تَطْلُبُ مِنْهُمْ الْجَهْدَ وَمَا يَشْقِي عَلَيْهِمْ حَقٌّ لَا يَنْفَرُوا .  
وَالْعُرْفُ : الْمَعْرِيفُ وَالْجَمِيلُ مِنَ الْأَفْعَالِ . وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ : لَا تَسْكُنْ فِي  
السُّفْهَاءِ مِثْلَ سَفْهَتِهِمْ وَلَا تَمَارَهُمْ وَاحْلُمْ عَنْهُمْ وَأَغْضُضْ عَلَى مَا يَسُوؤُكَ مِنْهُمْ . وَمِنْ

وَفَضَّلَهُ عَلَى مَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ أَوْجَزَ كَلَامٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ : الْقَتْلُ  
أَنْفَى لِلْمَقْتَلِ ، بِقِيَامَةِ حُرُوفِ مَا يَنْظَرُهُ مِنْهُ ، وَالنَّصُّ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَمَا يُفِيدُهُ  
تَنْكِيرُ حَيَاةٍ بَيْنَ التَّعْظِيمِ ، لِمَنْعِهِ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِدٍ .

هذا الضرب من الإيجاز قوله تعالى : فلما استياسوا منه خلصوا نجيا (١) ، الآية ،  
حار في فصاحتها جميع الباغاء . ومثل هذا في القرآن كثير . ومنه قوله صلى الله  
عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٢) ، وقول الشريف الرضي :

مَالُوا إِلَى شُعْبِ الرَّحَالِ وَأَسْنَدُوا أَيْدِي الطَّعَانِ إِلَى قُلُوبِ تَحْقِيقٍ

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام ،  
عبر عن ذلك بقوله : أيدى الطعان ( فإن معناه كثير ) لأن المراد به أن  
الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يقدم على  
القتل فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ،  
فكان ارتفاع القتل حياة لهم ( وفضله الخ ) يقول إن قوله تعالى : ولكم  
في القصاص حياة ، يفضل ما كان عند العرب أوجز كلام في هذا المعنى وهو  
قولهم القتل أنفى للقتل من وجوه ، أحدها : أن عدة حروف ما ينظره منه وهو  
في القصاص حياة عشرة في التامظ وعدة حروفه أربعة عشر ، وثانيها : ما فيها  
من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص عليها ، فيكون أجز عن القتل  
بغير حق ، لكونه أدعى إلى الاقتصاص ، وثالثها : ما يفيد تنكير حياة  
من التعظيم ، وذلك لمنعهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد أو النوعية وهى

- ( ١ ) المعنى لما يئسوا من يوسف وإجابته لإياهم ، اعتزلوا الناس خالصين  
لا يخاطبهم أحد يتناجون في تدبير أمرهم وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيم .  
( ٢ ) تمام الحديث : قيل وماذا ، قال المرأة الحسناء في المنبت السوء .

أَوْ النَّوْعِيَّةِ الْخَاصَّةِ لِلْمَقْتُولِ وَالْقَاتِلِ بِالْإِزْدَاعِ ، وَأَطْرَادِهِ وَخَلْوَتِهِ عَنْ  
التَّكْرَارِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنْ تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ ، وَالْمُطَابَقَةِ ؛ وَإِيجَازِ الْحَذْفِ ،  
وَالْمَحْذُوفِ إِمَّا جُزْءُهُ جُمْلَةً مَضَافٌ نَحْوُ : وَأَسْأَلُ الْقُرْيَةَ ، أَوْ مَوْصُوفٌ نَحْوُ :  
أَنَا ابْنُ جَلَّ . أَيْ رَجُلٍ جَلَّ ، أَوْ صِفَةٌ نَحْوُ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ بِأَخْذِ

الحياة الحاصلة للقاتل بانسكافه ، والمقتول بالسكف عنه ، ورابعها : اطراده  
بخلاف قولهم فإن القتل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لا  
غيره ، وخامسها : سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام بخلاف  
قولهم ، وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فإن تقديره  
القتل أنفى للقتل من تركه ، وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما  
أطباق ، وزاد في الإيضاح وجهاً آخر وهو جعل القصاص كالمنبغ والمعدن  
للحياة بإدخال في عليه وهناك وجوه أخرى قد تسميها الناس ( وإيجاز الحذف )  
عطف على إيجاز التصر ( نحو وأسأل القرية ) مثله قوله تعالى : وأشربوا في  
قلوبهم العجل . أى حبه ، وقوله عز وجل : الحج أشهر معلومات . أى وقت  
الحج ، وقول الخامس :

إِذَا لَاقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ      كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَيْرًا  
هَلْ اعْتَمَوْا عَنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ      إِذَا عَسُرَتْ وَاقْتَطِعَ الصَّدُورُ

أراد أنه يقتطع ما في الصدور من الضغائن والإحز ، أى يزيل ذلك  
بإحسانه وكرمه خصاله . وهذا باب شائع في كلام العرب وإن كان أبو الحسن  
الآخفش لا يرى القياس عليه ( نحو أنا ابن جلا ) هو بعض بيت للأرجى ولفظه :  
أَنَا ابْنُ جَلَّا وَطَلَّاعُ الشَّيَا      مَتَى أَضَحَّ الْعِمَامَةُ تَعْرِفُونِي  
فالمحذوف جزء جملة موصوف ( أى رجل جلا ) قال بعضهم فيه نظر

كَلَّ سَفِينَةً غَضَبًا ، أَيْ صَحِيحَةً وَنَحْوَهَا ، بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ أَوْ شَرْطُ ، كَمَا مَرَّ ،  
أَوْ جَوَابُ شَرْطٍ ، إِنَّمَا لِمَجَرَّدِ الْإِخْتِصَارِ نَحْوُ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ

لأن رجل ليس جزء جملة بل فضلة ، على أنه قيل إن جلا أمم علم فلا حذف  
حيث أنه ، وهو مستند عيسى بن عمر في أن فعل عنده وزن يمنع من الصرف فلذا  
لم ينون جلا ، وقال سيبويه : كأنه قال أنا ابن الذي جلا ، فعل هذا الوجه  
يسكون حذف الموصول . ومن حذف الموصوف قول البحترى من أبيات  
يصف بها إيوان كسرى :

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كَيْفَ ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ  
وَالْمَنَاسِيَا مَوَائِلُ وَأَنْوُ شِرْ وَأَنْ يُرْجَى الصُّفُوفُ تَحْتَ الدَّرْقُسِ  
فِي اخْخِيزَارِ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرٍ يَحْتَالُ فِي صَدِيقَةِ وَرْسٍ

فقوله على أصفر : أى على قرص أصفر ، وهذا مفهوم من قرينة الحال  
( ونحوها ) كسليمة أو صالحة ( بدليل ما قبله ) وهو قوله تعالى : فَأَرَدْتُ  
أَنْ أَعِيبَهَا ، فإنه يدل على أن الملك كان إنما يأخذ الصحيحة . ومن حذف  
الصفة قول الحماسي :

كُلُّ أَمْرٍ سَيَكُونُ مِنْهُ الْعُرْسُ أَوْ مِنْهَا يَتَكُونُ <sup>(١)</sup>

أراد كل امرئ متزوج ، إذ المعنى لا يصح إلا بهذا . وبعد ، فهذا  
الضرب من الحذف وهو حذف الصفة قليل الوجود ، ولا يكاد يقع في  
الكلام إلا نادراً لمكان استهزامه ( كما مر ) عند قوله في باب الإنشاء

( ١ ) أى إما أن يموت الرجل فتبقى امرأته أيتما ، وتموت امرأته فيبقى  
الرجل أيتما ، وفي المثل : كل ذات بعل ستتيم .

أَيَّدِيكُمْ وَمَا خَلَقَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَيْ أَعْرَضُوا بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ .  
 أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ ، أَوْ لِتَذَهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ  
 كُلِّ مَذْهَبٍ مُمَكِّنٍ ، مِثْلَهُمَا : وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ  
 نَحْوُ : لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَتَى مِنَ الْقِبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أَيْ وَمَنْ أَتَى  
 مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ . وَإِنَّمَا جُمِلَتْ مُسَبِّبَةُ عَنْ مَذْكَورٍ ،

وهذه الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها . ومن حذف الشرط قولهم الناس  
 مجزون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ( بدليل ما بعده ) وهو  
 قوله تعالى : وما تأتئهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، ومن  
 هذا الباب قوله تعالى : ولو أن قرآناً سیرت به الجبال أو قطعت به الأرض  
 أو كلم به الموتى ، أى لكان هذا القرآن وقوله تعالى : قل أرايتم إن كان من  
 عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم  
 أى ألسن ظالمين بدليل قوله تعالى بعد : إن الله لا يهدي القوم الظالمين .  
 ( أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ) فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً  
 إلا وهو يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، بخلاف ما لو ذكر فإنه يتعين  
 وربما يسهل أمره عنده ، ألا ترى أن المولى إذا قال لعبده والله إن قتلت إليك  
 وسكت تراحت عليه من الظنون المعارضة للوعيد ما لا يتراحم لو أنص من  
 مؤاخذته على ضرب من العذاب ، وكذلك إذا قال المتجسس لو رأيتني شاباً  
 وسكت جالت الأفكار له بما لم تجل به لو أتى بالجواب ( أو غير ذلك )  
 كالمسند إليه والمسند والمفعول كما مر وكالمضاف إليه كقوله تعالى : وكل في فلك  
 يسبحون ، وكذلك كل ما قطع عن الإضافة معنى لا لفظاً . وكالصلة مثل  
 قولهم : جاء بعد الدنيا والى ، وكجواب القسم مثل قوله تعالى : والفجر وليال عشر

نحو: لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ، أَيْ فَعَلَ مَا فَعَلَ ، أَوْ سَبَبٌ لِمَذْكَورٍ  
نحو: فَأَنْفَجَرَتْ ، إِنْ قُدِّرَ فَضْرَبَهُ بِهَا ، وَيَحْوَزُ أَنْ يُقَدَّرَ فَإِنْ ضَرَبَتْ بِهَا

الآية ، التقدير ليعذبن أو نحوه ، ويدل على ذلك قوله بعد : ألم تركيب فعل ربك  
بعد — إلى قوله — سوط عذاب ، وجواب لما كقوله تعالى : فلما أسلما وتله  
للجبين الآية ، التقدير كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من  
استبشارهما واعتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع  
البلاء العظيم بعد حواره وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب ،  
ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب ، وبما يتصل بهذا ما يجيء بعد أفعل  
كقوله : الله أكبر ، أى من كل شيء وعليه قول البحرى :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الْمَحَبَّةَ فِي الْمَوَدَى وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ  
وَلَا تَأْتِي أَمَلًا فِي الْعَيُونِ لَدَيْهِمْ وَأَجَلَ قَدْرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرَ  
( نحو ليحق الحق ) ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

أَتَى الرَّقْمَانُ بَنُوهُ فِي شِدِيدَتِهِ فَتَرْتَّمُ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الزَّهَرِ  
أى فسأنا ( نحو فأنفجرت ) الآية فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ف  
ومثله : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ، أى فاختلفوا ، بدليل قوله :  
ليحكم بين الناس فيها اختلفوا فيه ( ويحوز أن يقدر الخ ) فيسكون المحذوف  
جوه جملة هى شرط كقوله تعالى : فإله هو الولي ، أى إن أرادوا ولياً بحق ،  
بالإضافة إلى قوله فأنفجرت تسمى فاء فصيحة . وظاهر كلام الزمخشري أن  
اسميتها فصيحة إنما هى على التقدير الثانى ، وظاهر كلام السكاكي على العكس ،  
وفيل إنها فصيحة على التقديرين ، والمشهور فى تمثيلها قوله :

فَالْمَا خَرَّ اسْمَانِ أَتَقَعِي مَا زَادَ بِنَا نَحْمُ الْقَمُولُ فَمَقْدُ حَتْمًا خَرَّ اسْمَانَا

فَقَدْ انْفَجَرَتْ ، أَوْ غَيْرُهَا نَحْوُ : فَنِعِمَّ الْمَاهِدُونَ عَلَى مَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا أَكْثَرُ  
مِنْ مُجْمَلَةِ نَحْوُ : أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ ، أَيْ إِلَى يُوسُفَ  
لِاسْتَعْمَالِهِ الرُّؤْيَا فَفَعَلُوا فَأَتَاهُ وَقَالَ لَهُ يَا يُوسُفُ : وَالْحَدَفُ عَلَى وَجْهَيْنِ ،  
أَنْ لَا يَقَامَ شَيْءٌ مَقَامَ الْمَحْذُوفِ كَمَا مَرَّ وَأَنْ يَقَامَ ، نَحْوُ : وَإِنْ يُكْذِبُوكَ  
فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ ، أَيْ فَلَا تَحْزَنْ وَاصْبِرْ : وَأَدِلَّتُهُ كَثِيرَةٌ ،  
مِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحْذُوفِ نَحْوُ :  
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ؛ وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِمَا نَحْوُ : وَجَاءَ رَبُّكَ ،  
أَيْ أَمْرُهُ أَوْ عَذَابُهُ ؛ وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ وَالْعَادَةُ عَلَى التَّعْيِينِ نَحْوُ :

( على ما مر ) في مبحث الاستئناف من أنه على حذف المبتدأ والخبر ،  
في قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ( نحو : أَنَا أَنْبِئُكُمْ الْخ ) مثله  
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ يَعْصِيهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى المعنى فاضربوه بها فحي  
حذف ذلك لدلالة قوله : كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ، وقوله : اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا  
فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قالت يا أيها الملأ ، التقدير  
ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل فإذا قالت فقيل :  
قالت يا أيها الملأ . ومثال هذا النوع من الإيجاز لا يسكاد يوجد إلا في كلام  
الله الذي تقطعت على بلاغته أعناق العتاق السبق ، وونت عنها خطى الجياد  
القرح ( نحو حرمت عليكم الميتة ) فإن العقل يدل على الحذف إذا الأحكام إنما  
تتعلق بالأفعال دون الأعيان ، والمقصود الأظهر من هذه الأشياء المذكورة  
في الآية تناولها الشامل للأكل وشرب الألبان ، فدل على تعيين المحذوف  
( عليهما ) أي على الحذف والتعيين ( نحو وجاء ربك ) ما أحسن ما



فَذَلِكَ الَّذِي اُتْمَعْنِي فِيهِ ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ فِي حُبِّهِ ، لِقَوْلِهِ : قَدْ شَغَفَهَا حُبًا ،  
وَيُؤْتِي مَرَاوِدَهُ لِقَوْلِهِ : تَرَاوَدَّ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَفِي شَأْنِهِ حَتَّى يَشْمَلَهَا ،  
وَالْعَادَةُ دَلَّتْ عَلَى الثَّانِي لِأَنَّ الْحُبَّ الْمَفْرُطَ لَا يَلَامُ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فِي الْعَادَةِ ،  
لِقَمَرِهِ إِيَّاهُ ، وَمِنْهُ الشَّرُوعُ فِي الْفِعْلِ نَحْوُ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَيُقَدَّرُ مَا جُعِلَتْ  
التَّسْمِيَةُ مَبْدَأًا لَهُ ، وَمِنْهَا الْإِفْتِرَانُ كَقَوْلِهِمُ الْمُعْرَسُ : بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ ،  
أَيْ أَعْرَسْتُ . وَالْإِطْلَابُ إِمَّا بِالْإِيضَاحِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ ، لِيَرَى الْمَعْنَى  
فِي صُورَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، أَوْ لِيَتِمَّ كُنْ فِي النَّفْسِ فَضْلًا تَمَكَّنُ ،

ارتأه صاحب الكشاف في هذه الآية الكريمة ، وما أليقه بالأسلوب البليغ  
قال إن هذا تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله  
في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة  
ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم ( لا يلام  
صاحبه عاياه ) وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها  
عن نفسه ( ومنها ) أي من أدلة تعيين المخدوف ( الافتران ) أي افتران الكلام  
بالفعل ( بالرفاء والبنين ) فافتران هذا الكلام لإعراس المخاطب دل على أن  
التقدير بالرفاء والبنين أعرجت . والرفاء : الالتئام والاتفاق ، تقول رفأت  
الثوب أرفؤه : إذا أصلحت ما وهن منه ( ليرى المعنى في صورتين مختلفتين )  
فيكون كعرض الحسناء في لباسين ( أو ليتمكن في النفس ) فإن المعنى  
إذا ألقى مبهما تأقت نفس السامع إلى معرفته مبيها ، فتتوجه إلى ما يرد  
بعد ذلك ، فإذا ألقى كما تشتهي تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أنهم

أَوْ اكْتَمَلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ ، نَحْوُ : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، فَإِنَّ اشْرَحَ لِي  
يُقِيمِدُ طَلَبَ شَرْحِ شَيْءٍ مَالَهُ ، وَصَدْرِي يُقِيمِدُ تَفْسِيرَهُ ، وَمِنْهُ بَابُ نَعَمْ  
عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، إِذْ لَوْ أُريدَ الْإِخْتِصَارُ لَكُنْفَى نَعَمْ زَيْدٌ ، وَوَجْهٌ  
حُسْنِهِ سِوَى مَا ذَكَرَ إِتْرَازُ الْكَلَامِ فِي مَعْرِضِ الْإِعْتِدَالِ وَإِيهَامِ الْجَمْعِ  
بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ : وَمِنْهُ التَّوْشِيْعُ : وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي تَجْزِءِ الْكَلَامِ

( أَوْ اكْتَمَلَ لَذَّةُ الْعِلْمِ بِهِ ) فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا حَصَلَ كَالْعِلْمِ بِهِ دَفْعَةً لَمْ يَتَقَدَّمْ  
حَصُولُ اللَّذَّةِ بِهِ أَلَمْ ، وَإِذَا حَصَلَ الشُّعُورُ بِهِ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ تَشْوِيقِ النَّفْسِ  
إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَجْهُولِ فَيَحْصُلُ لَهَا بِسَبَبِ الْمَعْلُومِ لَذَّةٌ ، وَبِسَبَبِ حُرْمَاتِهَا عَنِ الْبَاقِي  
أَلَمْ ، ثُمَّ إِذَا حَصَلَ لَهَا الْعِلْمُ بِهِ حَصَلَتْ لَهَا لَذَّةٌ أُخْرَى ، وَاللَّذَّةُ عَقِيبُ الْإِلَامِ أَقْوَى  
مِنَ اللَّذَّةِ الَّتِي لَمْ يَتَقَدَّمْهَا أَلَمْ . وَمَا يُوَاضِي ذَلِكَ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : هَلْ يَنْظُرُونَ  
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنَ اللَّهِ فِي ظُلُمٍ مِنَ الْغَمَامِ . قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ : السَّبَبُ فِي أَنْ  
الْعَذَابَ يَأْتِيَهُمْ مِنَ الْغَمَامِ ، أَنَّ الْغَمَامَ مَظَنَّةُ الرَّحْمَةِ فَإِذَا نَزَلَ مِنْهُ الْعَذَابُ كَانَ الْأَمْرُ  
أَفْظَعَ وَأَهْوَلَ ، لِأَنَّ الشَّرَّ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَعْمَ ، كَمَا  
أَنْ الْحَيْرَ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَمْرًا ، فَيُكَيِّفُ إِذَا جَاءَ الشَّرُّ مِنْ  
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ الْخَيْرَ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ السَّاعِقَةُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَعْظَمِ لِحَيْثُهَا مِنْ  
حَيْثُ يَتَوَقَّعُ الْغَيْثُ ، وَمِنْ ثَمَّةِ اشْتِدَادِ عَلَى الْمُتَفَكِّرِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ : وَبَدَأَ  
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ( وَمِنْهُ ) أَيْ مِنَ الْإِبْطَاحِ بَعْدَ الْإِيهَامِ  
( حُسْنِهِ ) أَيْ حُسْنِ بَابِ نَعَمْ ( فِي مَعْرِضِ الْإِعْتِدَالِ ) نَظَرًا إِلَى الْإِطْنَابِ  
مِنْ وَجْهِ حَيْثُ لَمْ يَقْلُ نَعَمْ زَيْدٌ ، وَإِلَى الْإِيْجَازِ مِنْ وَجْهِ حَيْثُ حُذِفَ الْمُبْتَدَأُ  
الَّذِي هُوَ صَدْرُ الْاسْتِثْنَاءِ ( وَإِيهَامِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ ) الْإِيْجَازُ وَالْإِطْنَابُ  
وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْمُسْتَعَارَةِ الَّتِي يَظْهَرُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ

بِمُشْتَقٍّ مَفْسَّرٍ بِاسْمَيْنِ ، ثَانِيَهُمَا مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَوَّلِ نَحْوُ : يَشِبُّ  
ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مَعَهُ خَصَلَتَانِ : الْحَرَصُ وَطُولُ الْأَمَلِ . وَإِنَّمَا بَذَرُ  
الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلشَّبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ ،  
تَنْزِيلاً لِلتَّغَايُرِ فِي الْوَصْفِ مَنَزَلَةً لِلتَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ نَحْوُ : حَافِظُوا  
عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى . وَإِنَّمَا بِالتَّكْرِيرِ لِنُكْتَةٍ

وجدانها تأثر عجيب ( ويشب معه خصلتان ) فلو أريد الاختصار لقل ويشب  
معه الحرص وطول الأمل لكنه أهم أولاً ثم أوضح لما سبق ويسمى هذا  
توشيحاً . لأن التوشيع في اللغة لف القطن المندوف ، فكأنه جعل التعمير  
عن المعنى الواحد بالمثنى المفسر باسمين ، بمنزلة لف القطن بعد الندف . ومن هذا  
قول الشاعر :

سَقَيْتَنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا      شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ  
فَمَارَزْتُ فِي أَلْيَانٍ شَعْرَ وَظَلْمَةٍ      وَتَمَسَّيْتُ مِنْ حَجَرٍ وَوَجْهٍ حَبِيبٍ  
وقول البحري :

لَمَّا مَشَيْتُ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ      أَعْطَافُ قُضَابٍ بِهِ وَقُدُودُ  
فِي حَلَّتِي حَبِيرَ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى      وَشَيَانٍ وَشَيْ رَفٍّ وَوَشْيُ بُرُودِ  
وَسَفَرُونَ فَأَمْسَلَتْ عَيْنُونَ رَاقِبَهَا      وَرَدَانٍ وَرَدُ جَنَى وَوَرْدُ خُدُودِ

نحو ( حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ) (١) ، ومن هذا الباب

( ١ ) . أتذكر أن شيخنا الإمام رحمه الله قرر عند تفسير هذه الآية الكريمة

كُتِبَ الْإِنْذَارُ فِي : كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ

قوله تعالى : من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ، أفرد جبريل وميكال بالذكر لفضلهم ما كانهما من جنس آخر ( كُتِبَ الْإِنْذَارُ ) وكر زيادة التنبية على ما ينهى النعمة ليكمل تاتي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى : وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الدنيا متاع . وزيادة التوجع والتحسر كما في قوله :

فَيَا قَبْرُ مَعْنَى أَنْتَ أَوَّلُ خُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا  
وَيَا قَبْرُ مَعْنَى كَيْفَ وَارَيْتَ جِرْدَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا  
وقد يكرر ما قد بعد بسبب طول في الكلام كما في قوله تعالى : ثم إن ربك  
الذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور  
رحيم ، وقوله : لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا  
فلا تحسبنهم بمغزاة من العذاب ، وقول الشاعر :

أن المعنى ليس كما يقول المفسرون من أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر أو  
غيرها ، وإنما المعنى أن الله جل شأنه لما أمر بحفظ الصلوات والمثابرة عليها  
كان للناس أن يتوهموا أن تأدية الصلاة على أى وجه وأية حال كافية عند الله .  
فبين أنما سبحانه أن الصلاة لا تكفى إلا إذا كانت وسطى — فضلى — وذلك  
بأن نكون مستصحبة بالفراغ من شواغل الدنيا ، والتوجه لله والخشوع له ،  
واستهضار عظمته ، واستشعار هيئته . وعلى ذلك لا نكون بما نحن فيه كما  
هو ظاهر .

وَفِي ثَمٍّ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنذَارَ الثَّانِي أَبْنَعُ . وَإِمَّا بِالْإِبْغَالِ ، فَقِيلَ هُوَ حَتْمٌ

لَقَدْ عَلِمَ الْيَمَانُونَ أَنِّي إِذَا قُلْتُ أَمَا بَعْدُ أَنِّي خَطِيْبُهُا  
وقول الحماسي :

أَسِجْنًا وَقَيْدًا وَاشْتِيَادًا وَعُرْبَةً      وَنَائِي حَبِيبٍ إِنَّ ذَا الْعَظِيمِ  
وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ      عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ

وقد يكرر اللفظ لتعدد المتعاق كالذي جاء في سورة الرحمن من قول الله سبحانه : فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَكْذِبُونَ ، لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى ( وفي ثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ ) كما تقول المنصوح أقول لك ثم أقول لك ، والمر في ذلك أن أصل ثم الدلالة على تراخي الزمان ، لكنها قد تجيء لمجرد التدرج في درج الارتقاء من غير اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج ، وإن الثاني بعد الأول في الزمان وذلك إذا تكرر الأول بلفظه نحو : والله ثم والله ( وإما بالإبغال ) وأصله من قولهم أوغل في الأمر : إذا أبعده الذهاب فيه . سئل الأصمعي من أشعر الناس : فقال : من يعضى كلامه قبل انقضاء القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى قيل نحو من : قال ذو الرمة حيث يقول

فَبِالْإِبْسِ فِي أَطْلَالٍ مَيَّةٍ قَاسَأٍ      رُسُومًا كَأَخْلَاقٍ الرِّدَاءِ الْمَسْأَلِ  
فتم كلامه بالرداء ، ثم قال المسائل فزاد به شيئاً ثم قال :

أَطْلُ الْبَدَى بَجْدِي عَنَّا نَوَاهَا      ذَمُوعًا كَتَبْدِيرِ الْجُمَانِ الْمَقْصَلِ  
فتم كلامه بالجمان . ثم قال انفصل فزاد شيئاً . قيل ونحو من قول الأعشى :

الْبَيْتِ نَبَأٌ يُفِيدُ نُسْكَتَهُ يَتِمُّ اللَّغَى بِدُونِهَا ، كَزِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهَا :  
وَإِنْ صَخْرًا لَسَأَلْتُمْ الْهَدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ  
وَتَحْقِيقُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :  
كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحَلِنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلَحَهَا فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْفَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ  
فتم كلامه بضررها ، فلما احتاج إلى القافية قال : وأرعى قرنه الوعل ، فزاد  
معنى ، قال السائل وكيف صار الوعل مفضلا على كل ما ينطح ، قال لأنه ينحط  
من قلة الجبل على قرنيه فلا يضره ( في قولها ) أى قول الخنساء في مرثية  
أخيها صخر . - ولم ترض أن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف  
بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا ( في قوله ) أى قول امرئ القيس . فإنه لما  
أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة في قوله لم يثقب  
لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون ( كأن عيون الخ ) الجزع  
الحرز النيامي الذي فيه سواد وبياض يشبه به عيون الوحش قال الأصمعي : الطي  
والبهرة إذا كانا خيين فعيونهما كلها سود فإذا ماتا بدا بياضها ولم يماشهما بالجزع  
وفيه سواد وبياض بعد ما موتت ، والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلنا كثرت  
العيون عندنا ومن هذا النوع قول زهير :

كَأَنَّ فِتَاةَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَوَّلَتْ بِحُبِّ الْقَنَا لَمْ يُحْطَمْ  
فإن حب القنا أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فهو لا تشبهه الصوف الأحمر  
إلا ما لم يحطم ، وقول امرئ القيس :

إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عَطْفُهُ نَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ مَرَّ بَأَثَابِ  
التشبيه تم عند قوله هزير الريح ، وزاد بقوله مر بأثاب . لأنه أخبر به

وقيل لا يختص بالشعر ومثل لقوله تعالى : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ  
أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وإما بالتدليل ، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى  
تستعمل على معناها للشأ كيد ، وهو ضربان : ضرب لم يخرج مخرج  
المثل نحو . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يحازي إلا الكفور ، على وجه

عن شدة حفيف الفرس وللريح في أغصان الأناب حفيف شديد ، والأناب :  
يُحِر . وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد :

إِذَا مَا عَاتَ مِنَّا ذُرَابَةٌ شَارِبٌ تَمَشَّتْ بِهِ مَشَى الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ

وكان يقول قائله الله أما كماه أن يجعله مقيداً حتى جعله في وحل ( ومثل  
بقوله تعالى الخ ) فإن قوله : وهم مهتدون ، بما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد  
لا محالة ، لكن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب في الرسل . وكتب بعض  
الكتاب : نبو الطرف من الوزير دليل على تغيير الحال عنده ، ولا صبر على  
الجناء من عود الله منه البر ، وقد استدلت بإزالة الوزير إبانى عن المحل الذي  
كان يحاشيه بطوله على ما سوت له ظناً بنفسى ، وما أخاف عتياً لأنى لم أجن  
ذنبا ، فإن رأى الوزير أن يقومى بنفسى ويدانى على ما يراد منى فعلى تم  
كلامه بقوله يقومى وزاد بالمقطع وهو قوله لنفسى معنى ( وأما بالتدليل )  
والتدليل في الكلام موقع جليل وممكن شريف خطير لأن المعنى يزداد به  
انفتاحاً والمقصد اتضاحاً ، وينبغى أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف  
الحافظة . لأن تلك المواطن تجميع البطىء الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة  
والجيد الحاصل ، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد تأكد عند الذهن  
اللقن وسحق للتكليل البعيد ( لم يخرج مخرج المثل ) لعدم استتماله بإفادة  
المراد وتوقفه على ما قبله ( على وجه ) وهو أن يراد وهل يحازي ذلك

وَضَرَبَ أُخْرِجَ مُخْرِجَ الْمَثَلِ ، نَحْوُ : وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ  
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا . وَهُوَ أَيْضًا إِمَّا لِبُتْنٍ كَيْدٍ مَنْطُوقٍ كَهَذِهِ الْآيَةِ ، وَإِمَّا  
لِبُتْنٍ كَيْدٍ مَفْهُومٍ ، كَقَوْلِهِ :  
وَأَسْتَيْسِدْبَقُ أَخَا لَا تَلْدُهُ عَلَى شَعْبٍ أَيْ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ

الجزء ، قال الزمخشرى وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل  
تارة في معنى المداخلة ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلما استعمل في معنى المعاقبة في  
قوله : جزئناهم بما كانوا ، بمعنى عاقبناهم بكفرهم ، قيل : وهل يجازى إلا الكفور  
بمعنى وهل يعاقب فعلى هذا يكون من الضرب الثاني ومن الأول قول الحماسي :

فَدَعَوْا نَزَالٍ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ  
وقول أبي الطيب :

وَمَا حَاجَةُ الْأَطْلَانِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدُ لَكَ عَادِمُهُ  
وقوله أيضاً :

تَمْسِي الْأُمَانِي صَرَعِي دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ إِشْيَاءَ لَيْتَ ذَلِكَ لِي  
وقول ابن نباتة السعدي :

لَمْ يَبْقِ خُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْثَمُهُ تَوَكَّيْتُ أَصْحَبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ  
قيل نظر فيه إلى قول أبي الطيب وقد أرى غايته في المدح والأدب مع  
الممدوح حيث لم يحمله في خير من تمنى شيئاً (نحو وقال جله الحق الآية) ومن  
هذا قول الخطيب :

فَزُورُ فَتَى يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالُهُ . وَسَنْ نَمُطُ أَمَانَ الْكَارِمِ مُحَمَّدٍ



وَأَمَّا بِالتَّكْوِيلِ ، وَاسْتَعَى الْإِحْتِرَاسَ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامِهِ  
يُوهِمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُهُ ، كَقَوْلِهِ :

(بك قوله) أى قول الزائفة الذيانى من قصيدة يخاطب بها الملك النعمان  
ابن المنذر . فأنت ترى أن صدر البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال  
لحقق ذلك وقرره بجزءه . ومعنى البيت ظاهر : وبما ينظر إليه قول بعضهم :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً أَرَادَ لَهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفَرَّقَا

وهو معنى طرفة الشعراء كثيرًا (بما يدفعه) وهذا الدافع قد يكون في وسط  
الكلام ، وقد يكون في آخره فالأول كقول طرفة بن العبد من قصيدة يمدح بها  
قتادة بن مسلمة الحنفي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبُ الرَّيْبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي (١)

لما كان المطر قد يفضى بالديار إلى الفساد تحرز عن ذلك بقوله غير مفسدها  
ولم يقع فيما وقع فيه ذو الرمة في قوله :

أَلَا يَا شَلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبِلَا وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَعَاتِكَ الْقَطْرُ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالداء لها . ومن هذا الضرب قول الرمادي  
في وصف فرس :

قَامَتْ قَوَائِمُهُ لَنَا بِطَعَامِنَا غَضًا وَقَامَ الْعُرْفُ بِالْمِنْدِيلِ

فقوله غَضًا احتراس عجيب ، إذ لو لم يذكر لنومهم أنهم ينقلون عليه  
أزوادهم ، وقول نافع بن خليفه الغنوي :

رِجَالٌ إِذَا لَمْ تَقْبَلِ الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوُهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِيبَ

(١) الديمة : المطر يدوم ، وتهمي : تسيل .

فَسَقَى دِيرَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ۖ صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ سَهْمِي  
وَنَحْوُ : أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَإِنَّمَا بِالتَّشْمِيرِ

### وقول الآخر :

لَوْ أَنَّ عِزَّةً خَاطَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضَى لَهَا  
فقوله عند موافق : تكميل لطيف ، والثاني كقوله تعالى : فسوف يأتي الله  
بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . فإنه لو اقتصر على  
وصفهم بالأذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم ، فلما قيل أعزة على الكافرين  
علم أنها منهم تواضع لهم ، ولهذا عدى الذل بعلى لتضمنه معنى العطف كأنه قيل  
عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ويجوز أن تكون التعديدة بعلى ، لأن  
المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم .  
ومنه قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديق له : إني وليك الذي لا يزال تنقاد  
لأليك مودته عن غير طمع ولا جزع ، وإن كنت لذي الرغبة مطلباً ولذي الرهبة  
مهرباً ، ومثله خنسي :

رَهَنْتُ يَدَيَّ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرٍّ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدٌ  
وكذا قول كعب بن سعد الغنوي :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهْيَبٌ

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن ذلك عن ضعف وخور . فأزال ذلك  
بقوله إذا ما الحلم زين أهله ، ومعلوم أن الحلم لا يزين أهله إلا عند القدرة عليه .  
ولما كان كونه حليماً في حال يحسن فيها الحلم يومهم أنه في تلك الحال ليس مهيباً لما به  
من البشر وطلاقة الوجه وعدم آثار الغضب والوقار نفى ذلك بقوله : مع الحلم  
في عين العدو مهيب فهو تكميل آخر . ومن هذا أيضاً قول السموأل :

وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ لَا يُؤْمَرُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِفَضْلَةٍ ، لِنُكْتَةِ كَالْمِبَالَةِ ،  
نَحْوُ : وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ، فِي وَجْهِهِ ، أَيْ مَعَ حُبِّهِ . وَإِنَّمَا  
بِالِاعْتِرَاضِ ، وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصَيْنَيْنِ  
بِمَعْنَى بَعْضِيَّةٍ أَوْ أَكْثَرُ لَا يَحِلُّ لَهَا بَيْنَ الْإِعْرَابِ لِنُكْتَةِ سِوَى دَفْعِ  
الِإِيهَامِ ، كَالْتَنْزِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَآيُهُمُ

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ  
فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِ قَوْمِهِ بِشُمُولِ الْقَتْلِ لِيَاهِمَ ، لِأَوْهَمَ أَنَّ ذَلِكَ  
لِضَعْفِهِمْ وَقَاتَمِهِمْ ، فَأَزَالَ هَذَا الْوَهْمَ بِوَصْفِهِمُ بِالِاتِّصَارِ مِنْ قَاتِلِهِمْ ( كَالْمِبَالَةِ )  
وَكَالِدَلَالَةِ عَلَى تَقْلِيلِ الْمُدَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ، ذَكَرَ  
لَيْلًا وَالْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَقْلِيلِ مَدَّةِ الْإِسْرَاءِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَى  
بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، لِأَنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ قَدْ دَلَّ عَلَى مَعْنَى الْبَعْضِيَّةِ ( فِي وَجْهِهِ أَيْ مَعَ  
حُبِّهِ ) أَيْ مَعَ اشْتِهَاءِ الطَّعَامِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ . أَمَّا إِذَا جَعَلَ الضَّمِيرُ لِلَّهِ أَيْ عَلَى حَسَبِ  
اللَّهِ كَمَا قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ ، فَلَا يَكُونُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لِنَادِيَةِ أَصْلِ الْمُرَادِ  
وَهَذَا الْوَجْهِ بَعِيدٌ كَمَا لَا يَخْفَى . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ زَهِيرٍ :

مَنْ يَبْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَهْلِكُ السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلِقًا

فَقَوْلُهُ عَلَى عِلَاتِهِ : تَتِمُّمٌ جَمِيلٌ . وَقَوْلُ الْآخِرِ :

إِنِّي عَلَى مَا تَرَيْتُ مِنْ كِبَرِي أَعْرِفُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُ الْكَافِرُ

قَوْلُهُ عَلَى مَا تَرَيْتُ مِنْ كِبَرِي : تَتِمُّمٌ أَصْحَابُ الْحَزَنِ ( سِوَى دَفْعِ الْإِيهَامِ ) أَيْ الَّذِي  
ذَكَرَ فِي التَّسْكِيلِ ( كَالْتَنْزِيهِ ) وَكَتَبْتُ أَحَدَ الْمَذْكُورِينَ بِزِيَاةِ التَّوَكِيدِ فِي  
أَمْرٍ عَاقَى بِهِمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ  
وَفَصَّالَةٌ فِي عَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ ، فَقَوْلُهُ أَنْ أَشْكُرَ لِي : تَفْسِيرٌ

مَا يَشْتَهُونَ ، وَالْدُّعَاءُ فِي قَوْلِهِ :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَغَتْهَا ۖ قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَمَانِ

والتَّنْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :

وَاعْلَمْ فَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ ۖ إِنَّ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قَدِرَا

لوصينا ، وقوله جملة اعتراض بينهما إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً لحقها العظيم مفرداً ، وكالمطابقة مع الاستعطاف في قول أبي الطيب :

وَحُقُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَةٍ ۖ يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ

فقوله يا جنّتي : اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطاف . وكبيان السبب لأمر فيه غرابة كما في قوله بن ميادة :

فَلَا هَجْرُهُ يَبْدُو فِي الْيَأْسِ رَاحَةً ۖ وَلَا وَصْلُهُ يَبْدُو لَنَا فَنُكَارِمُهُ

فإن قوله فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوباً للمحب فقال وفي اليأس راحة ليعين سببه ( ويعملون لله البنات الخ ) فقوله سبحانه جملة لسكونه بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام لأن قوله ولهم ما يشتهون معطوف على قوله لله البنات . والنكتة فيه تنزيه الله سبحانه وتقديسه عما ينسبون إليه ( في قوله ) أي قول عوف بن محلم الشيباني يشكو كبره وضعفه . فقوله وبلغتها : جملة معترضة بين اسم إن وخبرها لقصد الدعاء والوار في مثله اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية ، ومثل هذا قول أبي الطيب :

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرَّبٍ ۖ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

فقوله وحاشاك دعاء حسن في موضعه ( واعلم الخ ) فقوله فعل المرء ينفعه اعتراض بين اعلم ومفعوله ، والمعنى أن المقدورات لا محالة وإن وقع فيه تأخير ، وفي هذا تسلياة وتسهيل الأمر ، وهذا البيت أنشده أبو علي الفارسي

وَمِمَّا جَاءَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ جُمْلَةٍ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى :  
فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ  
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ بَيِّنٌ لِقَوْلِهِ  
فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، وَقَالَ قَوْمٌ : قَدْ تَكُونُ التَّسَكُّتُ فِيهِ غَيْرَ  
مَا ذُكِرَ ، ثُمَّ جَوَزَ بَعْضُهُمْ وَقَوَّعَهُ آخِرَ جُمْلَةٍ لَا تَلِيهَا جُمْلَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِهَا  
فَيَشْمَلُ التَّذْيِيلَ ، وَبَعْضُ صُورِ التَّكْمِيلِ ، وَبَعْضُهُمْ كَوَّنَهُ غَيْرَ جُمْلَةٍ

ولم يعزه على أحد ( وهو ) أى والاعتراض نفسه الواقع بين الكلامين  
أكثر من جملة ( أيضاً ) كما أن الكلام الذى يقع الاعتراض فى أثناءه  
أكثر من جملة ( بيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله ) لأن الغرض  
الأصلى من الإتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من  
حيث يأتى فيه هذا الغرض . فالنسكة فى هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا  
به والتنفير عما نهوا عنه ( وقال قوم الخ ) يقول غفر الله له : إن قوماً ذهبوا  
إلى أن الاعتراض لا تفيد فائدته بما ذكر ، بل يجوز أن تكون دفع توم  
ما يخالف المقصود وهؤلاء اختلفوا فرقتين فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً  
فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى ، بل يجوز أن يقع فى آخر كلام  
لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى وبهذا يشعر كلام الزمخشري فى  
مواضع من الكشف ، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ويشمل من  
التكميل ما لا محل له من الإعراب جملة كان أو أكثر من جملة . وفرقة تشترط  
فيه ذلك لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ، فالاعتراض  
عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً فى أحد الموقعين ، ومن التكميل  
ما كان واقعاً فى أحدهما ولا محل له من الإعراب جملة كان أو أقل أو

فَيَسْأَلُ بَعْضَ صُورِ التَّشْمِيهِ وَالتَّكْمِيلِ . وَإِنَّمَا يَغْيِرُ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :  
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ،  
فَإِنَّهُ لَوْ اجْتَصَرَ لَمْ يَذْكُرْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ لَا يُنْكِرُهُ مَنْ  
يُؤْمِنُ بِهِمْ ، وَحَسَنَ ذِكْرُهُ إِظْهَارُ شَرَفِ الْإِيمَانِ تَرْغِيْبًا فِيهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ  
يُوصَفُ الْكَلَامُ بِالْإِيْجَازِ وَالْإِطْنَابِ بِاعْتِبَارِ كَثَرَةِ حُرُوفِهِ وَقِلَّتِهَا بِالنِّسْبَةِ  
إِلَى كَلَامٍ آخَرَ يُسَاوِيهِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ :

\* يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سَوَدَدٌ \* وقوله :

وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ الْعَالِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

أَكْثَرُ ( وَإِنَّمَا بَغْيِرُ ذَلِكَ ) مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ إِنَّمَا بِالْإِيْضَاحِ بَعْدَ الْإِيْهَامِ  
( كَقَوْلِهِ ) أَيْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ مِنْ أَيْيَاتِ يَرْئِي أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَيْثَمِ .  
وَتَمَامُ الْبَيْتِ :

\* وَلَوْ بَرَزْتَ فِي زِيٍّ عَذْرَاءَ نَاهِدٍ \*

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْمَصْرَاعَ إِجْجَازٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَعْدِلِ بْنِ غِيلَانَ :  
وَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ الْعَالِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ  
لِمَسَاوَاتِهِ لَهُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى وَقِلَّةِ حُرُوفِهِ ، وَالْبَيْتُ إِطْنَابٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ .  
وَكَذَا بَيْتُ الشَّمَاخِ :

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَنَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

فَإِنَّهُ إِجْجَازٌ بِالنِّسْبَةِ لِقَوْلِ بَشَرَ بْنِ أَبِي خَازِمٍ :

إِذَا مَا الْمُسْكُورَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا وَقَعَّرَ مُبْتَغُوها عَنْ مَدَاهَا

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : لَا يُسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ،  
وَقَوْلُ الْحَمَاسِيِّ :

وَتُنْكَرُ إِن شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ \* وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

❦ الفن الثاني علم البيان ❦

وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح

وَصَاقَتْ أَذْرُعُ الْمُثْرَيْنَ عَنْهَا سَمَاءُ أَوْسٍ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

وشر بشر إطناب بالنسبة إليه ، قال ، ويقرب من هذا الباب قوله تعالى :  
لَا يُسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ وقول السموأل :

وتنكر إن شئنا على الناس قَوْلَهُمْ ولا ينكرون القول حين نقول

( وهو علم الخ ) قد مهد السكاكي لهذا النوع من علوم البلاغة بمقدمات  
هي بالعلوم النظرية أليق واللبايغ غيرها عنها غنية ولكن لا يحصى أيها القارئ  
عن شرحها بما ينظر للأسلوب العربي فنقول : إبيان علم يعرف به إبراز المعنى  
الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة بالزيادة والنقصان في وضوح الدلالة  
عليه ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتسام المراد منه  
ثم بما يكاد يكون معروفاً أن إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة غير ممكن  
بالدلالة اللغوية . وهي التي يسمونها الدلالة الوضعية . لأن من المحال أن يتطرق  
السكالم والنقصان إليها ، فإن السامع للفظ إما أن يكون عالماً بكونه موضوعاً  
لمسماء أو لا يكون ، فإن كان عالماً به عرف مفهومه بتمامه وإن لم يكن عالماً  
به لم يعرف منه شيئاً ألبته . فالألفاظ في دلالتها اللغوية إما أن تفيد مسمياتها  
بالكمال أو لا تفيد شيئاً منها ، فأما أن تفيد إفادة ناقصة فذلك غير معقول ، مثاله

الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ ، وَدَلَالَةُ اللَّفْظِ إِمَّا عَلَى تَمَامِ مَا وَضَعَ لَهُ ، أَوْ عَلَى جُزْئِهِ ،  
أَوْ عَلَى خَارِجٍ عَنْهُ ، يُسَمَّى الْأُولَى وَضْعِيَّةً ، وَكُلٌّ مِنَ الْأُخْرَيَيْنِ عَقْلِيَّةٌ

إذا أردت تشبيه زيد بالأسد في الشجاعة ، فإن أفدت هذا بالدلالة اللغوية وقلت  
زيد يشبه الأسد في الشجاعة ، فقد أفدت مقصودك بألفاظ دالة عليه دلالة  
لغوية ، وهذه الإفادة تمتنع من طرق الزيادة والنقصان إليها ، لأنك إذا نقصت  
في هذه الألفاظ شيئاً فقد نقصت من المعنى لا محالة ، وإن زدت فيها فقد  
زدت في المعنى لا محالة ، وإن أقمت مقام كل لفظ منها ما يرادفه امتنع أن  
تزداد تلك الإفادة قوة بسبب ذلك ، لأن السامع إذا عرف كونها موضوعة  
بإزاء مفهومات الألفاظ الأولى كان فهمه منها كفهمة من تلك الألفاظ الأولى  
وإن لم يعرف ذلك لم يعرف منها ذلك المعنى . وأما الدلالة العقلية فلأجل أن  
حاصها عائد إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلزمه من اللوازم ، ثم  
اللوازم كثيرة ، وهي تارة تكون قريبة وأخرى تكون بعيدة ، لا جرم صبح  
إبراز المعنى الواحد في صور كثيرة ، وصح في تلك الصور أن يكون بعضها  
أكمل من بعض في إفادة ذلك المعنى وتأديته وبعضها أنقص وأضف ...  
إذا عرفت هذا فنقول : دلالة اللفظ على المعنى إما أن تكون وضعية أو عقلية .  
فالوضعية كدلالة الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها وذلك كدلالة  
السماء والأرض والجدار والحائط على مسمياتها ، ولا شك في كونها وضعية ،  
وإلا لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأوضاع وأما العقلية فإما على ما يكون  
داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم  
البيت ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة ولا  
يكون متناولاً لأجزائها ، وإما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف  
على الحائط ، فإنه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة كان اللفظ المقيماً



وَتَحْتَصُّ الْأُولَى بِالمُطَابَقَةِ ، وَالثَّانِيَةِ بِالتَّضَمُّنِ ، وَالثَّلَاثَةِ بِالِاتِّزَامِ وَشَرْطُهُ  
اللزومُ الذهنيُّ ، وَلَوْ لَا اعتِقَادُ الْمُخَاطَبِ بِعُرْفٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالْإِرَادَةُ الْمَذْكُورُ  
لَا يَتَسَاءَلُ بِالْوَضْعِيَّةِ ، لِأَنَّ السَّامِعَ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِوَضْعِ الْأَلْفَافِ  
لَمْ يَكُنْ بَعْضُهَا أَوْضَحَ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ دَالًّا عَلَيْهِ وَيَتَسَاءَلُ  
بِالعَقْلِيَّةِ ، لِجَوَازِ أَنْ تَحْتَفِظَ مَرَاتِبُ اللزومِ فِي الوُضُوحِ ، ثُمَّ اللَّفْظُ  
المرادُ بِهِ لِأَزْمَ مَا وَضَعَ لَهُ إِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ إِرَادَتِهِ فَمَجَازٌ ،

لحقيقة السقف مفيداً للحائظ بواسطة دلالة الأول ، فتكون هذه الدلالة عقالية ،  
والقوم قد اصطاحوا على تسمية الأولى بدلالة المطابقة والثانية بدلالة التضمن  
والثالثة بدلالة الالتزام ، قال المصنف : وشرط الالتزام اللزوم الذهني بين  
الموضوع له والخارج عنه يعني أن يكون حصول ما وضع اللفظ له في الذهن  
ملزوماً لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون  
نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المداني الخارجة ، ولا يشترط في هذا  
اللزوم أن يكون مما يشكك العقل بل يكفي أن يكون مما يشكك اعتقاد المخاطب ، إما  
لعرف عام أو لغيره ، لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الآخر .  
قال : ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة  
ما وضع له فهو مجاز وإلا فكناية . . . وهذا مبني على ما سيحكيه أول باب  
الكناية من أن الانتقال في المجاز والكناية كليهما إنما هو من اللزوم إلى  
اللازم ، وأن ما ذكره السكاكي من أن مبني الكناية على الانتقال من اللازم  
إلى اللزوم ليس بصحيح ، إذ لا دلالة اللازم من حيث أنه لازم على اللزوم

وَالْإِفْكَنِيَّةُ ، وَقَدْ عَلِمْنَا لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزْءٍ مَعْنَاهَا ، ثُمَّ مِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَتَعَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ ، فَانْحَصَرَ فِي الثَّلَاثَةِ .

### ﴿ التَّشْبِيهِ ﴾

- التَّشْبِيهُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فِي مَعْنَى ، وَلِلْمُرَادِ هُنَا

وَالِاتِّزَامِ إِنَّمَا هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى لَازِمِ الْمُسَمَّى لَا عَلَى مِلْزُومِهِ . قَالَ : وَقَدْ هُجِرَ عَلَى الْكِنَايَةِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجُزْءٍ مَعْنَاهَا ، أَيْ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْهَجَازِ هُوَ الْإِزَامُ فَقَطْ لِقِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى عَدَمِ إِزَادَةِ الْمِلْزُومِ وَفِي الْكِنَايَةِ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ الْإِزَامُ وَالْمِلْزُومُ جَمِيعاً . قَالَ : ثُمَّ مِنَ الْهَجَازِ مَا يَبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ . وَهُوَ الْإِسْتِعَارَةُ . فَتَعَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ فَانْحَصَرَ الْمَقْصُودُ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ فِي الثَّلَاثَةِ : التَّشْبِيهِ وَالْهَجَازُ وَالْكِنَايَةُ . هَذَا مَا أَمَكُنْ أَنْ نَذَلِّلَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَهُوَ بَعْدَ مَوْضِعِ نَظَرٍ (١) .

﴿ التَّشْبِيهِ ﴾ اعْلَمْ أَنَّ التَّشْبِيهِ مِمَّا اتَّفَقَ الْعُقَلَاءُ عَلَى شَرَفِ قَدْرِهِ وَإِنْ تَعْقِيبُ الْمَعَانِي بِهِ لِأَسِيَا قَسَمِ التَّمَثِيلِ مِنْهُ يَكْسِيهَا أَهْوَاءَ وَيَكْسِيهَا مَنَقِبَةً وَيَرْفَعُ مِنْ أَقْدَارِهَا وَيُسَبِّحُ مِنْ نَارِهَا وَيَضَاعَفُ قُوَاهَا فِي تَحْرِيكِ النُّفُوسِ لَهَا وَيَدْعُو الْقُلُوبَ إِلَيْهَا وَيُسْتَشِيرُ لَهَا مِنْ أَقَاصِي الْأَفْقَةِ صِبَايَةً وَكَلَفًا ، وَيَقْرَأُ الطَّبَاعَ عَلَى أَنْ تَعْطِيَهَا مَحَبَّةً وَشَفَافَةً إِنْ كَانَ مَدْحًا كَانَ أَبْهَى وَأَنْجَمَ وَأَنْبَلَ فِي النُّفُوسِ وَأَعْظَمَ ، وَأَهْوَزَ لِلْعُطْفِ وَأَسْرَعَ لِلْأَلْفِ ، وَأَجْلَبَ لِلْفَرَحِ ، وَأَغْلَبَ عَلَى الْمَمْتَدَحِ وَأَوْجَبَ شِفَاعَةَ الْمَادِحِ ، وَأَقْضَى لَهُ بَغْرَ الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَائِحِ ، وَأَسِيرَ عَلَى الْأَسْنِ وَأَذْكَرَ ، وَأَوَّلَى بِأَنْ تَعْلِقَهُ الْقُلُوبُ

(١) وَذَلِكَ لِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ قَوْلُهُمْ بِإِنْ الْإِخْتِلَافِ بِالْوَضُوحِ وَالْخَفَاءِ غَيْرِ مُمْكِنٍ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ ، وَلَقَدْ شَنَعَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ حَفْظَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بِمَا يُوَدِّدُ الْحَسَّ وَيَنْصُرُهُ الْعَقْلُ ، وَلَيْسَ فِي وَسْئِنَا إِثْبَاتَ ذَلِكَ الْآنَ وَرَبَّمَا أَثْبَتْنَاهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأُمُورٌ أُخْرَى نَبَهَ عَلَيْهَا الْقَوْمُ فِيمَا كَتَبُوا فَانْظُرْهَا ثَمَّتْ إِنْ شِئْتَ .

وأجدر . وإن كان ذماً كان مسه أوجع وميسمه أذع ووقعه أشد وحده أحد ،  
وإن كان حجاباً كان برهانه أنور وسلطانه أوفر وبيانه أهر . وإن كان افتخاراً  
كان شأوه أبعد وشرفه أجدر ولسانه ألد . وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول  
أقرب وللقلوب أخلب وللسخانم أسهل ولعرب الغضب أفل ، وفي عقد العقود  
أنفث وعلى حسن الرجوع أبعث . وإن كان وعظاً كان أشقى للصدر وأدعى  
إلى الفكر وأبلغ في التنبيه والجزر وأجدر ، بأن يحلى الغاية ويبصر الغاية ويبرىء  
العليل ويشفي الغليل . وهكذا الحكم إذا استقرت فنون القول وضروبه ،  
وتلتبت أبوابه وشعوبه . وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول البحترى :

دَانَ عَلَى أَيْدِي الْعُقَاةِ وَشَاسِعَ عَنْ كُلِّ نِدَى فِي النَّدَى وَضَرِبَ  
كَالْبَذْرِ أَفْرَاطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ حَيْدٌ قَرِيبٌ  
أَوْ قَوْلُ ابْنِ لُكَّك :

إِذَا أَخُو الْحَسَنِ أَضْحَى فِعْمَلُهُ سَمِيحًا رَأَيْتَ صُورَتَهُ مِنْ أَقْبَحِ الصُّوَرِ  
وَوَهْبُهُ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنِ أَلَمِ تَرَانَا نَفَرٌ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَى الضَّرَرِ  
أَوْ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِي :

بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَمَحًا وَأَبَى بَعْدَ ذَلِكَ بَذَلَ الْعَطَاءَ  
فَقَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَمِينَ وَيَأْبَى الْإِنْمَارَ كُلَّ الْإِبَاءِ  
أَوْ قَوْلُ أَبِي تَمَام :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ  
لَوْلَا اشْتِمَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ  
وقوله أيضاً :

مَوْطُولٌ مُقَامَ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلَقٌ لِدَيْبَاجَتِهِ فَأَغْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ

مَا لَمْ تَسْكُنْ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعَارَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالِاسْتِعَارَةِ بِالسَّكْنَاءِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بَسْمَةٌ  
وَفَكَّرَ فِي حَالِكِ وَحَالِ الْمَعْنَى مَعَكَ وَأَنْتَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لَمْ تَنْتَهَ إِلَى الثَّانِي  
ثُمَّ قَسَمَ عَلَى الْحَالِ وَقَدْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ وَأَمَاتَ طَرْفِيهِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ بَعْدَ مَا بَيْنَ  
حَالَتِكَ وَشِدَّةِ تَفَاوُتِهِمَا ، فِي تَمَكُّنِ الْمَعْنَى لَدَيْكَ وَتَحَبُّبِهِ إِلَيْكَ وَنَبْلِهِ فِي نَفْسِكَ  
وَتَوْفِيرِهِ لَأَنْفُسِكَ ، وَتَحَكُّمِ لِي بِالْصَّدَقِ فِيمَا قُلْتَ وَالْحَقِّ فِيمَا ادَّعَيْتَ وَكَذَلِكَ فَتَعْمِدُ  
الْفَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَقُولَ أَرَى قَوْمًا لَهُمْ بَهَاءٌ وَمَنْظَرٌ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَخْبَرٌ ، وَتَقْطَعُ  
السَّكْلَامَ ، وَبَيْنَ أَنْ تَتَّبِعَهُ قَوْلُ ابْنِ خَالِسَانَ :

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمْ مِثْلُ لَهُ رُؤَاةٍ وَمَا لَهُ ثَمَرٌ

وَانْظُرْ إِلَى الْمَعْنَى فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ كَيْفَ يَوْرَقُ شَجَرُهُ وَيُثْمِرُ وَيَقْتَرِثُ ثَمَرَهُ  
وَيُبَسِّمُ ، وَكَيْفَ تَشْتَتَارُ الْأَرَى مِنْ مَذَاقِهِ كَمَا تَرَى الْحَسَنَ فِي شَارِئِهِ . هَذَا وَلِذَلِكَ  
أَسْبَابٌ وَعَالِفُنَا مَا يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ مِنَ الْإِنْسِ إِخْرَاجُهَا مِنْ خَفَى إِلَى جَلَى كَالْإِنْتِقَالِ  
مِمَّا يَحْصُلُ لَهَا بِالْفَسْكَرَةِ إِلَى مَا يَعْلَمُ بِالْفَطَرَةِ أَوْ بِإِخْرَاجِهَا مِمَّا لَمْ تَأْلَفْهُ إِلَى مَا أَلْفَتْهُ  
كَقِيلٍ : مَا الْحَبِّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ . أَوْ مِمَّا لَمْ تَعْلَمْهُ إِلَى مَا هِيَ بِهِ أَعْلَمُ كَالْإِنْتِقَالِ  
مِنَ الْمَقْعُولِ إِلَى الْمَوْسُ . فَإِنَّكَ قَدْ تَعَبَّرَ عَنِ الْمَعْنَى بِعِبَارَةٍ تَوْفِيهِ وَتَبَالُغِ حَتَّى  
لَا تَدْعُ فِي النَفُوسِ مَرْغَاً ، نَحْوَ أَنْ تَقُولَ وَأَنْتَ تَصِفُ الْيَوْمَ بِالْقَصْرِ يَوْمَ كَأَقْصَرِ  
مَا يَتَصَوَّرُ . فَلَا يَجِدُ السَّامِعُ لَهُ مِنَ الْإِنْسِ مَا يَجِدُهُ لِنَحْوِ قَوْلِهِمْ أَيَّامَ كَأَبَاهِمِ (١)  
الْقَطَا وَقَوْلِ بْنِ الْمُسْتَرِ :

نَدَّيْتُ مِنْ يَوْمٍ كَطَالِ حَصَاةٍ لَيْلًا كَطَالِ الرَّمْجِ غَيْرِ مَوَاتٍ

وَقَوْلِ الْآخَرِ

ظَلَمْنَا عِنْدَ بَابِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمَ مِثْلِ سَالِفَةِ الدُّبَابِ (١)

(١) جمع لإيهام . (٢) هي ناحية مقدم العنق من لدن مغلق القوط إلى الترقوة .

وكذا تقول فلان إذا هم بالشئ لم يزل ذلك عن ذكره وقلبه ، وقصر  
خوابه على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شئ ، ثم لا ترى في نفسك له هزة  
ولا تصادف لما تسمعه أريحية حتى إذا قلت :

\* إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ \* (١)

امتلات نفسك سروراً وأدركتك طربة لا تملك دفعها عنك . ومن الدليل  
على أن التشبيه من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، أنه لو كان  
الرجل مثلاً على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه ، وإخباره له بأنه لا يحصل  
من سعيه على شئ ، فأدخل يده في الماء وقال انظر هل حصل في كفي من  
الماء شئ ، فكذلك أنت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير زائد على  
القول المجرد . ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشئ الواحد بأشياء عدة .  
نحو : أن يعطيك من الزند بإيرائه ، شبه الجواد والزكي والنجم في الأمور  
، بإصلاحه شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي ، ومن القمر الكمال عن النقصان  
كما قال أبو تمام (٢) :

لَعَفَى عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهَا لَوْ أُمْهِلَتْ حَتَّى تَصِيرَ شَمَائِلًا  
لَعَدَا سَكُونُهُمَا حِجْبِي وَصَبَايَا حِلْمًا وَتِلْكَ الْأَرِيحِيَّةُ نَائِلًا  
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوهُ أَيْقَنْتَ أَنَّ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا  
والنقصان بعد الكمال كقول أبا العلاء الممرى :

( ١ ) الشطر لسعد بن ناشب وتمامه :

\* وَنَسَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا \*

( ٢ ) يرثي ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد .

والتجريد ، فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد ، وقوله تعالى : صم بكم عني

وإن كنت تبغى العيش فأبع توسطاً فمِنْدَ النَّهْيِ يَقْصُرُ الْمُتَطَوِّلُ  
تَوْقَى الْبُدُورُ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيَذَرُهَا النَّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ  
وتفزع من حالي كاله ونقصه فروع لطيفة ، فمن ذلك قول ابن بابك :

وَأَعَزَّتْ شَطْرَ الْمَلِكِ ثَوْبَ كَالِهٍ وَالْبَذْرُ فِي شَطْرِ الْمَسَافَةِ يَسْكُمُ  
قاله في الاستاذ أبي علي وقد استوزره نحر الدولة بعد وفاة الصاحب وأبا  
العباس الضبي وخلع عليهما ، وقول أبو بكر الخوارزمي .

أَرَاكَ إِذَا أُبْسِرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا مُقِيمًا وَإِنْ أُعْسِرْتَ زُرْتَ لِمَا  
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَذْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَّ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا

المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة على الوجه الذي يجب ، فإن الإغباب  
أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه ، وإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا  
نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر في بعض الليالي دون بعض وليس  
الامر كذلك لأنه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار . وبعد ، فهذا  
الضرب من البيان على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلح والكاتب  
البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان وأنت يضع الكلام  
بعيد المرام قريباً من الأفهام ، ولا يفرك من أمره أنك ترى الرجل  
يشبه الجواد بالبحر والشجاع بالأسد والحسن بالشمس ، وما مائل ذلك  
بما اشتهر أمره وجرى لذلك مجرى الحقيقة وإنما هو يدق ويلطف حتى  
يأتيك بما يخاب القلوب ويرقص الهام ، وحتى يخرج مثله عن طوق البشر  
جميعاً ( التجريد ) سيمر بك في البديع ( فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد )

وَالنَّظَرُ هُمَّا فِي أَرْكَانِهِ ، وَهِيَ طَرَفَاهُ وَوَجْهُهُ وَأَدَانُهُ ، وَفِي الْفَرْصِ مِنْهُ  
وَفِي أَقْسَامِهِ : طَرَفَاهُ إِمَّا حَسِّيَّانِ ، كَالْخَدِّ وَالْوَرْدِ ، وَالصَّوْتِ الضَّعِيفِ  
وَالْهَمْسِ ، وَالنَّكْهَةِ وَالْمَنْبَرِ ، وَالرَّيْقِ وَالْخَمْرِ ، وَالْجِلْدِ النَّاعِمِ وَالْحَرِيرِ :  
أَوْ عَقْلِيَّانِ : كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ : كَالْمَنِيَّةِ وَالسَّبْعِ ، وَالْعَطْرِ وَخَلْقِ  
كَرِيمٍ ، وَالْمُرَادُ بِالْحَسِيِّ الْمَذْرُوكُ هُوَ أَوْ مَا دَتَهُ بِأَحْدَى الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ

وسياتى آخر التشبيه تحقيق ذلك إن شاء الله ( كالخد والورد ) والقامة والريح  
والقد والغصن والفيل والجبل ، يعنى حيث يشبه الأول بالثانى فى جميع ذلك  
وقس على هذا ما يأتى ( والهمس ) وهو الصوت الذى أخفى حتى كأنه لا  
يخرج عن فضاء الفهم ( والنكهة ) هى ريح الفم ( كالمنية والسبع ) فالمشبه وهو  
المنية عقلى والمشبه به وهو السبع حسى ( والعطر وخلق كريم ) فالمشبه  
هو العطر محسوس بالشَّم ، والمشبه به وهو الخلق عقلى . قال الرازى اعلم أن  
تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس  
ومنتهية إليها ، ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ، وإذا كان المحسوس  
أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو  
غير جائز ولذلك لو حاول محاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور والمسك  
بالطيب ، فقال الشمس كالحلجة فى الظهور والمسك كخاق فلان فى الطيب ، كان  
بمخيفاً من القول ، أما ما جاء فى الكلام البايغ من هذا الجنس ، فوجهه  
أن يقدر المعقول محسوساً ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على المبالغة ، وذلك  
مثل قول البهترى :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداء

الظَاهِرَةِ ، فَدَخَلَ فِيهِ الْخَيَالِي ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَكَانَ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتٍ نُشِيرُ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ ذَرَجَدٍ

وَبِالْعَقْلِيِّ مَا عَدَا ذَلِكَ ، فَدَخَلَ فِيهِ الْوَهْمِيُّ ، أَيْ مَا هُوَ غَيْرُ مُدْرِكٍ بِهَا

وَلَوْ أُدْرِكَ لَكَانَ مُدْرِكًا بِهَا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ \* وَمَسْنُونُهُ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ \*

كما سيأتي قريباً (الخيالي) هو المركب من أمور كل واحد موجود يدرك بالحس لكن هيئته التركيبية لم توجد . والتشبيه متى كان كذلك كان مصبوغاً بالحسن مكسياً روع الإعجاب (وكان الخ) محمر الشقيق ، يراد به شقائق النمان وهو ورد أحمر في وسطه سواد ، وإنما أضيف إلى النمان لأنه حتى أرضاً أكثر فيها ذلك ، وتصوب : مال إلى أسفل ، وتصعد : مال إلى أعلى ، ومثله قول بعضهم في النيلوفر (١) :

كَلْنَا بَاسِطُ الْيَدِ نَحْوَ نِيلُوفِرٍ نَدَى

كَدَّ بَابَيْسٍ نَسَجَدِ فُضُّهَا مِنْ زَبَرَجَدِ

وقول أبي الغنائم الحمصي :

خَوْذَ كَأَنَّ بَنَانَهَا فِي خُضْرَةِ النَّقْشِ الْمُرْدِ

سَمَكَ مِنَ الْبَلُورِ فِي شَبَكِ تَكُونُ مِنْ زَبَرَجَدِ

(كافي قوله ومسنونه) وعليه قوله تعالى : طالعها كأنه رؤس الشياطين وصدر البيت

\* أَيْقَنْتَنِي وَالْمَشْرِقِي مُضَاجِعِي \*



وَمَا يُدْرِكُ بِالْوُجْدَانِ كَاللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ : وَوَجْهُهُ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ تَحْقِيقًا  
أَوْ تَخْيِيلًا ، وَالْمُرَادُ بِالتَّخْيِيلِ نَحْوُ مَا فِي قَوْلِهِ :  
وَكَانَ الشُّجُومَ بَيْنَ ذُجَاهَا سُنَنُ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

وهو لامرئ القيس من القصيدة الى مطلعها :

« أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَثِيهَا الطَّلُ الْبَالِي »

والمشرق نسبة الى مشارف الشام : وهي قرى من أرض العرب تدنو من  
الريف منها السيوف المشرفية والمسنونة المحددة المصقولة يريد السهام (نحو ما في  
قوله وكان) نحوه كل ما لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل ، ومن هذا  
قول أبي طالب الرقي :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالزَّمَانَ كَأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَمُشَقِّ

لما كانت أيام المكاره توصف : بالسواد فيقال اسود النهار في عينى وأظلمت  
الدينا على ، جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبه به ،  
ثم عطف عليه فؤاد من لم يمشق قطرفاً وإتماماً للصفة ، وذلك أن الغزل يدعى  
القسوة على من لم يعرف العشق والقلب القاسى يوصف بشدة السواد ، فصار  
هذا القلب عنده أصلاً في الكدرة والسواد ففاس عليه ومنه قول ابن بابك :

وَأَرْضِي كَأَخْلَاقِ الْكَرِيمِ قَطَعْتُهَا وَقَدْ كَحَلَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ فَأَبْصَرَ

لما كانت الأخلاق توصف بالسعة والضيق وكثر ذلك توهمه حقيقة فقابل  
بين سعة الأرض التي هي سعة حقيقة وأخلاق الكريم ، وكذا قول النواحي  
في قطعة وهي قوله :

أَمَا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَا كِرُهُ وَعَسْكَرَ الْخُرُ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقَا

فَإِنَّ وَجْهَ الشَّيْءِ فِيهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْخَاصِلَةُ مِنْ حُصُولِ أَشْيَاءَ مُشْرِقَةٍ  
بَيَضٍ فِي جَوَانِبِ شَيْءٍ مُظْلِمٍ أَسْوَدَ ، فَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْمَشَبَّهِ بِهِ  
إِلَّا عَلَى طَرِيقِ التَّخْيِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا هُوَ جَهْلٌ  
تَجَعَّلَ صَاحِبَهَا كَمَنْ يَمَسُّ فِي الظُّلْمَةِ فَلَا يَهْتَدِي لِلطَّرِيقِ وَلَا يَأْمَنُ أَنْ

فَالْأَرْضُ تَحْتَ طَرِيبِ التَّلَاجِ تَحْسِبُهَا      قَدْ أَلْبَسَتْ حَبَكًا أَوْ غُشِيَتْ وَرِقًا  
فَانْهَضَ بِنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهُمَا      فِي الْغَيْنِ ظُلْمٌ وَإِنْصَافٌ قَدْ انْفَقَا  
جَاءَتْ وَتَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلَا      بَرْدًا فَصِرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشَقَا  
المقصود فانهض بنار إلى لحم فإنه لما كان يقال في الحق إنه منير واضح لا يخ  
فتستعار له أوصاف الأجسام المنيرة ، وفي الظلم خلاف ذلك تخيلهما شيئين  
لها إنارة وإظلام وإيضاض وأسوداد فشبه النار والفحم بهما ، وبما حسن من  
هذا الباب ما كتب به صاحب إلى القاضي أبي الحسن وقد أهدى له صاحب  
عطر الفطر :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ      مَعَ قُرْبِ عَهْدٍ لِقَائِهِ مُشْتَاوَةٌ  
أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ      فَكَأَنَّمَا أَهْدَيْتُ لَهُ أَخْلَاقَهُ

فالإفادة أن يشبهه الثناء بالعطر وقد عكس كما ترى وذلك على ادعاء أن ثناءه  
أحق بصفة العطر وطيبه من العطر وأنه قد صار أصلاً ، حتى إذا قيس نوع من  
العطر عليه فقد بولغ في صفته بالطيب وجعل له في الشرف والفضل على جنسه  
أوفر نصيب ، وبما حقه أن يعد في هذا الباب قول القائل :

كَأَنَّ انْتِضَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمِهِ      نَجَاءٌ مِنَ الْبَأْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ

يَنَالُ مَكْرُوهًا شَبَّهَتْ الْبِدْعَةُ بِهَا ، وَلَزِمَ بِطَرِيقِ الْمَكْسِرِ أَنْ تُشَبَّهَ  
السُّنَّةُ وَكُلُّ مَا هُوَ عِلْمٌ بِالنُّورِ ، وَشَاعَ ذَلِكَ حَتَّى تُخَيَّلَ أَنَّ الثَّانِيَّ  
مِمَّا لَهُ بَيَاضٌ وَإِشْرَاقٌ ، نَحْوُ : أَتَيْتُكُمْ بِالْحَنِيفَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ  
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِكَ : شَاهَدْتُ سَوَادَ الْكُفْرِ مِنْ جَبِينِ فُلَانٍ ،  
فَصَارَ تَشْبِيهُ النُّجُومِ بَيْنَ الدُّجَى بِالسُّنَنِ بَيْنَ الْإِبْتِدَاعِ كَتَشْبِيهِهَا بِبَيَاضِ

وذلك أن العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذي ينحير عنه  
الغمام ، والشبه بين البأساء والغمام والظلماء من طريق العقل لا من طريق الحس ،  
ذكر هذا الإمام عبد القاهر ، هذا وإليك ما قبل البيت :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعٌ  
مُوحِشٌ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْفَيْنُ وَتَأْتِي حَدِيثُهُ الْأَسْمَاعُ

وبعده :

مُشْرِقَاتٌ كَأَنَّهِنَّ حِجَابٌ تَقَطَّعَ الْخَضَمَ وَالظَّلَامُ انْقِطَاعُ  
وَكَانَ السَّمَاءُ خِيَمَةً وَشِيٍّ وَكَانَ الْجُوزَاءُ فِيهَا شِرَاعُ

والآيات للقاضي أبي القاسم التنوخي شيخ له القدر المعلى في الأدب ، ومن  
جيد شعره — وهو بما وجد فيه التشبيه الحسن ولذلك أئتمناه :

وَلَيْلَةٌ مُشْتَاقٍ كَانَ نُجُومَهَا قَدِ اغْتَضَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى وَهِيَ نُومٌ  
كَانَ عِيُونَ السَّاهِرِينَ لَطُولُهَا إِذَا شَخَصَتْ لِلْأَنْجَمِ الزُّهْرُ الْأَنْجَمُ  
كَانَ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرُ ضَاكِكُ يَلُوحُ وَيَخْفَى أَسْوَدُ يَتَبَسَّمُ

الشَّيْبُ فِي سَوَادِ الشَّبَابِ أَوْ بِالْأَنْوَارِ مُوْتَلَقَةً بَيْنَ النَّبَاتِ الشَّدِيدِ الْخَضِرَةِ  
فَعَلِمَ فَسَادُ جَعْلِهِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ : النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ،  
كَوْنِ الْقَلِيلِ مُضِلِّحًا ، وَالْكَثِيرِ مُفْسِدًا ، لِأَنَّ النَّحْوَ لَا يَحْتَمِلُ الْقِلَّةَ

( أو بالأنوار ) جمع نور يفتح النون وهو الزهر ( ، و تالقة ) لامة ، وبعد ،  
فقد علمت من كلام المصنف أن التأويل في البيت هو تخيل ما ليس بمتلون  
متلوناً . وإن تأولت في البيت أنه أراد معنى قولهم إن سواد الظلام يزيد  
النجوم حسناً وبهاء كان له مذهب ، وذلك أنه لما كان وقوف العاقل على بطلان  
الباطل وعوار البدعة يزيد الحق نبلاً في نفسه وحسناً في مرآة عقله ، جعل  
هذا الأصل من المعقول مثلاً للشاهد المبصر هناك إلا أنه على ذلك لا يخرج  
من أن يكون خارجاً عن الظاهر أن يمثل المعقول في ذلك بالمحسوس كما فعل  
البحرئى في قوله :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطَ حُسْنٍ جَوَارُهَا خَلَائِقُ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خَيْبٍ <sup>(١)</sup>

وَحُسْنُ دَرَارِي النَّجُومِ بَأَنْ تُرَى طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبٍ

( فعلم الخ ) قد علمت أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان ، وحينئذ  
يكون معنى قولهم النحو في الكلام كالمليح في الطعام إن الكلام لا يستقيم  
ولا ينتفع به إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص كما  
لا يجدى الطعام ، ولا تحصل المنفعة المطلوبة منه ما لم يصلح بالمليح ، أما ما تخيله  
بعضهم من أن معناه : أن القليل من النحو مغن والكثير مفسد كما يفسد المليح  
الطعام إذا كثر فيه فتخريف وقول هراء وذلك أنه لا يتصور الزيادة والنقصان

( ١ ) الأصفار جمع صفر : بمعنى خال .

وَالسَّكْرَةُ ، بِخِلَافِ الْمَلْحِ . وَهُوَ إِمَّا غَيْرُ خَارِجٍ عَنْ حَقِيقَتِهِمَا ، كَمَا فِي

فِي جُرْبَانِ أَحْكَامِ النُّحُو فِي الْكَلَامِ ، فَقَوْلُنَا كَانَ زَيْدٌ ذَاهِبًا لَا بَدَّ فِيهِ مِنْ رَفْعِ  
الاسْمِ وَنَصْبِ الْخَبَرِ وَهَذَا إِنْ وَجَدَ فَقَدْ حَصَلَ النُّجُو وَتَمْتَنَعَ الزِّيَادَةُ عَلَيْهِ وَإِنْ  
لَمْ يَحْصُلْ كَانَ الْكَلَامُ فَاسِدًا لَا يَفِيدُ السَّامِعَ فَائِدَةً بَلْ يَضُرُّهُ لَوْ قَوَّعَهُ فِي عَمِيَاءٍ  
وَهَجُومِ الْوَحْشَةِ عَلَيْهِ ، فَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ :

« وَالْبُغْضُ عِنْدِي كَثْرَةُ الْإِعْرَابِ »

كَلَامٌ لَا تَحْصُلُ مِنْهُ عَلَى طَائِلٍ لِمَا عَلِمْتُ ، وَلَعَلَّهُمْ يَرِيدُونَ بِكَثْرَةِ النُّحُو  
اِسْتِعْمَالَ الْوُجُوهِ الْغَرِيبَةِ وَالْأَقْوَالِ الضَّعِيفَةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَفْسِدُ الْكَلَامَ . هَذَا  
وَمَا هُوَ فَاسِدٌ لِعِنْدِمْ اِسْتِرَاكِ الطَّرَفَيْنِ فِي وَجْهِ الشُّبْهِ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ الْقَيْرَوَانِيِّ :

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمُعَاقِبُ فِيكُمْ فَكَأَنِّي سَبَّابَةٌ الْمُتَنَدِّمِ

حَكَى أَنَّهُ لَمَّا أَتَتْهُ ابْنُ رَشِيقٍ وَقَالَ لَهُ هَلْ سَمِعْتَ هَذَا الْمَعْنَى ، قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ  
سَمِعْتُهُ وَأَخَذْتُهُ وَأَفْسَدْتُهُ ، أَمَا الْآخِذُ مِنَ النَّابِغَةِ الذِّيَابِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَهَلْ يَأْتُمُّنْ ذُو أَمَةٍ <sup>(١)</sup> وَهُوَ طَائِعٌ

اِسْكَفَّتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتُهُ كَذِي الْعَرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ <sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا الْإِفْسَادُ فَلِأَنَّ سَبَابَةَ الْمُتَنَدِّمِ أَوَّلُ شَيْءٍ يَتَأَلَّمُ مِنْهُ ، فَلَا يَكُونُ الْمُعَاقِبُ  
غَيْرَ الْجَانِي ، وَهَذَا بِخِلَافِ بَيْتِ النَّابِغَةِ فَإِنَّ الْمَكْوِيَّ مِنَ الْإِبْلِ يَأْلَمُ وَمَا بِهِ أَعْرُ  
الْبَيْتَةِ ، وَصَاحِبُ الْعَرِّ لَا يَأْلَمُ لِحُلِّهِ ( وَهُوَ إِمَّا غَيْرُ خَارِجٍ ) هَذَا تَقْسِيمُ  
آخِرُ لَوْجِهِ الشُّبْهِ وَأَهْلُهُ لِلْسَّكَاتِي ، حَذَاهُ الْمُصَنِّفُ فِيهِ حَذْوُ الْقَذَّةِ بِالْقَذَّةِ ،  
وَيُعْجِبُنِي قَوْلُ الشَّيْخِ التَّفْتَازَانِيِّ فِي شَرْحِهِ الْمَطْوُولِ إِنْ أَمْثَالَ هَذِهِ التَّقْسِيمَاتِ

تَشْبِيهِ تَوْبٍ بِآخَرَ فِي تَوْعِهِمَا أَوْ جِنْسِهِمَا ، أَوْ خَارِجُ صِفَةٍ ، إِمَّا حَقِيقِيَّةً  
حِسِّيَّةً ، كَالْكَفَيَّاتِ الْجَسْمِيَّةِ ، مِمَّا يُدْرَكُ بِالْبَصَرِ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ  
وَالْمَقَادِيرِ وَالْحَرَكَاتِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ بِالسَّمْعِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْقَوِيَّةِ

التي لا تنفرع على أقسامها أحكام متفاوتة قابلة الجدوى ، وكان هذا ابتهاج من  
السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين فلهذا الإمام عبد القاهر وإحاطته  
بأسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء ، فإنه لم يزد في هذا المقام على  
التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها . هذا والبلغاء  
قاطبة برآء من التشبيه في مفهوم داخل في الحقيقة ، وليس وجه التشبه عندهم  
إلا المعاني القائمة بالطرفين ، وليس الجنس والنوع عندهم إلا الاختصاص  
والأعم ، فأمثال هذا التقسيم من تفلسف السكاكي والبهتان العظيم ( حقيقيّة )  
أى موجودة في الطرفين لا بالقياس إلى شيء ( الألوان ) كتشبيه الخد بالورد  
والشعر بخافية الغراب والوجه بالنهار ( والأشكال ) نحو أن يشبه الشيء إذا  
استدار بالكرة في وجهه وبالحلقة في وجه آخر ( والمقادير ) كتشبيه العظيم الجنة  
بالجبل والفيل وتشبيه الناقة بالقصر ( والحركات ) كتشبيه الذهاب على الاستقامة  
بالسهم السديد ومن تأخذه الأريحية فيهنز بالفضن تحت البارح ( وما يتصل بها )  
كالحسن والقببح والضحك والبكاء وغير ذلك ( الأصوات ) كتشبيه صوت  
الجمهورى بالرعد ، وتشبيه أطيظ الرجل بأصوات الفراريج ، وتشبيه صريف أنياب  
البعير بصياح البوازي كما قال :

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا كُلِّ سَحْرَةٍ صِيَاحَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيفِ اللَّهِ أَنْتَ<sup>(١)</sup>

( ١ ) السحرة : السحر . واللوائك جميع لائكة من اللوك : وهو المضغ

وَالضَّعِيفَةَ ، وَالَّتِي بَيْنَ بَيْنٍ ، أَوْ بِالذَّقِ مِنَ الطُّعْمِ ، أَوْ بِالشَّمِّ مِنَ الرِّوَاحِ  
أَوْ بِاللَّمْسِ مِنَ الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيُبُوسَةِ وَالْخُسُونَةِ  
وَالْمَلَأَسَةِ وَاللَّيْنِ وَالصَّلَابَةِ وَالْخَفَةِ وَالثَّقَلِ وَبِمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ عَقْلِيَّةً  
كَالْكَيْفِيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ مِنَ الذِّكَاءِ وَالْعِلْمِ وَالْغَضَبِ وَالْحِلْمِ وَسَائِرِ الْغَرَائِزِ ،  
وَإِمَّا إِضَافِيَّةً : كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس ، وأيضاً

( الطعوم ) كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر ( الروائح )  
كتشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور ( من الحرارة الخ ) كتشبيه  
القيظ بنسيم جهنم واللين الناعم بالخز والحشن بالمسح والخفيف بالريش والبارد  
بالثلج وهكذا ( وما يتصل بها ) كالبلة والجفاف والزوجة والحشاشة واللطافة  
والكثافة وغير ذلك ( أو عقلية ) هو معطوف على حسية ( النفسانية ) أى  
المختصة بذوات الأنفس الناطقة ( من الذكاء ) كتشبيه الذكى بإياس ( والعلم )  
كتشبيه العالم بالخلايل ( والغضب ) كتشبيه الغضوب بالمغربي ( والحلم )  
كتشبيه الحليم بمعاوية أو الأحنف أو معن بن زائدة ( وسائر الغرائز )  
كالكرم ، تقول فلان كأنه كعب بن مامة ، أو هرم بن سنان ، أو حاتم طيء  
والشجاعة نحو : فلان كأنه عنزة ، والبخل تقول هذا كأنه صبي أو كلب من  
كلاب بني زياد والجهن نحو هذا كأنه صافر ( إضافية ) أى نسبية يتوقف  
تعمقها على تعقل الغير ( كإزالة الحجاب الخ ) فإن الإزالة أمر إضافي يتعقل  
فيما بين المزيل والمزال ( وأيضاً ) هذا تقسيم آخر ، يقول : وجه الشبه  
إما واحد أو غير واحد ، والواحد إما حسي أو عقلي ، وغير الواحد إما بمنزلة  
الواحد لسكونه مركباً بأن يكون هيئة منتزعة انتزعا العقل من عدة أمور ،  
أو متعدد غير مركب بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في

إِمَّا وَاحِدٌ، وَإِمَّا بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ، لِكَوْنِهِ مُرَكَّبًا مِنْ مُتَعَدِّدٍ، وَكُلُّ مِنْهُمَا  
حِسِّيٌّ أَوْ عَقْلِيٌّ، وَإِمَّا مُتَعَدِّدٌ كَذَلِكَ، أَوْ مُخْتَلِفٌ، وَالْحِسِّيُّ طَرَفَاهُ  
حِسِّيَّانِ لَا غَيْرُ، لَا مُمْتَنَاعَ أَنْ يُدْرَكَ بِالْحِسِّ مِنْ غَيْرِ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ، وَالْعَقْلِيُّ  
أَعْمٌ، لِحُجُوزِ أَنْ يُدْرَكَ بِالْعَقْلِ مِنَ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ التَّشْبِيهُ  
بِالْوَجْهِ الْعَقْلِيُّ أَعْمٌ، فَإِنْ قِيلَ: هُوَ مُشْتَرِكٌ فِيهِ فَهُوَ كَلْبِيٌّ، وَالْحِسِّيُّ لَيْسَ

كل منهما ليه يكون كل منها وجه شبه . والذي بمنزلة الواحد إما حسي أو عقلي ،  
والمُتعدد إما حسي أو عقلي أو مختلف ( لا غير ) فلا يجوز أن يكونا معاً عقليين  
أو أحدهما ( لا ممتناع الخ ) فإن وجه التشبيه أمر مأخوذ من الطرفين . وجود  
فيها ، وكل ما يؤخذ من العقلي ويوجد فيه يجب أن يدرك بالعقل لا بالهس ،  
لان المدرك بالهس لا يكون إلا جسمًا أو قائمًا بالجسم ( أعم ) يعني يجوز  
أن يكون طرفاه عقليين وأن يكونا حسيين وأن يكون أحدهما حسيًا والآخر  
عقليًا ( لجواز الخ ) بل كل محسوس فله أوصاف بعضها حسي وبعضها  
عقلي ( أعم ) فكل طرفين يتحقق فيها التشبيه بوجه حسي يتحقق فيها  
بوجه عقلي ولا عكس ( فإن قيل ) هذا إشارة إلى إشكال أورده السكاكي  
على كون وجه الشبه قد يكون حسيًا وهاك عبارته . وههنا نكتة لا بد من  
التنبه لها وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأتى أن يكون غير عقلي ، وذلك أنه  
متى كان حسيًا ، وقد عرفت أنه يجب أن يكون . وجوداً في الطرفين ، وكل  
وجود فله تعين ، فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع إن يكون هو بعينه  
وجوداً مع المشبه به لا ممتناع حصول المحسوس المدين ههنا مع كونه بعينه  
هناك بحكم الضرورة وبحكم التذنه على امتناعه إن شئت وهو استلزامه إذا



يَكْلِي، قُلْنَا: الْمُرَادُ أَنْ أَفْرَادَهُ مُدْرَكَةٌ بِالْحَسِّ، فَأَلَوَاحِدُ الْحَسِّ كَالْحَمْرَةِ  
وَالْخَفَاءِ وَغَلِيْبِ الرَّائِحَةِ وَلَذَّةِ الطَّعْمِ وَلَيْنِ الْمَسِّ فِيمَا مَرَّ، وَالْعَقْلِي كَالْعَرَاءِ  
عَنِ الْغَائِبَةِ وَالْجُرْأَةِ وَالْهِدَايَةِ وَاسْتِطَابَةِ النَّفْسِ فِي تَشْبِيهِهِ وَجُودِ الشَّيْءِ  
الْعَدِيمِ الشَّفَعِ بَعْدَهُ، وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ، وَالْعِلْمِ بِالنُّورِ وَالْمِطَرِ  
بِخَلْقِ كَرِيمٍ؛ وَالْمُرَكَّبُ الْحَسِّيُّ فِيمَا طَرَفَاهُ مُفْرَدَانِ كَمَا فِي قَوْلِهِ:  
وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثَّرَيَّا كَمَا تَرَى . كَعَنْتُودٍ مُلَاحِيَةٍ حِينَ نَوَّرَا

عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة  
معاً، وهكذا في أخواتها بل يكون مثله مع المشبه به لكن المثلين لا يكونان شيئاً  
واحداً، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحداً، فيلزم أن يكون أمر كلياً  
مأخوذاً من المثلين بتجريدتهما عن التعيين، لكن ما هذا شأنه فهو عقل، ويمتنع  
أن يقال فالمراد بوجه الشبه، حصول المثلين في الطرفين، فإن المثلين متشابهان  
ففيهما وجه تشبيهه فإن كان عتلياً كان المرجع في وجه الشبه العقل في المآل  
وإن كان حسيماً استلزم أن يكون مع المثلين مثلاً آخران وكان الكلام فيهما  
كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل. وقال، المصنف إنا نعرف بصحة  
هذا الإشكال غير أن المراد يكون وجه الشبه حسيماً أن تكون أفراده مدركة  
بالحس كالسواد، فإن أفراده مدركة بالبصر، وإن كان هو في نفسه غير مدرك  
به ولا بغيره من الحواس، نقول وهذا ضرب من التسامح (والخفاء)  
يعني خفاء الصوت (فيما مر) يعني في تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف  
بالحس، والنسكمة بالغبير، والريق بالخر، والجلد الناعم بالحرير (وقد لاح)  
هو لأن قيتس بن الأسات، وقيل لأحيحة بن الجلاح، والاول شاعر جاهلي

مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ تَقَارُنِ الصُّورِ الْبَيْضِ الْمُسْتَدِيرَةِ الصَّغَارِ الْقَادِرِ  
فِي الْمَرَأَى عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الْمُخْصُوصَةِ إِلَى الْمِقْدَارِ الْمُخْصُوصِ ، وَفِيهَا طَرَفَاهُ  
مُرَكَّبَانِ كَمَا فِي قَوْلِ بَشَّارٍ :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا \* وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ  
مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ هَوَى أَجْرَامِ مُشْرِقَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ مُتَنَاسِبَةٍ

مجيد أسلم ابنه عقبة بن أبي قيس ( ملاحية ) هي غنب أبيض في حبه طول وهو  
في البيت بتشديد اللام والتخفيف فيه أكثر . قال ابن قتيبة : لا أعلم هل التشديد  
في البيت ضرورة أو لغة فيه ( ورأ ) تفتح نوره ( كما في قول بشار ) مثله ما في  
قول أبي طالب الرقي :

وَكَبَّانُ أَجْرَامِ الذُّجُومِ لَوَامِعًا دُرُّ نِزْنٍ عَلَى بِسَاطِ الْأَرْقِ  
من الهيئة الخاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة ، صغار المقادير في  
المرأى على سطح جسم أزرق ضاى الزرقة . وبيت بشار من قصيدة يمدح بها  
ابن هبيرة يقول فيها :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَانِيًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَانِيَهُ  
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَنُجَانِيَهُ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلَمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مُشَارِبُهُ  
( منار النقع ) النقع : الغبار ، ومثار : من أثار الغبار هيجته ( تهاوى كواكبه )  
أى يتساقط بعضها أثر بعض والأصل تهاوى حذفت إحدى التامين ( من  
الهيئة ) فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا طرفاه ، وذلك لأن الشاعر كما قال

المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم ، وفيما طرفاه مختلفان كما مر في تشبيه الشقيق ؛ ومن بديع المركب الحسي ما يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين ، أحدهما أن يُقرن بالحركة

الشيخ الإمام لم يقصد تشبيه النقع بالليل من جانب ، والسيوف بالسكواكب من جانب ، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد ساتت من الأغناد وهي تعلق وترسب وتجيء وتذهب ، ولم يقتصر على أن يريك لهاها في أثناء العجاجة كما فعل عمرو بن كلثوم بقوله :

تبدني سنايكم من فوق أروسيهم سقفاً كواكباً البيضاء المبائر

وهذه الزيادة وهي إفادة هيئة السيوف في حركاتها ، زادت التشبيه تفصيلاً لأنها لا تقوم في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن تعلم أن لها في حال احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات بسرعه ثم إن لتلك الحركات جهات مختلفة وأحوال تنقسم بين الارتفاع والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل ويصدم بعضها بعضاً ، ثم إن أشكال السيوف مستطيلة فنبه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله في تهاويها تدافع وتتداخل ، ثم لأنها بالتماوى تستطيل أشكالها ، فلما إذالم تزل عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة ( في تشبيه الشقيق ) وتشبيه النيلوفر الذي ذكرناه ثبت ( ومن بديع الخ ) أصل هذا السلام الإمام عبد القاهر رحمه الله قال : اعلم أن ما يزداد به التشبيه دقة وسخراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات

غَيْرُهَا مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ ، كَالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ كَافِي قَوْلُهُ :  
 \* وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَيْفِ الْأَثَلِ \* مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنَ  
 الْإِسْتِدَارَةِ مَعَ الْإِشْرَاقِ وَالْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ الْمُتَّصِلَةِ مَعَ تَمَوُّجِ الْإِشْرَاقِ  
 حَتَّى يُرَى الشَّعَاعُ كَأَنَّهُ يَهْمُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِبِ

والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين أحدهما أن تفتقر بغيرها من الأوصاف  
 كالشكل واللون ونحوهما . والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فن  
 الأول قول ابن المعتز :

• وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَيْفِ الْأَثَلِ •

أراد أن يريك مع الاستدارة والإشراق الحركة التي تراها للشمس إذا  
 أنعمت التأمل ثم ، ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس  
 حركة متصلة دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا  
 الشبه إلا بأن تكون المرآة في يد الأثل لأن حركته تدوم وتنصل ويكون منها  
 سرعة وبدوام الحركة يتموج نور المرآة وتلك حال الشمس فإنك ترى شعاعها  
 كأنه يهْمُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِبِهَا ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعُ مِنَ الْإِنْبَسَاطِ  
 الَّذِي تَرَاهُ إِلَى انْتِبَاضٍ كَأَنَّهُ يَجْمَعُهُ مِنْ جَوَانِبِ الدَّائِرَةِ إِلَى الْوَسْطِ ، وَمِثْلُ هَذَا  
 التَّشْبِيهِ وَإِنْ صَوَّرَ فِي غَيْرِ الْمِرْآةِ قَوْلَ الْمَهَابِيِّ الْوَزِيرِ :

وَالشَّمْسُ مِنْ مَشْرِيقِهَا قَدْ بَدَتْ مَشْرِيقَ لَيْسَ لَهَا حَاجِبٌ

كَأَنَّهَا مُتَقَسِّمَةٌ أَمْحِيتُ يَحْوُلُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ

وذلك أن الذهب إذا ذاب تشكّل بشكل البوتقة في الاستدارة وأخذ  
 يتحرك فيها بجملته تلك الحركة المجهدة كأنه يهْمُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ

الدَّائِرَةُ ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعُ إِلَى الْإِنْقِبَاضِ ، وَالثَّانِي : أَنْ تُجَرَّدَ الْحَرَكَةُ عَنْ غَيْرِهَا ، فَهُنَاكَ أَيْضًا لَا بُدَّ مِنْ اخْتِلَافِ حَرَكَاتٍ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَحَرَكَةُ الرَّحَى وَالسَّهْمِ لَا تَرْكِبُ فِيهَا ، بِخِلَافِ حَرَكَةِ الْمُصْحَفِ فِي قَوْلِهِ :

جوانها لما في طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء ، ومن عجيب ذلك قول الصنوبري :

كَأَنَّ فِي غُدْرَانِهَا حَوَاجِبًا ظَلَّتْ تُعْطِ (١)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صفار ، ثم تمتد امتداداً ينقص من انحنائها فيشقها من القوس إلى الاستواء وذلك أشبه شيء بالحواجب إذا امتدت ، لأن للحاجب كما لا يخفى تقويساً ومده ينقص من تقويسه ، ومن لطيف ذلك أيضاً قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض :

بَتَكَرَّتْ تَعْيِيرُ الْأَرْضِ ثَوْبَ شَبَابٍ رَاحِيَةً (٢) تَحْمُودَةُ الْإِسْكَابِ

نَثَرَتْ أَوَائِلَهَا حَيًّا (٣) فَكَأَنَّهُ نَقَطٌ عَلَى عَجَلٍ يَبْطِئُ كِتَابِ

وأما الوجه الثاني : وهو أن تجرد هيئة الحركة من كل وصف يسكون في

( ١ ) يصف أرضاً بالطيب فيقول فيها غدران تهب عليها الريح فتبدو

على صعوبات غدرانها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد .

( ٢ ) الحيا : المطر .

( ٣ ) يريد سخامة

وَكَأَنَّ الْبَرْقَ مُصْحَفٌ قَارٍ فَانْطِبَاقًا مَرَّةً وَانْفِتَاحًا  
وَقَدْ يَقَعُ التَّرْكِيبُ فِي هَيْئَةِ السُّكُونِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ

الجسم ، فهناك أيضاً لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة  
له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى  
السفل ونحو ذلك ، وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاض الجسم  
إليها أشد ، كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر ، فحركة الرمح والدولاب  
وحركة السهم لا تركيب فيها ، لأن الجهة واحدة ، ولكن في حركة المصحف  
في قول ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قار<sup>(١)</sup> فانطباعاً مرة وانفتاحاً

تركيباً لأنه يتحرك في الحالتين إلى جهتين في كل حالة إلى جهة ، ومن لطيفه  
ذلك قول الأعشى يصف السفينة في البحر وتقاذف الأمواج بها :

تَقِصُّ السَّفِينُ بِجَانِبَيْهِ كَمَا يَنْزُو الرِّبَاحُ خَالَاتَهُ كَرَعٌ

الرياح : الفصيل ، الكرع : ماء السماء ، شبه السفينة في انحدارها وإرتفاعها  
بحركات الفصيل في نزوه ، وذلك أن الفصيل إذا نزا ولاسماً في الماء وحين  
يعتريه ما يمتري المهر ونحوه من الحيوانات التي هي في أول النشء كانت له  
حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة . ويكون هناك تسفل  
وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين في الأخرى فلا  
يثبتة الطرف مرتفعاً حتى يراه منحنطاً متسفلاً ، ويهوى مرة نحو الرأس  
ومرة نحو الذنب ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافعها  
الموج . قال ، وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون ،  
فمن ذلك قول ابن المعتز يصف سيلاً :

(١) يحذف الهمزة والأصل قارىء .

\* يَقْعِي جُلُوسَ الْبُدْوِيِّ الْمُصْطَلِي \* مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ مَوْقِعِ كُلِّ

فَلَمَّا طَغَى مَآوُهُ فِي الْبِلَادِ دِ وَغَصَّ بِهِ كُلُّ وَادٍ صَدِ  
تَرَى الثَّوَرَ فِي مَتْنِهِ طَافِيًا كَضِجَةِ ذِي النَّجَّاحِ فِي الْمَرْقَدِ  
وقول المتنبي في صفة السكب :

يَقْعِي جُلُوسَ الْبُدْوِيِّ الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعِ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجَدَلِ (١)

لم ينل التشبيه حظاً من الحسن إلا بأن فيه تفصيلاً من حيث كان بكل  
عضو من السكب في إقعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات في حكم أشكال  
مختلفة تؤلف فيجىء منها صورة خاصة ، ومن لطيف هذا الجنس قول الشاعر  
في صفة المصلوب :

كَأَنَّهُ تَنَاشَقَ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلِ  
أَوْ قَاتَمَ مِنْ نَعَاسٍ فِيهِ لَوْتُهُ مُوَاصِلُ لَتِمَاطِيهِ مِنَ الْكَسَلِ

والتفصيل فيه أنه شبه بالتمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو  
اللوثة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث ، ولو اقتصر على أنه  
كالتمطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع في نفس الراى للمصلوب  
ابتداءً لأنه من حد الجملة ، وشبهه بهذا في الاستقصاء قول ابن الرومي :

كَأَنَّ لَهُ فِي الْجَوْ حَبْلًا يَبُوعُهُ إِذَا مَا انْقَضَى حَبْلُ أُتِيحَ لَهُ حَبْلُ  
فَمَا نَبَقَ أَنْفَاسَ الرِّيحِ مُودَعًا وَدَاعَ رَحِيلٍ لَا يَحْطُّ لَهُ رَحْلُ

( ١ ) الإقعاء : الجلوس ، والاصطلام : الاستدفاء بالنار ، وأربع مجدولة

فالمجدولة المفتولة : يريد بقوائمه محكمة الخلق ثم يجدها أحد وإنما هي كذلك .

عُضْوٍ فِي إِقْعَانِهِ ، وَالْعَقْلِيُّ كَحِرْمَانِ الْإِنْتِفَاعِ بِأَبْلَغِ نَافِعٍ مَعَ تَحْمِيلِ  
التَّعَبِ فِي اسْتِصْحَابِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : مَثَلُ الَّذِينَ نَحَلُّوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ  
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا . وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ مِنْ مُتَعَدِّدٍ

فاشترطه أن يكون له بعد الحبل الذي يلتصق ذرعه حبل آخر يخرج من  
بوع الأول إليه كقوله : موصل لتطيه من السكسل ، في استيفاء الشبه والتشبيه  
على استدامته ، لأنه إذا كان لا يزال يبيع حبلاً لم يقبض باعه ولم يرسل يده ،  
وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال (حرممان<sup>(١)</sup>) الانتفاع الخ) فإنه  
منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعي من الحمار فعل  
مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي  
أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب التشبيه (واعلم) قال  
الشيخ الإمام : قد يحىء بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع  
من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعا من جميعها كقوله :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة له إلى  
الثاني على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه ، لكن  
بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر في التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاه

(١) وكالمُنْظَرِ المَطْمَعِ مع الخُبْرِ المؤيَس الذي هو على عكس ما قدر في  
قوله تعالى : والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا  
جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه . السراب : ما يرى في الفلاة  
من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى .  
والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع : وهو المنبسط المستوي .



فَيَقَعُ الْخَطَأُ لَوْ جُوبِ انْتِزَاعُهُ مِنْ أَكْثَرٍ ، كَمَا إِذَا انْتَزَعَ مِنَ الشَّطْرِ  
الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ :

كَمَا أُبْرِقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةً ، فَلَمَّا رَأَوْهَا أَفْشَتْ وَتَجَلَّتْ  
لَوْ جُوبِ انْتِزَاعِهِ مِنَ الْجَمِيعِ ، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ التَّشْبِيهِيَّةَ بِاتِّصَالِ ابْتِدَاءِ  
مُطْمَعٍ بِانْتِهَاءِ مُؤَيَّسٍ . وَالتَّمَثُّدُ الْحِسِّيُّ كَاللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ  
فِي تَشْبِيهِهِ فَاصِّحَةٌ بِأُخْرَى . وَالْمَقْلِيُّ كَحِدَّةِ النَّظَرِ وَكَمَالِ الْحَذَرِ

مُؤَيَّسٍ ، وَذَلِكَ بِتَوَقُّفِ عَلَى الْبَيْتِ كُلِّهِ ، فَإِنْ قِيلَ هَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ بَعْضُ  
التَّشْبِيهَاتِ الْمُجْتَمِعَةِ كَقَوْلِنَا زَيْدٌ يَصْفُو وَيَكْدِرُ تَشْبِيْهُمَا وَاحِدًا ، لِأَنَّ الْاِقْتِصَارَ  
عَلَى أَحَدِ الْخَبَرَيْنِ يَبْطُلُ الْغَرَضُ مِنَ الْكَلَامِ ، لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ وَصْفُ الْخَبَرِ  
عَنْهُ بِأَنَّهُ يَجْمَعُ الصَّفَتَيْنِ وَأَنْ إِحْدَاهُمَا لَا تَدُومُ ، فَلَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْغَرَضَ فِي  
الْبَيْتِ أَنْ يَثْبُتَ ابْتِدَاءُ مُطْمَعٍ مُتَّصِلًا بِانْتِهَاءِ مُؤَيَّسٍ كَمَا مَرَّ وَكَوْنُ الشَّيْءِ ابْتِدَاءً لِأَخْرَ  
زَائِدٍ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا وَلَيْسَ فِي قَوْلِنَا يَصْفُو وَيَكْدِرُ أَكْثَرُ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّفَتَيْنِ ،  
وَنَظِيرُ الْبَيْتِ قَوْلِنَا يَصْفُو ثُمَّ يَكْدِرُ لِإِفَادَةِ التَّرْتِيبِ الْمَقْتَضِي رِبْطَ أَحَدِ الْوَصْفَيْنِ  
بِالْآخَرِ وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّشْبِيهَاتِ الْمُجْتَمِعَةَ تَفَارِقُ التَّشْبِيْهَ الْمَرْكَبَ فِي مِثْلِ  
مَا ذَكَرَ بِأَمْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَا يَجِبُ فِيهَا تَرْتِيبٌ ، وَالثَّانِي أَنَّهُ إِذَا حُذِفَ بَعْضُهَا  
لَا يَتَغَيَّرُ حَالُ الْبَاقِي فِي إِفَادَةِ مَا كَانَ يَفِيدُهُ قَبْلَ الْحَذْفِ ، فَإِذَا قُلْنَا زَيْدٌ كَالْأَسَدِ  
بِأَسَا ، وَالْبَحْرُ جُودًا وَالسَّيْفُ مِثْلًا ، لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِهَذِهِ التَّشْبِيْهَاتِ  
فَسْقٌ مَخْصُوصٌ بَلْ لَوْ قَدِمَ التَّشْبِيْهَ بِالْبَحْرِ أَوْ التَّشْبِيْهَ بِالسَّيْفِ جَازٌ ، وَلَوْ أَسْقَطْنَا  
وَاحِدًا مِنَ الثَّلَاثَةِ لَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُ الْغَيْرِ فِي إِفَادَةِ مَعْنَاهُ ، أَفَادَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِسْلَامُ  
رَحِمَهُ اللَّهُ ( بِاتِّصَالِ ) أَيْ بِاعْتِبَارِ اتِّصَالِ الْحِ ، فَالْبَاءُ هَهُنَا مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ : نَجْرَتْ

وَإِخْفَاءِ السَّفَادِ فِي تَشْبِيهِ طَائِرٍ بِالْغُرَابِ ، وَالْمُخْتَلِفُ كَحُسْنِ الطَّلَعَةِ  
وَنَاهِيَةِ الشَّأْنِ فِي تَشْبِيهِ إِنْسَانٍ بِالشَّمْسِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ الشَّبَهُ  
مِنْ نَفْسِ التَّضَادِّ لِإِشْتِرَاكِ الضَّدَيْنِ فِيهِ ، ثُمَّ يُنْزَلُ مَنْزِلَةَ التَّنَاسُبِ  
بِوَسِطَةِ تَمْلِيحٍ أَوْ تَهْكِيمٍ ، فَيُقَالُ لِلْجَبَانِ : مَا أَشْبَهُهُ بِالْأَسَدِ ، وَلِلْبَخِيلِ :  
هُوَ حَاتِمٌ . وَأَدَاتُهُ الْكَافُ وَكَأَنَّ وَمِثْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، وَالْأَصْلُ فِي  
نَحْوِ الْكَافِ أَنَّ يَتَّبِعُ الْمَشَبَّهُ بِهِ ، وَقَدْ يَكْلِمُهُ غَيْرُهُ ، نَحْوُ : وَاضْرِبْ لَهُمْ

بالقدوم : أى بواسطة ( السفاد ) : نزو الذكر على الأنثى ( نباهة الشأن ) :  
شرفه واشتهاره ( ينتزع الشبه من نفس التضاد ) : أى يجعل التضاد وسيلة لجعل  
الشيء وجه شبه ( فيه ) : أى فى التضاد ( تمليح ) : أى إتيان بشيء مالمح يستظرف  
عند السامع . وهذا ، وهناك مذهب آخر للتضاد ذكره بعضهم ، قال قد يشبه  
أحد الضدين بالآخر إذا كان أحدهما أظهر ، كما يقال : العسل فى حلاوته كالصبر  
فى مرارته ، وأنشد لابن المهدى يعتذر المأمون :

لَكِنَّ جَدُّكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ      إِلَى ابْنِي اللَّؤْلُومِ أَحْصَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ  
( وما فى مناه ) كلفظة نحو وما يشفق من لفظة مثل وشبه ونحوهما ( وقد  
يليه غيره ) وذلك حيث يكون المشبه به مركباً كقوله تعالى : واضرب لهم  
مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً  
تذروه الرياح ، إذ ليس المراد تشبيهه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل  
لتقديره بل المراد تشبيه حالها فى نضرتها وبهجتها ، وما يتعقبها من الهلاك والفناء  
بحال النبات يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن وما هو بين

مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ . وَقَدْ يُذَكَّرُ فِعْلٌ يُنْبِئُ عَنْهُ كَمَا فِي :  
عَلِمْتُ زَيْدًا أَسَدًا ، إِنَّ قُرْبَ ، وَحَسِبْتُ ، إِنَّ بَعْدَ وَالْفَرْضُ مِنْهُ فِي  
الْأَغْلَبِ يَعُودُ إِلَى الْمُسَبَّهِ ، وَهُوَ بَيَانُ إِمْكَانِهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :  
فَإِنْ نَفَقَ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ . فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

في هذا قول لمبيد :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا . يَوْمَ حُلُّوْهَا وَتَقْدُو بِلَاغٍ

لم يشبهه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم  
بحلول أهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية ( ينبيء عنه ) أى عن  
التشبيه كما في علمت ( الخ ) قال بعضهم في كون هذا الفعل منبئاً عن التشبيه  
نظراً للقطع بأنه لادلالة للعلم والحسبان على ذلك ، وإنما يدل عليه علمنا  
بأن أسداً لا يمكن حمله على زيد تحقيقاً ، وإنه إنما يكون على تقدير أداة التشبيه ،  
سواء ذكر الفعل أو لم يذكر ، ولو قيل إنه ينبيء عن حال التشبيه من القرب  
والبعد لكان أصوب ( بَيَانُ إِمْكَانِهِ ) وذلك في كل أمر غريب يمكن أن  
يخالف فيه ويدعى امتناعاً ، كما في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة : فَإِنْ  
تَفَقَّ الْأَنَامُ ، الْبَيْتُ ، أَرَادَ أَنَّهُ فَاقَ الْأَنَامَ فِي الْأَوْصَافِ الْفَاضِلَةِ إِلَى حَدِّ بَطْلٍ مَعَهُ  
أَنْ يَكُونَ وَاحِداً مِنْهُمْ بَلْ صَارَ نَوْعاً آخَرَ بِرَأْسِهِ أَشْرَفَ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهَذَا  
أَعْنَى أَنْ يَنْتَاهِيَ بَعْضُ أَفْرَادِ النَّوْعِ فِي الْفَضَائِلِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهَا أَمْرٌ  
غَرِيبٌ يَفْتَقِرُ مِنْ يَدَيْهِ إِلَى إِثْبَاتِ جَوَازِ وَجُودِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ حَتَّى يَجِيءَ إِلَى إِثْبَاتِ  
وَجُودِهِ فِي الْمَمْدُوحِ ، فَقَالَ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ ، أَيْ وَلَا يَعْدُ فِي  
الدَّمَاءِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوْصَافِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي لَا يَوْجَدُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الدَّمِ ، وَخَلَّوْهُ  
مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي لَهَا كَانَ الدَّمُ دَمًا ، فَأَبَانَ أَنَّ لِمَا ادَّعَاهُ أَصْلًا فِي الْوُجُودِ

أَوْ حَالِهِ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ ثَوْبٍ بآخرٍ فِي السَّوَادِ ، أَوْ مِقْدَارِهَا ، كَمَا  
فِي تَشْبِيهِ بِالْعُرَابِ فِي شِدَّتِهِ ، أَوْ بَقَرِيرِهَا ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ مَنْ لَا يَحْصُلُ  
مِنْ سَعْيِهِ عَلَى طَائِلٍ بِمَنْ يَرْفُقُ ساء . ، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ تَقْتَضِي أَنْ

على الجملة فإن قلت أين التشبيه في البيت ، قلنا يدل البيت عليه ضمناً وإن لم يدل  
عليه تصريحاً ( كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد ) إذا علم السامع لون المشبه به  
دون المشبه ( أو مقدارها ) أي أو بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف  
والزيادة والنقصان ( في تشبيهه ) أي الثوب الأسود ( في شدته ) أي شدة  
السواد ( أو بقريرها ) هو معطوف على بيان أي تقرير حال المشبه في نفس  
السامع وتقوية شأنه لديه ( الأربعة ) بيان الإمكان ، وبيان الحال وبيان  
المقدار ، والتقرير ( تقتضي الخ ) ومن هنا ضعف قول المحرري :

عَلَى بَابِ (١) قَسْرَيْنَ وَاللَّيْلُ لَا طَخَّ جَوَانِيهِ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادٍ  
وذلك أن المداد ليس من الأشياء التي لا مزيد عليها في السواد ، كيف  
ورب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أخرى ، ولهذا قال ابن الرومي :  
حَبْرُ أَبِي حَفْصٍ أَلْعَبُ اللَّيْلِ يَسِيلُ الْإِخْوَانُ أَيَّ سَبِيلٍ  
فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه الليل ، فكأنه نظر إلى قول

( ١ ) على باب متعاقبما في البيت قبله وهو :

وَلَيْسَتْ بِالْإِخْوَانِ عَجَلَى تَحْتَهَا فَنُونُ غِنَاءٍ لِلزُّجَاجَةِ حَادٍ

أي كان مع حبيبتها في إدارة السكوس ، واستماع الغناء طول الليل ، على  
باب قسرين .

يَكُونُ وَجْهُ الشَّبَةِ فِي الْمَشَبَةِ بِهِ أَتَمَّ وَهُوَ بِهِ أَشْهَرُ ، أَوْ تَزْيِينُهُ ، كَمَا فِي  
تَشْبِيهِ وَجْهِ أَسْوَدَ بِمُقَالَةِ الظُّبْيِ ، أَوْ تَشْوِيهِهُ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ وَجْهِ مَجْدُورٍ  
بِسَلْجَةٍ جَامِدَةٍ قَدْ تَقَرَّسَتْهَا الدِّيكَةُ ، أَوْ اسْتَطْرَافُهُ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ فَحْمٍ فِيهِ  
بَجَرٍّ مُوقَدٍّ بِبَحْرِ مِنَ الْمِسْكِ مَوْجُهُ الذَّهَبُ ، لِإِبْرَازِهِ فِي صُورَةِ الْمُتَنَسِّجِ  
عَادَةً ؛ وَلِلْإِسْطِرَافِ وَجْهُ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْمَشَبَةُ بِهِ نَادِرَ الْحُضُورِ  
فِي الذَّهْنِ ، إِنَّمَا مُطْلَقًا كَمَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا عِنْدَ حُضُورِ الْمَشَبَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَلَا زَوْرَدِيَّةَ تَزْهُو بِزُقَّتَيْهَا      بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ الْيَوَاقِيتِ  
كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا      أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبَرِيَّتِ

العامة في الشيء الأسود هو كالنفس (١) ، ثم تركه للفاقية إلى المداد (أو تزيينه)  
عطف على بيان إمكانه ، وقد أشار ابن الرومي إلى التزيين والتشويه في قوله :  
تَقُولُ هَذَا لِمُحَاجِ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ      وَإِنْ تَعَبُ قُلْتَ ذَا فِي الزَّائِرِ

( كما مر ) في تشبيهه فحم فيه جمر موقد ( كما في قوله ولا زوردية ) فأنت ترى  
أن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حصولها في الذهن ندرة  
صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة  
النفسج ، فإذا أحضر مع صحة التشبيه ، استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين  
لا تتراعى نارهما . وما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال أنشد عدى بن الرقاع :

( ١ ) النفس : المداد الذي يكتب به .

وَقَدْ يَمُودُ إِلَى الْمَشَبِّهِ بِهِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهَا إِيهَامُ أَنَّهُ أَيْتَمٌ مِنَ الْمَشَبِّهِ  
وَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ ، كَقَوْلِهِ :

وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّ عُرَّتَهُ \* وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

\* عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَّهًا \* فَأَعْتَادَهَا \*

فلما بلغ إلى قوله :

\* تَرْجَى أَغْنَى كَأَنَّ إِثْرَةَ رَوْقِهِ \*

رحمته ، وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو أعرابي جلف جاف ، فلما قال :

\* قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا \*

استحالت الرحمة حسداً فهل كانت رحمته في الأولى والحسد في الثانية  
إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفسح شبه ،  
وحين أتمه صادفه قد ظهر بأقرب صفة من أبعد موصوف . وذكر الشيخ  
عبد القاهر رحمه الله للاستطراف في تشبيهه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر  
وهو أنه أراك شيئاً لنبات غض يرف ، وأوراق رطبة من لهب نار في جسم  
مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجيلة ، على أن الشيء إذا ظهر من  
مكان لم يعمد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صباغة  
النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر . هذا وقوله ولا زوردية : أي ورب  
بنفسجة شبيهة باللازورد — الحجر المعروف ، والأكثر أن يقال زهى الرجل  
فهو مزهو : أي تكبر ، وقد يقال زها يزهو ، وجرم اليواقيت : يعنى الأزهار ،  
والشقائق : الحمر ، والبيتان لابن الرومي ( كقولاه وبدا الصباح ) فإن الشاعر وهو  
محمد بن وهيب قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء .

وَالثَّانِي بَيَانُ الْإِهْتِمَامِ بِهِ ، كَتَشْبِيهِ الْجَائِعِ وَجْهًا كَالْبَدْرِ فِي الْإِشْرَاقِ  
وَالِاسْتِدَارَةِ بِالرَّغِيفِ وَيُسَمَّى هَذَا إِظْهَارَ الْمَطْلُوبِ ، هَذَا إِذَا أُرِيدَ الْحَاقُّ

واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم لا أدري أوجهه أنور أم الصبح ،  
وغرته أضوأ أم البدر ، وقولهم إذا أفرطوا : نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ،  
أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ، ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن  
في الأول خلافة وشيئاً من السحر ليس في ، الثاني وهو كأنه يستكثر للصباح  
أن يشبهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد له واجتهد في تشبيهه بفخيم به أمره  
فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكما من غير أن يظهر ادعاؤه  
لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقين على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف  
مخالف وتهكم متهكم ، والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد ، كان لها نوع  
من السرور عجيب فكانت كالنعمة لا تدركها المنة وكالغنيمة من حيث لا تحتسب ،  
وفي قوله حين يمتدح فائدة شريفة ، وهي الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد  
إلا فيمن هو كامل في السكرم من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه  
وقصده من تفخيم شأنه في عيون الناس بالإصغاء إليه والارتياح له ، والدلالة  
بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده ( ويسمى هذا إظهار المطلوب )  
قال السكاكي : ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنى المطلوب ، كما  
يحكي عن صاحب رحمه الله أن قاضي سجستان دخل عليه فوجد الصاحب  
متفتناً فأخذ يمدحه حتى قال وعالم يعرف بالسجزي وأشار للندماء أن  
ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحداً بعد واحد إلى أن انتهت النبوة إلى شريف  
في البين فقال أشهني إلى النفس من الخبر فأمر الصاحب أن يقدم له مائدة

النَّاقِصِ ، حَقِيقَةً أَوْ ادِّعَاءً ، بِالزَّائِدِ ، فَإِنْ أُرِيدَ الْجَمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ  
فَالْأَحْسَنُ تَرْكُ التَّشْبِيهِ إِلَى الْحُكْمِ بِالتَّشَابُهِ ، اخْتِزَازاً مِنْ تَرْجِيحِ أَحَدِ  
الْمُتَسَاوِيَيْنِ ، كَقَوْلِهِ :

تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمَدَامَتِي فَمِنْ مِثَالِ مَا فِي السَّكَّاسِ عَيْنِي تَسْكَبُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَبَا الْخَمْرِ أَسْبَلْتُ جُفُونِي أَمْ مِنْ عَذْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ  
وَيَجُوزُ التَّشْبِيهُ أَيْضاً كَتَشْبِيهِ غُرَّةِ الْفَرَسِ بِالصُّبْحِ ، وَعَكْسِهِ مَتَى أُرِيدَ ظُهُورُ

( فَإِنْ أُرِيدَ الْجَمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ ) يَعْنِي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى أَنْ أَحَدُهُمَا نَاقِصٌ  
فِي ذَلِكَ وَالْآخَرُ زَائِدٌ ( كَقَوْلِهِ تَشَابَهَ ) وَمَا هُوَ حَسَنٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ  
الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ :

رَقَّ الرَّجَاجُ وَرَاقَتْ الْخَمْرُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ  
فَكَأَنَّهَا سَخْمَرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّهَا قَدَحٌ وَلَا سَخْمَرٌ )

وَالْبَيْتَانِ لِأَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي ، وَيُقَالُ أَسْبَلَ الدَّمْعَ وَالْمَطَرَ : إِذَا هَطَلَ ، أَيْ  
سَالَ كَثِيراً ، وَأَسْبَلَتِ السَّمَاءُ كَذَلِكَ ( وَيجوز التشبيه أيضاً ) يَعْنِي عِنْدَ إِرَادَةِ  
الْجَمْعِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي أَمْرٍ . قَالَ الشَّيْخُ فِي أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ : جُمْلَةُ الْقَوْلِ لِأَنَّهُ مَتَى لَمْ  
يَقْصِدْ ضَرْبَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي لَائِنَاتِ الصِّفَةِ لِلشَّيْءِ وَلَمْ يَقْصِدْ إِلَّا إِيهَامَ فِي النَّاقِصِ  
أَنَّهُ كَالزَّائِدِ ، اقْتَصَرَ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فِي مِطَاقِ الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ .  
أَوْ جَمْعَ بَيْنَ وَصْفَيْنِ عَلَى وَجْهِ يَوْجُدَ فِي الْفَرْعِ عَلَى حِدَةٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ فِي الْأَصْلِ ،  
فَإِنْ الْعَكْسُ يَسْتَقِيمُ فِي التَّشْبِيهِ ، وَمَتَى أُرِيدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمِ ( كَتَشْبِيهِ  
غُرَّةِ الْفَرَسِ بِالصُّبْحِ وَعَكْسِهِ ) مِثْلُهُ تَشْبِيهُ الشَّمْسِ بِالْمَرْأَةِ الْمَجْلُودَةِ ، أَوْ الدِّينَارِ  
الْخَارِجِ مِنَ السَّكَّةِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :



مُنِيرٍ فِي مَظْلَمٍ أَكْثَرَ مِنْهُ. وَهُوَ بِاعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ إِنَّمَا تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ، وَهِيَ  
غَيْرُ مُقَيَّدَتَيْنِ، كَتَشْبِيهِ الْخَدِّ بِالْوَرْدِ، أَوْ مُقَيَّدَانِ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَالرَّاقِمِ.

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لِلْبَيْرَةِ دِينًا رَجَلَتُهُ حَدَائِدُ الصَّرَّابِ

وعكسه متى قصد إلى مستدير يتلألاً وبلغ ثم خصوص في جنس اللون  
يوجد في المرأة المجلوة والدينار المتخاص من حمى السكة كما يوجد في الشمس ،  
وإن عظم التفاوت، بين نور الشمس ونور المرأة والدينار ، وبين الجرمين ،  
فإنه ليس شيء من ذلك بمنظور إليه في التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في  
الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود في قول ابن المعتز :

وَاللَّيْلُ كَالْحَلَّةِ السَّوْدَاءِ لَأَحَبُّ بِهِ مِنَ الصَّبَاحِ طِرَازٌ غَيْرُ مَرْقُومٍ (١)

فإنه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطرز  
في الامتداد والانبساط شديداً ( متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه )  
يعنى ولم يرد المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفطر التلألؤ  
ونحو ذلك ، إذ لو أريد شيء من هذا لوجب جعل الغرة مشبهاً والصبح مشبهاً  
به ( كتشبيه الخد بالورد ) ومن هذا قوله تعالى : هن لباس لكم وأنتم لباس  
لهن ، قال الزمخشري : لما كان الرجل والمرأة يعتقان ويشتمل كل منهما على  
صاحبه في عناقته ، شبه باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدي :

إِذَا مَا الضَّجِيعُ نَمَى عَظْفَهَا تَنَتَّ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا

( كقولهم هو كالراقم على المساء ) فإن المشبه هو الساعى المقيد بأن

( ١ ) به : أى فيه ، والضمير لليل .

عَلَى الْمَاءِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ وَعَكْسِهِ ، وَإِمَّا تَشْبِيهُ

لا يحصل من سمية على طائل . والمشبه به هو الراقم المقيد بأن رقه على الماء ، لأن وجه التشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه ، وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين . وهذا وما طرفاه مقيدان قولهم : هو كمن يجمع سيفين في غمد ، وقولهم : هو كمنغى الصيد في عرينة الأسد ، وقولهم : هو كالحادى وليس له بعير ، وقول الشاعر :

إِنِّي وَتَرْبِيئِي بِمَدْحِي مَعْشَرًا كَمَعْلَقِي دُرًّا عَلَى خَنْزِيرٍ

فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتربيته بمدحه معشراً ، فتعلق التربين . أعنى قوله بمدحى داخل في المشبه والمشبه به من يعلق درأً بقيد أن يكون تعليقه إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلاته ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر لأن الشيء غير قابل للتزين ، فالواو في قوله وتربيئى بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال إنى كذا وأن تربيئى كذا لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم والآخر عن تربيئى لا يقال تقديره : إنى كعلق درأً على خنزير ، وأن تربيئى بمدحى معشراً كتعليق در على خنزير ، لأنه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو بعلق درأً على خنزيراً ، بل لابد أن يكون يشبه نفسه باعتبار تربيئى بمدحه معشراً ( أو مختلفان ) أى أحدهما مقيد والآخر غير مقيد ( كقوله والشمس كالمرآة ) فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به هو المرآة ، بقيد أنها في كف الأشل ( وعكسه ) أى تشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس ( وأما تشبيه مركب بمركب ) ويجب في هذا أن يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة

رُكَّبَ بِرُكَّبٍ كَمَا فِي بَيْتِ بَشَّارٍ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ مَفْرَدٍ بِمُرَكَّبٍ ،

حاصلة من عدة أمور ، قال الزمخشري : إن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا  
مضها عن بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظائرها وتشبه كيفية حاصلة  
من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحداً بأخرى مثلاً .  
اعلم أن هذا القسم ضربان أحدهما مالا يصح تشبيهه كل جزء من أحد طرفيه  
ايقابلة من الطرف الآخر كقوله :

غَدَا وَالصُّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَطَرَفٍ أَشْهَبَ مُتَقَى الْجَلَالِ

فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو شبهه به لم يكن شيئاً وكقول الآخر :

كَأَنَّمَا الْمَرِيخُ وَالْمُشْتَرَى قُدَّامُهُ فِي شَامِخِ الرَّقْمَةِ

مُنْصَرِفٌ بِاللَّيْلِ عَنْ دَعْوَةٍ قَدْ أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ شَمْعَةٌ

فإن المريخ في مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل كأن المريخ منصرف  
ليل عن دعوة ، كان خلوفاً من القول ، والثاني ما يصح تشبيهه كل جزء من  
جزء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحالة تتغير  
شأله قوله :

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا ذُرَّرَ بُرْنٌ عَلَى بَسَاطٍ أُرْزَقَ

فإنه لو قيل كأن النجوم درر وكان السماء بساطاً أُرْزَقَ ، كان تشبيهاً صحيحاً  
كن أين يقع من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملأ القلوب سروراً وعجباً من  
رعب النجوم مؤلفة متفرقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقها الصافية ( كما في  
بشار ) وهو قوله :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّمَعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

كَمَا مَرَّ ، مِنْ تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ ، وَإِمَّا تَشْبِيَهُ مُرَكَّبٍ بِمَفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :  
يَا صَاحِبِي تَقْصِيًّا نَظْرِيكَمَا تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوِّرُ  
تَرِيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبِيِّ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقَمَّرٌ  
وَأَيْضًا إِنْ تَمَدَّدَ طَرَفَاهُ فَإِمَّا مَلْفُوفٌ ، كَقَوْلِهِ :  
كَأَنَّ قُلُوبَ الْعَالَمِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وقد سبق شرحه ، ومثله في ذلك قول البحترى :

تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ صُعُودَ الْبَرْقِ فِي الْفَيْمِ الْجَهَامِ (١)  
لا يريد به تشبيهه بياض الحجول على الانفراد بالبرق ، بل مقصود الهيئة  
الحاصلة من مخالطة أحد الشئيين بالآخر ( من تشبيه الشقيق ) أى وهو مفرد .  
بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، وهو مركب من عدة أمور  
( كقوله يا صاحبي ) البيتان لأنى تمام من قصيدة يمدح بها المعصم . قوله تقصيا :  
أبلغا أقصى نظريكما بالمبالغة في تحقيق النظر . وقوله تصور : أصله تتصور حذف  
التاء ، وشابه : خبطه ، والربا جمع ربوة : وهى المكان المرتفع ، وقوله فكأنما  
هو مقمر : معناه أن النبات من شدة خضرته مع كثرتة وتكاثفه قد صار لونه إلى  
الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر ( ملفوف ) وهو  
ما أتى فيه بالمشبهات ثم بالمشبهات بها ( كقوله ) أى قول امرئ القيس  
يصف عقاباً بكثرة اصطيد الطيور . ففقد شبه الرطب الطرى من قلوب الطير  
بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف (٢) البالى ، إذ لبس في اجتماعهما

- ( ١ ) الجهام : السحاب لا ماء فيه ، ويصعدن فيه : أى فى الفرس المحجل .  
( ٢ ) الحشف : أردأ القم ، ووصفه بالبلى تأكيذاً .

أو مفروق، كقوله :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمٌ  
وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الْأَوَّلُ فَتَشْبِيهُهُ التَّسْوِيَّةُ ، كقوله :  
صُدَّعُ الحَبِيبِ وَحَالِي كِلَاهُمَا كَالْيَالِي  
وَإِنْ تَعَدَّدَ طَرَفُهُ الثَّانِي فَتَشْبِيهُهُ الْجَمْعُ ، كقوله :

هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ في أسرار البلاغة : إنه إنما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا لأن الجمع فائدة في عين التشبيه ( أو مفروق ) وهو أن يؤق بمشبهه ومشبه به ، ثم آخر وآخر ، كقول المرقش الأكبر :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمٌ  
النَّشْرُ : الرائحة ، والعنم شجر أحمر لين الأغصان يشبه به أكف الجوارى .  
المخضبة . ومنه قول أبي الطيب :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَانَانِ وَقَاحَتْ عَنَبَرًا وَرَنْتْ غَزَالًا  
( الأول ) أى المشبه ( الثانى ) أى المشبه به ( كقول ) البحترى من  
قصيدة أولها :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ  
كأنما يبسم البيت فقد شبه ثغر أغيده كما ترى بثلاثة أشياء ، ومنصدد : منظم ،  
والبرد : هو حب المنام ، والآفاج جمع أقحوان : نور يتفتح كالورد وأوراقه

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو مُنْصَدِّ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاحٍ  
وَبَاعْتِبَارِ وَجْهِهِ إِمَّا تَمْثِيلٌ ، وَهُوَ مَا وَجْهُهُ مُنْتَزَعٌ مِنْ مُتَعَدِّ ، كَمَا  
مَرَّ ، وَقَيْدُهُ السَّكَاكِيُّ بِكَوْنِهِ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ مَثَلِ الْيَهُودِ  
بِمَثَلِ الْحَمَارِ ، وَإِمَّا غَيْرُ تَمْثِيلٍ وَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَأَيْضًا إِمَّا مُجْمَلٌ ، وَهُوَ مَا لَمْ

في شكلها أشبه شيء بالإنسان في اعتدالها . هذا ومن تشبيهه الجمع قول الشاعر ابن  
عباد في وصف أبيات أهديت لآلِهِ :

أَتَتْنِي بِالْأَمْسِ أَبْيَاسُهُ      تَعَلَّلُ رُوحِي بِرُوحِ الْجَنَانِ  
كَبَرْدِ الشَّبَابِ وَبَرْدِ الشَّرَابِ      وَظِلُّ الْأَمَانِ وَنَيْلُ الْأَمَانِي  
وَعَهْدُ الصَّبَا وَنَسِيمُ الصَّبَا      وَصَفْوُ الدَّانِ وَرَجْعُ الْقِيَانِ  
ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ النُّعْمَامِ      وَرِيحَ الْخُرَامِ وَنَشْرَ الْقَطَرِ  
يُعَلِّلُ بِهِ بَرْدَ أَنْيَابِهِمَا      إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ

إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع ( كما مر ) من نحو تشبيه المرأة في  
كف الأشل ، والتبعية في بيت بشار :

كَأَنَّ مِثَارَ النِّعَمِ فَوْقَ رُؤُسِنَا      وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ  
( وقيد السكاكي بكونه غير حقيقي ) ولإليك عبارته . اعلم أن التشبيه متى كان  
وجهه وصفاً غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور ، خص باسم التمثيل كالذي  
في قوله :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْحُسُونِ      دِ قَائِ صَبْرِكَ قَاتِلُهُ

يَذْكَرُ وَجْهَهُ ، فَمِنْهُ ظَاهِرٌ يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ نَحْوُ : زَيْدٌ أَسَدٌ ، وَمِنْهُ خَفِيُّ  
لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْإِخْلَاصَةُ ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا يُدْرَى

فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَحِدْ مَا تَأْكُلُهُ

فإن تشبيه الحسود الذي يحرم القول بالنار التي لاتمد بالحطب فيسرع فيها  
الفناء ، ليس إلا في أمر متوهم له . وهو ما تنوهم إذا لم تأخذ معه في القول مع  
عليك بتطلبه إياه ، عسى أن يتوصل به إلى نفثة مصدور من قيامه إذ ذاك مقام  
أن تمنعه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك ، وأنه كما ترى منتزع من عدة أمور  
وكالذي في قوله :

وَإِنْ مَنَ أَدَبْتُهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ  
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصُرْتَ مِنْ يَبُسِهِ

فإن تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقى ، أو أن الغرس الموق بأوراقه  
ونضرت له ليس إلا فيما يلزم كونه مذهب الأخلاق مرضى السيرة حميد الفعال  
لتأدية المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل إليه وكالالتهجان  
حاله ، وإنه كما ترى أمر تصوري لأصفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من عدة  
أمور ( ومنه خفي ) قال الشيخ الإمام : وأما ما يدق ويفمض حتى يحتاج في  
استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة ، فنحو قول كعب الأشقرى وقد أوفده  
المهلب على الحجاج فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس ، فسأله  
في آخر القصة ، قال فكيف كان بنو المهلب فيهم <sup>(١)</sup> ، قال كانوا حماة السرح نهاراً  
فاذا أليلوا ففرسان البيات ، قال فأينهم كان أنجد ، قال كانوا كالحلقة المفرغة

أَيْنَ طَرَفَاها ، أَيْ هُم مُتَنَاسِبُونَ فِي الشَّرَفِ ، كَمَا أَنَّهَا مُتَنَاسِبَةُ الْأَجْزَاءِ  
فِي الصُّورَةِ . وَأَيْضًا مِنْهُ مَا لَمْ يَدْ كَرَّ فِيهِ وَصَفُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ ، وَمِنْهُ  
مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُ الْمُسَبَّحِ بِهِ وَحْدَهُ ، وَمِنْهُ مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُهُمَا ،  
كَقَوْلِهِ :

صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَحِبِّ  
كَالْفَيْثِ إِنْ جِئْتُهُ وَأَفَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

لا بدري أين طرفاها ، فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به والنظر ،  
الآ ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة ،  
انتهى كلام الشيخ . وأصل المثل لفاطمة بنت الخرشب الأمارية إحدى المنجبات  
في الجاهلية سأها أبو سفيان أي بنيك أفضل ، فقالت الربيع لا بل عمارة لا بل  
أنس الفوارس ، ثلكنهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، هم كالخالقة إلى آخره ،  
أخذه كعب الأشقرى ووصف به بنى المهلب ( كما أنها ) أي الخالقة المفرغة  
( متناسبة الأجزاء في الصورة ) فيمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً  
لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كاللداثة ( منه ) ، أي من الجميل ( كقوله )  
أي قول أبي تمام يمدح الحسن بن سهل وقبل البيتين :

سَتُصْبِحُ الْعَيْسُ فِي الرَّالِيلِ عِنْدَ فَنِّي كَثِيرِ ذِكْرِ الرِّضَى فِي سَاعَةِ الْغَضَبِ  
قوله صدقت : معناه أعرضت ، وقوله ريقه : معناه أوله وأحسنه ، يقال  
فعله في ورق شبابه وريقه : أي أوله ، وأصابه ريق المطر وريق كل شيء : أفضله .  
فالشاعر قد وصف الممدوح كما ترى بأن عطاياه فائضة عليه ، أعرض أولم  
يعرض ، وكذا وصف الفَيْث بأنه يصيبك جثته أو ترحلت عنه ، والوصفان



وَإِمَّا مُفَصَّلًا ، وَهُوَ مَا ذُكِرَ وَجْهُهُ ، كَقَوْلِهِ :  
وَتَغَرُّهُ فِي صَفَاءِ \* وَأَذْمُعِي كَاللَّالِي  
وَقَدْ يَتَسَامَحُ بِذِكْرِ مَا يَسْتَتْبِعُهُ مَكَانَهُ ، كَقَوْلِهِمْ لِلْكَلَامِ

دالان على وجه الشبه ، أعنى الإفاضة في حالى الطلب وعدمه ، وحالى الإقبال  
عليه والإعراض عنه ( كقوله وتغره ) مثله قول أبى بكر الخالدى :  
يَاشَبِيهِ الْبَدْرُ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَآلًا  
وَشَبِيهِ الْفُضْنِ لِينًا وَقَوَامًا وَاعْتِدَالًا  
أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا وَنَسِيمًا وَمَلَالًا  
زَارِنًا حَتَّى إِذَا مَا سَرَرْنَا بِالْقُرْبِ زَالًا  
وفول ابن الرومى :

يَاشَبِيهِ الْبَدْرُ فِي الْحُسْنِ وَفِي بُعْدِ الْمَنَانِ  
جُدَّ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْرَةُ بِالمَاءِ الزَّلَالِ

( وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه ) قال السكاكى : اعلم أنه ليس  
بملتزم فيما بين أصحاب علم البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ما هو  
به ، بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أنعمت فيه النظر لم تجده إلا  
شيئاً مستتبعا لما يكون وجه التشبيه فى المآل فلا بد من التنبية عليه ، من ذلك  
قولهم فى الألفاظ إذا وجدورها لا تثقل على اللسان ولا تكده بتنافر حروفها  
أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوقة ، ولا بما  
تشبه معانيها وتستغلق فيصعب الوقوف عليها وتشتمل عنها النفس : هى كالعسل

الفَصِيحُ : هُوَ كَالْعَسَلِ فِي الْخَلَاوَةِ ، فَإِنَّ الْجَامِعَ فِيهِ لَازِمُهَا ، وَهُوَ مِمَّا  
الطَّبْعُ ، وَأَيْضًا إِمَّا قَرِيبٌ مِمَّنْ ذَلَّ ، وَهُوَ مَا يُنْتَقَلُ فِيهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ إِلَى

في الخلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة ، وقولهم في الحجة المطلوب بها  
قلع الشبهة متى صادفوها ، معلومة الأجزاء يقينية التأليف قطعية الاستلزام ،  
هي كالشمس في الظهور ، فيذكرون الخلاوة والسلاسة والرقة . والظهور لوجه  
الشبه ، على أن وجه الشبه في المآل هناك شيء غيرها ، وذلك لازم الخلاوة  
وهو ميل الطبع إليها ومحبة النفس ورودها عليها ، ولازم السلامة والرقة وهو  
إفادة النفس نشاطاً والإهداء إلى الصدر انشراحاً وإلى القلب روحاً ، فشأن  
النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الشهي الذي  
يلذ طعمه فتهش النفس له ويميل الطبع إليه ويحب وروده عليه ، أو كشأنها  
مع الماء الذي ينساغ في الحلق وينحدر فيه أجلب انحدار للراحة ، ومع النسيم  
الذي يسرى في البدن ، فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفس نشاطاً  
ويهديان إلى الصدر انشراحاً وإلى القلب روحاً ، ولازم الظهور وهو إزالة  
الحجاب ، فشأن البصيرة مع الشبهة كشأن البصر مع الظلمة في كونهما معهما  
كالمحجوبين ، وانقلاب حالهما إلى خلاف ذلك مع الحجة إذا بهرت والشمس  
إذا ظهرت ، وتساعهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباري  
كالذي نحن فيه ، وأقول يشبه أن يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على  
ما سبق التنبيه عليه من تساعهم هذا ( وأيضاً إِمَّا قَرِيبٌ ) اعلم أن معرفة  
الشيء من طريق الجملة كما قيل غير معرفته من طريق التفصيل . فكلام المصنف  
هنا وإن كاد يكون مفهوماً فإن تمام البيان فائدة لا ينكرها المميز ، وذلك أنهم  
للغرض وأشتق للنفس فتقول : إن الشبه إِمَّا قَرِيبٌ يقع في الوهم من أول النظر

المُشَبَّه بِهِ مِنْ غَيْرِ تَدْقِيقِ نَظَرٍ ، لِظُهُورِ وَجْهِهِ فِي بَادِي الرَّأْيِ ، لِكَوْنِهِ  
أَمْرًا جَمِيلًا ، فَإِنَّ الْجُمْلَةَ أَسْبَقُ إِلَى النَّفْسِ ، أَوْ قَلِيلَ التَّفْصِيلِ مَعَ غَلَبَةِ

ولما غريب لا ينزع إليه الخاطر إلا بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس وتحريك  
للوهم ، فالقريب مثل ما إذا أخطرت بالبال استدارة الشمس وتورها وقت  
المرأة المجلوة في قلبك وترآى لك الشبه منها فيها ، وكذلك إذا نظرت إلى الوشي  
مفشوراً وتطالبت لحسنه ونقشه واختلاف الأصباغ فيه شهاً حضرك ذكر  
الروض مطوراً مفترأ عن أزهاره متبسماً عن أنواره ، وكذلك إذا نظرت إلى  
السيف الصقيل عند سله وبريق مثنه لم يتبادر عنك أن تذكر لمعان البرق وإن  
كان هذا أقل ظهوراً ، وأما الغريب فهو مثل تشبيه الشمس بالمرأة في كف  
الاشل ، وتشبيه البرق بأصبع السارق في قول كشاجم :

أَرِقْتَ أَمْ نِمْتَ لِضَوْءِ بَارِقٍ      مُؤْتَلِقٍ مِثْلِ فُؤَادِ الْعَاشِقِ

كَأَنَّهُ إِصْبَعُ كَفِّ السَّارِقِ

وإن أردت أن تعلم السبب في سرعة بعض الشبه إلى الفكر وإلباء بعض أن  
يكون له ذلك الإسراع فإن ههنا ضربين من العبرة أولها أنا نعلم أن الجملة أبدأ  
أسبق إلى النفوس من التفصيل ، وأنت تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى  
التفصيل ، ولكنتك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند  
إعادة النظر ، ولذلك قالوا النظرة الأولى حمقاء ، وقالوا لم ينعم النظر ولم  
يستقص النأمل ، وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس ، فإنك تدرك  
من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم تدرك في الأولى ، فمن يروم  
التفصيل كمن يبتغي الشيء من بين جملة يريد تمييزه بما اختلط به ومن يروم

حُضُورِ الشَّيْءِ فِي الذَّهْنِ ، إِنَّمَا عِنْدَ حُضُورِ الشَّيْءِ ، لِقُرْبِ الْمُنَاسَبَةِ

الإجمال كن يريد أخذ الشيء جزافاً وجرفاً ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى الجبل أبداً تسبق إلى الذهن وتقع في الخاطر أولاً ، وترى التفاصيل مغمورة فيما بينها لا تحضر إلا بعد إعمال الروية واستعانة بالتذكر ، ويتفاوت الحال والحاجة إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حد الجملة وحد التفصيل وكذا كان أوغل في التفصيل كانت الحاجة إلى التوقف والتذكر أكثر والفقر إلى التأمل والتأمل أشد ، وإذا قد عرفت هذه العبرة فالاشتراك في الصفة إذا كان من جهة الجملة على الإطلاق بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل نحوه : إن كلاً الشيتين أسود أو أحمر فهو يقل عن أن يحتاج فيه إلى قياس وتشبيه فإن دخل في التفصيل شيئاً نحو : إن هذا السواد صاف براق والحمرة دقيقة ناصعة ، احتجت بقدر ذلك إلى إدارة الفكر ، وذلك مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة التفاح والورد ، فإن زاد تفصيله بخصوص تدق العبارة عنه ويتعرف بفضل تأمل ، ازداد الأمر قوة في اقتضاء الفكر ، وذلك نحو تشبيه سقط النار بعين الديك في قول غيلان :

وَسَقَطَ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرَتْ صُحْبَتِي أَبَاهَا وَهَيَّأَنَا لِمَوْضِعِهَا وَكَرَا

والعبرة الثانية أن مما يقتضى كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دورانه على العيون ويدوم ترده في مواقع الإبصار ، وإن تدركه الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات ، وبالعكس وهو أن من سبب بعد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالخاطر وتعرض صورته في النفس قلة رؤيته وأنه مما يحس على طريق الندرة ، وإذا كان ذلك كذلك بأن منه أن كل شبه رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبداً ، فالتشبيه

كَتَشْبِيهِ الْجُرَّةِ الصَّغِيرَةِ بِالسَّكُورِ فِي الْمَقْدَارِ وَالشَّكْلِ ، أَوْ مُطْلَقًا

المعقود عليه نازل مبتذل وما كان بالاضد من هذا ، وفي الغاية القصوى من مخالفته ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع ، ثم إن التفصيل وإن كانت دقائقه لا تكاد تضبط ، إلا أن الأغلب الأعراف منها وجهان : أحدهما أن تأخذ بعضاً وتضع بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حَمَلْتُ رُذَيْنِيًّا كَانَ سِنَانُهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

فعرزل الدخان عن السنا وأثبتته مفرداً كما ترى وكما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون وأثبتها مفردة فيما شبه وذلك قوله :

لَهَا حَدَقٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِجُفُونِ \*

والثاني أن تنظر من المشبه في أمور تعتبرها كلها وتطلبها في المشبه به كاعتبارك في تشبيهه الأثريا بالمعقود الأنجم أنفسها والشكل واللون والمقدار واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبارك في المعقود المنور من الملاحية مثل ذلك ، وبعبده ، فإن توافقت نفسك إلى شيء من الشرح لعبارة المصنف فإليك ذلك . قوله أو قليل : التفصيل معطوف على أمراً جلياً ، وقوله : لقرب المناسبة ، يعني بين المشبه والمشبه به ، وقوله أو مطلقاً : معطوف على قوله عند حضور المشبه ، وقوله لتكرره : علة لغلبة المشبه به مطلقاً ، وقوله : لمعارضة الخ ، يعني وإنما كانت قلة التفصيل في وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرار على الحسن سبباً لظهوره المؤدى إلى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة ، لأن قرب المناسبة في الصورة الأولى والتكرار على الحسن في الثانية ، يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه إلى المشبه به ، فيصير وجه الشبه كأنه أمر جلي لا تفصيل فيه ، فيصير سبباً للابتذال ، وقوله كما مر : يعني في تشبيهه بنفسه بنار

لِتَكْرِرْهُ عَلَى الْحَسِّ ، كَالشَّمْسِ بِالْمِرَّةِ الْمَجْلُوءَةِ ، فِي الْإِسْتِدَارَةِ وَالْإِسْتِنَارَةِ ،

الكبريت ، وقوله لكونه وهمياً الخ : فالوهمي كتشبيه نصال السهام بأنياب  
الأغوال ، والخيالي كتشبيه الشقيق بأعلام يافوت منشورة على رماح من  
الزبرجد ، والبقلي كتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الخمار يحمل أسفاراً ، وقد  
مر ذلك ، فأنت ترى أن كلا سبب لدرة حضور المشبه به في الذهن ، وقوله  
أو أقله : معطوف على قوله لكونه وهمياً ، وقوله فالغرابية فيه : أى في تشبيهه  
الشمس بالمرأة في كفاف الأسفل ، وقوله من وجهين : فأحد الوجهين كثرة التفصيل ،  
وثانيهما : قلة تكرره على الحس . هذا ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل  
ومجيبه قول ابن المعتز :

كَأَنَّ وَضْوءَ الصُّبْحِ يَسْتَعْجِلُ الدُّجَى    نَظِيرُ غَرَابٍ ذَا قَوَادِمَ جَوْنٍ<sup>(١)</sup>

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغرابان ، ثم شرط أن  
تكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة يقع في حواشيتها  
من حيث تلي معظم الصبح وعموده لمع نور يتجلى فيها في العين كشكل قوادم  
إذا كانت بيضاء ، وتماثل التدقيق والسحر في هذا التشبيه في شيء آخر وهو  
أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى  
ويستعجلها ، ولا يرضى منها أن تتمهل في حركتها ، ثم لما بدأ بذلك أولاً اعتبره  
في التشبيه آخراً ، فقال : نظير غراباً ولم يقل غراباً نظير مثلاً ، وذلك أن  
الغراب وكل طائر إذا كان واقعاً هادئاً في مكان فأزعج وأخيف وأطير منه

( ١ ) قوادم الطير : مقادير ريشه ، وهي عشرة في كل جناح ، والجون  
بالضم : جمع جون بالفتح ، والمراد به هنا الأبيض .

لِمَعَارِضَةٍ كَلَّ مِنَ الْقُرْبِ وَالتَّكْرَارِ التَّفْصِيلَ ، وَإِمَّا بَعِيدٌ غَرِيبٌ وَهُوَ  
بِخِلَافِهِ لِعَدَمِ الظُّهُورِ ، وَإِمَّا لِكثْرَةِ التَّفْصِيلِ كَقَوْلِهِ \* وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ

أو كان قد حبس في يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه  
وأجمل ، وأمد له وأبعد لأمده ، فإن تلك الفرعة التي تعرض له من تنفيره أو  
الفرحة التي تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته ، بما دعت به إلى أن يستمر  
حتى يغيب عن الأفق ويصير إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا  
طار عن الاختيار ، لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه  
الاول ، وأن لا يسرع في طيرانه بل يمشي على هيئة ويتحرك حركة غير المتعجل  
واعلم أن هذا الامر وهو التفصيل يتفاوت حاله ، فنه ما يبلغ من كرم الموقع  
ولطف التأثير في النفس مبلغاً لا يدرك شأوه ، ومنه ما دون ذلك ، ويبين هذا  
بالمقالة ، فأنت إذا قابلت قول بشار : كأن مثار النعم البيت ، بقول المتنبي :

يُرْوَرُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عِجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا السُّكُوكَا كِبُ

أو قول عمرو بن كلثوم :

تَبَعْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمُبَاتِيرُ

وجدت لبنت بشار من الفخامة والنبل والرفعة والشرف ، ما لا يوجد  
لصاحبيه ، ذاك لأن كلا منهما وإن راعى التفصيل في التشبيه ، إلا أنه اقتصر  
على أن أراك لمعان الأسنة والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم  
يقتصر على ذلك كما بيناه فيما تقدم ، وكذلك تجد قول ابن المعتز في الأذريون :

مَكَاهِنُ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةٍ

أعلى وأفضل من قوله :

فِي كَفِّ الْأَثَلِ \* أَوْ نُدُورِ حُضُورِ الْمَشَبِّهِ بِهِ ، إِمَّا عِنْدَ حُضُورِ الْمَشَبِّهِ لِمُعَدِّ  
الْمُنَاسِبَةِ كَأَمَرٍ ، وَإِمَّا مُطْلَقًا لِيَكُونَ وَهْمًا أَوْ مُرَكَّبًا خَيَالِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا  
كَأَمَرٍ ، أَوْ لِقِلَّةِ تَكَثُّرِهِ عَلَى الْحَسِّ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْعُرَاةِ ، فَأَعْرَابُهُ  
فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ ، وَالْمُرَادُ بِالتَّفْصِيلِ أَنْ تَنْظُرَ فِي أَكْثَرِ مِنْ وَصْفٍ ، وَيَقَعُ  
عَلَى وَجْهِهِ ، أَعْرِفْهَا أَنْ تَأْخُذَ بَعْضًا وَتَدَعَ بَعْضًا كَمَا فِي قَوْلِهِ :

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كَانَ سِنَانُهُ \* سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ  
وَأَنْ تَعْتَبِرَ الْجَمِيعَ ، كَأَمَرٍ ، مِنْ تَشْبِيهِ التَّرِيَّا ، وَكَلَّمَا كَانَ التَّرْكِيبُ

وَطَافَ بِهَا سَاقِي أَدِيبٍ بِمِيزَلٍ كَخِنْجَرٍ عَيَّارٍ صِنَاعَتُهُ الْفَتَكُ (١)  
وَحَمَلَ آذْرِيُونَةً فَوْقَ أُذُنِهِ كَكَلَّاسٍ عَقِيقٍ فِي قَرَارَتِهَا مِسْكَ

ذَاكَ لِأَنَّ السَّوَادَ الَّذِي فِي بَاطِنِ الْآذْرِيُونَةِ الْمَوْضُوعِ بِإِزَائِهِ الْغَالِيَةِ ، وَالْمِسْكَ  
فِيهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَامِلٍ لَهَا ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدِرْ فِي قَعْرِهَا بَلْ ارْتَفَعَ  
مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ شَيْئًا مِنْ سِمَكِهَا مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَلَهُ فِي مَنَقَطَعِهِ هَيْئَةٌ تَشْبَهُ آثَارَ الْغَالِيَةِ  
فِي جَوَانِبِ الْمَدْهَنِ إِذَا كَانَتْ بَقِيَّةُ بَقِيَّتِ عَنِ الْأَصَابِعِ ، وَقَوْلُهُ فِي قَرَارَتِهَا مِسْكَ :  
يُبَيِّنُ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ ، وَيُؤْمِنُ مِنْ دُخُولِ النِّقْصِ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يَدْخُلُ لَوْ قَالَ فِيهَا  
مِسْكَ وَلَمْ يَشْطَرِطْ أَنْ يَكُونَ فِي الْقَرَارَةِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَمَا يَدُلُّ  
قَوْلُهُ : بِقِيَائِهَا غَالِيَةً ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمِسْكَ وَالشَّيْءِ الْيَابِسِ إِذَا فَضَلَ  
فِي شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ لَهُ قَعْرٌ أَنْ يَسْتَدِيرَ فِي الْقَعْرِ وَلَا يَرْتَفِعَ ، فِي الْجَوَانِبِ وَالْإِرْتِفَاعِ

(١) يَصِفُ الْخَمْرَ : الْمَبْزَلُ مَا يَصْقَى بِهِ الشَّرَابُ ، وَالْآذْرِيُونَةُ : وَرْدٌ لَهُ  
أَوْرَاقٌ حُمْرٌ فِي وَسْطَةِ سَوَادٍ لَهُ نَبْوٌ وَارْتِفَاعٌ وَهُوَ يَكُونُ أَصْفَرًا .



مِنْ أُمُورٍ أَكْثَرُ كَانَ التَّشْبِيهُ أَبْعَدَ ، وَالتَّبْلِيغُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ .  
لِغَرَابَتِهِ ، وَلَآنَ نَيْلَ الشَّيْءِ بَعْدَ طَلَبِهِ أَلَدُّ ، وَقَدْ يُتَصَرَّفُ فِي الْقَرِيبِ بِمَا  
يَجْعَلُهُ غَرِيبًا كَقَوْلِهِ :

الذى فى سواد الآذريوتة ، بخلاف العالية فإنها رطبة ثم تأخذ بالأصابع فلا يد  
فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هى لنعومتها ترق فتكون  
كالصبيغ الذى لا يظهر له جرم وذلك أصدق للتشبيه ( والتبليغ ما كان من هذا  
الضرب ) لا يقال عدم الظهور ضرب من التعقيد والتعقيد كما علمنا مذموم ،  
لأننا نقول التعقيد كما سبق له سببان : الأول : سوء ترتيب الالفاظ ، والثانى :  
اختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المقصود بالالفظ ،  
والمراد بعد الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته ، أو ترتيب بعض  
المعانى على بعض ، فإن المعانى الشريفة لابد فيها فى غالب الأمر من بناء ثان  
على أول ويرد تال إلى سابق . قال الشيخ : وهل شئ أحلى من الفكرة إذا  
استمرت وصادفت نهجاً قوياً ، وطريقة تنقاد وتبينت لها الناية فيما ترتاد .  
قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه مافى الفكر من الفضيلة : وأين تقع لذة  
الهيمة بالماوفة ، ولذة السمع بلطع الدم ، وأكل اللحم من سرور الظفر  
بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه . وبعد ، فإذا أعدت الحلقات  
لجرى الجياد ، ونصبت الأهداف ليعرف فضل الرماة فى الأبعاد والسداد ،  
فرهان العقول التى تستبق ونضالها التى تمتحن قواها فى تعاطيه هو الفكر  
والروية والاستنباط ( ولأن نيل الشئ بعد طلبه ألد ) ولذلك ضرب المثل لكل  
ما لطف موقعة يبرد الماء على الظمأ كما قال القطامى :

وَهُنَّ يَفِيدُنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصَبِّحُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِى .  
( وقد يتصرف فى القريب بما يجعله غريباً ) وهذا على وجوه ، منها أن .

لَمْ تَلَقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ  
وقوله :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَفُولٌ  
وَيُسَمَّى هَذَا التَّشْبِيهُ بِالْمَشْرِوْطِ : وَبِاعْتِبَارِ أَدَاتِهِ إِمَامُؤُكَدٌ ، وَهُوَ

يكون كقول أبي الطيب من قصيدة يمدح بها هرون بن عبد العزيز .  
لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس به حياء  
وقول الآخر :

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ شَمْسٍ لَهُمْ مِنْ تَجَانِبِ الْخُلْدِ تَطْلُعُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّأْيِ يَوْشَعُ  
فإن تشبيهه وجوه الحسان بالشمس مبتدل ، لكن كل واحد من حديث  
الحيام في الأول ، والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني ، أخرجه من  
الابتدال إلى الغرابة ، وشبيهه بالليل قول الآخر :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَمَقَاسَتُهُ بِمَا فِيهَا  
ومنها أن يكون كقول الطوطا :  
عزوماته مثل النجوم ثواقباً لولم يكن للثاقبات أفول  
وقوله :

مَهَا الْوَجْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسَ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تِلْكَ دَوَابِلُ (١)

( ١ ) يصف النساء بسعة العيون وطول القدود .

مَا حَذَفَتْ أَدَاتُهُ ، مِثْلُ : وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَمِنْهُ نَحْوُ :  
وَالرَّيْحُ تَمَبَّتْ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى \* ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

وقوله :

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْكَبًا      لَوْ كَانَ طَائِقُ الْحَيَا يُمِطُّ الدَّهْبَا  
وَالْبَدْرُ لَمْ يَغِبْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ      وَالْأَسَدُ لَوْ لَمْ تُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَدَبَا  
وهذا يسمى التشبيه المشروط ، ومنها أن يكون كقوله :  
فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا      وَلِلْقَضِيْبِ نَضِيْبٌ مِنْ تَنَنِّيْهَا  
وقول ابن بابك :

أَلَا يَا رِيَاضَ الْخُزْنِ مِنْ أَبْرِقِ الْحَمَى      نَسِيْمُكَ مَسْرُوقٌ وَوَصْفُكَ مُتَّحِلٌ  
حَكِيْتِ أَبَا سَعْدٍ فَتَشْرَأِي نَشْرُهُ      وَلَكِنْ لَهُ صِدْقُ الْهُوَى وَلَكَ الْمَلَأَنُ  
وقد يفرج من الابتدال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله :  
كَثْمَا يَلْسَمُ عَنْ لَوْلُو مَنْصَدٍ      أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَفَاخٍ  
كما يزداد بذلك لطفاً وغرابة ، كقول امرئ القيس :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَهِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ      وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفَلٍ<sup>(١)</sup>  
(والريح تهببت بالغصون) البيت لابن خفاجة الأندلسي وعبثت الريح بالغصون

(١) شبه خاضرتي هذا الفرس بخاضرتي الظبي في الضمر ، وشبه ساقيه بساق النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب ، فجمع بين أربعة تشبيهات كما ترى ، والإرخاء : ضرب من عدو الذئب ، والتقريب : وضع الرجلين ووضع اليدين في العدو .

أَوْ مُرْسَلٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ ، كَمَا مَرَّ . وَبِاعْتِبَارِ الْفَرَضِ إِمَّا مَقْبُولٌ وَهُوَ  
الْوَاقِعُ بِإِفَادَتِهِ ، كَأَنَّهُ يَكُونُ الْمُشَبَّهُ بِهِ أَعْرَفُ بِوَجْهِ الشَّبَهِ فِي بَيَانِ الْحَالِ ،  
أَوْ أُتِمَّ شَيْءٌ فِيهِ فِي الْحَاقِ النَّاقِصِ بِالْكَامِلِ ، أَوْ مُسَمَّيَ الْحُكْمِ فِيهِ ،  
مَعْرُوفَهُ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ فِي بَيَانِ الْإِمْكَانِ ، أَوْ مُرَدُّودٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ

عبارة عن إمالتها إليها . والأصيل : هو الوقت بعد العصر إلى الغروب ،  
يوصف بالصفرة ويعد من أطيب الأوقات كالسحر قال :

وَرُبَّ نَهَارٍ لِلْفِرَاقِ أَصِيلُهُ      وَوَجْهِي كَلَّا لَوْ نِيَّيْهُمَا مُتَنَاسِبُ  
قال الأبيوردي :

لِيَأْلِيهِ أَسْحَارٌ وَفِيهِ هَوَاجِرٌ      كَمَا خَضَّتْ وَالشَّمْسُ تَنْعَسُ آصَالُ  
فذهب الأصيل : صفوته وشعاع الشمس فيه ، وقوله على لجين الماء ، فاللجين  
الفضة : أي على ماء كالفضة في البياض والصفاء ومثل البيت قول الشاعر يصف  
القمر لآخر الشهر قبل السرار :

كَأَنَّمَا أَدْهَمَ الْإِظْلَامُ حِينَ نَجَا      مِنْ أَشْهَبِ الْعَشِيقِ الْقَمَرُ نَحَا فَرِيدُ  
وقول الشريف الرضي :

أَرْسَى النَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا بَرَجَتْ      حَوَائِلُ الزَّوْنِ فِي أَجْدَائِكُمْ تَضَعُ  
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ تَرَامِيهِ      عَلَى قُبُورِكُمْ الْعَرَاضَةُ الْهَمْعُ (١)

( وهو بخلافه ) أي ما ذكر أدانه وصار مرسلًا من التأكيد المستفاد من  
حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر أن المشبه هو المشبه به ( كما مر )  
من الأمثلة المذكور فيها أداة التشبيه ( وهو بخلافه ) أي القاصر عن إفادة

(١) الأجداث : القبور ، والعراضة : السحاب ذو الرعد والبرق والجمع المطاطرة .

(خاتمة) أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة باعتبار ذكر

الغرض . (تكلمة) ذهب بعض الناس إلى أنه لا فرق بين نحو قولك : رأيت أسداً يرمى ، وبين قولك : زيد أسد ، وأن الثاني استعارة كالأول وليس بتشبيه والصواب بمنزل عن ذلك . قال الإمام عبد القاهر ما خفاه : إنه إذا جرى في الكلام لفظ دلل الفريضة على تشبيهه شيء بمعناه : كان ذلك على وجهين : أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الخال أنك أردته ، كقولك : عنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً وأنت تريد الممدوح وهذا تقول فيه إنه استعارة لا تشاؤى بقة . والثاني : أن يكون المشبه مذكوراً مقدراً وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو منزلاً منزله ، يعنى أن يكون خبر كان وإن ومفعولاً ثانياً لباب علمت وحالا ، فالوجه أن هذا يسمى تشبيهاً ولا يطلق عليه الاستعارة ، لأن المشبه به إذا وقع هذه المواقف كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو يفهم عنه ، فإذا قلت زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد . وإذا امتنع لإثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له فيكون اجتهاداً لإثبات التشبيه ، فيكون خليفاً بأن يسمى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى فإن المشبه به فيها لم يحتج لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت جاءني أسد ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والزوية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وكان قصد التشبيه أمراً مطوياً في النفس مكوناً في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر والتأمل ، وإذا افرقت الصورتان هذا لا فراق ، ناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن تسمى إحدهما

أَرْكَانِهِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضَهَا حَذَفَ وَجْهَهُ وَأَدَاتِهِ ، فَقَطَّطَ ، أَوْ مَعَ حَذَفِ الْمُشَبَّهِ

تشبيهاً والأخرى استعارة . ثم قال : فإن أثبت إلا أن تطلق الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد وهو شمس النهار ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كالأسد وخلته شمس النهار ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : كأن زيدا أسد ، ووجدته أسداً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقولك فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله :

شَمْسٌ تَأْتِي وَالْفِرَاقُ غُرُوبُهَا عَنَّا وَبَدْرٌ وَالصَّدُودُ كَسُوفُهُ

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها ، إلا بتغيير صورته ، كقولك هو كالبدْر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنها لا تغيب . وكالشمس المتألفة إلا أن الفراق غروبها ، وكالبدْر إلا أن الصدود كسوفه . وقد يكون في الصفات التي تجيء في هذا النحو ، والصلات التي توصل بها ما يتخيل تقدير أداة التشبيه فيه ، فيقرب حينئذ من القبيل الذي تطلق عايد الاستعارة من بعض الوجوه ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبُ خِصَابُهُ مَوْتُ فَرِيصِ الْمَوْتِ مِنْهُ تَرْعُدُ<sup>(١)</sup>

فإنه لا سبيل إلى أن يقال الممْنى هو كالأسد وكالموت ، لما في ذلك من

(١) الفريص جمع فريصة : وهي لحمة بين الثدى والكف ، ترعد من الفرع

ثُمَّ حَذَفَ أَحَدَهَا كَذَلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ لِغَيْرِهَا .

الناقض . لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذي هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يضح أن يشبه بالموث المعروف ثم يجعل الموث يخاف منه وكذا قول البحري :

وَبَدْرُ أَضَاءِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعَ رَجُلٍ مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ

إن رجع فيه إلى التشبيه الساذج حتى يكون المعنى هو كاليد لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه ، فظهر أنه إنما أراد أن يثبت من الممدوح بداراً له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف للبدر ، فهو مبني على تخمين أنه زاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع لا لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة ، فهو كقولك زيد رجل كيت وكيت لم تقصد لإثبات كونه رجلاً لكن لإثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا لم يكن اسم المشبه به في البيت محتجباً لإثبات الشبه ، تبين أنه خارج عن الأصل الذي تقدم من كون الاسم محتجباً لإثبات الشبه ، فالكلام فيه مبني على أنه كون الممدوح بداراً أمر قد استقر وثبت وإنما العمل في إثبات الصفة الغريبة ، وكما يتمتع دخول السكاف في هذا ونحوه يتمتع دخول كأن وحسبت لافتضاءها أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة إلا أن كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه كقولنا : كأن زيدا منطلق ، أو خلاف الظاهر كقولنا كأن زيدا أسد ، والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة ، فدخول كأن وحسبت عليهما كالتفاس على المجهول ، وأيضاً هذا النحو إذا فليت عن سره وجدت محصولة أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور ، إلا أنه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوارها على ذلك الجنس فلم يكن التقدير التشبيه فيه معنى

وَقَدْ يَقِيدَانِ بِاللُّغَوِيَّيْنِ \* الْحَقِيقَةُ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيمَا وُضِعَتْ

هذا إذا كان المشبه به خبراً عن المشبه أو منزلاً منزله كما علمت ، أما إن لم يكن كذلك نحو قولهم : رأيت به أسداً ولقيت منه أسداً ، فلا يسمى استعارة (١) لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة ، إذا جرى على ما يدعى أنه مستعار ، له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له ، والإسم في مثل هذا غير جار على المشبه بوجه ، ولأنه يجيء على هذه الطريقة مالا يتصور فيه التشبيه ، فيظن أنه استعارة كقوله تعالى : لهم فيها دار الخلد . إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد وكقول الشاعر :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطَى وَلَا يَشْرَبُ كَأَسْمٍ يَكْفُ مِنْ بَحَلَا

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل . ولا يسمى تشبيهاً أيضاً لأن المشبه به لم يجتاب فيه لإثبات التشبيه كما سبق : وقد عد هذا صاحب المفتاح تشبيهاً .

(الحقيقة والمجاز) الحقيقة إما فاعل بمعنى مفعول من قولك حققت الشيء إذ أثبتته أو فاعل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء يحق إذا ثبت ، أى المثبتة أو الثابتة في موضوعها الأصلي ، والمجاز مفعول من جاز المكان يجوزته إذا تعداه ، وإذا عدل بالنظر عما يوجب أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وقد يقيدان باللغويين) لتمييزا عن الحقيقة والمجاز العقليين والأكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم خروج الشرع والعرفي

(١) سيأتى أن هذا النوع يسمى مجريداً .



لَهُ فِي اصطلاح التَّخَاطُبِ ، وَالْوَضْعُ تَعْيِينُ اللَّفْظِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى بِنَفْسِهِ ،  
فَخَرَجَ الْمَجَازُ ، لِأَنَّ دَلَالَتَهُ بِقَرِينَةٍ ، دُونَ الْمُشْتَرَكِ ، وَالْقَوْلُ بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ  
لِذَاتِهِ ظَاهِرُهُ فَاسِدٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ السَّكَاكِيُّ . وَالْمَجَازُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ

( في اصطلاح التخاطب ) احترزوا بذلك عن المجاز الذي استعمل فيما وضع  
له لا في اصطلاح به التخاطب كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعرف الشرع  
في الدعاء مجازاً ( لأن دلالته بقريضة ) وحيث لا يسمى التعيين فيه وضعاً  
( دون المشترك ) وهو ما وضع معنيين أو أكثر وضعاً متعدداً ، وإنما لم  
يخرج عن الحد لأنه قد عين الدلالة على كل من المعنيين بنفسه ، وعدم الدلالة  
على أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك ، فالقرء مثلاً عين  
مرة ليدل بالاستقلال على الطهر . ومرة أخرى ليدل كذلك على الحيض ، فإذا  
استعمل في أحدهما واحتيج إلى القريضة المعينة للبراد لم يضر ذلك في كونه  
حقيقة ( والقول الخ ) رأى عباد بن سليمان الصيمري أن دلالة الالفاظ على  
معانيها لا تقتضج إلى الوضع بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضى دلالة  
كل لفظ على معناه لذاته ، فذهب المصنف وكثير من العلماء إلى فساد  
هذا الرأي لاقتضائه أن يمتنع نقله إلى المجاز ، وجعله علماً ووضعاً المتضادين ،  
كالجود للأسود والأبيض ، والناهل للعطشان والريان ، فإن ما بالذات لا  
يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم . أما السكاكي فإنه تأول  
هذا القول وقال إنه تفييه على ما عاينه أئمة علم الاشتقاق والتصريف من أن  
للحروف في أنفسها خواص بها تختلف ، كالجر والهمس والشدة والرخاوة  
والتوسط بينهما وغير ذلك ، مستدعية أن العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء منها  
لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة ، كالنصم بالفاء الذي هو

أَمَّا الْمَفْرُودُ فَهُوَ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهُ فِي اصْطِلَاحِ  
التَّخَاطُبِ عَلَى وَجْهِهِ يَصِحُّ مَعَ قَرِينَةٍ عَدَمِ إِرَادَتِهِ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَلَاقَةِ  
لِيُخْرِجَ الْفَلَطُ وَالْكِنَايَةُ ، وَكُلُّهُمَا لُغَوِيٌّ وَشَرْعِيٌّ وَعُرْفِيٌّ خَاصٌّ

حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين ، والقسم بالقاف الذي هو حرف  
شديد لكسر الشيء حتى يبين ، وكالتلم بالميم الذي هو حرف خفيف للخلل في  
الجداز ، والتلب بالباء الذي هو حرف شديد للخلل في العرض ، وكالزفير  
بالفاء لصوت الحمار ، والزئير بالهمز الذي هو شديد لصوت الأسد وما شاكل  
ذاك ، وأن للتركيبات كالفعلان والفعل بالتحريك كالنزوان والحيدى وفعل  
مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ، وفي ذلك  
نوع تأثير لا نفس الكلام في اختصاصها بالمعاني . . وبعد ، فهذا التأويل  
خلاف المصحح نقله عن عباد ، فإن المنقول عنه أن المناسبة كافية في دلالة  
اللفظ على المعنى فلا يحتاج إلى الوضع ، يدرك ذلك من خصه الله تعالى به كما  
في القافة ويعرفه غيره منه . وهذا كما ترى بعيد عن تأويل السكاكي ( في  
اصطلاح التخاطب ) زاد هذا القيد ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله  
المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فإنه وإن كان مستعملاً فيما وضع له  
في الجملة فليس مستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب  
( فلا بد من العلاقة ) لئلا يتحقق الاستعمال على وجه يصح ( ليخرج الفلظ  
والكناية ) يقول إن قولنا على وجه يصح ليخرج الفلظ كما نقوله : خذ  
هذا الفرس ، مشيراً إلى كتاب ، وقولنا مع قرينة عدم إرادته لتخرج الكناية  
لأنها مستعملة في غير ما وضع له مع جواز إرادة ما وضع له ( وكل منهما  
لغوي ) أما الحقيقة فلأن واضعها إن كان واضع اللغة فلغوية ، وإن كان

أَوْعَامٌ ، كَأَسَدٍ لِلسَّبْعِ وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ ، وَصَلَاةٍ لِلْعِبَادَةِ الْمُخْصُوصَةِ  
وَالدُّعَاءِ ، وَفِعْلٍ لِلْفِعْلِ وَالْحَدَثِ ، وَدَابَّةٍ لِذِي الْأَرْبَعِ وَالْإِنْسَانِ ، وَالْمَجَازُ  
مُرْسَلٌ ، إِنْ كَانَتْ الْعَلَاقَةُ غَيْرَ الْمِثَابَةِ وَإِلَّا فَاسْتِعَارَةٌ ، وَكَثِيرًا مَا تُطْلَقُ

الشارع فشرعية وإلا فعرفية ، والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إليه تقولنا  
فهمية ونحوية وإلا بقيت مطلقة ، وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذي به وقع  
التخاطب وكان اللفظ مستعملاً في غير ما وضع له في ذلك الاصطلاح إن كان  
هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوي وإن كان اصطلاح الشرع فشرعي وإلا فعرفي  
عام أو خاص : الحقيقة اللغوية كأسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في  
السبع المخصوص ، أما في الرجل الشجاع فمجاز لغوي والحقيقة الشرعية كصلاة  
إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة . أما في الدعاء فمجاز  
شرعي ، والحقيقة العرفية الخاصة كفعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في  
الكلمة المخصوصة ، أما في الحدث فمجاز عرفي خاص ، والعرفية العامة كدابة  
إذا استعملها المخاطب بالعرف العام في ذي الأربع . أما في الإنسان فمجاز  
عرفي عام ( مرسل ) سموه كذلك لإرساله عن التقييد بعلاقة المشابهة  
( وإلا فاستعارة ) فالاستعارة على هذا هي اللفظ المستعمل فيما شبه به معناه  
الأصلي لعلاقة المشابهة كظلمية في قولك : عنت لنا ظلمية ، وأنت تريد امرأة .  
وكثيراً ما تطلق على فعل المتكلم أي استعمال اسم المشبه به في المشبه ، وحينئذ  
تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق فيسمى المشبه به مستعاراً منه والمشبه  
مستعاراً له ، واللفظ مستعاراً . ثم قال المصنف : والمرسل هو ما كانت  
العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملائمة غير التشبيه كاليد إذا استعملت  
في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها

الِاسْتِعَارَةُ عَلَى اسْتِفْعَالِ اسْمِ الْمُسَبَّرِ بِهِ فِي الْمُسَبِّرِ ، فَهِيَ مُسْتَعَارٌ مِنْهُ  
وَمُسْتَعَارٌ لَهُ وَالْأَفْظُ مُسْتَعَارٌ ، وَالْمُرْسَلُ كَالْيَدِ فِي الشَّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّائِيَةِ

قال الإمام عبد القاهر : ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى مصدر تلك  
النعمة وإلى المولى لها . فلا يقال اتسعت اليد في البلد أو اقتنيت يداً ، كما يقال  
اتسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة ، وإنما يقال جمعت يده عندي وكثرت  
أياديه لدى ونحو ذلك ، ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل إن له عليها  
أصبعاً أرادوا أن يقولوا له عليها أثر حذق فدلوا عليه بالأصبع ، لأنه ما من  
حذق في عمل يداً إلا وهو مستفاد من حسن تصرف الأصابع ، واللفظ في  
رفعها ورضعها كما في الخط والنقش ، وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى : بلى  
قادرين على أن نسوي بنانه ، أي نجعلها تكف البعير فلا يتمكن من الأعمال  
اللطيفة فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصنعة  
لا مطلقاً ، حتى يقال رأيت أصابع الدار ، وله أصبع حسنة وأصبع قبيحة ، على  
معنى أثر حسن وأثر قبيح ونحو ذلك ، وينظر إلى هذا قولهم : ضربته سوطاً  
لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثر السوط سوطاً  
وتفسيرهم له بقوله المعنى ضربته سوطاً ببيان لما كان الكلام عليه في  
أصله ( والقدرة ) أي وكاليد في القدرة ، لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة في  
اليدين وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع  
إلى سائر الأفعال التي تنفي عن وجوه القدرة ومكانها : وقد تكون اليد  
للمقدرة على سبيل التمثيل كما في قوله تعالى : والسماوات مطويات بيمينه .  
فليس ذلك من باب المجاز المرسل كما ظنه بعضهم ، ولذلك قال الزمخشري رحمه  
الله : إن الغرض من الآية إذا أخذ بحملته ومجموعه هو تصوير عظمته تعالى

فِي الْمَزَادَةِ ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ ، كَالْعَيْنِ فِي الرَّبِيعَةِ ، وَعَكْسُهُ

والتوقيف على كنهه جلالة لا غير ، من غير ذهاب بالقبضة ، ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز (١) ، فإن السامع لذلك إذا كان له فهم يقص على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ، وأن الأفعال العظيمة التي تتحير فيها الأذهان هيئة عليه هو أن لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا لإجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل . قال : ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله ، فإن أكثره وعليته تخيلات قد زلت فيها الأقدام ، وما أتى من زل إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب ، حتى يعلوا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدروه . حق قدره لما خفي عنهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعياله عليه ، إذ لا يحل عقدة من عقدها المؤرقة ، ولا يفك قيودها المسكرة ، إلا هو ، وكم من آية أو حديث قد ضيى وسيم الخسف بالتأويلات البعيدة والوجوه الرثة ، لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير ، ولا يعرف قبيلاً منه من دبير ، هذا وأما اليد في قوله عليه السلام : المؤمنون تشكافاً دماؤهم ويسمى يذمتهم أذنهم وهم يد على من سواهم . فمن باب التشبيه أي هم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم ( وكأرواية في المازادة ) الراوية : البعير الذي يستقي عليه ، والمازادة : سقاء الماء ، فاستعمال الأول في الثاني ضرب من المجاز المرسل للعلاقة الموجودة بين البعير ، والمازادة بسبب حمله إياها . ومثل ذلك إطلاق الخفض مناع البيت على البعير الذي يحمله ( كالعين في الربطة )

( ١ ) يعني المجاز المرسل .

كَالْأَصَابِعِ فِي الْأَنَامِلِ ، وَتَسْمِيَّتُهُ بِاسْمِ سَبَبِهِ ، نَحْوُ : رَعِينَا الْغَيْثَ ، أَوْ  
مُسَبَّبِهِ ، نَحْوُ : أَمَطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا ، أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، نَحْوُ : وَآتَوْنَا الْيَتَامَى  
أَمْوَالَهُمْ ، أَوْ مَا يَوَلُّوا إِلَيْهِ ، نَحْوُ : إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ، أَوْ مَحَلِّ نَحْوُ :  
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، أَوْ حَالِهِ نَحْوُ : وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ،

الرَّبِيبَةُ النَّمْصُحُ يَطْلُعُ عَلَى عَوْرَاتِ الْعَدُوِّ فِي مَكَانٍ عَالٍ ، فإِطْلَاقُ الْعَيْنِ عَلَيْهِ ،  
لِأَنَّ الْعَيْنَ هِيَ الْمَقْصُودُ فِي كَوْنِ الرَّجُلِ رَبِيبَةً ، لِذَلِكَ مَا عَدَاهَا لَا يَغْنَى شَيْئًا مَعَ  
فَقْدِهَا ، فَصَارَتْ كَأَنَّهَا النَّمْصُحُ كُلُّهُ فَلَا يَدُ فِي الْجُزْءِ الْمُنْفَصِلِ عَلَى الْكُلِّ مِنْ أَنْ  
يَكُونَ لَهُ مِنْ بَدِ اخْتِصَاصٍ بِالْمَعْنَى الَّتِي قَصِدَ بِهَا الْكُلُّ ، مِثْلًا لَا يَجُوزُ لِإِطْلَاقِ الْيَدِ  
أَوْ الْأَصْبَعِ عَلَى الرَّبِيبَةِ وَإِنْ كَانَ كُلُّهُمَا جُزْءًا مِنْهُ . وَنَظِيرُ إِطْلَاقِ الْعَيْنِ عَلَى  
الرَّبِيبَةِ إِطْلَاقُ الرِّقْبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : فَتَجَرِيرِ رَقَبَةٍ ( وَعَكْسُهُ )  
يَعْنِي تَسْمِيَةَ الشَّيْءِ بِاسْمِ كُلِّهِ ( كَالْأَصَابِعِ فِي الْأَنَامِلِ ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : يَحْمِلُونَ  
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ . وَالْأَنَامِلُ جُزْءٌ مِنَ الْأَصْبَعِ ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ  
الْمُبَالَغَةُ كَأَنَّهُ جَعَلَ تَمَجُّعَ الْأَصْبَعِ فِي الْأَذُنِ لِمَا يَسْمَعُ شَيْءٌ مِنَ الصَّاعِقَةِ ( نَحْوُ  
رَعِينَا الْغَيْثَ ) أَيْ السَّحَابَ الَّذِي سَبَبُهُ الْغَيْثُ ( نَحْوُ وَآتَوْنَا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ )  
أَيْ الَّذِينَ كَانُوا يَتَامَى ، إِذْ لَا يَتِمُّ بِعَدَدِ الْوَلُغِ ( فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ) أَيْ أَهْلَ نَادِيهِ  
( وَالِاسْتِعَارَةُ ) وَهِيَ كَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَتْ عِلَاقَتُهُ بِالْمُشَافَةِ ، أَيْ قَصْدُ أَنْ يُطْلَقَ  
بِسَبَبِ الْمُشَافَةِ ، فَإِذَا أُطْلِقَ نَحْوُ الْمَشْفَرِّ عَلَى شَفَةِ الْإِنْسَانِ ، فَإِنْ أُرِيدَ تَشْبِيهُهَا  
بِمَشْفَرِّ الْإِبِلِ فِي الْغَاظِ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

قَلْبُكَ كَمَنْتُ ضَيْعًا عَرَفْتُ قَرَابَتِي وَلَكِنْ زِنْجِي غَلِيظَ الْمَشَافِرِ

أَيْ وَلَكِنَّكَ زِنْجِي ، كَأَنَّهُ بَعِيرٌ لَا يَهْتَدِي لَشَوْفِي ، وَكَذَا قَوْلُ الْخَطِيبِيِّ  
مُخَاطَبُ الْبَرَقَانِ :

أَيُّ فِي، الْجَنَّةِ أَوْ آتِيهِ نَحْوُ: وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ. أَيُّ ذِكْرًا

قَرَّوْا جَارَكَ الْعِيَانُ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرِّ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ<sup>(١)</sup>

• فإنه وإن عني نفسه بالجار جاز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد في التمسك بالبرقان ، ويؤكد ما قصده من رمية بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وإن أريد أنه من إطلاق المقيد على المطلق ، فهو مجاز مرسل كإطلاق المرسن على الأنف في قول العجاج : وفاخماً ومرسناً مسرجاً . . . واعلم ، أن صميم هذا العلم في الحقيقة هو هذا الضرب من البيان ، أغنى الاستعارة التي تتضمن التشبيه ، فهي أمد ميداناً وأشد اقتراناً وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعة وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً من أن تجمع شعبيها وشعريها ، وتحصر فنونها وضروبها ، نعم وأبحر سحرها وأملأ بكل ما يملأ صدرها ، وأهدى إلى أن تهدي إليك عذارى قد تخير لها الجمال ، وعنى بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصر ، وأبدت من الأوصاف الجائلة محاسن لا تنسك ، وأن تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي وتريك الحلي الحقيقي ، وأن تأنيك على الجملة بعقائل يأنس لها الدب والدينا ، وشرائب لها من الشرف الرتبة العليا ، وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفي جملة حالها ، ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدأ في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا ، وتوجب له بعد الفضل فضلا ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد ، حتى تراها مكررة في مواضع . ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف مفرد وفضيلة مرموقة

( ١ ) العيان : العطشان إلى اللبن أشد العطش ، ومشافره : فاعل قلص .

حَسَنًا ، وَالِاسْتِعَارَةُ قَدْ تَقَيَّدَتْ بِالْحَقِيقَةِ لِتَحَقُّقِ مَعْنَاهَا حِسًا أَوْ عَقْلًا ، كَقَوْلِهِ :

وخلاصة موموقة . ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدقة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنّي من النصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة ، ومعها يستحق وصف البراعة ، وجدتها تفتقر إلى أن تعبرها حلاها . وتقصر عن أن تنازعها مداها ، وصادقتها نجومها هي بدرها ، وروضاً هي زهرها ، وعرائس مالم تعرها حليها فهي عواطل ، وكواعب مالم تحسنها فليس لها في الحسن حظ كامل ، فإنك لترى بها الجواد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبيّنة ، والمعاني الخفية بادية جليلة ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ، ولا رونق لها مالم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تكنها إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتناها إلا الظنون . « وبعد » فقد يدور بخلدك أن في وسع الناس جميعاً أن يجيدوا في هذا الباب ويأتوا فيه بالإبداع والإحسان ، وهو وربك أكبر من أن يظن به مثل هذا الظن ، ولقد كتب فيه وقال الله كثير من فرسان البلاغة وأئمة البيان ، فمنهم أبو نواس حيث يقول :

رَسَمُ الْكَرَمِيِّ بَيْنَ الْجُفُونِ حَيْلُ عُنَى عَلَيْهِ بُكَاءٌ عَلَيْكَ طَوِيلُ

سئل مسلم بن الوليد عن هذا البيت ، فقال إن كان قول أبي العذافر :

\* بَأْضَ الْهَوَى فِي فُؤَادِي وَفَرَّخَ التَّدْكَارُ \*

حَسَنًا كَانَ هَذَا حَسَنًا .



ومنهم أبو تمام حيث يقول :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعِيكَ فَقَدْ أَفْجَحْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ (١)

ولقد أسرف أبو تمام في هذا فنهى نأيه وأطلق لسان عائبه ، وأكد له الحجة على نفسه ، فمن ذلك قوله :

وَكَمْ أَحْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ قَدِّهَا ضُرُوفُ الرَّدَى مِنْ مُرْهَفِ حَسَنِ الْقَدِّ

وقوله يرثى غلاماً :

أَنْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِبْنَاتِ رِجْلِهِ فِي الرُّكَّابِ

ولا وجه لاستيعاب ذلك ، لأن قليله دال على كثيره ، ولكن النظر إلى قول الحماسي :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَائِرُوا إِلَيْهِ زَرَاقَاتٍ وَوُحْدَانَا

أو قول مسلم :

تَجْرِي الرِّيحُ بِهَا حَسْرَى مُوَاهِبَةٍ حَيْرَى تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيلِ

أو قول أبي العتاهية :

أَنَّهَا الْخَلَاقَةُ مُنْقَادَةٌ إِلَيْهِمْ تُجَرُّ أَذْيَالَهَا

أو قول الحجاج من خطبة له : إن أمير المؤمنين نثر كسانته بين يديه ، ففجعم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلها مكسراً ، فرماكم بي لأنكم طامسوا أوضاعكم في التمتة ، واضطجعتم في مراقد الضلال . فأنت إذا نظرت إلى مثل

( ١ ) الحرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجهل ، وضم الراء للشعر ،

ويريدون بتهويم الأخدعين : وهما عرقان في صفحتي العنق ( كاليتين ) لإزالة الكبر والعنف ، لأنهم يقولون في المتكبر العاتي : شديد الأخدعين .

\* لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَذَّفٍ \* أَيْ رَجُلٍ شُجَاعٍ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

هذا كلام وجدت هناك استعارة قد أصابت المحز وطبقت المفصل ، فإن أدركت من نفسك تلك المنة وإلا أطلقت عليك لسان العائنين ( قد تقييد بالتحقيقية ) وبهذا التقييد تتميز عن التخيلية ، والمكنى عنها . قال وإنما تسمى محقيقية لتحقق معناها ، أى ما عني بها واستعمات هي فيه حسياً أو دقة . بأن يكون ذلك المعنى أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ، ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال إن اللفظ قد نقل عن مسماه الأصلي لجعل اسماً لهذا المعنى ، على سبيل الإعارة للبالغة في التشبيه . أما الحسى فمكتول زهير بن أبي سلمى :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ (١)

أى لدى رجل شجاع ، ومن لطيف ذلك ما يقع التشبيه فيه في الحركات ، كقول أبي دلالة يصف بغلته :

أَرَى الشَّهْبَاءَ أَعْجِنُ إِذْ غَدَوْنَا بِرِجْلَيْهَا وَتَحْزِينُ بِالْيَدَيْنِ

شبه حركة رجاها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه ، وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن ، فإنهما لا تثبتان في موضع بل تزلان إلى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يدي الخائز ، فإنه يثنى يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرباً من التقويس ، كما تجد في يد الدابة إذا اضطربت .

( ١ ) شاكي السلاح وشائك السلاح : أى تام السلاح كله من الشوك ، وهى العدة والقوة . مقذف : أى يقذف به كثير إلى الوقائع ، واللبد جمع لبدة : وهى ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه .

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، أَيُّ الدِّينِ الْحَقُّ ؛ وَدَلِيلُ أَنَّهَا تَجَازُ لُغَوِيٌّ كَوْنُهَا

في سيرها ولم تنو على ضبط يديها ، وأن ترى بها إلى قدام وأن تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه ، فلا تزول عنه ولا تنثني ، وأما العقلي فكقوله تعالى : أهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، أَيُّ الدِّينِ الْحَقُّ (ودليل أنها مجاز لغوي) اختلاف العلماء في الاستعارة هل هي مجاز لغوي أو عقلي ، فذهب الكثير إلى أنها مجاز لغوي نظراً إلى استعمال الأسد في غير ما هو له عند التحقيق ، فإننا وإن ادعينا للشجاع الأسدية ، فلا نتجاوز في هذه الدعوى حديث الشجاعة حتى ندعى للرجل صورة الأسد وهيئته وعبالة عنقه ومخالبه وسائر أوصافه الظاهرة البادية للعيون ، ولئن كانت الشجاعة من أخص أوصاف الأسد وأمكنها ، فإن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك الجثة ، وهاتيك الصورة والهيئة وتلك الأنياب والمخالب إلى سائر ما يعلم من الصور الخاصة في جوارحه كلها ، ولو كانت وضعت لتلك الشجاعة التي تعرفها وحدها لكان ضفة لا إسماء ولكن كل شيء يفضي في شجاعته إلى ذلك الحد ، مستحقاً للاسم استحقاقاً حقيقياً لا على طريق التشبيه والتأويل ، وذهب آخرون إلى أنها مجاز عقلي بمعنى أن التصرف في أمر عقلي لا لغوي ، لأنها لا تطابق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لأن فعل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كزيد ويشكر استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسداً يعني زيدا أنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسداً أنه جعله أسداً ، لأن جعل إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صير ، فأفاد لإثبات صفة للشئ ، فلا أقول جعلته أميراً إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ، وعليه قوله تعالى : وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، المعنى أنهم أثبتوا

مَوْضُوعَةً لِلْمُشَبَّهِ وَلَا لِلْأَعْمِّ مِنْهُمَا ، وَقِيلَ إِنَّهَا حَاجَزٌ عَقْلِيٌّ ، بِمَعْنَى أَنَّ  
التَّصَرُّفَ فِي أَمْرِ عَقْلِيٍّ لَا لِعَوِيِّ ، لِأَنَّهَا لَمَّا لَمْ تُطْلَقْ عَلَى الْمُشَبَّهِ إِلَّا بَعْدَ  
ادِّعَاءِ دُخُولِهِ فِي جِنْسِ الْمُشَبَّهِ بِهِ كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِيهَا وَضِعَتْ لَهُ ، وَهَذَا صَحَّ  
التَّعَجُّبُ فِي قَوْلِهِ :

قَامَتْ تَظْلَانِي مِنَ الشَّمْسِ      نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي  
قَامَتْ تَظْلَانِي وَمِنْ حَبِّ      شَمْسٍ تَظْلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

لِلدَّلَالَةِ صِفَةِ الْأَوْتَةِ وَاعْتَقَدُوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر  
عنهم إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوا من غير اعتقاد ثبوت معناه  
لهم بدليل قوله : أشهدوا خالقهم ، وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان  
الاسم مستعملاً فيما وضع له ، وقالوا : لذلك صح التعجب في قول ابن العميد :

قَامَتْ تَظْلَانِي مِنَ الشَّمْسِ      نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي  
قَامَتْ تَظْلَانِي وَمِنْ حَبِّ      شَمْسٍ تَظْلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

والنهي عن التعجب في قول أبي الحسن بن طباطبا :

يَا مَنْ حَمَلِيَ الْمَاءَ فَرَطَ رِقْنِهِ      وَقَلْبُهُ مِنْ قَسَاوَةِ الْحَجَرِ  
يَا لَيْتَ حَنْطَى كَحَنْطَى ثَوْبِكَ مِنْ      جِسْمِكَ يَا وَاحِدًا مِنَ الْبَشَرِ  
لَا تَعْجِبُوا مِنْ بِلَى غِلَالَتِهِ      قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ (١)

وقول الآخر :

تَرَى الثِّيَابَ مِنَ السَّكَنَانِ يَلْبَحُهَا      نُورٌ مِنَ الْبَدْرِ أَحْيَانًا فَيُبْلِيهَا

(١) البلى من بلى الثوب : خلق ، والغلالة : شعار يابس تحت الثوب وتحت الدرغ .

وَالنَّهْيُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَلِي غَلَا لَتِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ  
وَرُدَّ بِأَنَّ الْإِدْعَاءَ لَا يَقْتَضِي كَوْنَهَا مُسْتَعْمَلَةً فِيمَا وُضِعَتْ لَهُ ، وَأَمَّا

فَكَيْفَ تُسَكِّرُ أَنْ تَبْلَى مَعَا جِرْهَا وَالْبَدْرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ طَالِعٌ فِيهَا<sup>(١)</sup>

فلولا أن ابن العميد ادعى لغلالمه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب معنى ، فليس يبدع ولا منسكرك أن يظلل إنسان حسن الوجه لإنساناً ويقيه وهجاً بشخصه ، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قرأ حقيقياً لما كان للنهي عن التعجب معنى ، لأن السكتان إنما يسرع إليه البلي حين يلبس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ في الحسن غايته ، وكذلك القول في شعر ثالث الشعراء . أجاب الفريق الأول عن هذا بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج به عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فإبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة ، فإن قيل إصرار المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل يناقئ نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فإننا نقول لا منافاة هناك . قال صاحب المفتاح : وجه التوفيق وهو أن تبني دعوى الأسدية للرجل يناقئ نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فإننا نقول الذي له غاية جرأة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة لامع تلك الصورة ، بل مع صورة أخرى على نحو ما ارتككب المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حين قال :

(١) المعاجز جمع معجز ، كمنبر : ثوب نعتجر به المرأة ، أى تشده على رأسها .

التَّعَجُّبُ وَالزَّهْمُ عَنْهُ فَلْيَبْنِ عَلَى تَنَاسِيِ التَّشْبِيهِ ، قَضَاءُ لِحَقِّ الْمُبَالَغَةِ .  
وَالِاسْتِعَارَةُ تَفَارِقُ الْكَذِبَ بِالْبِنَاءِ عَلَى التَّأْوِيلِ وَنَصَبِ الْقَرِينَةِ عَلَى  
إِرَادَةِ خِلَافِ الظَّاهِرِ ، وَلَا تَسْكُونُ عِلْمًا ، لِمُنَافَاةِ الْجَنَسِيَّةِ ، إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ

نَحْنُ قَوْمٌ مَلَجِنٌ فِي زِيٍّ نَابِنٍ . فَوْقَ طَائِرٍ لَهَا شُحُوصُ الْجَمَالِ .  
مستشهداً لدعواك هاتيك بالخيالات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو  
حكمهم إذا راوا أسداً هرب عن ذنب إنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً ،  
لا يقارمه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد أو هو أسد في صورة إنسان ،  
وأن تخصص القرينة بنفسها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم ليتعين ما أنت  
تستعمل الأسد فيه ومن البناء على هذا النوع قوله :

نَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ <sup>(١)</sup>

وقولهم : عتابك السيف . وقوله عز وجل : يوم لا ينفع مال ولا بنون  
إلا من أتى الله بقلب سليم ، ومنه قوله :

وَبَلَدَةٍ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَعْفُورُ وَالْأَلْيَسُ <sup>(٢)</sup>

( بالبناء على التأويل ) في دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به يجعل  
أفراد المشبه به قسمين كما مر ، والكاذب يتبرأ من التأويل ( ونصب القرينة  
على إرادة خلاف الظاهر ) والكاذب لا ينصب دليلاً على خلاف زعمه  
وأنى ينصب وهو لترويح ما يقول راكب كل صعب وذلول ( ولا تكون  
علماً ) لأنها تعتمد لإدخال المشبه في جنس المشبه به يجعل أفراد قسمين كما

( ١ ) صدره هـ وخيل قد دلفت لها بخيل هـ والبيت لعمر بن معد يكرب .

( ٢ ) اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، واليس : الإبل البيضاء .

نَوْعٌ وَصِفِيَّةٌ كَحَاتِمٍ ، وَقَرِيْبَتُهَا إِمَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ : رَأَيْتُ أَسَدًا  
يَرْمِي ، أَوْ أَكْثَرَ ، كَقَوْلِهِ :

فَإِنْ تَعَاَفَوْا الْمَدْلَ وَالْإِيْمَانَا فَإِنَّ فِي إِيمَانِنَا نِيرَانَا  
أَوْ مَعَانٍ مُلْتَثِمَةً ، كَقَوْلِهِ :

سبق ، وذلك غير ممكن في العلم لمناقضاته الجنسية ، لأنه يقتضى الشخص ومنع  
الاشتراك ، والجنسية تقتضى العموم وتناول الأفراد ، واستدل في الإيضاح  
على أنها لا تكون علماً بأن العلم لا يدل إلا على تعين شيء من غير إشعار بأنه  
إنسان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعين  
ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفي شيء منها جامعاً في الاستعارة ( إلا إذا  
قُضِمَ نوع و صِفِيَّة ) بسبب اشتراكه بوصف من الأوصاف كحاتم ، فإنه  
يتضمن الاتصال بالجود ، وحينئذ يجوز أن يشبه شخص بحاتم في الجود  
ويتأول في حاتم فيجمل كأنه موضوع للجود ، سواء كان ذلك الرجل المعهود  
من طي أو غيره ، كما جعل أسد كأنه موضوع للشجاع ، سواء كان متعارفاً أو  
غيره ، فهذا التأويل يكون حاتم متناولاً للفرد المتعارف المعهود والفرد الغير  
المتعارف وهو من يتصف بالجود ، لكن استعماله في غير المتعارف يكون  
استعمالاً في غير الموضوع له فيكون استعارة نحو رأيت اليوم حاتماً ( كَقَوْلِهِ  
فَإِنْ تَعَاَفَوْا ) فتعاقب قوله تعافوا بكل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد  
بالنيران آلة الحرب التي تشبهها في الزمان ، لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون  
ويقسرون على الطاعة بالسيف ( أو معانٍ ملتزمة ) أى مربوط بعضها ببعض  
يريد أن تكون القرينة أمراً مركباً ( كَقَوْلِهِ ) أى البحترى : فانظر ماذا  
صنع حين أراد استعارة السحاب لأنامل يمين المدحج تفريراً على ما جرت

وَصَاعِقَةٌ مِنْ نَصْلِهِ تَنْسَكِي بِهِمَا عَلَى أَرْوُسِ الْأَقْرَانِ خَمْسُ سَجَائِبَ  
وَهِيَ بِاعْتِبَارِ الطَّرَفَيْنِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّ اجْتِمَاعَهُمَا فِي شَيْءٍ ؛ إِمَّا مُمَكِّنٌ  
نَحْوُ أَحْيَيْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : أَوْ مَنَّ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، أَيْ ضَالًّا فَيَهْدِينَاهُ  
وَلَتُسَمَّ وَفَاقِيَّةً ، وَإِمَّا مُمْتَنِعٌ ، كاستِعَارَةِ اسْمِ الْمَعْدُومِ لِلْمَوْجُودِ ، لِعَدَمِ

به العادة من تشبيهه الجواد بالبحر الفياض تارة ، وبالسحاب الهطلال أخرى ،  
ذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال من فصله فبين أن تلك الصاعقة من فصل سيفه  
ثم قال على أَرْوُسِ الْأَقْرَانِ ، ثم قال خمس ، فذكر العدد الذي هو عدد جميع  
أنامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السجائب للأنامل ، وتنكي  
من انكسار : أى انقلب ( نحو أحييناه ) والإحياء والهداية لاشك في جواز  
اجتماعهما في شيء ، وإنما قال نحو أحييناه . لأن الطرفين في استعارة الميت  
للضال كما لم يمكن اجتماعهما في شيء إذ الميت لا يوصف بالضللال ( وفاقية )  
لما بين الطرفين من الوفاق ( وإما ممتنع ) والمراد به ما كان وضع التشبيه فيه  
على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة لخلوها بما هو ثمرتها والمقصود  
بها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف ( كاستعارة اسم المعدوم للموجود  
لعدم غنائه ) أى لا انتفاء نفعه كما في المعدوم ، وكذلك استعارة اسم الموجود  
للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركاً  
للموجود في ذلك أو اسم الميت للحي الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة ، والمقصود  
بها أعنى العلم فيكون مشاركاً للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً لأن  
النائم لا يشعر بما يحضرته كما لا يشعر الميت ، أو للحي العاجز لأن العجز كالجهل



عَنَائِهِ ، وَلْتَسَمَّ عِنَادِيَّةٌ . وَمِنْهَا التَّهْكِيَةُ وَالتَّمْلِيحِيَّةُ ، وَهِيَ مَا اسْتُعْمِلَ فِي ضِدِّهِ أَوْ نَقِيضِهِ ، لِأَمَّا مَرَّةً نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ؛ وَاعْتِبَارُ الْجَامِعِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّهُ إِمَّا دَاخِلٌ فِي مَقْهُومِ الطَّرْقَيْنِ ، نَحْوُ : كَلَّمَاسِمَعٌ هَيْعَةً طَارَ

يُحِطُ مِنْ قَدْرِ الْحَيِّ ( وَلْتَسَمَّ عِنَادِيَّةٌ ) لِمَا نَدَّ طَرَفُهُمَا فِي الْإِتِّحَاعِ ( ثَلَاثٌ ) فِي التَّشْبِيهِ مِنْ أَنَّ التَّضَادَّ أَوْ التَّنَاقُضَ كِلَاهُمَا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ التَّنَاسُبِ بِوَاسِطَةِ تَمْلِيحٍ أَوْ تَهْكِيمٍ ( نَحْوُ فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ) أَيْ أَنْذَرَهُمْ اسْتَعِيرَتِ الْبَشَارَةُ الَّتِي هِيَ الْأَخْبَارُ بِمَا يَظْهَرُ سُرُورُ الْمَخْبَرِ بِهِ لِلْإِنْذَارِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا بِإِدْخَالِهِ فِي جِنْسِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِيحِ وَالِاسْتِزَامِ ( نَحْوُ كَلَّمَاسِمَعٌ ) نَحْوُهُ قَوْلُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي الْحَرْثِ تَرْتِي قَتِيلًا :

لَوْ يَشَاءُ طَارَتْ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ لَأَحِقَّ الْأَطَالِ نَهْدُ ذُو خُصْلٍ (١)  
وَقَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ :

وَطَرْتُ بِمَنْصُصِي فِي يَمَعَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْطِطُ السَّرِيحَا

يَقُولُ : لِأَنَّهُ قَامَ بِسَيْفِهِ مَسْرِعًا إِلَى نَوْقٍ فَعَقَرَهُنَّ وَدَمِيتَ أَيْدِيَهُنَّ ، فَخَطِطُ السَّرِيحَا السُّيُورُ الْمَشْدُودَةُ عَلَى أَرْجُلَيْهِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ اسْتِعَارَةُ التَّقْطِيعِ لِتَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ وَإِبْعَادِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَا ، فَإِنَّ الْقَطْعَ مَوْضُوعٌ لِإِزَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي بَعْضُهَا مَلْتَزِقٌ بِبَعْضٍ فَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا لِإِزَالَةِ الْاجْتِمَاعِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مَقْهُومِهَا وَهِيَ فِي الْقَطْعِ أَشَدُّ وَاسْتِعَارَةُ الْخِيَاطَةِ لَوَرْدِ الدَّرْعِ فِي قَوْلِ الْقَطَامِيِّ :

( ١ ) الْمَعِيَّةُ : أَوَّلُ جَرَى الْفَرَسِ وَأَنْشَطُهُ ، وَالْأَطَالُ جَمْعُ إِطْلٍ بِكَسْرِ فَسْكَوْنٍ وَبِكَسْرٍ تَيْنِ : وَهِيَ الْخَاصِرَةُ ، وَالْمُرَادُ ضَامِرُ الْجَنْبَيْنِ ، وَالنَّهْدُ بِالْفَتْحِ : الْفَرَسُ الْعَظِيمُ الْمُشْرِفُ ، وَخُصْلُ الشَّعْرِ : مَعْرُوفَةٌ .

إليها ، فإنَّ الجامعَ بينَ العدوِّ والطَّيرَانِ هوَ قَطْعُ المسافَةِ بِسرْعَةٍ ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِيهِمَا ، وَإِذَا غِيْرُ دَاخِلٍ كَمَا مرَّ ؛ وَأَيْضًا إِذَا عَامِيَّةٌ ، وَهِيَ الْمُبْتَدَلَةُ

لَمْ تَلَقَ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِأَخَوَاتِهِمْ مِمَّا عَشِيَّةٌ يَجْرِي بِالدَّمِ الْوَادِي  
تَقْرِيبُهُمْ لِهَذَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ (١)  
فإن الحياطة تضم خرق القميص . والزراد يضم حلق الدرع ، فالجامع بينهما  
الضم الذي هو داخل في مفهومها وهو في الأول أشد . واستعارة النثر لإسقاط  
المنهزمين وتقريرهم في قول أبي الطيب :

نَثَرْتُهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ نَثْرَةً كَمَا نَثَرْتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمَ (٢)  
لأن النثر أن تجتمع أشياء في كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة  
من غير ترتيب ونظام . وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص  
وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ،  
ونسبة إلى المدح لأنه سببه بهذا وأما قوله كلما سمع هيمة طار إليها فهو  
جزء حديث وإفظه : خير الناس رجل يمسك بعنان فرسه كلما سمع هيمة طار  
إليها ، أو رجل في شعبة في غنيمة له يعبد الله تعالى حتى يأتيه الموت . قال  
الزمخشري : الهيمة الصيحة التي يفرع منها ، وأصاها من هاع يهيع إذا جبن .  
والشعبة رأس الجبل ، والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد  
في سبيل الله ، أو رجل اعتزل الناس وسكن في رؤس بعض الجبال في غنم له فإيل  
يرعاها ويكتفي بها في أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت ( كما مر ) من استعارة

( ١ ) تقريرهم : نضيفهم ، والهدم من السنان : الحاد ، والقذ : الشق ،  
والزراد : صانع الدرع ( ٢ ) الأحيدب : اسم جبل ، ونثرتهم : فرقهم .

يُلهوِرُ الجَامِعَ فيها ، نحو : رَأَيْتُ أُسْدًا يَرْمِي ، أَوْ خَاصِيَّةً ، وَهِيَ الْغَرِيبَةُ  
وَالْغَرَابَةُ قَدْ تَكُونُ فِي نَفْسِ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِ :  
وَإِذَا احْتَبَى قَرَبُوتُهُ بِمَنَانِهِ عَاكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الرَّائِي  
وَقَدْ تَحْصُلُ بِتَصَرُّفٍ فِي الْعَامِيَّةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :  
\* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحُ \*

الأسد للرجل الشجاع ، والشمس للوجه المنهال ونحو ذلك ( وهي الغريبة )  
التي لا ينظر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة ( كما في قوله ) أى قول يزيد  
ابن مسعدة بن عبيد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى  
عناناً في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه . القربوس : مقدم السرج ،  
والشكيم : الحديدة المعترضة في فم الفرس . شبه هيئة العنان في موقعه من  
قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من زكبة المحتبى ، فكانت الاستعارة  
غريبة الغرابة الشبه . قال : وقد تحصل الغرابة بتصرف في العامية بأن يكون  
التشبيه مشهوراً ولكنه يذكر على وجه بديع كما في قول كثير عزة :

ولما قضينا من مني كل حاجة      ومسح بالأركان من هو ماسح  
وشدت على دهم المطايا رحالنا      ولم ينظر العادى الذى هو رانح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا      وسالت بأعناق المطى الأباطح

المقصود وسالت ، فإنه أراد أن الإبل سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة  
وكانت سرعة في ابن وسلامة ، حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح  
فجرت بها ، ومثالها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

إِذْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ دُونَ الْمَطِيِّ وَأَعْنَاقِهَا ، وَأَدْخَلَ  
الْأَعْنَاقَ فِي السَّيْرِ . وَبَاعْتِبَارِ الثَّلَاثَةِ سِتَّةَ أَقْسَامٍ ، لِأَنَّ الطَّرَفَيْنِ إِنْ  
كَانَا حِسَّتَيْنِ فَالْجَمِيعُ إِمَّا حِسِّيٌّ نَحْوُ : فَأَخْرَجَ لَهُمْ مِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ،  
فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ وَلَدَ الْبَقَرَةِ ، بِالْمُسْتَعَارِ لَهُ الْحَيَوَانُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
مِنْ حُلِيِّ الْقَبْطِ ، وَالْجَمِيعُ الشَّكْلُ ، وَالْجَمِيعُ حِسِّيٌّ ، وَإِمَّا عَقْلِيٌّ نَحْوُ :  
وَأَيَّةُ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْنَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَشَطُ الْجِلْدِ عَنْ

سَأَلَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ بِوُجُوهِ كَالدَّانِيَةِ  
أَرَادَ أَنَّهُ مَطَاعٌ فِي الْحَيِّ وَأَنَّهُمْ يَسْرِعُونَ إِلَى نَصْرَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَدْعُوهُمْ لِحُطْبِ  
إِلَّا أَتَوْهُ وَكَثُرُوا عَلَيْهِ وَازْدَحَمُوا حَوْلَهُ ، حَتَّى تَجِدَهُمْ كَالسِّيُولِ نَجْمًا . مِنْ هَهُنَا  
هَهُنَا ، وَتَنْصَبُ مِنْ هَذَا الْمَسِيلِ وَذَاكَ حَتَّى يَغْصُ بِهَا الْوَادِي وَيُطْفَحُ مِنْهَا ،  
وَهَذَا شَبَهٌ مَعْرُوفٌ ظَاهِرٌ ، وَلَكِنْ حَسَنَ التَّنَصُّفِ فِيهِ أَفَادَ الْطَلْفَ وَالْغَرَابَةَ ،  
وَذَلِكَ إِنْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ وَالشُّعَابِ دُونَ الْمَطِيِّ أَوْ أَعْنَاقِهَا وَالْأَنْصَارِ  
أَوْ وَجُوهِهِمْ ، حَتَّى أَفَادَ أَنَّهُ امْتَلَأَتْ الْأَبَاطِحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشُّعَابُ مِنَ الرِّجَالِ  
كَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَيْءٌ خَيْرٌ الَّذِي فِي  
الْآخَرِ يُؤَكِّدُ أَمْرَ الدَّقَّةِ وَالْغَرَابَةِ ، أَمَّا الَّذِي فِي الْأَوَّلِ فَهُوَ أَنَّهُ أَدْخَلَ الْأَعْنَاقَ  
فِي السَّيْرِ فَإِنَّ السَّرْعَةَ وَالْبَطْءَ فِي سَيْرِ الْإِبِلِ يَظْهَرُ أَنَّ غَالِبًا فِي أَعْنَاقِهَا ، وَأَمَّا الَّذِي  
فِي الثَّانِي فَهُوَ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ ، فَعَدَّى الْفِعْلَ إِلَى ضَمِيرِ الْمَمْدُوحِ بَعْلَى ، فَأَكَّدَ مَقْصُودَهُ  
مِنْ كَوْنِهِ مَطَاعًا فِي الْحَيِّ . هَذَا وَهُوَ تَحْصُلُ الْغَرَابَةِ بِالْجَمْعِ بَيْنَ عِدَّةِ اسْتِعَارَاتٍ  
لِلْحَاقِ الشَّكْلَ بِالشَّكْلِ كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

نحو الشاة ، والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل ، وهما حسيان  
والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر ؛ وإما مختلف ، كقولك : رأيت  
شمساً وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وإلا فهما  
إما عقليان : نحو : من بعثنا من مرقدنا ، فإن المستعار منه الرقاد ، والمستعار  
له الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل والجمع عقلي ، وإما مختلفان ،  
والحسي هو المستعار منه نحو : فأصدع بما تؤمر ، فإن المستعار منه كمر

فقات له لماً تملأ بصلبهِ وأردف أعجازاً وناءً بكسكَلِ

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به إذ كان كل ذي  
صلب يزيد شئ في طوله عند نمطيه وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف  
بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لما كبده ،  
فاستعار له كل كلال ينوء به . وقال الشيخ عبد القاهر : لما جعل الليل صلباً قد يتمطى  
به ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثالث فجعل له كل كلال قد  
ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشئ نص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا  
نظر قدمه وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجو ( مكان  
الليل ) يلقى ظله ( والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر ) كترتيب  
ظهور اللحم على كسب الجلد ، وترتب الظلة على كشف الضوء عن مكان الليل .  
هذا ، وقد وقع في عبارة الشيخ عبد القاهر والسكاكي ، أن المستعار له  
ظهور النهار من ظلة الليل ، وظاهر أن المراد بالظهور في كلامهما التميز ، أي  
تمييز النهار عن ظلة الليل ( نحو فأصدع بما تؤمر ) فسأله قيل أين الأمر  
إبانة لا نتمحى كما لا ياتهم صدع الزجاج ونظير الآية قوله تعالى : ضربت عليهم

في : زَيْدٌ فِي نِعْمَةٍ ، فَيَقْدَرُ فِي نَطَقَتِ الْحَالُ ، وَالْحَالُ نَاطِقَةٌ بِكَذَا لِلدَّلَالَةِ  
بِالنُّطْقِ ، وَفِي لَامِ التَّعْلِيلِ نَحْوُ : فَالْتَّمَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَسْكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا

ابتداء الغاية وإلى معناها انتهاء الغاية ، وكى معناها الغرض ، فهذه ليست معاني  
الحروف ، وإلا لما كانت حروفاً بل أسماء ، لأن الاسمىة والحرفية إنما هي  
باعتبار المعنى وإنما هي متعلقات لمعانيها ، أى إذا أفادت هذه الحروف معاني  
رجعت تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام . وهذا الذى ذكره السكاكى هو  
ما جرى عليه علماء هذا الفن ( فيقدر ) أى حيث كان التشبيه لمعنى المصدر  
ولمتعلقات معنى الحروف فيقدر في قوائنا : نطقت الحال بكذا والحال ناطقة  
بكذا ، لدلالة الحال بنطاق الناطق فى اقتضاح المعنى للذهن ، ثم تدخل الدلالة فى  
جنس النطق فيستعار لها لفظ النطق ، ثم يشتق منه الفعل والصفة فتكون  
الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل والصفة تبعية ويقدر فى لام التعليل (١)  
نحو : فالتمطه آل فرعون ليهكون لهم عدوآ وحزنآ للعداوة والحزن الحاصلين  
بعد الالتقاط بالعلة النائية للالتقاط ، كالمحبة والتبني فى الترتب على الالتقاط  
والحصول بعده ، ثم استعمل فى العداوة والحزن ما كان حقه أن يستعمل فى  
العله الغائية . وهذا الذى ذكره المصنف مأخوذ من كلام صاحب الكشف  
حيث قال معنى التعليل فى اللام وارد على طريق المجاز لأنه لم يكن داعيهم إلى  
الالتقاط أن يكون لهم عدوآ وحزنآ ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان  
نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل . الفاعل الفعل لأجله ، ثم قال :  
وهذه اللام حكمها حكم الاسم حيث استعيرت لها يشبه التعليل كما يستعار

( ١ ) ويقدر فى قوله تعالى : ولأصلبنكم فى جذوع النخل ، للجذوع  
الأوعية ثم المصلوب بالموعى ، فاستعيرت فى تبعاً لذلك وقس على هذا مثله .

الرُّجَا حَاجَةٌ وَهُوَ حِسِّيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ التَّشْبِيهُ ، وَالْجَامِعُ التَّأْيِيدُ ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ  
وَإِنَّمَا عَكْسُ ذَلِكَ نَحْوُ : إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَا كُمْ فِي الْجَارِيَةِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ  
لَهُ كَثْرَةُ الْمَاءِ وَهُوَ حِسِّيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ التَّكْثِيرُ ، وَالْجَامِعُ الْإِسْتِعْلَاءُ  
الْمُفْرِطُ ، وَهُمَا عَقْلِيَّانِ . وَبِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اسْمُ جِنْسٍ  
فَأَصْلِيَّةٌ ، كَأَسَدٍ وَقَتْلٍ ، وَإِلَّا فَتَبَعِيَّةٌ ، كَالْفِعْلِ وَمَا يَشْتَقُّ مِنْهُ وَالْحَرْفِ  
فَاللَّشْبِيهِ فِي الْأَوَّلَيْنِ لِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ، وَفِي الثَّلَاثِ لِمَتَعَلِّقٍ مَعْنَاهُ كَالْمَجْرُورِ

الذلة ، أى جمعات الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم . فهم فيها كما يكون في القبة من  
ضربت عليه أو جمعات ملصقة بهم حتى لزمهم ضربة لازب ، كما يضرب الطين  
على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه ، إما ضرب القبة على الشخص ، وإما ضرب  
الطين على الحائط وكلاهما حِسِّيٌّ والمستعار له حالهم مع الذلة والجامع الإحاطة  
أو اللزوم وهما عقليان ( اسم جنس ) هو مادل على ذات صالحة لأن تصدق  
على كثيرين ولو تأويلًا من غير اعتبار وصف من الأوصاف . فدخل نحو  
أسد ونحو قتل الأول اسم عين والثاني اسم معنى ونحو حاتم من قولك : رأيت  
اليوم حاتمًا وخرج بقولنا الصالحة لأن تصدق على كثيرين الأعلام التي لم تتضمن  
وصفية والمضمرات وأسماء الإشارة ، وقولنا من غير اعتبار وصية من  
الأوصاف خرج به المشتقات كضارب . فإنه اسم وضع لذات منصفة  
بالضرب ( وما يشتق منه ) : كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة ، المشبهة  
وأفعل التفضيل ، وأسماء الزمان والمكان ، والآلة ( الأولين ) أى الفعل وما يشتق  
منه ( الثالث ) أى الحرف ( كالمجرور في زيد في نعمة ) أما السكاكى فإنه قال وأعنى  
بمتعلقات معانى الحروف ما يعبر به عنها عند تفسيرها مثل قولنا من معناها

وَحَزَنًا ، لِلْعَدَاوَةِ وَالْحُزَنِ بَعْدَ الْإِلْتِقَاطِ بِعِلَّتِهِ الْغَائِبَةِ : وَمَدَارُ قَرِينَتَيْهَا  
فِي الْأَوَّلَيْنِ عَلَى الْفَاعِلِ ، نَحْوُ : نَطَقَتِ الْحَالُ ، أَوْ الْمَفْعُولِ نَحْوُ :

\* قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا \*

وَنَحْوُ : \* تَقْرِيبُهُمْ لِهَذِمِيَّاتٍ تَقْدُّ بِهَا \*

أَوْ الْمَجْرُورِ نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِذَابِ الْيَمِّ ، وَبِاعْتِبَارِ آخِرِ ثَلَاثَةِ أَقْسَامِ

الأسد لمن يشبه الأسد . . وبعد ، فللقوم في هذا المقام كلام طويل عزيز  
ليس من سنننا في هذا الشرح التعرض لمثله فراجع هناك إن شئت . قال :  
المصنف : ومدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصناعات المشتقة منها  
على نسبتها إلى الفاعل ، كقولك نطقت الحال بكذا : الحال ليس بمن ينطق  
حقيقة ، فدل ذلك على أن المراد بالنطق الدلالة أو إلى المفعول كقول ابن المعتز :

جَمَعَ الْحَقُّ أَنَا فِي إِيَّامِ قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

فالذي دل على أن قتل وأحيى مستعاران إنما هو إسنادهما إلى البخل والسماخ  
ولو قال قتل الأعداء وأحيى الأحياء لم يكن قتل استعارة بوجه وكذلك أحيى  
أو المفعول الثاني كقول القطامي :

لَمْ تَلَقِ قَوْمًا هُمْ شَرُّ لِأَخَوْتِهِمْ مَنَا عَشِيَّةً يَجْرِي بِالدَّمِ الْوَادِي

تقريبهم لهذميات تقد بها ما كان خاطئ عليهم كل زراد

اللهزم من الأسنة : القاطع ، فأراد بهذميات طعنات منسوبة إلى الأسنة

القاطعة ، أو أراد نفس الأسنة ، والنسبة للبالغة كأخرى ، والقدر : القاطع ، وزرد

الدرع وسردها : نسجها . فإسناد القرى إلى الهذميات قرينة على أن تقريبهم استعارة .



مُطْلَقَةٌ وَهِيَ مَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِصِفَةٍ وَلَا تَفْرِيعٍ ، وَالْمُرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا النَّقْطُ  
وَتَجَرِّدَةٌ ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يَلَايِمُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ ، كَقَوْلِهِ :  
\* غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا \*

أو إلى المجرور نحو : فُبْشِرْهُمْ بِعَذَابِ الْإِلَهِ ، فذكر العذاب قرينة على أن بشر  
استعارة ( بصفة ولا تفریع ) أى صفة تلائم أحد الطرفين أو تفریع كلام ،  
كذلك اعلم أن الملائم إذا كان من تنمة الكلام الذى فيه الاستعارة فهو  
صفة وإن كان كلاماً مستقلاً جىء به بعد ذلك الكلام فهو تفریع ، سواء  
كان بحرف التفریع أو لا ( كقوله غمر الرداء ) فقد استعار الرداء المعروف  
لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى  
هو وصف المعروف لا الرداء فنظر إلى المستعار له ، رالبیت لكثير عزة  
وتمامه : غلقت لضحكته رقاب المال : أى إذا تبسم غلقت رقاب أمواله في  
أيدي السائلين ، يقال غلق الرهن في يد المرتهن : إذا لم يقدر على انفكاكه ،  
ونظير البیت قوله تعالى : فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، حيث قال إذا قاموا  
يقل كسأها ، فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس ، كأنه قال فأصابها  
الله بلباس الجوع والخوف : قال الزمخشري : الإذاقة جرت عندهم بحرى الحقيقة  
لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون ذاق فلان البؤس  
والضرر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر  
والبشيع ، فإن قيل الزمخشري أبلغ من التجريد فهلا قيل فكسأها الله لباس الجوع  
والخوف ، قلنا لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك بالنس من غير عكس  
فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة ، فإن قيل لم لم يقل  
فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ، قلنا لأن الطعم وإن لام الإذاقة فهو مفوت

وَمُرْشَحَةٌ ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يَلْتَمُ الْمُسْتَعَارُ مِنْهُ ، نَحْوُ : أَوْلَيْكَ  
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَّحْتَ تِجَارَتَهُمْ ، وَقَدْ يَحْتَمِلَانِ ،  
كَقَوْلِهِ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ مُقَدَّفٌ لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ  
وَالْتَرَشِيحُ أَبْلَغُ ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى تَحْقِيقِ الْمُبَالَغَةِ ، وَمَبْنَاهُ عَلَى تَنَاسُيِ

لما يفيدُه لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم  
الملابس ( نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ) فإنه استعار الاشتراء  
للاختيار وقفاه بالربح والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار  
منه ومن هذا الباب قول الشاعر :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدٌ عَمْرٍو رَوَيْدُكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بَسْكَو  
لِي الشُّطْرُ الَّذِي مَنَسَكْتُ يَمِينِي وَدُونِكَ فَغَتَّجِرُ مِنْهُ بِشُّطْرِي  
فإنه استعار الرداء للسيف لنحو ، سبق ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف  
الرداء فنظر إلى استعار له ( كقوله لدى أسد ) فقوله شاكي السلاح مقذف  
تجريد لأنه وصف يلازم المستعار له ، وقوله له لبدة أظفاره لم تقلم ترشيح لأنه  
وصف يلازم المستعار منه ، والبيت لزهير بن أبي سلمى ، وشاكي السلاح : تامه ،  
ومقذف : مرمى به في الوقائع والحروب . واللبدة جمع لبدة : ما تلبد من شعر الأسد  
على منكبيه ( والترشيح أباح ) الترشيح الذي هو ذكر ملائم المستعار منه أباح من  
الإطلاق والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه ولهذا كان مبناه على تناسي  
التشبيه وصرف النفس عن توهمه حتى إنه يوضع الكلام في علو القدر وسمو المنزلة  
وضعه في علو المكان ، كما قال أبو تمام يمدح يزيد الشيباني :

التَّشْبِيهِ ، حَتَّى إِنَّهُ يُبْنَى عَلَى عُلُوِّ الْقَدْرِ مَا يُبْنَى عَلَى عُلُوِّ الْمَكَانِ ،  
كَقَوْلِهِ :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهْوُ لِبَانٍ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ  
فَلَوْلَا أَنْ قَصَدَهُ أَنْ يَنْسَى التَّشْبِيهِ وَيُدْفَعَهُ بِجَهْدِهِ ، وَيَصْغَمُ عَلَى لِنْسَانِهِ  
وَجَهْدِهِ ، فَيَجْعَلُهُ صَاعِدًا فِي السَّمَاءِ مِنْ حَيْثُ الْمَسَافَةُ الْمَكَانِيَّةُ ، لَمَا كَانَ لِهَذَا  
السَّكَلَامِ وَجْهٌ وَمَنْ أَبْلَغَ مَا يَكُونُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ :

أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنُّجُومِ بَنُونُ نَحْتِ عِلْمًا لَمْ يَأْتِهِمْ بِالْحِسَابِ  
بَلْ بِأَنْ شَاهَدُوا السَّمَاءَ سُجُومًا يَتَرَقَّى فِي الْمَكْرُمَاتِ الصَّعَابِ  
مَبْلَغًا لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَهُ الظَّا بٌ إِلَّا بِتِلْكَ الْأَسْبَابِ  
وَأَعَادَهُ فِي مَرَضِعِ آخِرِ فِرَادِ الدَّعْوَى قُوَّةً ، وَمَرَّ فِيهَا مَرُورٌ مِنْ يَقُولِ  
صَدَقًا وَيَذْكُرُ حَقًّا :

يَا آلَ نُوحٍ لَا عَدِمْتُكُمْ وَلَا تَبَدَّلَتْ بَعْدَكُمْ بَدَلًا  
إِنْ صَحَّ عِلْمُ النُّجُومِ كَانَ لَكُمْ  
كَمْ عَالِمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بِأَنْ  
أَعْلَاكُمْ فِي السَّمَاءِ تَجْدُكُمْ  
شَافِيَهُمْ الْبَدْرُ بِالسُّوَالِ عَنِ الْأُمِّ  
وَمِنْهُ قَوْلُ بَشَّارٍ :

أَتَشْنِي الشُّشُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحِ الْفَلَكَا

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجُهو لُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

وقول المتنبي :

كَبُرَتْ نَحْوُ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ

وقوله :

وَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ ثَعَانُهُ الْأَسَدُ

ومنه ما مر من التعجب في قوله :

قَامَتْ تُظِلُّنِي وَمِنْ عَجَبِ شَمْسٍ تُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ

والنهي عن التعجب في قوله :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بِلَى غَالَتِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

أو ما ترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم ، وكيف نسوا حديث الاستمارة ، كأب لم يحجر منهم على بال ، ولم يروه ولا طيف خيال ، وإذا كانوا مع التشبيه والاعانة بالاصل يسوغون أن لا يبنوا إلا على الفرغ ويقولون :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَرَّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلاً  
فَإِنْ تَسْتَطِيعُ إِلَيْهَا الصُّنُودُ وَأَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولُ (١)  
أَوْ يَقُولُوا :

وَعَدَ الْبَدْرُ بِإِزْيَارَةٍ لَيْلًا فَإِذَا عَفَا فِي قَصَبَاتِ نَذْوِي  
قُلْتُ يَا سَيِّدِي وَلِمَ تَوَثَّرَ اللَّيْلُ عَلَى طَائِفَةِ الصَّبَاحِ الْمُنِيرِ

وَنَحْوُهُ مَا مَرَّ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ ، وَإِذَا جَازَ الْبَيْتَ عَلَى الْفَرْعِ  
مَعَ الْإِعْتِرَافِ بِالْأَصْلِ كَافِي قَوْلِهِ :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُونًا فِي السَّمَاءِ      فَعَزَّ الْفُؤَادَ عِزَاءَ جِيَالٍ  
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ      وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ

قَالَ لَا أَحِبُّ تَغْيِيرَ رَسْمِي      هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبُذُورِ<sup>(١)</sup>  
أَوْ يَقُولُوا :

قُلْتُ زُورِي فَأُرْسَلَتْ      أَنَا آتِيكَ سُحْرَهُ  
قُلْتُ فَلَالَيْلٍ كَانَ أَخْفَى      وَأَذَنِي مَسْرَهُ  
فَأَجَابَتْ بِحُجَّةٍ      زَادَتْ الْقَلْبَ حَبْرَهُ  
أَنَا شَمْسٌ وَإِنَّمَا      تَطْلُعُ الشَّمْسُ بُكْرَهُ

فهم إن تسويع ذلك مع جحد الأصل في الاستعارة أقرب ، وعمله طبقة  
عالية في هذا القبيل وشكل يدل على شدة الشكيمة وعلو المآخذ قول الفرزدق :  
أَبَى أَحْمَدُ الْعَيْشَيْنِ صَعَصَعَةُ الَّذِي      مَتَى تُخْلِفَ الْجُوزَاهُ وَالذَّلْوُ يُنْظَرُ  
أَجَابَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يَحِرُّ      عَلَى الْمَوْتِ تَمَلُّمٌ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرٍ  
ادعى لأبيه اسم الغيث ادعاء من سلم له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه  
متناول له من طريق التشبيه وكذلك قول عدى بن الرقاع يصف حارين وحشيين

( ١ ) الأبيات لسعيد بن حميد وكذلك التي بعدها .

فَمَعَ جَعْدِهِ أُولَى . وَأَمَّا الْمُرَكَّبُ فَهُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا شَبِهَ  
بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ تَشْبِيهِ التَّمَثِيلِ لِلْمَبَالِغَةِ ، كَمَا يُقَالُ لِمُتَرَدِّدٍ فِي أَمْرٍ : إِنِّي

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مِائَةً بَيْضَاءَ مُحْكَمَةً هُمَا تَسْجَاهَا

تَطْوِي إِذَا وَرَدَا مَكَانًا مُخْزِنًا وَإِذَا السَّيَّارِكُ أُسْهِتَتْ نَشْرَاهَا

(وأما المركب) كل ما مر عليك من ضروب المجاز وأمثله لأنها هو في المجاز المفرد ، وهذا هو القول في المجاز المركب المعروف بالتشثيل . المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة ، أي تشبه لإحدى صورتين متضعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه ، فنذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه ، كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له : أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى . فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . شبه صورة تردده في المبالغة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى . وكما يقال لمن يعمل في غير معمل : أراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء ، والمعنى أنك في فعلك كن يفعل ذلك ، وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه : ما زال يقتل منه في الذروة والغارب ، حتى بلغ منه ما أراد ، والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ، ويقتل الشعر في ذروته وغاربه ، حتى يسكن ويستأنس ، وهذا في المعنى نظير قولهم فلان يقرء فلاأ ، أي يتأطّف به فعل من ينزع القراء من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن

أَرَأَيْكَ تَقْدُمُ رِجَالًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، وَهَذَا يُسَمَّى التَّخِيلَ عَلَى سَبِيلِ

من أخذه وكذا قوله تعالى : والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والمعنى والله أعلم أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته ، وأنه لا يشد شيء مما فيها عن سلطانه عز وجل ، مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا الجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى : والسموات مطويات بيمينه ، أى يخلق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأغرم للمثل لأنها أشرف اليدين وأقوامهما والتي لا غناء للأخرى دونها ، فلا يشعشع إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فيها لها لنيله ، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى كما قال البحرى :

وَإِنَّ يَدِي وَقَدْ أَسْنَدْتُ أَمْرِي إِلَى الْيَمِينِ الْيَوْمَ فِي يَدِكَ الْيَمِينِ<sup>(١)</sup>

وقال ابن ميادة :

أَلَمْ أُنْ فِي يَدَيْ يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَ

أى كنت مكرماً عندك فلا تجعلينى مهاناً ، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطينى في المنزل الوضيع ، وكذا قوله تعالى : ولما سكنت عن موسى الغضب . قال الراغب : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل وبقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة ، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة : ولما سكن عن موسى الغضب . لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة ، وطرفاً من تلك الروعة .

(١) إليه : أى إلى يونس بن بقا وكان حظياً عند الممدوح وهو المعتز بالله .

الاستعارة ، وَقَدْ يُسَمَّى التَّمثِيلُ مُطْلَقًا ، وَمَتَى فَشَا اسْتِعْمَالُهُ كَذَلِكَ سُمِّيَ  
مَثَلًا ، وَلِهَذَا لَا تُغَيَّرُ الْأَمْثَالُ .

### ﴿ فَضْلٌ ﴾

قَدْ يُضْمَرُ التَّشْبِيهُ فِي النَّفْسِ ، فَلَا يُصْرَحُ بِشَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِهِ

وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، وقد يسمى التمثيل مطلقاً من  
التقييد يقولنا على سبيل الاستعارة ، ويمتاز عن التشبيه التمثيلي بأن يقال له  
تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي ، والتمثيل متى فشأ استعماله كذلك أى على سبيل  
الاستعارة سمي مثلاً ، ولكون الأمثال واردة على سبيل الاستعارة لا تغير  
ومن هنا لا يلتفت في الأمثال إلى مضاربيها تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية  
وجمعا ، بل إنما ينظر إلى موارها مثلاً إذا طلب رجل شيئاً ضيعه قبل ذلك  
قيل : الصيف ضيعت اللين ، بكسر التاء لأنه في الأصل لامرأة ، وأما ما يقع في  
كلامهم من نحو ضيعت اللين في الصيف بناء المتكلم ، فليس بمثل بل مأخوذ  
منه وإشاره إليه ، ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال أو الصفة  
أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، وهذا في القرآن كثير ، قال تعالى :  
مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، أى ما لهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد  
ناراً ، وقال جل شأنه : والله المثل الأعلى ، أى الوصف الذي له شأن من  
العظمة والجلالة ، وقال : مثلهم في التوراة ، أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ،  
وقال : مثل الجنة التي وعد المتقون ، أى فيما قصصنا عليك من العجائب  
قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ في بيان عجائبيها إلى غير ذلك مما لا يسكاد يحصى  
(فصل) قد تضافرت آراء الناس على أنه إذا شبه أمر بآخر من غير تصريح  
بشيء من أركان التشبيه سوى المشبه ودل عليه بذكر ما يخص المشبه به كان  
هناك استعارة بالكناية وتخيلية ، لكن اضطربت أقوالهم في تعيين المعتبرين



الذين يطلق عليهما هذا اللفظان ، ومحصل ذلك يرجع إلى ثلاثة أقوال : أحدها ما يفهم من كلام القدماء ، والثاني : ما ذهب إليه السكاكي ، والثالث : ما أورده المصنف ههنا . ذهب السلف إلى أن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه به المستعار للمشبه المرموز إليه بشيء من لوازمه الدالة عليه ، فالمقصود بقولنا أظفار المنية استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع في قولنا : رأيت أسداً ، لكننا لم نصرح بذكر المستعار أعني السبع ، بل اجتزأنا عنه بذكر لازمه لينتقل منه إلى المقصود كما هو شأن الكناية ، فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية وبهذا يشعر كلام صاحب الكشف في قوله تعالى : ينقضون عهد الله ، حيث قال شاع استعمال النقض في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالجل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يكتنوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روافده فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحو قولك : شجاع يفترس أقرانه . وعالم يغترف منه الناس ، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نهبت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش . وسيجىء في الفصل التالى مذهب السكاكي ، وستسمع في هذا الفصل مذهب المصنف ، أما الشيخ الإمام رحمه الله فلم يشعر كلامه بذكر الاستعارة بالكناية ، وإنما دل على أن في قولنا أظفار المنية استعارة بمعنى أنه أثبت المنية ما ليس لها بناء على تشبيهها بما له الأظفار وهو السبع ، وهذا قريب مما ذكره المصنف في التخييلية ، قال في أسرار البلاغة : الاستعارة على قسمين : أحدهما أن ينقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم يمكن أن ينص عليه ، وذلك قولك رأيت أسداً وأنت تعنى رجلاً شجاعاً ، وزنت لنا ظبية وأنت تعنى امرأة ، والثاني أن

سِوَى الْمُسَبَّحَةِ ، وَبِذَلِكَ عَلَيْهِ بَأْسٌ يُثَبِّتُ لِلْمُسَبَّحَةِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ بِالْمُسَبَّحَةِ  
بِهِ ، فَيُسَمَّى التَّشْبِيهُ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ ، أَوْ مَكْنِيًّا عَنْهَا ، وَإِثْبَاتُ

يُؤْخَذُ الْاسْمُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَيُوضَعُ مَوْضِعاً لَا يَبِينُ فِيهِ شَيْءٌ يُشَارُ إِلَيْهِ ، فَيَقَالُ هَذَا  
هُوَ الْمُرَادُ بِالْإِسْمِ وَالَّذِي اسْتَعِيرَ لَهُ ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ لَبِيدٍ :

وَعِذَّةُ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَرَقَةً إِذْ أَصْبَحَتْ بَيْدَ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

وَذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ لِلشَّمَالِ يَدًا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مِثَالُ مَا إِلَيْهِ يُمْكِنُ  
أَيُّ تَجَرُّى الْيَدِ عَلَيْهِ كَمَا جَرَّاءُ الْأَسَدِ عَلَى الرَّجُلِ فِي قَوْلِكَ : انْهَرِ إِلَى أَسَدٍ يَزَارُ ،  
وَلِهَذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ إِذَا أَصْبَحَتْ بِشَيْءٍ مِثْلُ الْيَدِ لِلشَّمَالِ ، كَمَا يَقَالُ رَأَيْتُ  
رَجُلًا مِثْلَ الْأَسَدِ ، وَإِنَّمَا يَتَأَنَّى لَكَ التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بَعْدَ أَنْ تَغْيِرَ الطَّرِيقَةَ  
وَتَخْرُجَ عَنِ الْحَدِّ الْأَوَّلِ ، فَتَقُولُ : إِذَا أَصْبَحَتْ الشَّمَالُ وَلَهَا فِي قُوَّةِ تَأْثِيرِهَا فِي  
الْعِدَاةِ شِبْهُ الْمَالِكِ تَهْزِيفَ الشَّيْءِ بِيَدِهِ ، فَأَنْتَ كَمَا تَرَى تَجِدُ الشَّبْهَ الْمُنْتَزِعَ هُنَا  
لَا بِإِقْرَافِكَ مِنَ الْمُسْتَعَارِ نَفْسَهُ بَلْ عَمَّا يُضَافُ إِلَيْهِ ، لِأَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَ  
الشَّمَالُ كَذِي الْيَدِ مِنَ الْأَحْيَاءِ ، فَتَجْعَلَ الْمُسْتَعَارَ لَهُ أَعْنَى الشَّمَالِ مِثْلًا ذَا شَيْءٍ ،  
وَعَرَضَكَ أَنْ تَأْثِبْتَ لَهُ حُكْمٌ مِنْ يَكُونُ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ ، وَقَالَ أَيْضًا : لِاخْتِلَافِ  
فِي أَنْ لَفْظَ الْيَدِ اسْتِعَارَةٌ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْقَلِ عَنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ  
الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ شِبْهُ شَيْءٍ بِالْيَدِ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَثْبِتَ لِلشَّمَالِ يَدًا  
( عَلَيْهِ ) أَيْ عَلَى ذَلِكَ التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرُ فِي النَّفْسِ ( بِأَنَّ يَثْبِتَ لِلشَّبْهِ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ  
بِالْمُسَبَّحَةِ بِهِ ) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَمْرٌ ثَابِتٌ حَسًّا أَوْ عَقْلًا أُجْرِيَ عَلَيْهِ اسْمُ

( ١ ) الْغَوَّةُ وَالْقَرْدُ : الْبَرْدُ . يَقُولُ كَمَا عَادَةُ تَهَبُ فِيهَا الشَّمَالُ وَهِيَ بَرْدُ الرِّيَّاحِ .  
وَبَرْدٌ قَدْ مَلَكَتِ الشَّمَالُ زِمَامَهُ وَدَكَفَتْ عَادِيَةَ الْبَرْدِ عَنِ النَّاسِ بِفَتْحِ الْجُزْءِ  
لَهُمْ : تَحْرِيرِ الْمَعْنَى : وَكَمْ مِنْ بَرْدٍ كَفَفَتْ غَرَبَ عَادِيَتِهِ بِإِطْعَامِهِ النَّاسَ .

ذَلِكَ الْأَمْرَ لِلْمُشَبَّهِ اسْتِعَارَةً تَحْيِيلِيَّةً ، كما في قولِ لَهْذَلِي :  
 وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَلْشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ  
 شَبَّهَ الْمَنِيَّةَ بِالسَّبْعِ فِي اغْتِيَالِ الشُّمُوسِ بِالْقَهْرِ وَالْعَلَبَةِ مِنْ غَيْرِ تَفَرُّقَةٍ  
 بَيْنَ نَفَاجٍ وَضَرَارٍ ، فَأَثْبَتَ لَهَا الْأَظْفَارَ الَّتِي لَا يَكْمُلُ ذَلِكَ فِيهِ بِدُونِهَا ،  
 وكما في قولِ الْآخَرِ :  
 وَلَكِنْ نَفَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحًا      فَلِسَانَ حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْطَقَ  
 شَبَّهَ الْحَالَ بِإِنْسَانٍ مُتَكَلِّمٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ ، فَأَثْبَتَ هَذَا اللَّسَانَ  
 الَّذِي بِهِ قَوَامُهَا فِيهِ ، وَكَذَا قَوْلُ رَهْزِيرَ :  
 نَحَا الْقَابَ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ      وَعَرَّى أَفْرَاسَ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

ذَلِكَ الْأَمْرَ ( كما في قولِ لَهْذَلِي ) يَعْنِي أَبَا ذَرِيْبٍ مِنْ قَصِيْدَةِ قَالِهَا ، وَقَدْ هَلَكَ  
 لَهُ خَمْسٌ بَيْنَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ وَكَانُوا فِيهِمْ هَاجِرٌ إِلَى مِصْرَ . وَالتَّمِيْمَةُ هِيَ الْخُرْزَةُ  
 الَّتِي تَعْلَقُ عَلَى الصَّبِيِّ لَتَسْكُونُ لَهُ حِجَابًا زَعَمُوا مِنَ الْعَيْنِ وَالْجَنُونِ . يَقُولُ لَهْذَلِي :  
 إِذَا مَكَنَ الْمَوْتُ أَظْفَارَهُ مِنْ شَيْءٍ لِيَذْهَبَ بِهِ بِطَلَاتِ الْوَقَايَاتِ وَالْحِيلِ وَأَسْبَابِ  
 النِّجَاجِ . هَذَا ، وَقَدْ مَثَلَ الْمُصَنِّفُ بِثَلَاثَةِ أَمْثَلِهِ ، الْأَوَّلُ : مَا تَسْكُونُ التَّخْيِيلِيَّةُ  
 لِإِثْبَاتِ مَا بِهِ كَمَالُ الْمَشَبَّهِ بِهِ ، وَالثَّانِي : مَا تَسْكُونُ لِإِثْبَاتِ مَا بِهِ قَوَامُ الْمَشَبَّهِ بِهِ ،  
 وَالثَّلَاثُ : مَا تَحْتَمِلُ الاسْتِعَارَةَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ تَحْيِيلِيَّةً ، وَأَنْ تَسْكُونُ تَحْقِيقِيَّةً  
 فَأَعْرَفَ ذَلِكَ ( وَإِنْ نَطَقْتُ ) قَبْلَهُ :

لَا تَحْسِنَ بِشَأْنِي لَكَ عَنْ رِضَى      فَوَحِّقْ جُودَكَ إِنِّي أَتَسَاءَلُ  
 ( صَحْحًا ) أَيْ سَلَا بِجَازٍ مِنَ الصَّحْوِ خِلَافَ السُّكْرِ وَأَنْصُرَ بِاللَّهِ ) يَقَالُ أَنْصُرُ  
 عَنْ الشَّيْءِ : إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ ، أَيْ تَرَكَهُ وَامْتَنَعَ عَنْهُ . وَبَعْدَ ، فَقَدْ ظَهَرَ لَكَ

أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ بَرْتَكِبُهُ زَمَنَ الْمَحَبَّةِ ، مِنَ الْجَهْلِ  
وَالنَّفْسِ ، وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَاوَدَتِهِ ، فَبَطَلَتْ آيَاتُهُ ، فَشَبَّهَ الصَّبَا بِجَهَةِ مِنْ  
جِهَاتِ الْمَسِيرِ ، كَالْحُجِّ وَالتَّجَارَةِ ، قَضَى مِنْهَا الْوَطَرَ فَأَهْمَزَ آيَاتَهَا ، فَأَثْبَتَ  
لَهُ الْإِفْرَاسَ وَالرَّوَاحِلَ ، فَالصَّبَا مِنَ الصَّبَوَةِ بِمَعْنَى اللَّيْلِ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفُتُوَةِ .  
وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ دَعَايَ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا وَالْقُوَى الْخَاصِلَةَ لَهَا فِي اسْتِيفَاءِ  
الذَّاتِ ، أَوِ الْأَسْبَابَ الَّتِي قَلَّمَا تَسَاخَذُ فِي اتِّبَاعِ الْعَيْ إِلَّا أَوَّانَ الصَّبَا ،  
فَتَكُونُ الِاسْتِعَارَةُ تَحْقِيقِيَّةً .

### فصل في

عَرَفَ السَّكَاكِيَّ الْحَقِيقَةَ الْغَوِيَّةَ بِالسَّكْنَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِيمَا وَضِعَتْ

من كلام المصنف هذا أن الاستعارة بالسكناء هي التشبيه المضمر في النفس .  
قال الشيخ النفثازي : وعلى هذا لا وجه لتسميتها استعارة ، بل هي مجرد تسمية  
خالية عن المناسبة ، قال وهذا التفسير شيء لا مستند له في كلام السالف ، ولا  
هو يبتنى على مناسبة لغوية وكأنه استنباط منه ، والمعنى الصحيح هو ما ذهب  
إليه السالف ( أراد ) أى بالإفراس والرواحل ( فصل ) تعرض فيه المصنف  
لما ذهب إليه السكاكي ، في الحقيقة والمجاز والاستعارة بالسكناء والاستعارة  
التخييلية ، وبحث معه في ذلك . . . وبعد . فلا يذهب على الفارى أن من  
سنتنا في هذا الشرح الإبعاد به عن كل ما لا طائل وراءه ولا غناء فيه ، وليس  
بطالب البلاغة إليه حاجة ، ومن هنا لا نريد أن نزيد في هذا الفصل على شرح  
كلام المصنف شيئاً حتى لا نزيد الطين بله والطنبور فغمة ، ومن تأقت نفسه

لَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْمَوْضِعِ ، وَاحْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الْآخِرِ عَنِ الِاسْتِعَارَةِ  
عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ، وَعَرَفَ  
الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ بِالسَّكَاةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهُ بِالْتَّحْقِيقِ فِي  
اصْطِلَاحِ بِهِ التَّخَاطُبُ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ عَنْ إِرَادَتِهِ ، وَآتَى بِقَيْدِ التَّحْقِيقِ

إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى شَيْءٍ وَرَاءَ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي كَتَبِ الْقَوْمِ ( الْآخِرِ ) وَهُوَ قَوْلُهُ  
مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْمَوْضِعِ ( عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ ) وَهُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الِاسْتِعَارَةَ  
مَجَازٌ لِّغَوِيٍّ فَإِنَّهَا عَلَى هَذَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ وَضَعًا بِالتَّأْوِيلِ ، وَهُوَ ادِّعَاءُ  
دُخُولِ الْمُشَبَّهِ فِي جَنْسِ الْمُشَبَّهِ بِهِ بِجَعْلِ أَفْرَادِ الشَّبْهِ بِهِ قِسْمِينَ : مُتَعَارِفًا وَغَيْرِ  
مُتَعَارِفٍ ، وَأَمَّا عَلَى اقْوَالِ أَنَّهَا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ ، بِمَعْنَى أَنَّ التَّصَرُّفَ فِي أَمْرٍ عَقْلِيٍّ  
وَهُوَ جَعْلُ غَيْرِ الْأَسَدِ أَسَدًا ، وَأَنَّ اللَّفْظَ مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وَضِعَ لَهُ فَيَسْكُونُ حَقِيقَةً  
لِّغَوِيَّةٍ فَلَا يَصِحُّ الْإِحْتِرَازُ عَنْهَا ( وَعَرَفَ الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ ) بِأَنَّهُ السَّكَاةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ  
فِي غَيْرِ مَا هِيَ مَوْضُوعَةٌ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ اسْتِعْمَالًا فِي الْغَيْرِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْعِ  
حَقِيقَتِهَا مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ مَعْنَاهَا فِي ذَلِكَ النَّوعِ . هَذَا لَفْظُ السَّكَاةِ  
عَدَلَ عَنْهُ الْمُصَنِّفُ كَمَا تَرَى لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ وَالْخَفَاءِ ، وَقَوْلُهُ بِالنِّسْبَةِ مُتَعَارِفٍ  
بِالْغَيْرِ وَاللَّامُ فِي الْغَيْرِ لِلْعَبْدِ ، أَيْ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي السَّكَاةُ  
مَوْضُوعَةٌ لَهُ فِي اللَّغَةِ أَوْ الشَّرْعِ أَوْ الْعَرَفِ ، غَيْرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْعِ حَقِيقَةٍ  
تِلْكَ السَّكَاةِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ نَوْعُ حَقِيقَتِهَا لِّغَوِيًّا ، تَسْكُونُ السَّكَاةُ قَدْ اسْتَعْمَلَتْ  
فِي غَيْرِ مَعْنَاهَا اللَّغَوِيَّ فَتَسْكُونُ مَجَازًا لِّغَوِيًّا وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ ( عَلَى مَا مَرَّ )  
مِنْ أَنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِالتَّأْوِيلِ لَا بِالتَّحْقِيقِ ، فَلَوْلِمَ يَقِيدَ الْمَوْضِعَ  
بِالتَّحْقِيقِ لَمْ تَدْخُلْ هِيَ فِي التَّعْرِيفِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ

لِتَدْخُلَ الاستِعَارَةُ عَلَى مَا مَرَّ ؛ وَرَدَّ بِأَنَّ الْوَضْعَ إِذَا أُطِيقَ لَا يَتَنَاوَلُ  
الْوَضْعَ بِتَأْوِيلٍ ، وَبِأَنَّ التَّقْيِيدَ بِاصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ لَا بَدْءَ مِنْهُ فِي تَعْرِيفِ  
الْحَقِيقَةِ ، وَقَسَمَ الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ إِلَى الاستِعَارَةِ وَغَيْرِهَا ، وَعَرَفَ الاستِعَارَةَ  
بِأَنَّ تَذَكُّرَ أَحَدِ طَرَفَيْ التَّشْبِيهِ وَتَرْيِدَ الْآخَرِ ، مُدْعِيًا دُخُولَ الْمُشَبَّهِ  
فِي جِنْسِ الْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَقَسَمَهَا إِلَى الْمَصْرَحِ بِهَا وَالْمَكْنِيِّ عَنْهَا ، وَعَفَى  
بِالْمَصْرَحِ بِهَا أَنْ يَسْكُونَ الْمَذْكُورُ هُوَ الْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَجَعَلَ مِنْهَا تَحْقِيقِيَّةً

له بالتأويل ( ورد ) يقول : إن ما ذكره السكاكي مردود لأمرين ، الأول :  
أن الوضع وما يشتمل منه كالموضوعة والموضوع له ، إذا أطلق لا يفهم منه  
الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع  
فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل . وفي تعريف  
المجاز بالتحقيق ، قال في الإيضاح : اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تميم  
الحد . الثاني : أن تقييد الوضع بـ اصطلاح التخاطب ونحوه كالذي عبر به (١)  
السكاكي إذا كان لابد منه في تعبير المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا  
استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة  
أيضاً ، ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله في تعريفها ( وقسم )  
مهد المصنف ينقل هذا التقسيم للبحث مع السكاكي في عدد التمثيل  
الذي هو مجاز مركب من الاستعارة التي جعلها قسماً من المجاز  
المفرد ( وغيرهما ) كالمجاز المرسل ( منها ) أي من الاستعارة المصريح

( ١ ) وهو قوله سادها لا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقةها .

وَتَخْيِيلِيَّةٌ ، وَفَسَّرَ التَّحْقِيقِيَّةَ بِمَا مَرَّ ، وَعَدَّ التَّمثِيلَ مِنْهَا ؛ وَرَدَّ بِأَنَّهُ  
مُسْتَأْزَمٌ لِلتَّرَكِيبِ الْمُنَافِي لِلْإِفْرَادِ ، وَفَسَّرَ التَّخْيِيلِيَّةَ بِمَا لَا تَحَقُّقَ  
لِعَنَاهُ حِسًّا وَلَا عَقْلًا ، بَلْ هُوَ صُورَةٌ وَهْمِيَّةٌ مُحَضَّةٌ ، كَلَفَظَ الْأُظْفَارِ  
فِي قَوْلِ الْهَدَلِيِّ ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَبَّهَ الْمَنِيَّةَ بِالسَّبْعِ فِي الْإِغْتِيَالِ أَخَذَ الْوَهْمَ  
فِي تَصْوِيرِهَا بِصُورَتِهِ وَاخْتَرَعَ لَوَازِمَهُ لَهَا ، فَأَخْتَرَعَ لَهَا مِثْلَ صُورَةِ  
الْأُظْفَارِ ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْأُظْفَارِ ؛ وَفِيهِ تَعْسُفٌ ، وَيُخَالَفُ تَفْسِيرَ  
غَيْرِهِ لَهَا بِجَعْلِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ التَّرْشِيحُ تَخْيِيلِيَّةً

بها ( بما مر ) أى بما يكون المشبه المتروك متحققاً حساً أو عقلاً ، ( منها ) أى  
من التحقيقية ( ورد ) يقول إن عد التمثيل من الاستعارة التحقيقية التى هى  
قسم من المجاز المفرد مردود بأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا  
مركباً كما تقدم فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد ( محض ) لا يشوبها  
شئ من التحقق العقلى أو الحسى ( لوازمه ) أى ما يلزم صورته ، ويتم به  
شكله من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس  
به من الآنياب والمخالب ( عليه ) أى على ذلك المثل يعنى على الصورة التى هى  
مثل صورة الأظفار ( وفيه تعسف ) أى أخذ على غير الطريق لما فيه من كثرة  
الاعتبارات التى لا يدل عليها دليل ولا تنس إليها حاجة ( ويخالف تفسير غيره  
لها بجعل الشئ للشئ ) غير السكاكى فسر التخيلية بجعل الشئ للشئ كجعل اليد  
للشمال فى قول لبيد :

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقَرَّةَ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

لِلزُّومِ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ ، وَعَنِ الْمَسْكِيِّ عَنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ  
هُوَ الْمُسَبَّحَةُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُنِيَّةِ السَّبْعُ بِادِّعَاءِ السَّبْعِيَّةِ لَهَا ، بِقَرِينَةٍ

فعلى تفسير السكاكي يجب أن يجعل للشمال صورة متوهمة شبيهة باليد ، ويكون  
إطلاق اليد عليها استعارة تصريحية تخيلية واستعمالاً للفظ في غير ما وضع له ،  
وعند غيره الاستعارة هو إثبات اليد للشمال ولفظ اليد حقيقة لغوية  
مستعملة في معناه الموضوع له ، ولهذا قال الشيخ عبد القاهر : لا خلاف في  
أن اليد استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء  
إلى شيء ، إذ ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت  
للشمال يداً ( للزوم مثل ما ذكره فيه ) لأن الترشيح فيه إثبات بعض ما يخص  
لمشبه به للمشبه ، إلا أن التعبير عن المشبه في التخيلية بلفظ الموضوع له ،  
وفي الترشيح بغير لفظه وهذا لا يفيد فرقاً ( وعنى بالمسكى عنها ) هذا بحث  
آخر ، يقول إن السكاكي : أراد بالاستعارة المسكى عنها أن يكون المذكور من  
طرفي التشبيه هو المشبه ، على أن المراد بالمنية في قول الهذلي : وإذا المنية  
أنشبت أظفارها السبع بادعاء السبعية لها وإنكار أن يكون شيئاً غير السبع  
بقريئة لإضافة الأظفار التي هي من خواص السبع إلى المنية ، فقد ذكر المشبه  
وهو المنية وأريد به المشبه به وهو السبع ، قال المصنف : وهذا التفسير  
مردود بأن لفظ المشبه في الاستعارة بالكناية مستعمل فيما هو موضوع له على  
التحقيق للقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ولا شيء  
من الاستعارة مستعملاً في معناه الموضوع له تحقيقاً ، لأن السكاكي نفسه  
فسر الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر وجعلها  
نفساً من المجاز اللغوي المفسر بالكناية المستعملة في غير ما وضعت له ،  
قال أما إضافة نحو الأظفار فقريئة التشبيه ، قال في الإيضاح : وأما ما ذكره



إِضَافَةِ الْأُظْفَارِ إِلَيْهَا ، وَرُدَّ بِأَنَّ لَفْظَ الْمُسَبِّ فِيهَا مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وَضِعَ لَهُ  
تَحْقِيقًا ، وَالِاسْتِعَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، وَإِضَافَةُ نَحْوِ الْأُظْفَارِ قَرِينَةُ  
التَّشْبِيهِ ، وَاخْتَارَ رَدَّ التَّبَعِيَّةِ إِلَى الْمَكْنَى عَنْهَا ، بِجَعْلِ قَرِينَتِهَا مَكْنِيًّا  
عَنْهَا وَالتَّبَعِيَّةِ قَرِينَتَهَا ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ فِي الْمَنِيَّةِ وَأُظْفَارِهَا ؛ وَرُدَّ بِأَنَّهُ

السَّكَاكِي فِي تَفْسِيرِ كَلَامِهِ ، مِنْ أَنَا نَدْعِي هُنَا أَنَّ اسْمَ الْمَنِيَّةِ اسْمُ السَّبْعِ ، مُرَادِفٌ  
لِلْفَرْقِ السَّبْعِ بَارْتِكَابِ تَأْوِيلٍ وَهُوَ أَنَّ تَدْخُلَ الْمَنِيَّةُ فِي جَنْسِ السَّبْعِ لِلْبَالِغَةِ  
فِي التَّشْبِيهِ ثُمَّ تَذَهَبُ عَلَى سَبِيلِ التَّخِيلِ إِلَى أَنَّ الْوَاضِعَ كَيْفَ يَصِحُّ مِنْهُ أَنْ يَضَعَ  
اسْمَيْنِ لِحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَا يَكُونَانِ مُتَرَادِفَيْنِ ، فَيَتَبَيَّنُ لَنَا بِهَذَا الطَّرِيقِ دَعْوَى  
السَّبْعِيَّةِ لِلْمَنِيَّةِ مَعَ التَّصْرِيحِ بِلَفْظِ الْمَنِيَّةِ فَلَا يَفِيدُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي كَوْنَ اسْمِ  
الْمَنِيَّةِ غَيْرِ مُسْتَعْمَلٍ فِيهَا هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فَيَدْخُلُ فِي  
تَعْرِيفِهِ لِلْحَقِيقَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ تَعْرِيفِهِ لِلْبِجَازِ ( وَاخْتَارَ رَدَّ التَّبَعِيَّةِ إِلَى الْمَكْنَى عَنْهَا )  
وَالِإِلَيْكَ مَا قَالَهُ فِي آخِرِ فِصْلِ الاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ : هَذَا مَا أَمَكُنْ مِنْ تَلْخِيصِ كَلَامِ  
الْأَصْحَابِ فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ جَعَلُوا قِسْمَ الاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ مِنْ قِسْمِ  
الِاسْتِعَارَةِ بِالسَّكَاكِي أَنَّ قُلُوبَهُمْ لَجَعَلُوا فِي قَوْلِهِمْ نَطَقَتِ الْحَالُ بِكَذَا الْحَالِ الَّتِي  
ذَكَرَهَا عِنْدَهُمْ قَرِينَةُ الاسْتِعَارَةِ بِالتَّصْرِيحِ اسْتِعَارَةَ بِالسَّكَاكِي عَنْ الْمُنْكَمِ  
بِوَسَاطَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ عَلَى مَقْتَضَى الْمَقَامِ ، وَجَعَلُوا نِسْبَةَ النِّطَاقِ إِلَيْهِ قَرِينَةَ  
الِاسْتِعَارَةِ كَمَا تَرَاهُمْ فِي قَوْلِهِ :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أُظْفَارَهَا \*

يَجْعَلُونَ الْمَنِيَّةَ اسْتِعَارَةً بِالسَّكَاكِي عَنْ السَّبْعِ وَيَجْعَلُونَ لِإِبْطَاتِ الْأُظْفَارِ لَهَا  
قَرِينَةَ لِاسْتِعَارَةِ ، وَهَكَذَا لَوْ جَعَلُوا الْبُخْلَ اسْتِعَارَةً بِالسَّكَاكِي عَنْ حَيِّ أَبْطَاتِ  
حَيَاتِهِ بِسَيْفٍ أَوْ غَيْرِ سَيْفٍ ، فَالْتَّحَقَ بِالْعَدَمِ ، وَجَعَلُوا نِسْبَةَ الْقَتْلِ إِلَيْهِ قَرِينَةَ

إِنْ قَدَّرَ الشَّبَعِيَّةُ حَقِيقَةَ لَمْ تَكُنْ تَخْيِيلِيَّةً ، لِأَنَّهَا مَجَازٌ عِنْدَهُ ، فَلَمْ تَكُنْ  
الْمَكْنَى عَنْهَا مُسْتَلْزِمَةً لِلتَّخْيِيلِيَّةِ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِالِاتِّفَاقِ ، وَإِلَّا فَتَكُونُ  
اسْتِعَارَةً ، فَلَمْ يَكُنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُعْنِيًا تَمَّازُكَ غَيْرُهُ .

### ﴿فصل﴾

حُسْنُ كُلِّ مِنَ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالتَّشْبِيلِ بِرِغَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ

ولو جعلوا أيضاً للهدميات استعارة بالكناية عن المطعومات الطيبة الشبيهة على  
التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى إليها قرينة الاستعارة لكان أقرب إلى الضبط .  
وقال المصنف وهذا مردود ، لأن الشبعية التي جعلها قرينة لقرينتها التي جعلها  
استعارة بالكناية كنطقت ، في قولنا نطقت الحال بكذا . لا يجوز أن  
يقدرها حقيقة حينئذ لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخيلية ، لأن  
الاستعارة التخيلية عنده مجاز ولو لم تكن تخيلية لم تكن الاستعارة بالكناية  
مستلزمة للتخيلية واللازم باطل بالاتفاق فيتعين أن يقدرها مجازاً وإذا قدرها  
مجازاً لزمه أن يقدرها من قبل الاستعارة ، لكون العلاقة بين المعنيين هي  
المشابهة فلا يكون ما ذهب إليه معنياً عن قسمة الاستعارة إلى أصالية وتبعية  
هذا ، ما أحببنا ذكره في هذا الفصل بقرين به عما لا طائل تحته مما تشبه  
به القوم محكمين أنفسهم بين المصنف والسكاكي ، فإن تشوفت إلى ذلك فقول  
نظرك عن كتابنا واعمد به إلى أطول المصام ومطول التفتازاني واجمع إليهما  
حاشيتي عبد الحكيم والجرجاني (برعاية جهات حسن التشبيه) مثل أن يكون التشبيه  
وافياً بإفادة ما علق به من الغرض ، وأن يكون وجه الشبه غير مبتذل بأن يكون  
قريباً لطيفاً لكثرة التفصيل أو لندرة حضوره في الذهن ، إلى غير ذلك مما سبق

وَأَنْ لَا يَشْمَ زَاحَتُهُ لَفْظًا ، وَلِذَلِكَ يُرْوَى أَنَّ يَكُونُ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ  
جَلِيًّا ، لَيْلًا تُصِيرُ الْغَزَا ، كَمَا لَوْ قِيلَ رَأَيْتُ أَسَدًا وَأُرِيدَ إِنْسَانٌ أَوْ خَرُ ،  
وَرَأَيْتُ إِبِلًا مَائَةً لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَأُرِيدَ النَّاسُ ، وَهَذَا ظَهَرَ أَنَّ  
التَّشْبِيهَ أَعْمُ مَحَلًّا ؛ وَيَتَحَصَّلُ بِهِ أَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَتَّى  
اتَّحَدَا كَالْعِلْمِ وَالنُّورِ وَالشَّبَهَةِ وَالظَّامَةِ لَمْ يَحْسُنِ التَّشْبِيهُ وَتَعَيَّنَتْ  
الِاسْتِعَارَةُ ؛ وَالْمَكْنَى عَنْهَا كَالْحَقِيقَةِ ، وَالتَّخْيِيلُ حُسْنُهَا بِحَسَبِ حُسْنِ  
الْمَكْنَى عَنْهَا .

ذَكَرَهُ ( وَأَنْ لَا يَشْمَ زَاحَتُهُ لَفْظًا ) لِأَنَّ ذَلِكَ يَبْطُلُ الْغَرَضُ مِنَ  
الِاسْتِمَارَةِ ، أَعْنَى ادْعَاءَ دُخُولِ الْمَشَبِّهِ فِي جِلْسِ الْمَشَبِّهِ بِهِ ( وَرَأَيْتُ إِبِلًا مَائَةً  
لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ) هَذَا مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : النَّاسُ  
كَإِبِلٍ مَائَةٍ لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ، يَعْنِي أَنَّ الْمُخْتَارَ مِنَ النَّاسِ فِي عِزَّةٍ وَجُودَةٍ كَالنَّجِيبَةِ  
الَّتِي لَا تَوْجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِبِلِ ( أَعْمُ مَحَلًّا ) أَيْ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَأْتَى فِيهِ  
الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقَةُ أَوْ التَّمثِيلُ ، يَتَأْتَى فِيهِ التَّشْبِيهُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَتَأْتَى فِيهِ  
التَّشْبِيهُ يَتَأْتَى فِيهِ الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقَةُ أَوْ التَّمثِيلُ ، لِجَوَازِ أَنَّ يَكُونَ وَجْهُ  
الشَّبهِ فِيهِ خَفِيًّا فَيُصِيرُ تَعْمِيَةً رَأً الْغَزَا كَالْمَثَالَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ( لَمْ يَحْسُنِ التَّشْبِيهُ )  
فَإِذَا فُهِمَ الرَّجُلُ الْمُسْتَعَارُ يَقُولُ حَصَلَ فِي قَلْبِي نُورٌ ، وَلَا يَقُولُ كَأَنَّ نُورًا  
حَصَلَ فِي قَلْبِي ، وَإِذَا وَقَعَ فِي شَبَهَةٍ يَقُولُ رَفَعَتْ فِي ظِلْمَةٍ ، وَلَا يَقُولُ كَأَنِّي فِي  
ظِلْمَةٍ ( كَالْحَقِيقَةِ ) فِي أَنَّ حُسْنَهَا بِرِعَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ ( بِحَسَبِ حُسْنِ  
الْمَكْنَى عَنْهَا ) لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا تَابِعَةً لَهَا عِنْدَ الْمُصَنِّفِ . وَأَمَّا صَاحِبُ الْمَفْتَاحِ  
فَقَدْ لَمْ يَقُلْ بِوُجُوبِ كَوْنِهَا تَابِعَةً لِلْمَكْنَى عَنْهَا ، قَالَ إِنْ حُسْنَهَا بِحَسَبِ حُسْنِ

﴿ فُضِّلَ ﴾

وَقَدْ يُطْلَقُ الْجَزْأُ عَلَى كَلِمَةٍ تَغَيَّرَ حُكْمُ إِعْرَابِهَا بِحَذْفِ لَفْظٍ  
أَوْ زِيَادَةِ لَفْظٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَجَاءَ رَبُّكَ ، وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ، وقوله تعالى :

المكثي عنها حتى كانت تابعة لها ، وقبلنا تحسن الحسن الباقين غير تابعة لها ، ولذلك  
استهجننا في قول اللطاني :

لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبَّ قَدْ اسْتَعَذَّبْتُ مَاءَ بُكَائِي

(فصل) اعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها كما مضى  
كذلك توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها الحذف  
لفظ أو زيادة لفظ ، أما الحذف فكقوله تعالى : واسأل القرية ، الأصل واسأل  
أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل ، وعلى الحقيقة هو الجر بالحذف  
المضاف واكتفى المضاف إليه إعرابه ، واعلم أن الحكم بالحذف ههنا إنما  
هو لأمر يرجع إلى غرض المتكلم ، حتى لو رأيت سل القرية في غير التنزيل  
لم تقطع بأن ههنا محذوفاً ، لجواز أن يكون كلام رجل مر بقرية قد خربت  
وباد أهلها ، فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً ومذكراً أو لنفسه متعظاً ومعتبراً  
سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا ، على حد قولهم : سل الأرض من شق  
أنهارك . وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك . فإنها إن لم تجبك حواراً ، أجابتك  
اعتباراً . وأما الزيادة فكقوله تعالى : ليس كمثل شيء . على القول بزيادة الكاف  
أي ليس مثله شيء ، فإعراب مثله في الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار  
جراً : وعندى أن اليكاف ليست بزايدة وأن الآية من باب الكناية . قال في  
الكشاف ، قالوا مثلك لا يبخل . فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن  
ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فساكوا به طريق الكناية . لأنهم إذا نفوه عن

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، أَيْ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَأَهْلَ الْقَرْيَةِ ، وَلَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ .

### ﴿ الْكِنَايَةُ ﴾

الْكِنَايَةُ لَفْظٌ أُريدَ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَتِهِ مَعَهُ ، فَظَهَرَ أَنَّهَا تُشَالِفُ الْجَبَّازَ مِنْ جِهَةِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى مَعَ إِرَادَةِ لَازِمِهِ ، وَفُرِّقَ بَأَنَّ الْإِنْتِقَالَ

يسد مسددة وعن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم ، كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ، ومنه قولهم قد أيفعت لدائته وبلغت أترابه ، يريدون إيفاعه وبلوغه ، فحينئذ لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء ، وبين قوله ليس كمثل شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ، وكأنهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد ، وهو نفى المماثلة عن ذاته ، ونحوه قوله عز وجل : بل يدها مبسوطتان . فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها ، لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى أنهم استعملوها فيمن لا يده له ، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له . هذا ، وأما إن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب كما في قوله تعالى : أو كصيب من السماء ، إذ أصله أو كمثل ذوى صيب لحذف ذوى لدلالة يجعلون أصابعهم في آذانهم عليه وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله : كمثل الذى استوقد ناراً ، إذ لا يخفى أن التشبيه ليس من صفة المنافقين العجيبة الشأن ، وذوات ذوى صيب ، وكقوله : فيها رحمة من الله لنت لهم ، فلا توصف الكلمة بالمجاز كما حقق ذلك الشيخ الإمام رحمه الله .

(الكناية) من في عرف اللغة أن تتكلم بشيء وتريد به غيره وقد كُنيت بكذا عن كذا أو كنوت وأنشد أبو زياد :

فِيهَا مِنَ الْإِلْزَامِ ، وَفِيهِ مِنَ الْمَلْزُومِ ، وَرَدَّ بِأَنَّ الْإِلْزَامَ مَا لَمْ يَكُنْ مَلْزُومًا  
لَمْ يُنْتَقَلْ مِنْهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْإِنْتِقَالُ مِنَ الْمَلْزُومِ . وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

وَإِنِّي لَا كُنُوعَ قُدُورٍ بَغْيَرِهَا . وَأَعْرَبُ أَحْيَانًا بِهَا فَاصْطَرَحُ  
وَفِي مِصْطَلَحِ النِّظَارِ مِنْ عِلْمَاءِ الْبَيَانِ ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ : أَنْ يَرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ  
لِإثْبَاتِ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي فَلَا يَذْكُرُهَا بِاللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي اللُّغَةِ ، وَلَكِنْ يَجْعَلُهَا  
إِلَى مَعْنَى هُوَ تَالِيَةٌ وَرَدُّهَا فِي الْوُجُودِ فَيُوصِي بِهِ إِلَيْهِ وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ . وَقَالَ  
غَيْرُ الشَّيْخِ : السَّكْنَاءُ لَفْظٌ أُريدُ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَةِ مَعْنَاهُ حِينَئِذٍ ،  
كَقَوْلِكَ فَلَانِ طَوِيلِ النِّجَادِ : أَيُّ طَوِيلِ الْقَامَةِ ، وَفَلَانَةُ نَوْمِ الضُّحَى ، أَيُّ مَرْفُوعَةٍ  
مُخْدُومَةٍ غَيْرِ مُحْتَاجَةٍ إِلَى السَّعْيِ بِنَفْسِهَا فِي إِصْلَاحِ الْمَهْمَاتِ ، وَذَلِكَ أَنَّ وَقْتَ الضُّحَى  
وَقْتُ يَسْمَى فِيهِ نِسَاءُ الْعَرَبِ وَرَأَى الْمَعَاشَ وَكَفَايَةَ أَسْبَابِهِ وَتَحْصِيلَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ  
فِي تَهْيِئَةِ الْمُنَاوَلَاتِ وَتَدْوِيرِ إِصْلَاحِهَا ، فَلَا تَنَامُ فِيهِ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ  
لَهَا خِدْمَةٌ يَنْوِبُونَ عَنْهَا فِي السَّعْيِ لِذَلِكَ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرَادَ مَعَ ذَلِكَ طَوِيلُ النِّجَادِ  
وَالنَّوْمُ فِي الضُّحَى مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ ، فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْحِجَازِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَيُّ  
مِنْ جِهَةِ جَوَازِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى مَعَ إِرَادَةِ لَازِمِهَا ، فَإِنَّ الْحِجَازَ يَنَاقِ ذَلِكَ فَلَا يَصِحُّ  
فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : فِي الْحِجَامِ أَسَدٌ ، إِنْ تَرِيدُ بِمَعْنَى الْأَسَدِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ ، لِأَنَّ الْحِجَازَ  
مَلْزُومٌ قَرِيبَةٌ مَعَانِدَةٌ لِإِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ كَمَا تَقْدُمُ وَمَلْزُومٌ مَعَانِدُ الشَّيْءِ مَعَانِدٌ لِذَلِكَ  
الشَّيْءِ ، وَفَرْقُ السَّكَاكِ وَغَيْرِهِ بَيْنَهُمَا بِوَجْهِ آخَرَ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ مَبْنَى السَّكْنَاءِ  
عَلَى الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْإِلْزَامِ إِلَى الْمَلْزُومِ ، كَالْإِنْتِقَالِ مِنْ طَوِيلِ النِّجَادِ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ  
لِطَوِيلِ الْقَامَةِ إِلَيْهِ ، وَمَبْنَى الْحِجَازِ عَلَى الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْمَلْزُومِ إِلَى الْإِلْزَامِ كَالْإِنْتِقَالِ  
مِنَ الْأَسَدِ الَّذِي هُوَ مَلْزُومٌ الشَّجَاعِ إِلَى الشَّجَاعِ . قَالَ الْمُصَنِّفُ : وَهَذَا مُرَدُّهُ  
بِأَنَّ الْإِلْزَامَ مَا لَمْ يَكُنْ مَلْزُومًا يَمْتَنِعُ أَنْ يَنْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى الْمَلْزُومِ . لِأَنَّ الْإِلْزَامَ مِنْ

الأولى المطلوب بها غيرُ صفةٍ ولا نسبةٍ ، فمنها ما هي معنًى واحدٌ كقوله :

\* وَالطَّاعِنِينَ جَمَاعَ الْأَضْغَانِ \*

ومنها ما هي مجموعُ معانٍ كقولنا — كنايةً عن الإنسان — حَتَّى  
مُسْتَوَى الْقَامَةِ عَرِيضُ الْأُظْفَارِ ، وشرطهما الاختصاصُ بالمسكني عنه ؛  
والثانية المطلوب بها صفةٌ ، فإن لم يكن الانتقالُ بواسطةٍ فقريبةٌ :

حيث أنه لازم ، يجوز أن يكون أعم من الملزوم ، ولا دلالة للعام على الخاص  
فيكون الانتقال حينئذٍ من الملزوم إلى اللازم كما في المجاز ، فلا يتحقق الفرق  
( فمنها ) أى من الأولى ( كقوله والطاعنين جماع الأضغان ) فجماع  
الأضغان معنى واحد كناية عن القلب وصدر البيت :

\* الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَتَيْضٍ مَخْدَمٍ \*

والمخدّم : القاطع ، ونظير البيت قول البحتري في قصيدته التي يذكر فيها  
قتله للذئب :

فَأَتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصَائِبَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرَّعْبُ وَالْحَقْدُ

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقْد ، ثلاث كنايات لا كناية واحدة ،  
لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود ( وشرطهما الاختصاص بالمسكني  
عنه ) ليحصل الانتقال منهما إليه ( والثانية المطلوب بها صفة ) يقول : الثانية  
من أقسام الكناية المطلوب بها صفة من الصفات ، كالجود والكرم والشجاعة  
وهو ضربان قربة وبعيدة ، فالقربة ما يقتل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة

وَاضِحَةٌ ، كَقَوْلِهِمْ - كِنَايَةٌ عَنْ طُولِ الْقَامَةِ - طَوِيلٌ نَجَادُهُ وَطَوِيلٌ  
النَّجَادِ ، وَالْأَوَّلَى سَادِجَةٌ ، وَفِي الثَّانِيَةِ تَصْرِيحٌ مَا لِيَتَّصِفَنَّ الصِّفَةَ الضَّمِيرَ  
أَوْ خَفِيَّةٌ ، كَقَوْلِهِمْ - كِنَايَةٌ عَنِ الْأَبْلَةِ - عَرِيضُ الْقَفَا ، وَإِنْ كَانَ

وهي إما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاهه ، وهذه كناية  
ساذجة لا يشوبها شيء من التصريح ، وطويل النجاد وهذه كناية مشتملة على  
تصريح ما لتضمن الصفة فيه وهي طويل ضمير الموصوف ، ولما خفية يتوقف  
الانتقال منها على تأمل وإعمال دوبة ، كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا ،  
فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرطا فيما يقال دليل الغباوة ، ألا ترى إلى  
قول طرفه بن العبد :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَفَرُّونَهُ خَشَّاشُ كُرَاسِ الْحَيَةِ الْمُتَوَقِّدِ (١)  
والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كثير الرماد ،  
كناية عن المضياف ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الخطب تحت  
القدور ومنها إلى كثرة الطبايع ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة  
الضيغان ومنها إلى المقصود وكقوله :

وَمَا يَكُ فِي مِثْرٍ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجهه من يدنو من دار من  
هو بمرصده ، لأن يعس دونها مع كون الهرير في وجهه من لا يعرفه طبيعياً له  
إلى استمرار تأديبه ، لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن

( ١ ) الضرب : الرجل الخفيف اللحم ، ورجل خشاش : هو الماضي من  
الرجال ، وشبهه تيقظه وذكاه ذهنه بتوقد رأس الحية .



الِإِنْتِقَالُ بِوَاسِطَةٍ فَبَعِيدَةٌ ، كَقَوْلِهِمْ : كَثِيرُ الرَّمَادِ ، كِنَايَةٌ عَنِ الْمُضَيَّافِ  
فَإِنَّهُ يُنْتَقَلُ مِنْ كَثَرَةِ الرَّمَادِ إِلَى كَثَرَةِ إِحْرَاقِ الْحَطَبِ تَحْتَ  
الْمَقْدُورِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الطَّبَائِخِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الْأَكَلَةِ ،

ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ،  
ومن ذلك إلى كونه مقصد أدان وأقاص ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى  
الاضيايف ، وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة  
الداعى إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لاسيما المثلثات <sup>(١)</sup> ، ومنها إلى  
حصرها إلى الطبايح ، ومنها إلى أنه مضيايف ومن هذا النوع قول نصيب :

أَعْبَدُ الْعَزِيزَ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ ظَاهِرَةٍ  
فَبَابِكَ أَسْهَلُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَأْهُولَةٍ عَامِرَةٍ  
وَكُنْتُكَ آتِسُ بِالزَّائِرِينَ مِنَ الْأُمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائرین معارف عنده ، ومن  
ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً . ومنه إلى لزومهم سدته ، ومنه  
إلى تسنى مباحهم لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص  
والعام وهو المقصود ، ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ  
ومنه قول إبراهيم بن هرمة :

لَا أُمْتِغُ الْعُوْذَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

( ١ ) أى التى لها أولاد تتلوها ، من أثلت الناقة : إذا تبعها ولد .

وَمِنْهَا إِلَى كَثْرَةِ الضَّيْفَانِ ، وَمِنْهَا إِلَى الْمَقْصُودِ . الثَّالِثَةُ : الْمَطْلُوبُ بِهَا  
نِسْبَةً ، كَقَوْلِهِ :

إِنَّ السَّاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى \* فِي قُبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ  
فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ اخْتِصَاصَ ابْنِ الْحَشْرِجِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، فَتَرَكَ  
التَّصْرِيحَ بِأَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مُخْتَصٌّ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ إِلَى الْكِنَايَةِ بِأَنْ جَعَلَهَا

فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ عَدَمِ إِسْتَاعِهَا إِلَى أَنَّهُ لَا يَبْقَى لَهَا فَصَالُهَا لِتَأْنِسَ بِهَا ، وَيَحْصُلُ لَهَا  
الْفَرَحُ الطَّبِيعِيُّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ إِلَى نَحْرُهَا أَوْ لَا يَبْقَى الْعَوْدُ لِإِبْقَاءِ عَلَى  
فَصَالُهَا ، وَكَذَا قَرَبَ لِأَجْلِ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى نَحْرُهَا وَمِنْ نَحْرُهَا إِلَى أَنَّهُ مُضَيَّافٌ .  
وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، أَيْ وَلَمَّا اشْتَدَّ نَدَمُهُمْ  
وَحَسْرَتُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنِ مَنْ اشْتَدَّ نَدَمُهُ وَحَسْرَتُهُ أَنْ يَعْضُ  
يَدَهُ غَمًّا فَتَصِيرَ يَدُهُ مَسْقُوطَةً فِيهَا ، لِأَنَّهُ فَاهٌ قَدْ وَقَعَ فِيهَا ( نِسْبَةً ) أَيْ لِإِثْبَاتِ  
أَمْرِ لِأَمْرٍ أَوْ تَفْيِيقِهِ عَنْهُ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ صَاحِبِ الْمِفْتَاحِ : إِنْ الْمَطْلُوبُ تَخْصِصُ  
الصِّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ ، وَلَمْ يَرُدْ بِالتَّخْصِصِ الْحَصْرُ لِأَذْ لَا وَجْهَ لَهُ هُنَا ( كَقَوْلِهِ )  
أَيْ قَوْلِ زِيَادِ الْأَعْجَمِ ، فَإِنَّهُ أَرَادَ كَمَا لَا يَخْفَى أَنْ يَثْبُتَ هَذِهِ الْمَعَانِي وَالْأَوْصَافُ  
خِلَالًا لِلْمَدُوحِ وَضَرَائِبِ فِيهِ ، فَتَرَكَ أَنْ يَصْرَحَ فَيَقُولَ إِنَّهَا لِمَجْمُوعَةٍ فِيهِ أَوْ  
مَقْصُورَةٍ عَلَيْهِ وَمَا شَأْنُ ذَلِكَ عَمَّا هُوَ صَرِيحٌ فِي إِثْبَاتِ الْأَوْصَافِ لِلْمَذْكُورِينَ بِهَا  
وَعَدَلَ إِلَى مَا تَرَى مِنَ الْكِنَايَةِ وَالتَّلْوِيحِ لِجَعْلِ كَوْنِهَا فِي الْقُبَّةِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَيْهِ  
عِبَارَةً عَنْ كَوْنِهَا فِيهِ ، فَخَرَجَ كَلَامُهُ بِذَلِكَ إِلَى مَا خَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْجُزْأَةِ وَظَهَرَ  
فِيهِ مَا أَنْتَ تَرَى مِنَ الْفَخَامَةِ ، وَلَوْ أَنَّهُ أَسْقَطَ هَذِهِ الْوَاسِطَةَ مِنَ الْبَيْنِ لَمَا كَانَ  
إِلَّا كَلَامًا غَفْلًا وَحَدِيثًا سَادِجًا . وَمَا هُوَ لَطِيفٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي مَوَاسٍ

فِي قُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ عِنْدِهِ ، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُمْ : الْمَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ وَالْكَرَمُ بَيْنَ  
بُرْدَيْهِ ، وَالْمَوْصُوفُ فِي هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَذْكُورٍ كَمَا يُقَالُ  
فِي عَرَضٍ مَنْ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ : الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ . .  
السَّكَاتِيُّ : الْكِنَايَةُ تَتَفَاوَتْ إِلَى تَعْرِيفٍ وَتَلْوِيحٍ وَرَمْزٍ وَإِشَارَةٍ

فَمَا جَارَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ  
وقول الآخر :  
يَصِيرُ أَبَاتُ قَرِينِ السَّمَاءِ وَالْمَكْرُمَاتِ مَعًا حَيْثُ صَارَا  
وقول الثالث :

\* وَحَيْثُمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنْ \*

كل ذلك توصل إلى إثبات الصفة في الممدوح بإثباتها في المكان الذي يكون  
فيه . وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله . وهكذا إذا اعتبرت قول  
الشنفرى الأزدي يصف امرأة بالعفة :

يَكُونُ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا يَبُوتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتْ

وجدته يدخل في معنى بيت زياد . وذلك أنه توصل إلى نفي اللوم عنها  
وإبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه . وكان مذهبه في ذلك مذهب  
زياد في التوصل إلى جعل السماحة والمروءة والندى في ابن الحشرج ، بأن  
جعلها في القبة المضروبة عليه . وإنما الفرق أن هذا ينفي ذلك يثبت ، وذلك  
فرق لا في موضع الجمع ، فهو لا يمنع أن يكونا من نصاب واحد ( في عرض )  
العرض بضم العين : الناحية والجانب ، يريد كما يقال في التعريض بمن يؤذي  
المسلمين إلى الخ ( كما يقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ) فإنه كناية عن

وإيماء ، والمناسب للعرضية التعريض ، ولغيرها - إن كثرت  
الوسائط - التلويح ، وإن قلت مع خفاء الرمز ، وبلا خفاء الإيماء  
والإشارة ، ثم قال : والتعريض :

نفى الإسلام عن المؤذى ( تتفاوت ) يريد تتنوع ( والمناسب للعرضية  
التعريض ) إليك عبارة السكاكي . متى كانت الكناية عرضية<sup>(١)</sup> كان إطلاق  
التعريض عليها مناسباً<sup>(٢)</sup> وإذا لم تكن كذلك ، فإن كان بينها وبين المسكني  
عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثير الرماد وأشباهه كان إطلاق  
اسم التلويح عليها مناسباً ، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد وإن  
كانت المسافة قريبة من نوع من الخفاء كعريض الفقا وعريض الوسادة كان  
إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على  
سبيل الخفية قال :

رَمَزْتُ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعَائِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدِيَ هُنَاكَ كَلَامَهَا  
ولم يكن هناك خفاء ، فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة ، كقول أبي  
تمام يصف لبلا :

أَبَيْنَ فَمَا يَزُرُّنَ سِوَى كَرِيمٍ وَجَسَيْتَ أَنْ يَزُرُنَ أَبَا سَعِيدٍ  
فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف ، وكقول البحتري :

( ١ ) أي مسوقة لموصوف غير مذكور .

( ٢ ) لأن التعريض إمالة الكلام إلى عرض أى جانب يدل على المقصود ،  
يقال عرضت بفلان ولفلان : إذا قلت قولاً وأنت تعنيه ، فكأنك أشرت به  
إلى جانب وأنت تريد جانبا آخر .

فَسَتَعْرِفُ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْسَانًا مَعَ الْمُخَاطَبِ دُونَهُ ؛ وَإِنْ أَرَدْتَهُمَا جَمِيعًا  
كَانَ كِدَايَةً وَلَا بَدْءَ فِيهِمَا مِنْ قَرِينَةٍ .

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أُلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ  
فَإِنَّهُ فِي إِفَادَةِ أَنْ آلَ طَلْحَةَ أَمَاجِدُ ظَاهِرٌ ، وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلَّا الْكَرَامَ فَسَقَى وَجْهَهُ بَنِي حَنْبَلٍ  
وَسَقَى دِيَارَهُمْ نَاكِرًا مِنَ الْغَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُخِلِ  
وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :

مَتَى تَخْلُو بَعِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ وَمَسْلَمَةٌ بَنُ عَمْرِو مِنْ تَمِيمٍ  
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْجُودَ مَالِي أَرَاكَ تَبَدَّلْتُمَا ذَلَا بَعِزْ مُؤِيدَ  
وَمَا بَالُ رُكْنِ الْمَجْدِ أَمْسَى مَهْدِمًا فَضَالَا أَصْبَنَا بَابُ يَحْيَى مُحَمَّدَ  
فَقُلْتُ فَهَلَا مَتَا غُنْدُ مَوْتِهِ فَقَدْ كُنْتُمَا عَبْدَيْهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ  
فَقَالَا أَقْنَاكِ نَعَزَى بِفَقْدِهِ مَسَافَةُ يَوْمٍ ثُمَّ نَتَلَوُ فِي غَدِ

فَعَلَى مَا تَرَى مِنَ الظُّهُورِ ( دُونَهُ ) أَى دُونَ الْمُخَاطَبِ ، أَى لَا تُرِيدُ تَهْدِيدَهُ  
أَى وَحَيْثُ تُرِيدُ بِهَذَا الْكَلَامِ تَهْدِيدَ غَيْرِ الْمُخَاطَبِ دُونَ الْمُخَاطَبِ صَارَتْ  
تَاءُ الْخُطَابِ غَيْرُ مَرَادٍ بِهَا أَصْلُهَا ، وَإِذَنْ يَكُونُ هَذَا الْكَلَامُ بِجَازٍ وَتَسْكُلُهُ  
قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ : السَّكْنَاءُ أَنْ تَذْكُرَ الشَّيْءَ بِغَيْرِ لَفْظِهِ الْمَوْضُوعِ لَهُ ،  
وَالْتَعْرِيزُ أَنْ تَذْكُرَ شَيْئًا يَدُلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ لَمْ تَذْكُرْهُ ، كَمَا يَقُولُ الْمُحْتَاجُ الْحَاجُّ  
إِلَيْهِ ، جِئْتُكَ لِأَسْلَمَ عَلَيْكَ وَلِأَنْظُرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، وَلِذَلِكَ وَثَرَا : حَسْبُكَ  
بِالتَّسْلِيمِ مَنِ تَقَاعَضِيًا . فَكَانَ إِمَالَةُ الْكَلَامِ إِلَى عَرْضِ يَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ

﴿فصل﴾

أُطْبِقَ الْبَلَاغَةَ عَلَى أَنَّ الْمَجَازَ وَالْكِنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّعْرِيجِ .  
لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ فِيهِمَا مِنَ الْمَلْزُومِ إِلَى الْإِلَازِمِ . فَيَبْهُوَ كَدَعْوَى الشَّيْءِ بَبَيِّنَةٍ .  
وَأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ أَبْلَغُ مِنَ التَّشْبِيهِ ، لِأَنَّهَا تَوْغُّ مِنَ الْمَجَازِ .

ويسمى التلويح ، لأنه يلوح منه ما يريده ، وقال ابن الأثير : الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ، وتكون في المفرد والمركب ، والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي ، بل من جهة التلويح والإشارة ، فيختص باللفظ المركب كقول من يتوقع صلة والله لاني محتاج ، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يودع له حقيقة ولا مجازاً ، وإنما فهم المعنى من عرض اللفظ أي جانبه ، وعرض كل شيء جانبه .

﴿فصل﴾ أجمع أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للدعوى : على أن

المجاز أبداً أبْلَغُ من الحقيقة ، والكناية أبْلَغُ من الإفصاح ، والتعريض أَوْقَعُ من التصريح ، وأن للاستعارة مزية وفضلاً على التصريح بالتشبيه . قال الشيخ الإمام : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيد خلافه ، فليست فضيلة قولنا : رأيت أسداً على قولنا رأيت رجلاً هو والأسد سواهما في الشجاعة ، أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني . وليست فضيلة قولنا كثير الرماد على قولنا كثير القرى ، أن الأول أفاد زيادة لقراءة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني ، فالسبب في أن للكناية مزية لا تكون للتصريح ، أن كل عاقل

﴿الْفَنُّ الثَّالِثُ عِلْمُ الْبَدِيعِ﴾

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرِفُ بِهِ وَجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَعْدَ رِعَايَةِ الْمُطَابَقَةِ  
وَوُضُوحِ الدَّلَالَةِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : مَعْنَوِيٌّ وَنَفْطِيٌّ ، أَمَّا الْمَعْنَوِيُّ فَمِنْهُ

يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليلها آكد وأبلغ في الدعوى من أن نجىء إليها  
فتمثيها هكذا ساذجاً غفلاً ، وذلك أنك لا تدعى دليل الصفة إلا والأمر ظاهر  
معروف ، وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والغلط ؛ وأما  
الاستعارة : فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قلت رأيت أسداً ،  
كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة ، حتى جعلتها كالشيء  
الذي يجب له الثبوت والحصول وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ،  
وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل  
أو الممتنع أن يعرف عنها ، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلاً كالأسد  
كنت قد أثبتتها لإثبات الشيء بترجح بين أن يكون وبين ألا يكون ، ولم يكن  
من حديث الوجوب في شيء ( وجوه تحسين الكلام ) لعلم أنه قد أطبق  
البلغاء على أن هذه المحسنات البديعية لا سيما اللفظية منها لا تحل محلها من  
القول ، ولا تقع موقفاً من الحسن ، حتى يكون المعنى هو الذي استدعاها .  
وساومها نحوه ، وحتى تجدها لا تنبغي بها بدلاً ولا تجد عنها حولا ، ومن هنا  
ذم الاستكثار منها والولوع بها لأن المعاني لا تدين في كل موضع لها إذ هي في  
الباطن ألقاظ ، والألقاظ خدام المعاني ، مصرفة في حكمها ، فمن نصر اللفظ  
على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة  
الاستكبراء . وفيه فتحة أبواب العيب والتعرض للشين ، ولهذا الحالة كان  
كلام المتقدمين الذين تركوا فصل الاحتفاء بالبديعيات ولزموا بحجة الطبع

المطابقة ، وتسمى الطابق والتضاد أيضاً ، وهي الجمع بين متضادين  
أى معنيين متقابلين في الجملة ، ويكونان بلفظين من نوع اسمين

أمكن في القول وأوضح للراد ، وأسلم من التفاوت وأبعد من التعمد الذي  
هو ضرب من الخداع بالتزويق . وقد تجد في كلام المتأخرين كلاماً حمل صاحبه  
فرط شغفه بالبديعيات إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليس ، ويخيل  
أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناء في عبياء ،  
وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يشكفه  
على المعنى وأفسده كمن أثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه  
في نفسها ، ولعمري إن تجد أين طائراً ، وأحسن أولاً وآخرها ، وأهدى إلى  
الإحسان وأجلب ، مستحسن ، من أن ترسل المعاني على سميتها ، وتدعها تطالب  
لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكس إلا ما يليق بها ، ولم  
تلبس من المعارض إلا ما يزينها ، فأما أن تضع في نفسك أنه لا بد من أن  
تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين مثلاً فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه  
وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم ، وهو الذي يجعل عبارتك حرة  
بقول أبي الطيب :

إِذَا أَمْ تَشَاهِدُ غَيْرَ حَسَنِ شَيْئِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحَسَنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ

( أى معنيين متقابلين في الجملة ) يعنى ليس المراد بالمتضادين ههنا الأمرين  
الموجودين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف ، كالسواد  
والبياض ، بل أعم من ذلك وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف في الجملة .  
ون بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل  
التضاد أو تقابل الإيجاب والسلب ، أو تقابل العدم والمكة . أو تقابل النضائف



نَحْوُ : وَتَحْسِبُهُمْ أَيْتَافًا وَهُمْ رُقُودٌ ، أَوْ فَعْلَيْنِ نَحْوُ : يُحْيِي وَيُمِيتُ ،  
أَوْ حَرْفَيْنِ ، نَحْوُ : لَمَّا مَا اكْتَسَبَتْ وَعَايَهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، أَوْ مِنْ نَوْعَيْنِ  
نَحْوُ : لَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : طِبَاقُ الْإِيجَابِ ، كَمَا مَرَّ ،

وما يشبه شيئاً من ذلك ( نحو يحيي ويميت ) مثله قوله تعالى : تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ  
تَشَاءُ وَتَنْزِعِ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزَّزْ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلَّ مِنْ تَشَاءُ . وقوله صلى الله  
عليه وسلم للانصار : لَأَنْتُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرَعِ ، وتقولون عند الطمع ،  
وقول بشارة :

إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبَّهَ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَحَمَ

( نحو لها ما اكتسبت ) فإن في اللام معنى الانتفاع ، وفي على معنى  
التضرر ، أى لها ما اكتسبت من خير ، وعليها ما اكتسبت من شر ، لا ينتفع  
بطاعتها ، ولا يتضرر بمعصيتها غيرها ، وتخصيص الخير بالكسب والشر  
بالاكتساب ، لأن الاكتساب فيه اعتمال والشر أشبهه النفس وتنجذب إليه ،  
فكانت أجدر في تحصيله وأعمل ، وبما كان الطباق فيه بين حرفين قول الشاعر :

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَجِدَ الْهُوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ لَا عَلَى وَلَا لِيَا

( نحو أو من كان ميتاً فأحييناه ) فإن أحدهما اسم والآخر فعل ، ومثله  
قول طفيل الغنوى يصف فرساً :

بِإِسْهِمِ الْوَجْهَ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَاحِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُولُ

هذا ، ومن لطيف الطباق قول أبي تمام :

أَسَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ اسْمًا وَأَصْبَحَ مَعْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمًا

وقالوا هذا أحسن ابتداء في مرثية إسلامية . وقوله أيضاً :

وَطَبَاقُ السَّلْبِ نَحْوُ : وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ، وَنَحْوُ :  
فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنِ ، وَمِنْ الطَّبَاقِ نَحْوُ قَوْلِهِ :

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ مُخْرَأً فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُتُوسٍ خُضِرُ

وَصَلَّ بِكَ الْمُرْتَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَضَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ  
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَنْزِعُ  
ومنه قول كثير بن هراسة لابنه : يا بني إن من الناس ناساً ينقصونك إذا  
زدتهم ، ويهزون عليهم إذا أكرمهم ، ليس لرضاهم موضع فنقصده ، ولا لسخطهم  
موقع فنحذره ، فإذا عرفت أولئك بأعيانهم ، فأبد لهم وجه المودة ، وامنعهم  
موضع الخاصة . ليسكون ما أبديت لهم من وجه المودة حاجزاً دون شرم ،  
وما منعهم من موضع الخاصة قاطعاً بحرمتهم ( وطباق السلب ) وهو أن  
يجمع في الكلام بين الثبوت والانتفاء . ومنه قول امرئ القيس :

هَضِمَ الْجَشِي لَا يَمْلَأُ السَّكْفَ خُمْرُهَا وَيَمْلَأُ مِنْهَا كُلَّ حِجْلٍ وَدُمْلَجٍ  
وقول السموأل :

وَتُنْكَرُ أَنْ تُثْنَى عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ  
وقول ابن تمام :

إِلَى سَالِمٍ الْأَخْلَاقِ مِنْ كُلِّ عَائِبٍ وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ عَلَى الْجُودِ سَالِمٌ  
( ومن اللطائف نحو قوله ) أي قول أبي تمام من قصيدته التي يرى بها أبا  
نهمش حين استشهد وأولها :

كَذَا فَيَجِيءُ الْخَطْبُ وَلَيَنْدَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفْعَرْ مَاوَهَا غَدْرُ

وَيَلْحَقُ بِهِ نَحْوُ : أَشَدَّاهُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ  
مُسَبَّحَةٌ عَنِ اللَّيْنِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

وهي من أعيان المرائي . وهذا النوع من الطباق سماه بعضهم تدبيجاً ،  
وفسره بأن يذكر في معنى المدح أو غيره ألوان بقصد الكتابة أو التورية ،  
أما تدبيج الكتابة فكبيت أبي تمام فإنه ذكر فيه لون الحرة والحضرة ، وكنى  
بالأول عن القتل وبالثاني عن دخول الجنة ، وأما تدبيج التورية فكقول  
الحريري . فذا ازور المحبوب الأصفر ، وأغبر العيش الأخضر ، أسود يومى  
الابيض ، وابيض فودى الأسود ، حتى يرى لى العدو الأزرق فيما جازا الموت  
الأحمر ، فقوله المحبوب الأصفر : تورية عن الذهب ، لأن معناه القريب لإنسان  
له صفرة (هذا) ومن طباق التدريج قول عمرو بن كلثوم في معاقته :

بَأَنَّا نُورِدُ الرِّايَاتِ بَيْضًا      وَنُصْدِرُهُنَّ سُحْرًا قَدْ رَوَيْنَا  
وقول ابن حيوس :

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ      فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نَزَالٍ  
تَلَقَّ بَيْضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ      مِثَارِ الشَّمْعِ خُضْرَ الْأَكْنَافِ حُمْرَ النَّصَالِ  
(خضر) : هو مرفوع على أنه خبر بعد خبر لا بالجر صفة لسندس ، لأن  
القوافي مضمومة الروى ( ويلحق به ) أى بالطباق شيان : فأولهما الجمع بين  
معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع لتماق مثل السديية والازوم كما في  
الآية ، فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة ، فهي مسببة عن اللين الذى هو ضد  
الشدة ، وثانيهما الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ \* ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى  
وَيُسَمَّى الثَّانِي إِيهَامَ التَّضَادِّ ، وَدَخَلَ فِيهِ مَا يَخْتَصُّ بِاسْمِ الْمُقَابَلَةِ  
وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ جَاءَ بِمُقَابِلِ ذَلِكَ عَلَى  
التَّرْتِيبِ . وَالْمُرَادُ بِالتَّوَافُقِ خِلَافُ التَّقَابُلِ ، نَحْوُ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا  
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا .

الحقيقتان كما في البيت ، فإنه لا تقابل بين البكاء وظهور المشيب ، لكنه عبر  
عن ظهور المشيب بالضحك الذي معناه الحقيقى مقابل للبكاء ، وهذا البيت  
للدعبل وبعده :

قَدْ كَانَ يَضْحَكُ فِي شَبَابِهِ وَالْآنَ يَحْسُدُ كُلَّ مَنْ ضَحِكَ

لَا تَأْخُذًا بِفُلَانٍ أَحَدًا قَائِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَاكَ

ومثله قول أبى تمام :

مَا إِنْ تَرَى الْأَسْبَابَ بَيْضًا وَضُحَا إِلَّا بِحَيْثُ تَرَى الْمَلَا سُودَا

وفوله أيضاً في الشيب :

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٍ وَلَسْكَنَةٌ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعٍ

( ويسمى الثانى إيهام التضاد ) لأن المعنيين قد ذكرا بدمطين وهما  
التضاد نظراً إلى الظاهر ( فيه ) أى فى الطباق ( ما يخص باسم المقابلة )  
جعله السكاكى وغيره قسماً برأسه من المحسنات المعنوية ( والمراد بالتوافق  
خلاف التقابل ) فلا يشترط أن يكون المعنيان متناسبين أو متماثلين ( نحو  
فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ) مثله قول الديباني :

ونحو قوله :

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا \* وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِنْفَاسَ بِالرَّجُلِ  
وَنَحْوُ : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ،  
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ، وَالْمُرَادُ  
بِاسْتَفْنَى أَنَّهُ زَهَّدَ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ اسْتَفْنَى عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِ ،  
أَوْ اسْتَفْنَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ فَلَمْ يَتَّقِ ، وَزَادَ السَّكَانِي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا

( ونحو قوله ) أى قول أبى دلالة ومثله قول أبى الطيب :

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرٌ  
هذا ، وإنما كرر المصنف كلمة نحو لانه مثل : أولاً لما كان فيه مقابلة  
اثنين باثنين ، وثانياً لمقابلة ثلاثة بثلاثة ، وثالثاً لأربعة بأربعة والمقابلة فى الآية  
الثانية مركبة من طباق وملحق به كما لا يخفى ( وزاد السكاكى وإذا شرط ) .  
عبارته : المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ، ثم إذا  
شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده كقوله تعالى : فأما من أعطى الآيتين ،  
لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والانتقاء والتصديق جعل ضده ، وهو  
التعسير مشتركاً بين أضداد تلك ، وهى المنع والاستغناء والتكذيب ( ومنه )  
أى ومن المعنوى ( وقوله ) أى قول البحرى فى وصف الإبل الانضاء .  
ومثله قول أسيد فى عنقاء المزارى :

وَإِذَا شُرِطَ هُنَا أَمْرٌ شُرِطَ ثَمَّةٌ ضِدُّهُ كَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا جُعِلَ  
التَّيْسِيرُ مُشْتَرَكاً بَيْنَ الْإِعْطَاءِ وَالِاتِّقَاءِ وَالتَّصَدِيقِ جُعِلَ ضِدُّهُ مُشْتَرَكاً  
بَيْنَ أَضْدَادِهِمَا . . . وَمِنْهُ مِرَاعَاةُ النَّظِيرِ ، وَيُسَعَى التَّنَاسُبَ وَالتَّوْفِيقَ ،  
وَهُوَ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ،  
وقوله :

كَالْفَيْسَى الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأُسْهُمِ مَثَرِيَّةً بِلِ الْأَوْتَارِ

وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى بِمَعْضِهِمْ تَشَابُهَ الْأَطْرَافِ ، وَهُوَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلَامُ  
بِمَا يُنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِي الْمَعْنَى ، نَحْوُ : لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ  
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، وَيَلْحَقُ بِهَا نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ      وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَدْرُ  
وقول ابن خناجة يصف فرساً :

مِنْ جُلَنَارٍ نَاصِرٍ خَدَّهُ      وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْأَسَى

(ومنها) من مراعاة النظير (نحو لا تدركه الأبصار) فإن اللفظ يناسب  
ما لا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً  
به (بها) أي بمراعاة النظير (نحو الشمس والقمر بحسبان) أي بحساب معلوم  
وتقدير سوى ، والنجم : النبات الذي ينجم من الأرض لاساق له كالبقول والشجر  
الذي له ساق ، ويجودهما : انقيادهما لله فيما خلقا له ، فالنجم بهذا المعنى وإن لم  
يكن مناسباً للشمس والقمر ، فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ، وَيُسَمَّى إِيَّاهُمُ التَّنَاسُبُ . وَمِنْهُ الْإِرْصَادُ .

ولهذا سمي إِيَّاهُمُ التَّنَاسُبُ ( ومنه الإِرْصَادُ ) وهو في الأصل : نصب الرقيب في الطريق ، من رصده أي رقبته ، والرصيد : السبع الذي يرصد ليثب ، والرصد : القوم يرصدون كالحرس ، يستوى فيه الواحد والجمع المؤنث . وهذا النوع قالوا إنه من محمود الصنعة ، فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض ، وفي الاختصار به يقول ابن نباتة السعدي :

خُذْهَا إِذَا أُنْشِدْتَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ ضُدُّوْهَا عَرَفَتْ مِنْهَا قَوَائِمَهَا  
يَنْتَسِي لَهَا الرَّاكِبُ الْعَجَلَانَ حَاجَتَهُ وَيُضِيحُ الْخَاسِدُ الْغَضْبَانَ يَطْوِيَهَا  
ومن لطيف هذا النوع قول زهير :

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَمِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ  
وقول الراعي :

وَإِنْ وَزِنَ الْخُصَى فَوَزَنَتْ قَوْمِي وَجَدْتُ حَصَى ضَرْبَتِهِمْ رَزِينًا  
وقول البحري :

أَبْكَيْكُمْ دَمْعًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قُدْرِ الْجَوَى أَبْكِي بَكْيُكُمْ دَمْعًا  
وقوله أيضاً :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ بِلَا سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَلَامِي  
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّاهُ بِمُحَالٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتِهِ بِمَحْرَامٍ  
فليس يذهب على السامع ، وقد عرف القافية وصدر البيت الثاني ، أن

وَيُسَمِّيهِ بَعْضُهُمُ التَّسْيِيمَ ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ قَبْلَ الْعَجْزِ مِنَ الْفَقْرَةِ أَوْ الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِذَا عُرِفَ الرَّوْيُ نَحْوُ : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، وقوله :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ  
وَمِنْهُ الْمَشَاكَلَةُ ، وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظٍ غَيْرِهِ لَوْ قُوعِهِ فِي مُحَبَّتِهِ  
بِتَحْقِيقٍ أَوْ تَقْدِيرٍ ، فَالْأَوَّلُ نَحْوُ قَوْلِهِ .

قَالُوا اقْتَرِخْ شَيْئًا نُحْدِلُكَ طَبِيخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جَبَّةً وَقِيصًا  
وَنَحْوُ : تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَالثَّانِي نَحْوُ : صِبْغَةُ  
اللَّهِ ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لَأَمْنًا بِاللَّهِ ، أَيْ تَطْهِيرَ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ

عجزه هو ماقاله البحرى ( التسميم ) من البرد ، المسهم : أى المخطط ( إذا لم تستطع ) هو لعمر بن معد يكرب ( نحو قوله ) أى قول ابن الرقعمق فإنه ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام ( ونحوه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ) حيث أطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه في صحبة نفسي ، هذا ، ومن لطيف المشاكلة قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلَانِ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهِلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلَيْنَا

( وهو مصدر مؤكد لَأَمْنًا بِاللَّهِ ) أصل هذا الكلام لصاحب الكشاف رحمه الله قال : صبغة الله مصدر مؤكد منصب عن قوله آمنا بالله ، وهو فعلة من صبغ كالجلسة من جالس ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس .



يُطَهَّرُ النُّفُوسَ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءِ  
أَصْفَرٍ يُسَمُّونَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، فَعَبَّرَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءِ أَصْفَرٍ يُسَمُّونَهُ  
الْمَعْمُودِيَّةَ ، وَيَقُولُونَ هُوَ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، وَإِذَا فَعَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بَوْلَهُ ذَلِكَ قَالَ  
الآن صار نصرانياً حقاً ، فَأَمَرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ  
وَصَبَغْنَا بِاللَّهِ بِالْإِيمَانِ صَبْغَةً لَا مِثْلَ صَبْغَتِنَا وَطَهَّرْنَا بِهِ تَطْهِيراً لَا مِثْلَ تَطْهِيرِنَا ،  
أَوْ يَقُولِ الْمُسْلِمُونَ صَبَغْنَا بِاللَّهِ بِالْإِيمَانِ صَبْغَةً وَلَمْ نَصْبُغْ صَبْغَتَكُمْ ، وَلِنَمَّا جِئَءَ  
بِالصَّبْغَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَشَاكَلَةِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَغْرُسُ الْأَشْجَارَ : اغْرُسْ كَمَا يَغْرُسُ  
فُلَانٌ ، تَرِيدُ رَجُلًا يَصْنَعُ الْكَرْمَ . قَالَ فِي الْإِيضَاحِ بَعْدَ هَذَا النَّوعِ : وَمِنْهُ  
الِاسْتِطْرَادُ وَهُوَ الْإِتِّقَالُ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ مُتَّصِلٌ بِهِ لَمْ يَقْصِدْ بِذِكْرِ الْأَوَّلِ  
التَّوَصُّلَ إِلَى ذِكْرِ الثَّانِي كَقَوْلِ الْحَامِي :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشًا  
وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ . قَالَ الزَّخَشَرِيُّ :  
هَذِهِ الْآيَةُ وَارِدَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِطْرَادِ عَقِيبَ ذِكْرِ السَّوَاتِ ، وَخَصَفَ الْوَرَقَ  
عَلَيْهَا لِإِظْهَارِ اللَّيْنَةِ فَمَا خَاقَ اللَّهُ مِنَ اللَّبَاسِ ، وَلَمَّا فِي الْعَرَى وَكَشَفَ الْعَوْرَةَ مِنْ  
الْمَهَانَةِ وَالْفُضْيُحَةِ ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّ التَّسْتَرَّ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّقْوَى هَذَا  
أَصْلُهُ ، وَقَدْ يَكُونُ الثَّانِي هُوَ الْمَقْصُودُ فَيَذْكُرُ الْأَوَّلَ قَبْلَهُ لِيَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ كَقَوْلِ  
أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي :

إِنْ كُنْتُ حُفَّتْكَ فِي الْمَوَدَّةِ سَاعَةٌ فَذَمَّمْتُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَحْمُودَا

بِصِبْغَةِ اللَّهِ لِلْمُشَارَكَةِ بِهَذِهِ الْقَرِيبَةِ . وَمِنْهُ الْمَزَاجَةُ : وَهِيَ أَنْ يُزَاجَ  
بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاثِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجَرُ  
وَمِنْهُ الْعَكْسُ ، وَهُوَ أَنْ يُقَدَّمَ جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ ثُمَّ يُؤَخَّرَ ، وَيَقَعُ  
عَلَى وَجْهِهِ ، مِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ أَحَدِ طَرَفَيْ جُمْلَةٍ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ نَحْوُ :  
عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ . وَمِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ مُتَعَلِّقَيْنِ فَلَمَلَيْنِ

وَزَعَمْتُ أَنْ لَهُ شَرِيكًا فِي الْعَلَا وَجَعَدْتُهُ فِي فَضْلِهِ التَّوْحِيدَا  
قَسَمًا لَوْ أَنِّي خَالِفٌ بِفِعْوَ سَيَا لِفَرِيمٍ دَيْنٍ مَا أَرَادَ مَزِيدَا  
ولا بأس أن يسمى هذا لإيهام الاستطراد ( أن يزواج ) أى يجهل  
معنيان واقعان في الشرط والجزاء ، مزدوجين في أن يرتب على كل منهما  
معنى مرتب على الآخر ( كقوله ) أى قول البهتري ، فقد زواج بين نهى الناهي  
وإصاختها للواشي ، الواقعين في الشرط والجزاء في أن ترتب عليهما للجاح شيء ،  
ومن المزاوجة قول البهتري أيضاً :

إِذَا اخْتَرَبْتَ يَوْمًا فَمَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَقَاضَتْ دُمُوعُهَا  
فزواج بين الاحتراب وتذكر القرى الواقعين في الشرط والجزاء في ترتب  
فيضان شيء عليهما ( ومنه العكس ) قالوا . وهو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم  
تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت وهذا أوضح مما قاله المصنف ( أضيف )

فِي مُجْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ،  
وَمِنْهَا أَنْ يَتَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ فِي طَرَفِي مُجْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ  
وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ \* وَمِنْهُ الرُّجُوعُ ، وَهُوَ الْعَوْدُ إِلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ  
بِالنَّقْضِ لِنَسْكَتِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْمُرْهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ  
وَمِنْهُ التَّوَرُّيَّةُ ، وَيُسَمَّى الْإِيهَامُ أَيْضًا ؛ وَهُوَ : أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ

أَيُّ ذَلِكَ الطَّرَفِ ( نَحْوُ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ) مِثْلُهُ قَوْلُ الْخَمَاسِيِّ :

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بَيِّضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيِّضَ سُودًا

( نَحْوُ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ) مِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

فَلَا تَجِدُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ تَجِدُهُ

وَقَوْلُ الْآخِرِ :

إِنَّ اللَّيْلَ إِلَى اللَّائِمِ مَنَاهِلٌ تَطْوَى وَتُنَشَّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ  
فَقَصَّارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قِصَارٌ

( قِفْ بِالْدِيَارِ ) هُوَ لَزْهَرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى : الْأَرْوَاحُ : الرِّيحُ ، وَالْدِّيمُ  
جَمْعُ دِيمَةٍ : وَهِيَ الْمَطَرُ الدَّائِمُ فِي سَكُونٍ . فَقَدْ دَلَّ صَدْرُ الْبَيْتِ عَلَى أَنَّ تَطَاوُلَ  
الزَّمَانِ وَتَقَادُمَ الْعَهْدِ لَمْ يَعْفِ الدِّيَارَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ وَنَقَضَهُ بِأَنَّهُ قَدْ غَيَّرَهَا الرِّيحُ  
وَالْأَمْطَارُ لِنَسْكَتِهِ ، وَهُوَ إِظْهَارُ السَّكَاةِ وَالْحُزْنِ وَالْحَيْرَةِ وَالدَّهْشَةِ ، حَتَّى كَأَنَّهُ  
أَخْبَرَ أَوَّلًا بِمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ ، ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ فَتَدَارَكَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ بَلَى ، وَغَيْرَهَا  
الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ ، وَمِثْلُ هَذَا بَيْتُ الْخَمَاسَةِ :

مَعْنَيَانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَيُرَادُ الْبَعِيدُ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : مُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُجَامِعُ شَيْئًا مِمَّا يَلَاثِمُ الْقَرِيبَ ، نَحْوُ : الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، وَمُرَشَّحَةٌ نَحْوُ : وَالسَّمَاءُ بَدِينَاهَا بِأَيْدٍ . وَمِنْهُ الْإِسْتِخْدَامُ : وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنَيَانِ : أَحَدُهُمَا ثُمَّ يُرَادَ بِضَمِيرِهِ الْآخَرُ ، أَوْ يُرَادَ بِأَحَدِ ضَمِيرَيْهِ أَحَدُهُمَا ثُمَّ يُرَادَ بِالْآخَرِ الْآخَرُ ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظَرَةً إِنْ نَظَرْتُمْهَا إِلَيْكَ وَكَأَنَّ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ  
وقول الآخر :

فَافٍ لِهَذَا الدَّهْرِ لَا بَانَ لِأَهْلِهِ

( نحو الرحمن على العرش استوى ) فإنه أريد باستوى معناه البعيد ، وهو استوى ولم يقرن به شيء مما يلاثم القريب الذي هو الاستقرار ( ومرشحة ) وهي التي قربت بها ما يلاثم القريب المورى به عن البعيد ( نحو والسماء بديناها بأيدٍ ) فإن المراد بالأيدى المعنى البعيد وهو القدرة ، وقد قرن بها ما يلاثم القريب الذى هو الجارحة المخصوصة وهو قوله بديناها ، وهذا ، والذى ذكره صاحب الكشف فى قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى إنه تمثيل لأنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك ، ولما امتنع ههنا المعنى الحقيقى صار مجازاً كقوله : وقالت اليهود يد الله مغلولة ، أى هو بخيل ، بل يداه مبسوطتان أى جواد من غير تصور يد لا غل ولا بسط ، والنفسير بالنعمة والتحمل للتشبيه ، من ضيق

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ۖ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَصَابًا  
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

فَسَقَى الْغُضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ ۖ شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي  
وَمِنْهُ اللَّفْ وَالنَّشْرُ : وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ عَلَى التَّفْصِيلِ ، أَوْ الْإِجْمَالِ ،  
ثُمَّ مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ ، مِنْ غَيْرِ تَقْيِينٍ ، نَفْهَ أَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ ،

لعطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ، وكذلك قوله جل شأنه :  
والسما بنيناها بأيدٍ ، تمثيل وتصوير لعظمته من غير ذهاب بالأيدى إلى جهة  
حقيقة أو مجاز (١) ، وقد شدد النكير على تفسير اليد بالنعمة والأيدى  
بالقدرة والاستواء بالاستيلاء ، وقد ذكر الشيخ في دلائل الإعجاز ما يؤيد ذلك ،  
وشنع على من يذهب هذه المذاهب من المفسرين أكبر تشنيع ، حتى لقد  
قال : ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبدأ في الألفاظ  
الموضوعة على المجاز والتشثيل أنها على ظواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا  
الغرض ، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة ، وبمكان  
الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون  
في غير طائل هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد  
قدحوا به ، نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق ( كَقَوْلِهِ إِذَا نَزَلَ ) فإنه أراد  
بالسما الغيث ، وبضميرها التبت ، والبيت قيل للجرير ، وقيل لمؤذ الحكماء  
( كَقَوْلِهِ فَسَقَا الْغُضَا ) فإنه أراد بضمير الغضا في قوله والساكنيه المسكان ،  
وفي قوله شبَّوه : أى أوقدوا الشجر ، والبيت للبحتري من قصيدة بائية وحقيقته :  
فَسَقَى الْغُضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ

( ١ ) يعنى المجاز المرسل ، وإلا فهو مجاز بالاستعارة لأنه تمثيل كما قال .

فَالْأَوَّلُ ضَرْبَانِ : لِأَنَّ النَّشْرَ إمَّا عَلَى تَرْتِيبِ اللَّفِّ نَحْوُ : وَمِنْ رَحْمَتِهِ  
جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِمَّا عَلَى غَيْرِ  
تَرْتِيبِهِ ، كَقَوْلِهِ :

كَيْفَ أَسْلَوُا أَنْتَ حِقْفٌ وَعُصْنٌ وَغَزَالٌ لِحِطَّا وَقَدْ وَرِدْنَا  
وَالثَّانِي نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَالُوا إِنَّا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا

(نحو ومن رحمته) مثله قول ابن حيوس :

فِعْلُ الْمَدَامِ وَلَوْ نَبَأَ وَمَذَاقُهَا فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجَنَتَيْهِ وَرَبِيقِهِ  
وقول ابن الرومي :

أَرَأَوْكُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومُ  
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحُ تَجَلُّو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَّاتُ رُجُومُ

(كقوله) أى قول ابن حيوس . والحقف : الرمل العظيم المستدير يشبه  
به الكمل فى العظم والاستدارة ، فاللحظ للغزال ، والقذ : للغصن ، والرذف :  
للحقف . وهذا ، وهناك نوع آخر من اللف لطيف المسلك ، وهو أن يذكر  
متعدد على التفصيل ثم يذكر ما الكل ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدد على الإجمال  
ملفه ظاً أو مقدراً فيجمع النشر بين لمطين : أحدهما مفصل والآخر مجمل ، وعلى  
هذا جاء قوله تعالى : فن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر  
فعنه من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا  
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . قال صاحب الكشف : الفعل المعلل  
محدوف مدلول عليه بما سبق تقديره : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما

أَوْ نَصَارَى ، أَيْ قَالَتِ الْيَهُودُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ، وَقَالَتِ  
النَّصَارَى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصَارَى ، فَلَفَّ لِعَدَمِ الْإِثْبَاسِ ،  
لِلْعِلْمِ بِتَضْلِيلِ كُلِّ فَرِيقٍ صَاحِبَتِهِ . وَمِنْهُ الْجَمْعُ : وَهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ  
مُتَعَدِّ فِي حُكْمٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،  
وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجُدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلرَّءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ  
وَمِنْهُ التَّفْرِيقُ : وَهُوَ إِقْبَاعُ تَبَايُنٍ بَيْنَ أُمُورَيْنِ ، مِنْ نَوْعٍ ، فِي الْمَدْحِ  
أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأُمَيْرِ وَقْتَ سَخَا.

هداكم ولعلكم تشكرون ، شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم  
الشهر ، وأمر المرخص بمراعاة عدة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص في إباحة  
الفطر ، فقوله لتسكوا : علة الأمر بمراعاة العدة ، ولتسكروا : علة ما علم من  
كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ، ولعلكم تشكرون : علة الترخيص  
والتيسر ، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى إلى تبيينه إلا بالنقاب  
المحدث من علماء البيان ( إن الشباب ) هو لآبى العتاهية ، والجدة : الاستغناء  
( ما نوال الغمام ) هو لرشيد الدين الوطواط . وبدره العين : جلد ولد الضأن  
ملوئاً من الدراهم . فقد أوقع التباين بين النوالين مع أنهما من نوع واحد وهو  
مطلق نوال ، ومن لطيف هذا النوع قوله :

مَنْ قَلَسَ جَدْوَالَهُ بِالْغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكَايَيْنِ

فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بِدَرَّةٍ عَيْنٍ \* وَنَوَالُ النَّمَامِ قَطْرَةٌ مَاءٍ  
وَمِنْهُ التَّقْسِيمُ : وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ ، ثُمَّ إِضَافَةُ مَا لِكُلِّ إِلَيْهِ عَلَى  
التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا يَقِيمُ دَلَى ضِيمٍ يَرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ  
هَذَا عَلَى الْخُسْفِ مَرَبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ  
وَمِنْهُ الْجُمُوعُ مَعَ التَّفْرِيقِ : وَهُوَ أَنْ يُدْخَلَ شَيْءَانِ فِي مَقْعٍ وَيُفْرَقَ

أَنْتَهُ إِذَا جُبِذَتْ صَاحِكٌ أَبَدًا \* وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ التَّعْيِينِ  
( وهو ذكر متعدد ) وقال السكاكي هو أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ،  
ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله :

أَدِيْبَانِ فِي بَلَخٍ لَا يَأْ كَلَانِ إِذَا صَحِبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبْدِ  
فَهَذَا طَوِيلٌ كَطَائِلِ الْقَنَاقَةِ وَهَذَا قَصِيرٌ كَطَائِلِ الْوَتْدِ

وهذا يقتضي أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر ( كقوله ولا يقيم )  
البيتان للتلخيص : الضيم : الظلم ، والعير : الحمار غاب على الوحشي . والمناسب هنا  
الآهلي ، والخسف : الدل ، والرمة : قطعة من حبل ، والشج : الدق والكسر ،  
والمعنى ظاهر ، فقد ذكر العير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ،  
وإلى الثاني الشج على التعيين . ومن جيد التقسيم قول أبي تمام :

فَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ تَعْمِيلَ خُطْبَاهُ أَخْدَعَى كُلِّ مَائِلٍ  
فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ



بَيْنَ جِهَتَيِ الْإِدْخَالِ ، كَقَوْلِهِ :

فَوَجَّهَكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا وَقَلَّيَ كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا  
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ : وَهُوَ جَمْعُ مُتَعَدِّ تَحْتَ حُكْمٍ ، ثُمَّ  
تَقْسِيمُهُ ، أَوْ الْعَكْسُ ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ  
لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُّوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَالتَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَعَمُوا  
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

( كَقَوْلِهِ فَوَجَّهَكَ ) فَقَدْ شَبِهَ وَجْهَ الْحَبِيبِ وَقَلْبَ نَفْسِهِ بِالنَّارِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ  
وَجْهِ الْمَشَاجِةِ وَالْبَيْتِ لِلْوُطُواطِ ( أَوْ الْعَكْسِ ) أَيْ تَقْسِيمِ مُتَعَدِّ . ثُمَّ جَمَعَهُ  
تَحْتَ حُكْمِ ( حَتَّى أَقَامَ ) الْبَيْتَانِ لِلتَّبْنِي ، وَالْأَرْبَاضِ جَمْعُ رِبْضٍ : وَهُوَ مَا حَوْلَ  
الْمَدِينَةِ . وَخَرَشْنَةُ : بَلَدٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتَيْنِ ظَاهِرُ ( كَقَوْلِهِ قَوْمٌ )  
الْبَيْتَانِ لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَالْبَدْعُ جَمْعُ بَدْعَةٍ : وَهِيَ الْحَدِيثُ فِي الدِّينِ بَعْدَ الْكَمَالِ ،  
وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مُحَدَّثَاتُ الْأَخْلَاقِ . فَقَدْ قَسَمَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ صِفَةَ الْمَدُوحِينَ  
إِلَى ضَرِّ الْأَعْدَاءِ وَنَفْعِ الْأَوْلِيَاءِ ، ثُمَّ جَمَعَهُمَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَيْثُ قَالَ بِحِجَةِ  
تِلْكَ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا  
لَكِنْ رَأَيْتُ الدَّيَّالِي غَيْرَ تَارِكَةٍ مَاسَرٍّ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ سَاءَ مُطَوِّرًا

سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ \* إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعَ  
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَنْكَلُمُ  
نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا  
زَفِيرٌ وَشَهيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ  
إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُمِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ . وَقَدْ يُطْلَقُ التَّقْسِيمُ  
عَلَى أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تُذَكَّرَ أَجْوَالُ الشَّيْءِ مُصَافًا إِلَى كُلِّ  
مَا يَأْتِي بِهِ ، كَقَوْلِهِ :

فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَتَى وَأَنْتُمْ سَنَسَجِدُ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدَا

فَقَوْلُهُ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ جَمْعٌ لِمَا قَسَمَ الطَّيِّفُ ، وَقَدْ أَرَادَ لُطْفًا بِحَسَنِ مَا بَنَاهُ  
عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَتَى وَأَنْتُمْ ( كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَوْمَ يَأْتِي ) أَمَّا الْجَمْعُ  
فَفِي قَوْلِهِ : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ قَوْلُهُ نَفْسٌ مُتَعَدِّدٌ مَعْنَى ، وَأَمَّا  
التَّفْرِيقُ فِي قَوْلِهِ : فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . وَأَمَّا التَّقْسِيمُ فِي قَوْلِهِ : فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا  
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ . يَأْتِي أَيُّ اللَّهِ سَبْحَانَهُ ، أَيُّ أَمْرِهِ أَوْ يَأْتِي الْيَوْمَ أَيُّ هَوَلِهِ ،  
وَالزَّفِيرُ : إِخْرَاجُ النَّفْسِ بِشِدَّةٍ . وَالشَّهيقُ : رَدُّهُ بِشِدَّةٍ ، وَغَيْرُ مَجْدُودٍ : غَيْرُ  
مَقْطُوعٍ ، وَمِنْ هَذَا النُّوعِ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ الْفَيْرَوَانِي :

لِمُخْتَلَفِي الْحُجَاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ      فَيَهْدَا لَهُ فَنٌّ وَهَذَا لَهُ فَنٌّ  
فَالْإِخْمِيلُ الْمُتْلِيَا وَالْمُعْدِمُ الْغِنَى      وَالْمَذْنِبُ الْمُعْتَبَى وَالْإِخْمِيلُ الْأَمْنَةُ

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّشَمَّعُوا مُرْدُ  
يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا خِيفًا إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا  
وَالثَّانِي : اسْتِيفَاءُ أَقْسَامِ الشَّيْءِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا

( كَقَوْلِهِ سَأَطْلُبُ ) البَيِّنَاتِ الْمُتَّفِقَةِ ، وَالْقَنَاءُ : الرِّمَاحُ وَأَرَادَ بِالْمَشَايِخِ قَوْمَهُ ،  
وَالْإِلْتِمَامُ : وَضْعُ اللِّثَامِ عَلَى الْقَمِّ وَالْأَنْفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ دَابِّ الْعَرَبِ ، فَقَوْلُهُ  
مِنْ طُولِ مَا التَّشَمَّعُوا : أَيْ شَدُّوا اللِّثَامَ حَالَةَ الْحَرْبِ ، يَرِيدُ كَثِيرًا مَا شَنُّوا  
الْقَارَاتِ ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِشِدَّةِ الْوَطْأَةِ عَلَى الْعَدَا وَالشَّبَاتِ عَلَى الْقَنَاءِ ، وَأَنَّهُمْ  
مُسْرِعُونَ إِلَى الْإِجَابَةِ إِذْ دُعُوا إِلَى كِفَايَةِ مَهْمٍ ، وَمُدَافَعَةِ خَطْبِ مَدْلُومٍ ، وَأَنَّهُ  
الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقُومُ بِمَقَامِ جَمَاعَةٍ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَحْوَالَ الْمَشَايِخِ وَأَضَافَ  
إِلَى كُلِّ حَالٍ مَا يَنْبَسِهَا وَهُوَ ظَاهِرٌ ( كَقَوْلِهِ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا ) فَإِنَّ  
الْإِنْسَانَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ لَا يَكُونَ ، فَإِنْ كَانَ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَكَرًا أَوْ  
أُنْثَى أَوْ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، وَقَدْ اسْتَوْفَى جَمِيعَ الْأَقْسَامِ وَإِنَّمَا قَدَّمَ ذَكَرَ الْإِنَاثِ لِأَنَّ  
سِيَاقَ الْكَلَامِ أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ ، فَكَانَ ذَكَرَ الْإِنَاثِ  
الَّلَّاقِي هُنَّ مِنْ جِلَّةِ مَا لَا يَشَاءُهُ الْإِنْسَانُ أَهْمٌ ؛ وَلِئَلَّا لُجِّنَ الَّذِي كَانَتْ الْعَرَبُ  
تَعُدُّهُ بِلَاءَ ذَكَرِ الْبِلَاءِ ، فَلَمَّا أَخَّرَ الذِّكْرَ لِذَلِكَ تَدَارَكَ تَأْخِيرُهُمْ وَهُمْ أَحْقَاءُ بِالتَّقْدِيمِ  
بِتَعْرِيفِهِمْ ، لِأَنَّ التَّعْرِيفَ تَنْوِيهٌ وَتَشْمِيرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الْفَرَسَانِ  
الْأَعْلَامِ الْمَذْكُورِينَ الَّذِينَ لَا يَخْضَعُونَ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ أُعْطِيَ بَعْدَ ذَلِكَ كَلَامَ الْجَنَسَيْنِ  
حَقَّهُ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَعَرَفَ أَنَّ تَقْدِيمَهُنَّ لَمْ يَكُنْ لِقَدَمِهِنَّ وَلَكِنْ لِمَقْتَضَى  
آخِرٍ : وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ مَا حَكِيَ عَنْ أَعْرَابِي وَقَفَ عَلَى حَلْقَةِ الْحَسَنِ فَقَالَ :  
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ فَضْلِ أَوْ آسَى مِنْ كُفَافٍ أَوْ آثَرَ مِنْ قُوتٍ ، فَقَالَ  
الْحَسَنُ : مَا تَرَكَ لِأَحَدٍ عَذْرًا ، وَمِنْهُ قَوْلُ طَرِيحٍ :

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ كُورًا أَوْ يَزُوجُهُمْ ذَكَرًا أَوْ إِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا . وَمِنْهُ التَّجْرِيدُ : وَهُوَ أَنْ يُنْتَزَعَ مِنْ أَمْرٍ ذِي صِفَةٍ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا مُبَالَغَةٌ لِكَمَالِهَا فِيهِ ، وَهُوَ أَقْسَامٌ : مِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ ، أَيْ بَلَغَ فُلَانٌ مِنَ الصَّدَاقَةِ حَدًّا صَحَّ مَعَهُ أَنْ يُسْتَخْلَصَ مِنْهُ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : لَيْتَ سَأَلْتُ فُلَانًا لَتَسْأَلَنِي بِهِ الْبَحْرَ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِحِ الْوَغَى \* بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِ الْفَنِيْقِ الْمُرْجَلِ

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ عَالَمُوا شَرًّا أَذَاعُوهُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا  
وقول أبي تمام في الأفشين لما أحرق :

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفُجَّارِ

( نحو قولهم الخ ) مما يكون حاصلًا بمن التجريدية ( حميم ) في الصباح  
حميمك : قريبك الذي تهتم لأمره ( نحو قولهم الخ ) مما يكون حاصلًا بالباء  
التجريدية الداخلة على المنتزع منه ، وهذا القول يقال في مقام المبالغة في  
وصف فلان بالكرم ( نحو قوله الخ ) مما يكون حاصلًا بدخول الباء في  
المنتزع ( وشوواء ) فرس شوواء صفة محمودة يراد بها سعة أشداقها ، وصارخ  
الوغى : أى المستغيث ، في الحرب ، والمستائم : لابس اللأمة وهى الدرع ، والفنيق :  
الفحل المكرم عند أهله ، والمرجل : من رجل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله ،  
فقد بالغ في اتصافه بالاستعداد للحرب ، حتى انتزع منه استعداد آخر

وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ، أَيْ فِي جَهَنَّمَ ، وَهِيَ دَارُ الْخُلْدِ ؛ وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

فَأَنزِعْ بَقِيَّتُ لَأَرْحَلَنَّ بِعَزَوةٍ تَحْوِي الْقَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ  
وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مِنِّي كَرِيمٌ ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :  
يَا خَيْرَ مَنْ يَرَى كَبُّ الْمَطِيِّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفٍّ مِّنْ بَخْلٍ  
وَمِنْهَا مُحَاطَبَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ ، كَقَوْلِهِ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ الشُّطُقُ إِن لَّمْ يُسْعِدِ الْخَالُ

لَابَسًا دَرَعًا ( وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ) عَمَّا يَكُونُ حَاصِلًا بِدُخُولِ فِي عَلَى الْمُنْتَزِعِ مِنْهُ ، فَإِنْ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا هِيَ دَارُ الْخُلْدِ ، لَكِنْ انْتَزَعَ مِنْهَا مَثَلًا ، وَجَعَلَ مَعْدًا فِيهَا لِلْكَفَّارِ تَهْوِيلًا لِأَمْرِهَا وَمِبَالِغَةً فِي اتِّصَافِهَا بِالشَّدَةِ ( وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ ) عَمَّا يَكُونُ حَاصِلًا بِدُونِ تَوْسُطِ حَرْفٍ ، وَعَنَى بِالْكَرِيمِ نَفْسَهُ ، فَيَكُنْ أَنَّهُ انْتَزَعَ مِنْ نَفْسِهِ كَرِيمًا مِبَالِغَةً فِي كَرَمِهِ ، وَابْتِغَاءً لِقِتَادَةِ بَنِ قَسْلَةَ الْحَنْفِيِّ ( وَقِيلَ ) تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مِنِّي كَرِيمٌ ( فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ لِي مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ فَلَا يَكُونُ قَسْمًا آخَرَ ( وَفِيهِ نَظَرٌ ) لِحَصُولِ التَّجْرِيدِ وَتَمَامِ الْمَعْنَى بِدُونِ هَذَا التَّقْدِيرِ ( وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ ) أَيْ قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ : فَإِنْ فِيهِ تَجْرِيدًا بِطَرِيقِ الْكُنْيَةِ حَيْثُ انْتَزَعَ مِنَ الْمَمْدُوحِ جَوَادًا يَشْرَبُ هُوَ الْكَأْسُ بِكَفِّهِ عَلَى طَرِيقِ الْكُنْيَةِ لِأَنَّهُ إِذَا نَفَى عَنْهُ الشَّرْبَ بِكَفِّ الْبَخِيلِ ، فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ الشَّرْبَ بِكَفِّ الْكَرِيمِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ يَشْرَبُ بِكَفِّهِ فَهُوَ ذَلِكَ الْكَرِيمُ ( كَقَوْلِهِ لَا خَيْلَ عِنْدَكَ ) هُوَ لِلْمُتَنَبِّئِيِّ وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ :

وَمِنْهُ الْمُبَالَغَةُ الْقَبُولَةُ : وَالْمُبَالَغَةُ أَنْ يُدْعَى لِوَصْفٍ بُلُوغُهُ فِي الشَّدَّةِ  
أَوْ الضَّعْفِ حَدًّا مُسْتَحِيلًا أَوْ مُسْتَبَعْدًا ، لِثَلَاثٍ يُفَانُّ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَنَاهِ فِيهِ ،

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ . وَهَلْ يُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ  
هـ هذا ، ومن لطيف التجريد قول المعري :

مَا جِئْتُ نَمِيزُ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا لِيَدٍ وَاللَّيْثُ أَفْتَكُ أَفْعَالًا مِنَ النَّمْرِ  
وقول الآخر :

إِنْ تَلَقَّيْ لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَنَبَةَ الْأَسَدِ  
( المقبولة ) يشير بهذا إلى الرد على من زعم أنها مردودة مطلقاً محتجاً  
بأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق ، وكان على منهج الصدق ، كما قال السيد  
حسان بن ثابت :

وَأَمَّا الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَانَ كَيْسًا وَإِنْ مُحَقًّا  
وَإِنْ أَشْعَرَ بَيَّنْتَ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيَّنْتَ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا  
وعلى من زعم أنها مقبولة مطلقاً ، وأن الفضل مقصور عليها ، والمحاسن  
كلها منسوبة إليها ، محتجاً بأن أحسن الشعر أكذبه ، وخير الكلام ما بولغ فيه ،  
ولهذا استدرك النابغة على السيد حسان في قوله :

لَنَا الْجَفْنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

حيث استعمل جمع الفلة ، يعنى الجفونات والأسياف ، وقد ذكر وقت  
الضحوة وهو وقت تناول الطعام ، وما يقطرن دون إسان أو يفضن أو نحو  
ذلك ( فيه ) أى فى الشدة أو الضعف ( كقوله ) أى قول امرئ القيس

وَتَنْحَصِرُ فِي التَّبْلِيغِ وَالْإِغْرَاقِ وَالْفُلُوءِ ، لِأَنَّ الْمُدَّعَى إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا  
عَقْلًا وَعَادَةً فَتَبْلِيغٌ ، كَقَوْلِهِ :

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَلَمَجَّةٍ \* ذِرَاكََا فَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُفْسَلِ  
وَإِنْ كَانَ مُمَكِّنًا عَقْلًا لَا عَادَةً فَأِغْرَاقٌ ، كَقَوْلِهِ :

حيث وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيتين في مضمار واحد  
ولم يهرق ، وذلك غير ممتنع عقلاً ولا عادة . . . ومن الحسن في باب المبالغة  
قول الحماسي :

رَهَنْتُ بِيَدِي بِالْمَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرٍّ \* وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدُ  
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطْعَمُهُ \* وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ  
وقول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة :

لَمْ يَبْقَ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْ مِثْلَهُ \* تَرَكَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ  
ومن المبالغة في البخل قول ابن الرومي :

لَوْ أَنَّ قَعْمَرَكَ يَا بْنَ يُونُسَ مُمْتَلِ \* إِذَا يَضِيقُ بِهَا فِتَاءُ النَّزْلِ  
وَأَنَّكَ يُونُسُ يَسْتَعِيرُكَ إِزْرَةً \* لِيَخِيطَ قَدَّ قَيْصِهِ لَمْ تَفْعَلِ  
وقال أيضاً :

فَتَى عَلَى خُبْرِهِ وَنَائِلِهِ \* أَشْفَقُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِهِ  
رَغِيْفُهُ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ \* مَكَانَ رُوحِ الْجَبَّانِ مِنْ جَسَدِهِ

( كَقَوْلِهِ ) أَيْ عَمْرُو بْنُ الْإِيهِمِ التَّغْلَبِيُّ : أَدَّى أَنْ جَارَهُ لَا يَمِيلُ عَنْهُ إِلَى

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِيْنَا      وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا  
وَمَا مَقْبُولَانِ ، وَإِلَّا فَفُلُوتُ ، كَقَوْلِهِ :  
وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ      لَتَخَافَكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

جهة إلا وهو يتبعه الكرامة . وهذا ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلا ، ومن  
هذا النوع قول امرئ القيس :

تَوَرَّتْهَا مِنْ أَذْرُعَانِ وَأَهْلِيَا      بِيَتْرِبِ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرًا عَالِيَا  
وقول القائل :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ      عَلَى جَلٍّ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرُ

يريد أنه لو كان مابه من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط  
(كقوله وأخفت) هو لاني نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد ، وما يتصل  
بهذا ما يحكى أن العنابي الشاعر لقي أبا نواس فقال : أما استحييت من الله بقولك ،  
وأخفت أهل الشرك . . . البيت ، فقال له أبو نواس وأنت أما استحييت من  
الله بقولك :

مَازِلْتُ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ مُطَرِّحًا      يَضِيقُ عَنِّي وَسِيعُ الرَّأْيِ مِنْ حِيلِي  
فَلَمْ تَزَلْ دَائِبًا تَسْمَعِي بِأُطْفَافِكَ لِي      حَتَّى اخْتَسَسَتْ حَيَاتِي مِنْ يَدَيَّ أَجَلِي  
ومن الغلو قول البحري :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَسْكَفَ فَوْقَ مَا      فِي وَسْعِهِ لَسَمِعِي إِلَيْكَ الْمُنْبَرِ  
ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا      مَدَّتْ مُحِييَةً إِلَيْكَ الْأَغْصُنَا



وَالْمَقْبُولُ مِنْهُ أَصْنَافٌ : مِنْهَا مَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ مَا يُقَرَّبُهُ إِلَى الصَّحَّةِ نَحْوُ :  
يَكَادُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، وَمِنْهَا مَا بَضَمْنَ  
نَوْعًا حَسَنًا مِنَ التَّخْيِيلِ ، كَقَوْلِهِ :  
عَقَدَتْ سَنَابِكَهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا      لَوْ تَبَتَّغَى عَنَّا عَلَيْهِ لَأَمْسَكْنَا  
وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي قَوْلِهِ :

ومن الغلو قول المتنبي :

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ      أَقَلُّ جُزْءِي بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ  
ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل بالاحتجاج عنه له ، والتحسين  
لأمره ، وهو بترك التداول أولى ، إلا على وجه التعجب منه ، ومن قائله  
( والمقبول منه ) أى من الغلو ( عقدت ) هو للمتنبي من قصيدة يمدح بها ابن  
عمار وقيله :

أُقْبِلْتَ تَبَسُّمٌ وَالْجِيَادُ عَوَاسٍ      يَخْبِيْنَ بِالْخَلْقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا

السنايك جمع سنيك : وهو طرف الحافر ، والعشير : التراب ، والعنق : نوع  
من السير . ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنايك الخيل فوق رؤسها ، بحيث  
صار أرضاً يمكن سيرها عليه ، وهذا يمتنع عقلاً وعادة ، لكنه تخييل حسن  
( وقد اجتمع ) أى إدخال ما يقربه إلى الصحة ، وتضمن التخييل الحسن  
( فى قوله ) أى فى قول القاضى الأرجاني يصف الليل بالطول . يقول يتخيلى لى  
أن الشهب بحكمة بالمسامير فى الظلام لانفتق من مكانها ، وأن أجفان عيني  
قد شدت بأهدابها إلى الشهب ، لطول سهرى فى ذلك الليل ، وهذا تخييل

يُخَيِّلُ لِي أَنْ سُمِّرَ الشَّهْبُ فِي الدُّجَى وَشَدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي  
وَمِنْهَا مَا أَخْرَجَ مُخْرَجَ الْهَزْلِ وَالْخَلَاةِ ، كَقَوْلِهِ :  
أُسْكِرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشَّرِّ بَ غَدًا إِنْ ذَا مِنْ الْعَجَبِ  
وَمِنْهُ لِلذَّهَبِ الْكَلَامِيُّ ، وَهُوَ إِيرَادُ حُجَّةِ الْمَطْلُوبِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ  
الْكَلَامِ ، نَحْوُ : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، وَقَوْلِهِ :

حسن ، ولفظ يخيل يزيد حسنًا ، وهذا ، ومن المقبول في الغلو قول أبي  
العلاء المعري :

يَكَادُ قِسِيَّةُ مِنْ تَغْيِيرِ رَامٍ تَمَكَّنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّبَلَا  
يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْعِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالَا  
وقول ابن المعتز يصف فرسًا :  
يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ إِذَا تَدَلَّى السَّوْطُ لَوْلَا اللَّيْبُ  
وقال الفرزدق :  
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْقَانُ رَاخَتَيْهِ رُكْنُ الْحُطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ  
وقال آخر :

يَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً عَنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرُغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ

ودم أعرابي رجلاً فقال : يكاد بعدى لومه من تسمى باسمه ، ومثل هذا  
النوع في الكلام كثير ( أسكر بالأمس ) لا يعلم قائله ، ومعناه ظاهر ( ومنه  
المذهب الكلامي ) وأول من ذكره الجاحظ وأنكر ويروى في القرآن  
( طريقة أهل الكلام ) هي أن تكون الحجة بعد تسليم المقدمات مستلزمة  
للمطلوب ( لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ) واللازم وهو فساد السموات

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً      وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِمَرَّةٍ مَطْلَبُ  
لَيْنٍ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً      لَمُبْلَغُكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ  
وَلَا كُنْتُ كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ      مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ  
مُلُوكٍ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ      أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ  
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ      فَلَمْ تَرْكَمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا  
وَمِنْهُ حُسْنُ التَّعْلِيلِ : وَهُوَ أَنَّ يَدْعَى لَوْصِفَ عِلَّةً مُنَاسِبَةً لَهُ  
بِاغْتِبَارِ لَطِيفٍ غَيْرِ حَقِيقِي ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَضْرِبٍ : لِأَنَّ الصِّفَةَ إِمَّا ثَابِتَةً  
قَصِدَ بَيَانِ عِلَّتِهَا ، أَوْ غَيْرُ ثَابِتَةٍ أُرِيدَ اثْبَاتُهَا ، وَالْأُولَى إِمَّا أَنْ لَا يَظْهَرُ

والأرض باطل ، لأن المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه فكذا  
الملزوم وهو تعدد الآلهة . ومثل الآية قوله تعالى أيضاً : وهو الذي يبدأ الخلق  
ثم يعيده وهو أهون عليه ، أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من  
البدء أدخل في الإمكان من البدء ، فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء  
وهو المطالب ، وقوله تعالى : فلم يعذبكم بذنوبكم ، أى أنتم تعذبون والبنون لا  
يعذبون فاستم ببنين له ( وقوله حلفت ) الآيات للناطقة الذبياني من قصيدة  
يمتدح فيها إلى النعمان بن المنذر ، وقد كان مدح آل جفنة بالشام ، فتكر النعمان  
من ذلك ، والريبة : الشك ، ومستتراد : بمعناه موضع يتردد فيه لطلب الرزق .  
ومنتجع : من راد السكالات . فهو يقول : أنت أحسنت إلى قوم قد حوك ، وأنا  
أحسن إلى قوم قد دحتهم ، فكأن مدح أولئك لك لا يعد ذنباً ، فكذلك  
مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنباً .

لَهَا فِي الْعَادَةِ عِلَّةٌ ، كَقَوْلِهِ :

لَمْ يَحِكْ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا \* حَمَتْ بِهِ فَصْدَيْهَا الرِّحْضَاءُ  
أَوْ يَظْهَرُ لَهَا غِلَّةٌ غَيْرُ الْمَذْكُورَةِ ، كَقَوْلِهِ :  
مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ \* يَتَنَبَّأُ إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابُ  
فَإِنَّ قَتْلَ الْأَعْدَاءِ فِي الْعَادَةِ لِيُدْفَعَ مَضَرَّتُهُمْ ، لَا لِمَا ذَكَرَهُ

( كَقَوْلِهِ لَمْ يَحِكْ ) هُوَ لِلْمَتَنِيِّ ، وَالنَّائِلُ : الْعَطَاءُ ، وَالرِّحْضَاءُ : الْعِرْقُ أَثَرُ الْحُمَى :  
فَتَزُولُ الْمَطَرُ مِنَ السَّحَابِ صِفَةً ثَابِتَةً لَهُ لَا يَظْهَرُ لَهَا عِلَّةٌ فِي الْعَادَةِ . وَقَدْ عَلَّمَهُ  
بِأَنَّهُ عِرْقٌ حَامَاهَا النَّاجَةُ عَنْ عَطَاءِ الْمَمْدُوحِ . وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :  
لَا تُنْكِرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَسْكَنِ الْعَالِي  
عَلَّ عَدَمَ إصَابَةِ الْكَرِيمِ بِالْقِيَاسِ عَلَى عَدَمِ إصَابَةِ السَّيْلِ الْمَسْكَنِ الْعَالِي  
كَالطُّودِ الْعَظِيمِ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْكَرِيمَ لَا تُصَافُهُ بَعْلُو الْقَدْرِ . كَالْمَسْكَنِ الْعَالِي وَالْغَنَى  
لِحَاجَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ كَالسَّيْلِ . وَقَوْلُ ابْنِ نَبَاتَةَ فِي صِفَةِ فَرَسٍ أَدْهَمَ مَحْجَلِ الْقَوَائِمِ  
ذِي غُرَّةٍ :

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرَيَا  
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِيًّا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكَ طَيًّا  
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْقُوَّةَ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمَحْيَا  
وَفِي مَعْنَاهُ وَهُوَ جَيِّدٌ إِلَى الْغَايَةِ :

وَكَاثِمًا لَظَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَرَ مِنْهُ فَجَاوَزَ فِي أَحْشَائِهِ  
( كَقَوْلِهِ ) أَيْ قَوْلُ الْمَتَنِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا بَدْرُ بْنُ عِمَارٍ ( لَا لِمَا ذَكَرَهُ )

وَالثَّانِيَةُ : إِمَّا نُمَكِّنُهُ ، كَقَوْلِهِ :

يَا وَاشِيَا حَسَنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْفَرْقِ

من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبه أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي ، أي تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم ، فإذا غدا للحرب رجحت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه . ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

فَلَوْ اشْتَكَّتْ عَيْنُهُ فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصَبُ

خَمَرَتْهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلَتْ وَالدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ

وقول الآخر :

أَتَنِّي تُؤَنِّبُنِي بِالْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيهَا

تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ أَتَبَسُّكِ بَعَيْنٍ تَرَانِي بِهَا

فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحْسَنْتَ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدَّمُوعَ بِتَأْدِيبِهَا

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه لإعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب ( والثانية ) أي الصفة الغير الثابتة التي أريد لإبانتها ( كقوله ) أي قول مسلم بن الوليد ( حذارك ) أي حذارى إياك ( إنساني ) أي إنسان عيني ( نجى إنسانه الخ ) أي حيث ترك

فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ إِسَاءَةِ الْوَاشِي مُمَكِّنٌ ، لَسَكِنْ لَمَّا خَالَفَ النَّاسَ فِيهِ  
عَقَبَهُ بِأَنْ حَذَارَهُ مِنْهُ نَجَى إِنْسَانَهُ مِنَ الْفَرَقِ فِي الدُّمُوعِ ، أَوْ غَيْرُ  
مُمَكِّنَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

لَوْلَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ  
وَأُلْحِقَ بِهِ مَا يُبْنَى عَلَى الشَّكِّ ، كَقَوْلِهِ :  
كَانَ السَّحَابُ الْفَرَّغِيْنَ تَحْتَهَا حَبِيْبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِعُ

البكاء خوفاً منه - من الواشى - ( كقوله لو لم تكن ) فنية الجوزاء خدمة  
المدح صفة غير ممكنة قصد إثباتها ، والانتطاق : شد المنطقة ، ونطاق  
الجوزاء : كواكب حولها ، وهذا البيت مترجم من الفارسية ومثله قول الآخر :  
لَوْلَمْ يَكُنْ أَقْحُوَانًا تَغْرُ مَبْسِمَهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيْبًا سَاعَةَ السَّحَرِ  
( والحق به ما يبنى على الشك ) ولكونه مبنيًا على الشك لم يعمل من  
حسن التعليل لأن فيه ادعاء وإصراراً والشك ينافيه ( كقوله كان السحاب )  
البيت لأبي تمام . والفَرَّغ : جمع الأغر . والسحاب : اسم جنس يطاق على الواحد  
والجميع . ومن ثم وصفه بالجمع والمراد السحاب الماطرة : الغزيرة الماء . والضمير  
في تحتها للرب في قوله قبل هذا البيت :

رُبِّي شَفَعَتْ رِيْحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا إِلَى الْمَزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِئُ  
وترقا أصله ترقأ بالهمز . فقد عال على سبيل الشك نزول المطر من  
السحاب بأنها غيبت حبيبا تحت تلك الربا . فهي تبكى عليه . وهذا البيت يشير  
إلى قول محمد بن وهيب :

وَمِنْهُ التَّفْرِيعُ : وَهُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِمُتَعَلِّقٍ أَمْرٌ حُكْمٌ بَعْدَ إِبْتَاتِهِ  
لِمُتَعَلِّقٍ آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

أَحْلَاكُمْ لِسِقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ \* كَمَا دِمَاؤُكُمْ تُشْفِي مِنَ الْكَلْبِ

طَلَّانِ طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمَدُ      دَرَسَا فَلَا عِلْمَ وَلَا نَصَدُ

لَبِيسًا الْبَلَى فِكَائِمًا وَجَدَا      بَعْدَ الْأَحْيَةِ مِثْلَ مَا أُجِدُ

ونظيره قول المتنبي :

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرَحْلَتِي فَكَأَنِّي      أَتَّبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ

علة تضعيد الأنفاس في العادة ، هي التحسر والتأسف ، لا ما جوز أن يكون إياه ، والمعنى رحل عني العزاء بارتحال عنك ، أي معه أي بسنيده ، فكأنه لما كان الصدر محل الصدر ، وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضاً ، صار العزاء والتنفس الصعداء كأنهما نزيلان ، فلما رحل ذلك كان حقاً على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصلابة ( كقوله أحلامكم ) فقد أثبت لدمايتهم أنها تشفى من الكلب بعد أن أثبت لأحلامهم أنها تشفى من سقام الجهل ، والبيت للكيت من قصيدة يمدح بها أهل البيت ، والكلب : ما يحدث في الإنسان عقيب عض الكلب ولا دواء له ، زعموا أن جمع من شرب دم الملوك ، يقول : أنتم أرباب العقول الراجعة كما أنكم أشراف وملوك ، وفي طريقته قول الخنسي :

بِنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كُلِّ دِمَائِكُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ

هذا ومن التفریع قول الشريف الرضي :

إِذَا قَاتَ شَيْءٌ سَمِيحَةً دَلَّ أَنْفَهُ      وَإِنْ قَاتَ عَيْنِيئِهِ رَأَى بِالْمَسَامِعِ

وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الدَّحْرِ بِمَا يُشَبِّهُ الدَّمَ : وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَفْضَاهُمَا أَنْ  
يُسْتَنْثَى مِنْ صِفَةِ دَمٍ مَنَفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ مَدْحٍ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا  
فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفِيهِمْ \* بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ  
أَيُّ إِنْ كَانَ فُلُولُ السَّيْفِ عَيْبًا ، فَأَثْبَتَ شَيْئًا مِنْهُ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهِ

وقول ابن المعتز :

كَلَامُهُ أَخْذَعُ مِنْ لَحْظِهِ وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طَبِيقِهِ

فبينما هو يصف خدع كلامه أثبت خدع لحظه ، وبينما هو يصف كذب  
وعده أثبت كذب طيفه ( ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم ) النظر في هذه  
التسمية إلى الأعم الأغلب ، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم ويكون  
من محسنات الكلام كقوله تعالى : وَلَا تَنسَكُوا مَا نَسَكُ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا  
مَا قَدْ سَلَفَ ، يَعْنِي إِنْ أَمَكُنْكُمْ أَنْ تَنسَكُوا مَا قَدْ سَأَفَ فَانْكَحُوا فَلَا يَحِلُّ  
لَكُمْ غَيْرُهُ ، وَذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ ، وَالْغَرَضُ الْمُبَالَغَةُ فِي تَحْرِيمِهِ وَسَدُّ الطَّرِيقِ إِلَى  
إِبَاحَتِهِ وَلَيْسَ تَأْكِيدُ الشَّيْءِ بِمَا يُشَبِّهُهُ نَقِيضُهُ ( كَقَوْلِهِ ) أَيُّ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي ،  
فُلُولُ جَمْعِ قُلٍّ : وَهُوَ الثَّلْمُ يَصِيبُ السَّيْفَ فِي حَدِّهِ ( قِرَاعُ الْكِتَابِ ) مُضَارَبَةٌ  
الْجِيُوشِ عِنْدَ اللَّقَاءِ ( فَأَثْبَتَ ) أَيُّ فَقَدْ أَثْبَتَ الشَّاعِرُ شَيْئًا مِنَ الْعَيْبِ عَلَى تَقْدِيرِ  
كَوْنِ فُلُولِ السَّيُوفِ مِنَ الْعَيْبِ وَهَذَا مُحَالٌ ، لِأَنَّهُ كُنَايَةٌ عَنِ كَالِ الشَّجَاعَةِ فَهُوَ  
فِي الْمَعْنَى تَعْلِيقٌ بِالْمُحَالِ كَمَا يُقَالُ حَتَّى يَلْبِضَ الْقَارُ (١) ، وَحَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ



منه ، وهو محال ، فهو في المعنى تعليق بالمحال ، والثنا كيد فيه من جهة  
أنه كدعوى الشيء ببيئته ، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال ، قد ذكر  
أداته قبل ذكر ما بعدها يؤهم إخراج شيء مما قبلها ، فإذا وليها صفة  
مدح جاء الثنا كيد ، والثاني أن يثبت لشيء صفة مدح ، وتعتب بأداة  
استثناء ، وليها صفة مدح أخرى له ، نحو : أنا أفصح العرب بيد أي  
من قريش ، وأصل الاستثناء فيه أيضاً أن يكون منقطعاً لكنه  
لم يقدر متصلاً ، فلا يفيد الثنا كيد إلا من الوجه الثاني ، ولهذا كان

الخياط ، وتأ كيد المدح في هذا الضرب من وجهين : أحدهما أنه كدعوى  
الشيء ببيئته كأنه استدل على أنه لا عيب فيهم بأن ثبوت عيب فيهم معلق  
بكون فلول السيوف عيباً وهو محال ، والثاني أن الأصل في الاستثناء الاتصال  
أي كون المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير السكوت عن  
الاستثناء ، ليكون ذكر المستثنى إخراجاً له عن الحكم الثابت للمستثنى منه ،  
وذلك لأن الاستثناء المنقطع مجاز على ما تقرر في أصول الفقه ، وإذا كان  
الأمر كذلك فإذا نطق المتكلم "إلا أو نحوها" توهم السامع قبل أن ينطق بما  
بعدها أن ما يأتي بعدها يخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً ، فإذا  
وليها صفة مدح جاء التوكيد لكونه مدحاً على مدح ، وإن كان فيه شيء من  
السحر ونوع من الخلابة ( بيد ) بيد هنا بمعنى غير وهو أداة استثناء ( وأصل  
الاستثناء فيه ) يقول أصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً كما أن الاستثناء  
في الضرب الأول منقطع لعدم دخول المستثنى في المستثنى منه ، وهذا لا ينافي  
أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال ( لكنه لم يقدر متصلاً ) بل بقي

الْأَوَّلُ أَفْضَلُ ، وَمِنْهُ ضَرْبٌ آخَرُ ، نَحْوُ : وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا  
بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَالْإِسْتِدْرَاكُ فِي هَذَا الْبَابِ كَالِاسْتِثْنَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :  
هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ الْبَحْرُ زَاخِرًا \* سِوَى أَنَّهُ الضَّرْعَامُ لَكِنَّهُ الْوَبْلُ  
وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشَبِّهُ الْمَدْحَ : وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يُسْتَدْرَكَ  
مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنْفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ ذَمٍّ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :  
فُلَانٌ لَا خَيْرَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ يُسَمَّى إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَثَانِيهِمَا أَنْ يُثَبَّتَ  
لِلشَّيْءِ صِفَةُ ذَمٍّ ، وَتُعَقَّبَ بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ ، تَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى لَهُ ،  
كَقَوْلِكَ : فُلَانٌ فَاسِقٌ إِلَّا أَنَّهُ جَاهِلٌ ، وَتَحْقِيقُهُمَا عَلَى قِيَاسِ مَا مَرَّ

على حاله من الانقطاع ، لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا الضَّرْبِ صِفَةُ ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ عَامَةً يُمْكِنُ  
تَقْدِيرُ دُخُولِ صِفَةِ الْمَدْحِ فِيهَا ( فَلَا يَفِيدُ التَّأْكِيدُ إِلَّا مِنَ الْوَجْهِ الثَّانِي )  
وَهُوَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي مَطَاقِ الْإِسْتِثْنَاءِ الْإِتِّصَالُ ، فَذَكَرَ أَدَاتِهِ قَبْلَ ذِكْرِ الْمُسْتَثْنَى  
يَوْمَ إِخْرَاجِ شَيْءٍ بِمَا قَبْلَهَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ ، فَإِذَا ذَكَرَ بَعْدَ الْأَدَاةِ صِفَةَ  
مَدْحٍ أُخْرَى جَاءَ التَّأْكِيدُ وَلَا يَأْتِي فِيهِ التَّأْكِيدُ مِنَ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ أَعْنَى دَعْوَى  
الشَّيْءِ بَعِيْنَةً لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّعْلِيْقِ بِالْحَالِ الْمَبْنِيِّ عَلَى تَقْدِيرِ الْإِسْتِثْنَاءِ مُتَّصِلًا ( وَمِنْهُ )  
أَيُّ مَنْ تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ ( نَحْوُ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا ) أَيْ وَمَا تَعْيِبُ مِنَّا إِلَّا الْأَصْلَ  
الْمُنَاقِبَ وَالْمُفَاخِرَ كَمَا ، وَهُوَ الْإِيْمَانُ بِآيَاتِ اللَّهِ ( كَمَا فِي قَوْلِهِ هُوَ الْبَدْرُ ) فَالْأَوَّلَانِ  
فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ أَنْ مِثْلَ : بَيِّدَ أَيْ مِنْ قَرِيْشٍ ، وَقَوْلُهُ لَكِنَّهُ الْوَبْلُ ، اسْتِدْرَاكٌ يَفِيدُ  
مِنَ التَّأْكِيدِ مَا يَفِيدُهُ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ ، لَأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَإِلَّا فِيهِ  
بَعْضُ لَكِنْ ، وَالْبَيْتُ لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِي يَمْدَحُ بِهِ خَلْفَ بْنِ أَحْمَدَ السَّجِسْتَانِي

وَمِنْهُ الْإِسْتِنْبَاعُ : وَهُوَ الْمَدْحُ بِشَيْءٍ عَلَى وَجْهِ اسْتِنْبَاعِ الْمَدْحِ بِشَيْءٍ  
آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهْنَدْتَ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ  
مَدَحُهُ بِالنَّهْيَةِ فِي الشَّجَاعَةِ عَلَى وَجْهِ اسْتِنْبَاعِ مَدَحِهِ بِكَوْنِهِ سَبَبًا لِصَلَاحِ  
الدُّنْيَا وَنِظَامِهَا ، وَفِيهِ أَنَّهُ نَهَبَ الْأَعْمَارَ دُونَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا  
فِي قَتْلِهِمْ . وَمِنْهُ الْإِدْمَاجُ : وَهُوَ أَنْ يُضْمَنَ كَلَامٌ سَبَقَ لِمَعْنَى آخَرَ

( نهبت من الأعمار ) هو للثنائي ( مدحه للنهية في الشجاعة ) إذ كثر  
قتلاه بحيث لو وُورث أعمارهم لخلد في الدنيا ( على وجه استنباع مدحه بكونه  
سبباً لصلاح الدنيا ) حيث جعل الدنيا مهنةً بخلوده ، ولا معنى لتهنئته أحد  
بشيء لا فائدة له فيه ولا ثمرة يجنيها منه ( وفيه ) يقول إن في البيت وجهين  
آخرين من المدح ذكرهما على بن عيسى الرُبْعِي ، فأولهما أنه نهب الأعمار دون  
الأموال وهذا مما يشف عن علو الهمة ، وثانيهما أنه لم يكن ظالماً في قتل أحد  
من مقتوليه لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها ، فهم مسرورون ببقائه  
( ومنه الإدماج ) يقال أدمج الشيء في الثوب : إذا لغم فيه ( وهو أن يضمن  
كلام سبق لمعنى معنى آخر ) فهذا المعنى الثاني يجب ألا يكون مصرحاً به  
ولا يكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله ، فن قال في قول الشاعر يعني  
بعض الوزراء لما استوزلوا :

أَبَى دَهْرُنَا إِشْعَافَنَا فِي نُفُوسِنَا وَأَسْقَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ  
فَقُلْتُ لَهُ نَعْمَاكَ فِيمَنْ أُتِمَّتْ وَدَعَّ أَمْرَنَا إِنَّ الْمُهَيَّمِ الْمَقْدَمِ

فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْإِسْتِبَاعِ ، كَقَوْلِهِ :

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي \* أَعْدْتُهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا  
فَإِنَّهُ ضَمِنَ وَصْفَ اللَّيْلِ بِالطُّولِ ، الشَّكَايَةَ مِنَ الدَّهْرِ ، وَمِنْهُ مَنْ  
قَالَ لِأَعْوَرَ : \* لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءٌ \*

لأنه أدمج شكوى الزمان ، وما هو عليه من اختلال الأحوال ، في التهنئة  
فقدسها ، لأن الشكاية مصرح بها فكيف تكون مدحجة ولو جعل التهنئة مدحجة  
لكان أقرب ( فهو أعم من الاستباع ) لشموله المدح وغيره ، واختصاص  
الاستباع بالمدح ( كقوله ) أى قول أبى الطيب يصف طول الليل عليه ،  
ومثله قول ابن المعتز فى الخيرى :

قَدْ نَفَضَ الْعَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الْهَجَرُ بِأَلْوَانِهِمْ عَلَى وَرَقِهِ

فإن الغرض وصف الخيرى بالصفرة ، فأدمج الغزل فى الوصف ، وكذلك  
قول ابن نباتة :

وَلَا بَدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وَصَالِهِ \* فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَوْدِغِ الْحِلْمِ عِنْدَهُ

فإنه ضمن الغزل الفخر بكونه حليماً المسكنى عنه بالاستفهام عن وجود  
خل صالح ، لأن يودعه حله ، وضمن الفخر بذلك بإخراج الاستفهام مخرج  
الإبتكار شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فهم من يصلح لهذا الشأن ،  
ونبه بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حله جملة أبداً ، ولكن إذا كان سريداً  
لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المثافى للحلم ، عزم على أنه إن وجد من  
يصلح لأن يودعه حله أودعه إياه ، فإن الودائع تستعاد ( كقول من قال  
لأعور ليت عينيه سواء ) فإنه يحتمل تمنى أن تصير العين العوراء صحيحة

السكاكى : وَمِنْهُ مُتَشَابِهَاتُ الْقُرْآنِ بِاعْتِبَارٍ . وَمِنْهُ الْهَزْلُ الَّذِي

يُرَادُّ بِهِ الْجَدُّ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا تَنِيَمِي أَتَاكَ مُفَاخِرًا \* فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكُلَكَ لِلضَّبِّ

وَمِنْهُ تَحَاوُلُ الْعَارِفِ : وَهُوَ كَمَا سَمَّاهُ السكاكى سَوَقُ الْمَعْلُومِ .

فيكون مدحاً أو بالعكس فيكون ذمّاً . والقائل هو بشار بن برد قاله في خياط  
أعور يسمى عمرو وصدده :

\* خَاطَ لِي عَمْرُو قِيَاءَ \*

( قال ) السكاكى : وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع ، يعنى  
التوجيه ، باعتبار وهو احتمالها للوجهين المختلفين . أى وفارقه باعتبار آخر  
وهو عدم استواء الاحتمالين لأن أحد المعنيين في التشابهات قريب والآخر  
بعيد لما ذكره السكاكى نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية  
والإيهام . ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين في التشابهات لا يجب  
تضادهما ، إذ يجوز اجتماعهما كالقدرة واليد بمعنى الجارحة ، بخلاف التوجيه  
فإنه يجب فيه تضاد المعنيين . ( ومنه الهزل الذى يراد به الجد ) وترجمته تغنى عن  
تفسيره ، ومن أمثاله قول امرئ القيس :

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَى إِنْ كَانَ بَعَاءًا . بِأَنَّ الْفَتَى يَهْدَى وَلَيْسَ بِفَعَالٍ

فهو الفاتح لهذا الباب ( كقوله ) أى قول أبى نواس ، فإنه أورده على  
سبيل الهزل ، والمراد به الجد . قالوا لأن تمبها كانت تسكر أكل الضب

مَسَاقٍ غَيْرِهِ لِيُكْتَبَ ، كَالْتَوْبِيخِ فِي قَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ :  
 أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا    كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ  
 وَالْبَالِغَةِ فِي الْمَدْحِ ، كَقَوْلِهِ :  
 أَلْمَعُ بَرَقَ سَرَى أُمِّ ضَوْءٍ مُصْبَاحٍ    أُمِّ ابْتِسَامَتِهَا بِالْمُنْظَرِ الضَّاحِي  
 أَوْ فِي الذَّمِّ كَقَوْلِهِ :

وَمَا أَدْرَى ، وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرَى    أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ  
 وَالتَّنْدُلُ فِي الْحُبِّ فِي قَوْلِهِ :

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا    لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ  
 وَمِنْهُ الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهَا أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ  
 فِي كَلَامٍ الْغَيْرِ كِنَايَةً عَنْ شَيْءٍ أُثْبِتَ لَهُ حُكْمٌ فَتَشْدِيحُهَا لِغَيْرِهِ مِنْ

وتعريبه ( في قول الخارجية ) هي ليلي بنت طريف ، توفيت أختها حين قتل  
 وبعد البيت :

فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ الثَّقَى    وَلَا الرِّزْقَ إِلَّا مِنْ قَنَّا وَسُيُوفِ  
 ( الخابور ) نهر من ديار بكر تلتفت على حافتيه أشجار ( ألمع برق ) هو  
 للبحثري ، والمنظر أراد به الوجه ، والضاحي : الظاهر المشرق ( وما أدري )  
 هو لزهير ( بالله يا ظبيات ) هو للحسين بن عبد الله الغريبي ، ومثله قول  
 ذي الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ مِنْ جَلَّالٍ    وَبَيْنَ النَّقَا أَنْتِ أَمْ أُمُّ سَلَمٍ

غَيْرِ تَعْرِضٍ لِّثُبُوتِهِ ، أَوْ نَفْيِهِ عَنْهُ ، نَحْوُ : يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالثَّانِي حَكْمُ لَفْظِ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ بِذِكْرِ مُتَعَلِّقِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قُلْتُ ثَقَلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا \* قَالَ ثَقَلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي  
وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ : وَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِأَسْمَاءِ الْمَذُوحِ أَوْ غَيْرِهِ وَآبَاءِهِ عَلَى

وَالْقَاع : هُوَ الْمُسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ ( الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ ) وَيُسَمَّى أَسْلُوبَ الْحَكِيمِ ( نَحْوُ يَقُولُونَ ) فَإِنَّهُمْ كُنُوا بِالْأَعَزِّ عَنْ فَرِيقِهِمْ ، وَبِالْأَذَلِّ عَنْ فَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَثْبَتُوا لِلْأَعَزِّ الْإِخْرَاجَ ، فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ صِفَةَ الْعِزَّةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ تَعْرِضٍ لِّثُبُوتِ حَكْمِ الْإِخْرَاجِ لِلْمُوصُوفِينَ بِصِفَةِ الْعِزَّةِ وَلَا لِنَفْيِهِ عَنْهُمْ ( كَقَوْلِهِ قُلْتُ ثَقَلْتُ ) فَلَفْظُ ثَقَلْتُ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ بِعَنْ حَمَلَتِكَ الْمُؤَنَةِ ، وَثَقَلْتُكَ بِالْإِنْيَانِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَقَدْ حَمَلَهُ عَلَى تَثْقِيلِ عَاتِقِهِ بِالْأَيَادِي وَالْمَنْنِ وَبَعْدَ الْبَيْتِ :

قُلْتُ طَوَّلْتُ قَالَ لَا بَلَّ طَوَّلْتُ وَأُبرِمتُ قَالَ حَبْلٌ وَدَادِي  
أَي طَوَّلْتُ الْإِقَامَةَ وَالْإِنْيَانِ ، وَأُبرِمتُ : أَي أَمَلْتُ ، وَأُبرِمَ أَيْضاً : أَحْكَمَ ، وَالنَّطُولُ : الْإِنْعَامُ ، فَقَوْلُهُ أُبرِمتُ أَيْضاً مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْقَاضِي الْأَرَجَانِي :

غَالِطَتْنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِي الضَّنَا كِسْوَةً عَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ الْعِظَامَا  
نَمْ طَالَ أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى مِثْلُ عَيْنِي صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَامَا  
( وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ ) لِأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ فِي تَحْدِيدِهَا كَلَامًا الْجَارِي فِي إِطْرَادِهِ

ترتيب الولادة من غير تكلف ، كقوله :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ \* بِعُتْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ  
وَأَمَّا اللَّفْظِيُّ : فَمِنْهُ الْجِنَاسُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ ، وَهُوَ تَشَابُهُمَا فِي اللَّفْظِ ،  
وَالثَّامُ مِنْهُ أَنْ يَتَّفِقَا فِي أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ وَأَعْدَادِهَا وَهَيَاتِهَا وَتَرْتِيبِهَا ، فَإِنْ  
كَانَا مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَاتَمَيْنِ سُمِّيَ مُمَائِلًا ، نَحْوُ : وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ  
الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْشُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ نَوْعَيْنِ سُمِّيَ مُشْتَوًى ، كَقَوْلِهِ :  
مَامَاتٍ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ \* يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وسهولة السجامة ( أن يقتلوك ) أى إن تبجحوا بقتلك وفرحوا به ، فقد  
أثرت في عزمهم وهدمت أساس مجدهم بقتل رئيسهم . هذا آخر المحسنات المعنوية  
وقد أخذ المصنف في بيان المحسنات اللفظية وذكر منها في هذا الكتاب سبعة  
أنواع : ( أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهياتها وترتيبها ) فخرج نحو  
يفرح ويمرح ، ونحو الساق والمساق ، ونحو البرد والبرد ، ونحو الفتح والفتحف  
( نحو ويوم تقوم الساعة ) ومثل قول أبي تمام :

إِذَا الْخَيْلُ جَايَتْ قَسَطَ الْحُرُوبِ صَدَّعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ  
وقول الشاعر :

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالُ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَالُ

الأول جمع أجل بالكسر : وهو الفطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع  
أجل : والمراد به انتهى الأعمار ( مامات ) هو لابي تمام :



وأيضاً إن كان أحد لفظيه مركباً سُمي جناس التركيب ، فإن  
اتفقا في الخط خص باسم المتشابه ، كقوله :

إِذَا مَلَكَتْ لِي يَمِينُ ذَاهِبَةٍ \* فَدَعَهُ فَدَوَّلَتْهُ ذَاهِبَةٍ

وإلا خص باسم المفروق ، كقوله :

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَا مَ وَلَا جَامَ لَنَا

مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الْجَامِ لَوْ جَامَلْنَا

وإن اختلفا في هيات الحروف فقط سُمي محرفاً ، كقولهم : جَبَّةُ  
الْبُرْدِ جَبَّةُ الْبُرْدِ ونحوه : الْجَاهِلُ إِمَّا مُفْرِطٌ أَوْ مُفْرِطٌ ، وَالْخَرْفُ الْمُسَدَّدُ  
فِي حُكْمِ الْمُخَفَّفِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشَّرِكِ ، وَإِنْ اختلفا في

( خص باسم المتشابه ) لتشابه اللفظين في الكتابة ( إذا ملك ) هو لآي الفتح  
البسقي ، وقوله لم يكن ذاهبة : أي صاحب هبة وعطاء ، وقوله فدولته ذاهبة : أي  
غير باقية ( كلكم قد أخذ الجام ) هو لآي الفتح أيضاً ، والجام : إناء يشرب فيه الخمر ،  
ومديره : يعني به الساق ، وقوله لو جاملنا : أي عاملنا بالجميل ( خص باسم  
المفروق ) لافتراق اللفظين في صورة الكتابة ( سمي محرفاً ) لانحراف هيئة  
أحد اللفظين عن هيئة الآخر ( كقولهم جبة البرد الخ ) فقد وقع الاختلاف  
بين البرد والبرد ، لأن الباء في الأول ضم ، وفي الثاني فتحة ، وأما الجبة والجنة  
فنالتجيس اللاحق لا المحرف ، والجنة : الوقاية ( إماما مفراطاً أو مفراطاً ) الأول  
من الإفراط وهو تجاوز الحد ، والثاني من التفريط وهو التقصير ( كقولهم  
البدعة ) مثله قول أبي العلاء المعري :

وَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ

أَعْدَادِهَا سُمِّيَ نَاقِصًا ، وَذَلِكَ إِمَّا بِحَرْفٍ فِي الْأَوَّلِ ، مِثْلُ : وَالتَّتِ السَّاقُ  
بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ، أَوْ فِي الْوَسْطِ ، نَحْوُ : جَدَّى جَهْدِي  
أَوْ فِي الْآخِرِ ، كَقَوْلِهِ :

\* يَمْدُونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ \*

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُطَرِّقًا ، وَإِمَّا بِأَكْثَرِ ، كَقَوْلِهَا :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشَّفَا ، مِنَ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

(سمى ناقصاً) لنتقصان أحد اللفظين عن الآخر (جدي جهدي) أي حظي  
من الدنيا وغناي فيها إنما هو باجتهادي وسعيي (كقوله يمدون) تمامه :

\* تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاصِبِ \*

والبيت لأبي تمام ، وقوله من أيد : فن زائدة على مذهب الـأخفش أو  
للتبعية في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه . وبالجملـة هو الواقع  
موقع مفعول يمدون ، وعواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالعصى : أي  
السيف ، وعواصم : من عصمه حفظه وحماه ، وفواض جمع قاضية : من قضى عليه  
قتله ، وقواضب جمع قاضب من قضبه جمعه : أي يمدون للضرب يوم الحرب  
أيدياً ضاربات للأعداء حاميات للأولياء صائلات على الأقران بسيف  
قاتلة قاطعة (وربما سمي مطرّقاً) يعني هذا القسم الذي تكون فيه الزيادة  
في الآخر لتطرف الزيادة فيه . وهذا ، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد  
عليك آخر الحكمة كالـمهم من عواصم أنها هي التي مضت ، وإنما أتى بها  
للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك ، انصرف عنك ذلك

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُذْيَلًا ، وَإِنْ اختلفا في أنواعها فَيُشْتَرَطُ أَنْ لَا يَقَعَ  
بِأَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ ، ثُمَّ الْحَرْفَانِ إِنْ كَانََا مُتَقَارِبَيْنِ سُمِّيَ مُضَارِعًا ، وَهُوَ  
إِمَّا فِي الْأَوَّلِ نَحْوُ : بَيْنِي وَبَيْنَ كَيْتَى لَيْلٍ دَامِسَ وَطَرِيقَ طَامِسَ ، أَوْ فِي  
الْوَسْطِ نَحْوُ : وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : الْخَيْلُ مَعْقُودٌ  
بِنَوَاصِيهَا الْخَيْزُ ، وَإِلَّا سُمِّيَ لَاحِقًا ، وَهُوَ أَيْضًا إِمَّا فِي الْأَوَّلِ ، نَحْوُ : وَيْلٌ  
لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ ، أَوْ فِي الْوَسْطِ ، نَحْوُ : ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْرَحُونَ فِي  
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَعْرَحُونَ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : وَإِذَا جَاءَهُمْ  
أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ، وَإِنْ اختلفا في تَرْتِيبِهَا سُمِّيَ تَجْنِيسَ الْقَلْبِ ، نَحْوُ :  
حُسَامُهُ فَتَنَحَّ الْأَوْلِيَاءُ حَتْفَ الْأَعْدَاءِ ، وَيُسَمَّى قَلْبَ كُلِّ ، وَنَحْوُ : اللَّهُمَّ

التوهم . وفي ذلك حصول الفائدة بعد أن يخاطبك اليأس منها قاله الشيخ الإمام  
( كقولها ) أي الخنساء . والجوى : الحرقه ( مذيل ) لأن تلك الزيادة في  
آخره كالذيل ( سمى مضارعاً ) لمضارعة المبين من اللفظين لصاحبه في المخرج  
( نحو بيني ) هذا كلام للحريزي . والكن : المنزل . والدامس : الشديد الظلمة .  
والطامس : المطموس العلامات الذي لا يمتدى فيه إلى المراد ( ويل لكل همزة  
لمزة ) الهمز : الكسر . واللمز : الطعن . والمراد الكسر من أعراض الناس  
والغرض منهم . وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما  
اللعنة والضحكة ( سمى تجنيس القلب ) لوقوع القلب : أي عكس بعض الحروف  
في أحد اللفظين بالنظر للآخر ( نحو حسامه ) هذا مأخوذ من قول الأحنف  
ابن قيس :

اشْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَانِنَا ، وَيُسَمَّى قَلْبَ بَعْضٍ وَإِذَا وَقَعَ أَحَدُهُمَا فِي أَوَّلِ  
الْبَيْتِ وَالْآخَرِ فِي آخِرِهِ سُمِّيَ مَقْلُوبًا مُجَنِّحًا ، وَإِذَا وَلَّى أَحَدُ الْمُتَجَانِسَيْنِ  
الْآخَرَ سُمِّيَ مُرَدَّوَجًا وَمَكْرَرًا وَمُرَدَّدًا نَحْوُ : وَجَّيْتُكَ مِنْ سَبَا بِنَبَا يَقِينٍ .  
وَيَلْحَقُ بِالْجُنَاسِ شَيْئَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يَجْمَعَ اللَّفْظَيْنِ الْإِشْتِقَاقُ نَحْوُ : فَأَقِمَّ  
وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَجْمَعَهُمَا الْمِثَالَةُ ، وَهِيَ مَا يُشَبِّهُ الْإِشْتِقَاقَ  
نَحْوُ : قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِينَ . وَمِنْهُ رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ وَهُوَ فِي

حُسَامُكَ فِيهِ لِلْأَخْبَابِ فَتَنَحَّ وَرُحُوكَ فِيهِ لِلْأَعْدَاءِ حَتَفَ

( سَمِيَ مَقْلُوبًا مُجَنِّحًا ) لِأَنَّ اللَّفْظَيْنِ كَأَنَّهُمَا جَنَاحَانِ لِلْبَيْتِ . وَهَذَا كَقَوْلِ

ابن نباتة :

سَاقٍ يُرِيْنِي قَلْبُهُ قَسْوَةً وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسٍ

( نَحْوُ وَجَّيْتُكَ مِنْ سَبَا ) وَنَحْوُ قَوْلِهِمْ مِنْ طَلَبٍ وَجَدَ وَجَدَ . وَقَوْلُهُمْ مِنْ  
قَرَعٍ بَابًا وَلِجٍّ وَلِجٍّ . وَقَوْلُهُمْ النَّيِّدُ بَغِيرُ النِّعَمِ غَمٌ . وَبَغِيرُ الدَّهْمِ سَمٌ ( نَحْوُ فَأَقِمَّ  
وَجْهَكَ ) مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَقَوْلُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَقَدْ سَتَلَ عَنِ النَّيِّدِ : أَجْمَعَ أَهْلَ الْحَرَمَيْنِ  
عَلَى تَحْرِيمِهِ ، وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

\* فَبَادِئُكَ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِئِي نَجْدٍ \*

وقول البحترى :

يَعِشِي عَنِ الْمَجْدِ الْغَيْبِيِّ وَأَنْ تَرَى فِي سُودَدٍ أَرْبَا لِعَبْرِ أَرْبَابِ

( نَحْوُ قَالَ ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ . وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

النَّثْرُ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْمَكْرَرَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ الْمُلْحَقَيْنِ بِيَهُمَا فِي  
أَوَّلِ الْفَقْرَةِ ، وَالْآخَرُ فِي آخِرِهَا ، نَحْوُ : وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ  
تَخْشَاهُ ، وَنَحْوُ : سَابِلُ اللَّيْمِ يَرْجِعُ وَدَمُهُ سَابِلٌ ، وَنَحْوُ : اسْتَغْفِرُوا  
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً وَنَحْوُ : قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ، وَفِي النَّظْمِ  
أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا فِي آخِرِ الْبَيْتِ وَالْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ أَوْ  
آخِرِهِ أَوْ صَدْرِ الثَّانِي ، كَقَوْلِهِ :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ \* وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى يَسْرِعُ

وَإِذَا مَارِياً جُودِكَ هَبَّتْ \* صَارَ قَوْلُ الْعَذُولِ فِيهَا هَبَاءً

(ومنه) أى ومن اللفظي (المكررين) يعنى المتفقين فى اللفظ والمعنى  
(أو المتجانسين) أى المتشابهين فى اللفظ دون المعنى (أو الملحقين بهما)  
أى المتجانسين والمراد بهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق  
وقد مثل المصنف لهذه الأربعة على الترتيب (أحدهما) أى أحد اللفظين  
المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما (والآخر فى صدر المِصْرَاعِ الْأَوَّلِ  
أو حشوه أو آخره أو صدر الثانى) وعلى هذا تصير الأقسام ستة عشر ناجمة  
عن ضروب أربعة أقسام : المكررين والمتجانسين والملحقين اشتقاقاً والملحقين  
بشبه الاشتقاق فى أربعة ، وهى تكون اللفظ المقابل لها فى عجز البيت وافعاً فى  
صدر المِصْرَاعِ الْأَوَّلِ ، أو حشوه أو آخره ، أو صدر الثانى ، والمصنف أورد  
ثلاثة عشر مثالا وأهمل ثلاثة اكتفاء إياه بأمثلة الاشتقاق ، وسنذكرها آخره  
إن شاء الله (كقوله سريع) فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المِصْرَاعِ

وقوله :

تَمَتَّعَ مِنْ شَيْمٍ عَرَارٍ تَجَدُّ مَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ

وقوله :

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا فَإِذَا زِلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمًا

وقوله :

وَأِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

الأول والبيت للأفيسر وتقدم السبب في قوله له ( وقوله تتمتع ) فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول والبيت للصمة بن عبد الله القشيري ، والعرار : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، وموضع من عرار رفع على أنه اسم ما ومن زائدة ، وتتمتع مقول أقول في قوله :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْبَيْتُ تُهَوَّى بِنَا بَيْنَ الْمَنِيْفَةِ فَالضَّمَارِ

( وقوله ومن كان ) فيما يكون المكرر الآخر في آخر المصراع الأول ، والبيت لأبي تمام ، والكواعب جمع كاعب : وهي الجارية حين يبدو ثديها للتهوض ، والبيض القواضب : السيوف القواطع ( وقوله وإن لم يكن ) فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الثاني ، والبيت لذي الرمة وقوله :

أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا

الإلام : النزول القليل ، والتعريج على الشيء : الإقامة عليه ، وانتصب معرج على أنه خبر يكن واسمه ضمير الإلام ، وقيل لا صفة مؤكدة ، لأن القلة تفهم من إضافة التعريج إلى الساعة ، وقيل لها فاعل نافع أو هو مبتدأ ونافع خبره ، والضمير في قايها للساعة أي قليل التعريج في الساعة ينفعني ويبل أوامى ويروى

وقوله :

دَعَايَ مِنْ مَّلَامِكُمْ سَفَاهًا      فَدَايِيَ الشُّوقِ قَبْلَكُمْ دَعَايَ

وقوله :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْضَحَتْ بِلُغَاتِهَا      فَأَنْفَ الْبَلَابِلِ بِإِحْسَاءِ بَلَابِلِ

وقوله :

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمَنَانِ      وَمَقْتُوفٌ بِرَنَاتِ الْمَشَانِ

وقوله :

أَمَلْتُهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ      فَلَاخَ لِي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَاخَ

غالى (وقوله دعاني) فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الاول ، دعاني الاول بمعنى اتركاني ، والثاني من الدعاء بمعنى الطاب ، والسفاه : الطيش ، والبيت للفاضل الارجاني ( وقوله ولذا البلابل ) فيما يكون المتجانس الآخر في حشو المصراع الاول البلابل الاول جمع بئبل وهو الطائر المعروف ، والثاني جمع ببال وهو الحزن ، والثالث جمع بائلة وهو لبريق الحجر ، والاحقساء : الشرب ، والمقصود بالتمثيل هو البلابل ، الثالث بالنسبة إلى الاول والبيت للثعالي (وقوله فمشغوف) فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الاول ، المثاني الاول القرآن (١) والآخر أوتار المزامير التي ضم طاق منها إلى طاق ، ورناتها : لغاتها ، والبيت للحريري ( وقوله أماتهم ) فيما يكون المتجانس الآخر

( ١ ) قال الجوهري : المثاني من القرآن ما كان أقل من المائتين ، وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لأنها تثنى في كل ركعة ، ويسمى جميع القرآن مثاني أيضاً لاقران آية الرحمة بآية العذاب .

وقوله :

ضَرَائِبُ أَبَدَعَتَهَا فِي السَّمَاحِ . فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيْبًا

وقوله :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ . فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانٍ

وقوله :

لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ . وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

وقوله :

فَدَعَ الْوَعِيدَ ثَمَّا وَعَيْدُكَ طَائِرِي . أَطْنِينُ أَجْنَحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ

في صدر المصراع الثاني ومعناه ظاهر وهو للقاضي الأرجاني ( وقوله ضرائب )  
فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقاً في صدر المصراع الأول ،  
فالضرائب جمع ضريبة : وهي الطبيعة والسجية التي طبع الرجل عليها ،  
والضريب : المثل وأصله المثل في ضرب القداح فهما راجعان إلى أصل واحد في  
الاشتقاق والبيت للبحتري ( وقوله إذا المرء ) مما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً  
في حشو المصراع الأول : أي إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما  
يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه فيخزن  
وخزان مما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لامرئ القيس ( وقوله لو اختصرتم )  
مما وقع أحد الملاحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول ويجمعها  
شبه الاشتقاق والبيت لأبي الغلاء المعري ، قوله والعذب يعني من الماء والخصر  
البرودة ، يقول إن بعدى عنكم لكثرة ما أنعمتم على وطوقتموني من الإحسان  
( وقوله فدع الوعيد ) فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً في آخر المصراع الأول



وقوله :

وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْقَوَاضِبُ فِي الْوَعْنَى \* بَوَاتِرَ نَهَى الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ  
وَمِنْهُ السَّجْعُ : وَهُوَ تَوَاطُؤُ الْفَاصَاتَيْنِ مِنَ النَّثْرِ عَلَى حَرْفٍ  
وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ السَّكَاكِيِّ : هُوَ فِي النَّثْرِ كَالْقَافِيَةِ فِي الشُّعْرِ ،

فضائر ويضير مما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لابن عينة المهامي ( وقوله وقد كانت ) فيما يكون الملاحق الآخر اشتقاقاً في صدر المصراع الثاني . قوله القواضب أى القواطع من ذاتها ، وقوله بواتر : أى قواطع لحسن استعماله إياها ، وبتر جمع أوتر : مقطوع الفائدة ، فالبواتر والبتر مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لأبى تمام من قصيدته التى رثى بها محمد بن نهشل حين استشهد ، وهذا ، وأما الأمثلة الثلاثة التى أتمها المصنف ، فمثال ما يقع أحد الملاحقين الذين يجمعهما شبه الاشتقاق فى آخر البيت ، والآخر فى صدر المصراع الأول قول الحريرى :

وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرَى الْعَيْنَانِ إِلَى مَلْهَى فَسُخْقًا لَهُ مِنْ لَأْسِحِ لَاحٍ  
فالأول ماضى يلوح والآخر اسم فاعل . من لحاه أبعده ، ومثال ما وقع  
الآخر فى آخر المصراع الأول قول الحريرى أيضاً :

وَمُضْطَلِعٌ بِتَخْلِيصِ الْعَمَانِ وَمُطْلِعٌ إِلَى تَخْلِيصِ عَانِي  
فالأول من عنى يعنى ، والثانى من عنا يعنو ، ومثال ما وقع الآخر فى صدر  
المصراع الثانى قول الآخر :

مَمْرَى لَقَدْ كَانَ الثَّرِيَاءَ مَسْكَانَهُ ثَرَاءً فَأَشْخَى الْآنَ مَثْوَاهُ فِي الثَّرَى  
فالثراء : ولوى من الثروة ، والثرى : يأتى ( ومنه السجع ) وليس قصاراه

( ١ ) المضطالع بالشئ القوى فيه الناهض به وتخليص العانى فكأن الأسير .

وَهُوَ مُطَرَّفٌ ، إِنْ اخْتَفَا فِي الْوِزْنِ ، نَحْوُ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا  
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، وَإِلَّا فَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ  
مِثْلَ مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْآخَرَى فِي الْوِزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ فَتَرْصِيعٌ نَحْوُ : فَهُوَ يَطْبَعُ  
الْأَسْمَاعَ بِجَوَاهِرٍ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرٍ وَعَظِهِ ، وَإِلَّا فَمُتَوَازٍ ،

أَنْ تَقِفَ عِنْدَ تَوَاطُؤِ الْفَوَاصِلِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ  
الْإِلْفَاطُ الْمَسْجُوعَةُ حُلُوةً حَادَةً ، لَاغَةً وَلَا بَارِدَةً ، وَإِلَّا كُنْتَ كَمَنْ يَنْقُشُ  
أَثْوَابًا مِنَ الْكَرْسَفِ ، أَوْ يَنْظُمُ عَقْدًا مِنَ الْحَرْفِ الْمَلُونِ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ  
يَكُونَ اللَّفْظُ فِيهِ تَابِعًا لِلْمَعْنَى وَإِلَّا كَانَ كَظَاهِرِ مَمْنُوعٍ عَلَى بَاطِنِ مَشْهُوعٍ ، فَإِذَا تَوَفَّرَتْ  
هَذِهِ الْأُمُورُ فَإِنْ رَوَاهُ ذَلِكَ مَطْلُوبًا آخَرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَقْرَتَيْنِ  
دَالَّةً عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْآخَرَى ، وَإِلَّا لَسْنَا تَطْوِيلًا  
كَقَوْلِ الصَّابِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَدْرِكُهُ الْأَعْيُنُ بِالْحَاطِظِ ، وَلَا تَحْدَهُ الْأَلْسُنُ  
بِالْفَاطِظِ ، وَلَا تَحْلِفُهُ الْعُصُورُ بِمُرُورِهَا ، وَلَا تَهْرِمُهُ الدُّهُورُ بِكُرُورِهَا ، ثُمَّ انْتَهَى  
إِلَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : لَمْ يَرِ لِلْكَفْرِ أَثَرٌ إِلَّا طَمَسَهُ وَمَحَاهُ ،  
وَلَا رِسْمًا إِلَّا أزالَهُ وَعَفَاهُ ، إِذَا لَفِرْقَ بَيْنَ مَرُورِ الْعُصُورِ وَكُرُورِ الدُّهُورِ ،  
وَكَذَلِكَ لَفِرْقَ بَيْنَ مَحْوِ الْأَثَرِ وَعَفَا الرِّسْمِ ( الْقَرِينَتَيْنِ ) أَيْ الْفَقْرَتَيْنِ ،  
سَمِيَتْ الْفَقْرَةُ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقَارَنُ أَخْتَهَا ( فَتَرْصِيعٌ ) وَسَمِيَتْ كَذَلِكَ تَشْدِيدًا لَهَا  
بِجَعْلِ إِحْدَى اللَّوْثُلَتَيْنِ فِي الْعَقْدِ فِي مَقَابَلَةِ الْآخَرَى ، وَهَذَا النَّوعُ لِمَا فِيهِ مِنْ  
تَعَمُّقِ الصَّنِيعَةِ وَتَعْصِيفِ السَّكْفَةِ ، لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي كَلَامِ الْمُتَفَصِّحِينَ ( نَحْوُ فَهُوَ  
يَطْبَعُ ) فَإِنْ الْحَرِيرِيُّ كَمَا تَرَى قَدْ جَعَلَ يَطْبَعُ بِإِزَاءِ يَقْرَعُ ، وَالْإِجْمَاعُ بِإِزَاءِ  
الْأَسْمَاعِ ، وَجَوَاهِرُ بِإِزَاءِ زَوَاجِرَ ، وَلَفْظُهُ بِإِزَاءِ وَعَظِهِ ( وَإِلَّا ) أَيْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
مَا فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ وَلَا أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْآخَرَى ، فَهُوَ السَّجْعُ

نحو: فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة. قيل: وأحسن السجع ما تساوت قرائنه، نحو: في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود، ثم ما طالت قرينته، الثانية نحو: والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى، أو الثالثة، نحو: خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه، ولا يحسن

المتوازي وذلك بأن يكون ما في إحدى القرينتين أو أكثره وما يقابله من الأخرى مختلفين في الوزن والتقفية جميعاً كما في الآية، أو في الوزن فقط نحو: والمرسلات عرفاً فالماضيات عصفاً، أو في التقفية فقط كقولهم حصل الناطق والصامت<sup>(١)</sup>، وهلك الحاسد والشامت (قيل) قال ابن الأثير: السجع علامة أقسام، الأول: أن يكون الفصلان متساويين بقوله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر، وهذا أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه، الثاني: أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول لا طولاً يخرج به عن الاعتدال كثيراً وإلا كان قبيحاً، فن ذلك قوله تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، فإن الأول ثمان لفظات والثاني تسع، وله في القرآن غير نظير ويستثنى منه ما كان على ثلاث، فإن الأولين يحسبان في عدة واحدة واحدة ثم تأتي الثالثة بحيث تزيد عليها طولاً، ويجوز أن يحسب مساوية لها كقوله تعالى: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود فهذه الثلاث كل منها من لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ستاً كان حسناً، الثالث: أن يكون الآخر أقصر من الأول وهو عندي عيب فاحش، لأن السجع قد استوفى أمدّه من الفصل الأول بحكم طوله ثم يحسب الفصل الثاني قصيراً عن الأول

(١) أي وجد عندي الناطق وهو العبيد، والصامت نحر الإبل والعقار.

أَنْ يُؤَلَّى قَرِينَةً أَفْهَمَ مِنْهَا كَثِيرًا . وَالْأَسْجَاعُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى سَكُونِ الْأَعْجَازِ .  
كَقَوْلِهِمْ : مَا أَبْعَدَ مَافَاتٍ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات ، قِيلَ : وَلَا يُقَالُ فِي  
الْقُرْآنِ أَسْجَاعٌ بَلْ يُقَالُ فَوَاصِلُ ، وَقِيلَ : السَّجْعُ غَيْرُ مُحْتَصٍ بِالنَّثَرِ .

فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمُبْتَوَّرِ فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، كَنْ يَرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ  
فَيَمُتُّ دُونَهَا هَذَا ، وَالسَّجْعُ لِمَا قَصِيرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتُ  
عَصْفًا ، أَوْ طَوِيلَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَإِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا  
مِنْهُ إِنَّهُ لَيَمُوسُ كَفُورٌ وَإِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ  
السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ بُخُورٌ ، أَوْ مَتَوَسَّطَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ  
وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَمِنْ لَطِيفِ  
السَّجْعِ قَوْلُ الْبَصِيدِ الْهَمْدَانِي مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى ابْنِ فَرِيقُونَ : كِتَابِي  
وَالْبَحْرُ وَإِنْ لَمْ أَرَهُ ، فَقَدْ سَمِعْتُ خَبْرَهُ ، وَاللَّيْثُ وَإِنْ لَمْ أَلْقَهُ ، فَقَدْ تَصَوَّرْتُ  
خَلْقَهُ ، وَالْمَلِكُ الْعَادِلُ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ لَقِيَّتُهُ ، فَقَدْ لَقِنْتُ صَيْتَهُ ، وَمَنْ رَأَى  
مِنَ السَّيْفِ أَثَرَهُ ، فَقَدْ رَأَى أَنْكَرَهُ ( وَالْأَسْجَاعُ ) فَوَاصِلُ الْأَسْجَاعِ ،  
مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَاكِنَةً الْآخِرَ مَوْفُوقًا عَالِمًا ، لِأَنَّ الْغَرَضَ  
أَنْ يَرَاوَجَ بَيْنَهَا ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ فِي كُلِّ ضُورَةٍ إِلَّا بِالْوَقْفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ وَصَلْتَ  
قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَافَاتٍ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات . لَمْ يَكُنْ بَدَ مِنْ إِجْرَاءِ كُلِّ مَنْ  
الْفَاصِلَيْنِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حِسُّكَ الْإِعْرَابِ ، فَيَفُوتُ الْغَرَضُ مِنَ السَّجْعِ ، وَإِذَا  
رَأَيْتَهُمْ يَخْرُجُونَ السَّكْمَ مِنْ أَوْضَاعِهَا لِلْإِزْدَوَاجِ فِي قَوْلِهِمْ إِنِّي لَأَتِيهِ بِالْغَدَايَا  
وَالْعَشَايَا : أَيْ بِالْغَدَوَاتِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ ( قِيلَ وَلَا يُقَالُ فِي الْقُرْآنِ  
أَسْجَاعٌ ) السَّجْعُ تَوَعُّدٌ مِنَ السَّكْلَامِ يَعْتَمِدُ الصَّنْعَةَ ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ التَّكْلِيفِ  
وَالْتَعَصُّفِ ، وَمِنْ قَصْدِهِ فِي كَلَامِهِ أَجْبَرَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَعْنَى تَابِعًا لَهُ وَهَذَا نَقَصٌ

ومثاله من النظم قوله :

في الكلام كبير ، وعيب يخمش وجه الفصاحة ، فلذلك ذهب العقلاء إلى أن القرآن برىء من السجع ، وهذا الذي يظن به أنه سجع إنما هو فواصل يستريح الكلام إليها . قال الباقلاني : قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وليس كذلك ما اتفق بما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى ، وفصل بين أن ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجاباً لتجنب السجع دون تصحيح المعنى ، ثم قال ولو كان الذي في القرآن سجعاً لكان مذموماً ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختافت طرقه كان قبيحاً من الكلام ، والسجع منهج مرتب وطريق مضبوط متى أحل به المتكلم نسب إلى الخروج عن الفصاحة ، وهذا الذي يظن به أنه سجع قد علمنا أن بعضه متقارب الفواصل ، متداني المقاطع ، وبعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ، وهذا في السجع غير محمود ( ومثاله من النظم قوله ) وقول ذي الرمة :

كحللاً في برج صقراً في نَعَج كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ  
وقول الخنساء :

حَايِي الْحَقِيقَةَ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ مَهْدِي الطَّرِيقَةِ نَفَاعٌ وَضَوَائِرُ

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي \* وَفَاضَ بِهِ ثَمْدِي وَأَوْرَى بِهِ زَنْدِي  
وَمِنْ السَّجْعِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَا يُسَمَّى التَّشْطِيرَ ، وَهُوَ جَعْلُ كُلِّ

جَوَابٍ قَاصِيَةٍ جَزَاءُ نَاصِيَةٍ عَقَادُ أَلْوِيَةٍ لِلخَيْلِ جَرَّارُ  
حُلُوٌّ حَلَاوَةٌ فَضْلٌ مَقَالَةٌ فَاشٍ حَالَةٌ لِلْعَظَمِ جَبَّارُ  
وقول أبي صخر الهذلي :

سُودٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَوَائِبُهَا مَحْضٌ ضَرَائِبُهَا صِيغَتْ مِنَ الْكَرَمِ  
وهذا النوع كثير لا يحصره الاستقصاء ( تجلي ) هو لابي تمام ، قوله تجلي  
به رشدي : يريد ظهر بهذا الممدوح بلوغى المقاصد ، وأثرت : أى صارت ذات  
ثروة ، والثمد : الماء القليل لا مادة له ، والمراد هنا المال القليل ، ومعنى أورى  
به زندي : صار ذا وري ، وهو عبارة عن الظاهر بالمطلوب ( ومن السجع على  
هذا القول ما يسمى التشطير ) وكذلك منه ما يسمى التصريع ، وهو جعل  
العروض مقفاة تقفية الضرب ، والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت  
والضرب آخر المصراع الثاني منه . قال ابن الأثير : التصريع ينقسم إلى سبع  
مراتب ، الأولى : أن يكون كل مصراع مستقلا بنفسه في فهم معناه ، ويسمى  
التصريع الكامل كقول امرئ القيس :

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا التَّدْلِيلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمَعْتَ صَرِي فَأَجَلِ  
الثانية : أن يكون الأول غير محتاج إلى الثاني ، فإذا جاء جاء مرتبطاً به  
كقوله أيضاً :

حَقًّا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَطِّ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَجَوْ مَلِ  
الثالثة : أن يكون المصراعان بحيث يصح وضع كل منهما موضع الآخر ،  
كقول ابن الحجاج البغدادي :

مِنْ شَطْرِي الْبَيْتِ سَجْعَةً مُخَالَفَةً لِاخْتِهَا ، كَقَوْلِهِ :

تَذِيرُ مُفْتَنِّمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ \* لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٍ

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي الْمَهْرَجَانِ خِنَةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوءِ الْكَانِ  
الرابعة : ألا يفهم معنى الأول إلا بالثاني ويسمى التصريح الناقص كقول  
أبي الطيب :

مَغَانِي الشُّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيِّعِ مِنَ الزَّمَانِ  
الخامسة : أن يكون التصريح بلفظة واحدة في المصراعين ويسمى التصريح  
المكسر ، وهو ضربان ، لأن اللفظة أما متحدة المعنى في المصراعين كقول عبيد  
ابن الأبرص :

فَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُوُوبُ

وهذا أنزل درجة . وأما مخالفة المعنى لكونه مجازاً كقول أبي تمام :  
فَقَدْ كَانَ شَرِبًا لِلْعُقَاةِ وَمَرَاتِمًا فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضِ مَرَاتِمًا  
السادسة : أن يكون المصراع الأول معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول  
الثاني ويسمى التعليق : كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ

لأن الأول معلق بصبح وهذا معيب جداً . السابعة : أن يكون التصريح في  
البيت مخالفاً لقافيته ويسمى التصريح المشطور . كقول أبي نواس :

أَقْلَنِي قَدْ نَدَيْتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبِالْإِقْرَارِ عُدْتُ عَنِ الْجُحُودِ

فصرع بالباء ثم قناه بالبدال انتهى . وهذا السابع خارج مما نحن فيه  
( كَقَوْلِهِ تَذِيرُ ) فالشطر الأول كما ترى سبعة مبنية على الميم والثانية سبعة

وَمِنْهُ الْمَوَازَنَةُ : وَهِيَ تَسَاوَى الْفَاصِلَتَيْنِ فِي الْوِزْنِ دُونَ التَّقْصِيمَةِ نَحْوُ :  
وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِيٌّ مَبْثُوثَةٌ ، فَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِيْنَتَيْنِ  
أَوْ أَكْثَرَهُ مِثْلًا مَا يُقَابَلُهُ مِنَ الْآخَرَى فِي الْوِزْنِ ، خُصَّ بِاسْمِ الْمَائِلَةِ  
نَحْوُ : وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَتِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَقَوْلُهُ :  
مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسَ فَنَا لَخَطٌ إِلَّا أَنْ تِلْكَ ذَوَابِلُ  
وَمِنْهُ الْقَلْبُ ، كَقَوْلِهِ :

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوًى وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتِهِ تَدُومُ

مبغية على الباء . والببيت لأبي تمام . والمرغب في الله : الراغب فيما يقربه من  
رضوانه . والمرتب : المنتظر الثواب الخائف العقاب ( ومنه ) أي ومن اللفظي  
( نحو ونمارق ) فلفظا مصفوفة ومبثوثة متساويان في الوزن لاني التقفية . لأن  
الأول على التاء والثاني على الناء . ولا عبرة ببناء التانيث لما هو معروف ( من  
علم القوائى ( مها الوحش ) هو لأبي تمام يصنف النساء بسعة العيون وطول  
القدود ، والمها جمع مهاة : البقرة الوحشية . والخط : موضع تنسب إليه الرماح  
المستقيمة والمثالان — الآية الببيت — بما يكون أكثر ما في إحدى القريبتين  
مثل ما يقابله من الأخرى لعدم تماثل آتيناهما وهديناهما وزناً ، وكذا هاتتا وتلك  
ومثال الجميع قول أبي تمام :

فَأَخْبَجْتُمْ لِمَا لَمْ يَخْدُ فِيكَ مَطْمَعًا وَأَقْدَمْتُمْ لِمَا لَمْ يَحْدُ عَنْكَ مَهْرَبًا

( ومنه القلب ) وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبت حروفه لم تتغير  
قراءته ، ولا بد مع ذلك أن يكون جيد السبك منسجم المعاني . ويجرى هذا



وَفِي التَّنْزِيلِ : كُلُّ فِي فَلَكٍ ، وَرَبِّكَ فَكَبَّرَ . وَمِنْهُ التَّشْرِيعُ :  
وَهُوَ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى قَافِيَتَيْنِ يَصْبَحُ الْمَعْنَى عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا ،  
بِقَوْلِهِ :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةُ إِنِّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ

النوع في النظم والنثر . أما في النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين  
قلباً للآخر كقوله :

\* أَرَانَا الْإِلَهَ هَلَالًا أُنَارًا \*

وقد يكون مجرّع البيت قلباً لمجموعه ، كقول القاضى الأرجانى : مودته  
تدوم البيت ، وأما في النثر فكما في قوله تعالى : كل في فلك . وقول جل شأنه :  
وربك فكبر . قالوا والحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخوف . لأن المعتبر  
هو الحروف المكتوبة ( ومنه التشريع ) ويسمى التوشيح . قال ابن الأثير :  
وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين . فإذا وقف من البيت  
على النافية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض . وإذا أضاف إلى  
ذلك ما بنى عليه شعره من النافية الأخرى كان كذلك شعراً مستقيماً من بحر  
آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى النافية الأولى للبيت كالوشاح ، فمن ذلك  
قول بعضهم :

إِسْلَمَ وَدُمْتَ عَلَى الْخَوَادِثِ مَارَسًا رُكْنَا ثَبِيرٍ أَوْ هِضَابُ حِرَاءِ  
وَنَالِ الْمَرَادَ مُسَكَّنًا مِنْهُ عَلَى رَغَمِ الدُّهُورِ وَقَرَّ بِطُولِ بَقَاءِ  
إذا نظر إلى هذين البيتين وجدوهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر  
، وذلك أن يقال :

وَمِنْهُ لَزُومٌ مَّا لَا يَلْزَمُ : وَهُوَ أَنَّ يَحْيَى قَبْلَ حَرْفِ الرَّوْيِ أَوْ مَا فِي

إِسْلَمَ وَدُمْتَ عَلَى الْحَوَا دِثِ مَارَسَا رُكْنَا ثَبِيرِ  
وَنَلِ الْمُرَادِ مُمَكَّنَا مِنْهُ عَلَى رَغْمِ الدُّهُورِ

وقد استعمل ذلك الحريري في مقاماته نحو قوله :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِنَّمَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ  
دَارٌ مَتَى مَا أَصْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبَكْتَ غَدًا بُعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ  
غَارَاتِهَا لَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ  
واعلم أن هذا النوع لا يحسن إلا إذا كان يسيراً . كالرقم في الثوب أو  
الشية في الجلد . وحسنه منوط بما فيه من الصناعة . لا بما فيه من البراعة .  
(ومنه لزوم ما لا يلزم) قال ابن الأثير : وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً  
وأبعدها مسلماً . وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه . فإن اللازم في هذا  
الموضوع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوى أجزاء الفواصل من  
الكلام المنشور في قوافيها . وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف  
التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي  
قبل روى الأبيات الشعرية ، ومن هذا النوع نثر ما رواه صاحب الأغاني  
أن لقيط بن زرارَةَ تزوج بنت قيس بن خالد بن ذى الجدين لحظيت عنده  
وحظى عندها ثم قتل فأتمت بعده وتزوجت زوجها غيره فكانت كثيراً ما تذكر  
لقيطاً ، فلامها على ذلك فقالت : إنه قد خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب  
فطرده البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه اضج دم ، فضمني ضمة وشني شمة  
فليتني مت ثمة ، فلم أر منظاراً كان أحسن من لقيط ، فقولها ضني ضمة وشني

بَعْنَاهُ مِنَ الْفَاصِلَةِ مَا لَيْسَ بِالْأَزِمِ فِي السَّجْعِ ، نَحْوُ : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ  
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وقوله :

شمة فإيتنى مت شمة : من الكلام الخلو في باب الزوم ولا كلفة عليه ، وهكذا  
فليكن ومن ذلك قول الحماسي :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَاءً خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقَتْ هَوَىٰ لَهَا  
بَيْضَاهُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا  
حَجَبَتْ تَحْيِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا  
نَوْ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَمَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْوَادِ فَسَلَّهَا  
وعذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه ، وكذلك قول الفرزدق :

مَنْعَ الْحَيَاةِ مِنَ الرَّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقَ تَقْلِبُهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ  
وَكُنَّ أَفْتِدَةَ الرَّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ

ومن قصد من العرب قصيده كله على الزوم كثير عزة ، وهي القصيدة  
إلى أولها :

خَالِيَّ هَذَا وَبُعْ عِزَّةَ فَاغَةَ لَا قُلُوصَيْكُمَا ثُمَّ احْلُلَا حَيْثُ حَلَّتْ  
وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً ، وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تفرق  
من لينها وسهولتها . وبالجملة ما يقع من هذا النوع المتقدم فهو غير مقصود  
منه ، ولذلك لا يرى عليه من أثر الكلمة شيء ، أما المتأخرون فنقصوا عمله  
وأكثروا منه ، حتى أن أبا العلاء المعري عمل من ذلك ديواناً كاملاً سماه  
الزوم ، فأنى فيه بالجيد الذي يحمد والردى الذي يذم ( وقوله ) أى قول

سَأَشْكُرُ عُمْرًا مَا تَرَاحَتْ مِنْ يَدِي      أَيَادِي لَمْ تُعْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ  
فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبِ الْغَنَى عَنْ صَدِيقِهِ      وَلَا مَظْهَرِ الشُّكُوفَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ  
رَأَى خَلْقِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا      فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ  
وَأَصْلُ الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ كَلِّهِ      أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي  
دُونَ الْعَكْسِ . . .

### حاشية خاتمة

( في السريقات الشعرية وما يتصل بها وغير ذلك )  
اتفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم ، كالتوصيف بالشجاعة  
والسخاء فلا يمدَّ سريقة ، لئلا يقرر في القول والعادات ، وإن كان في وجه  
الدلالة ، كالتشبيه والمجاز والسكناية ، وكذا كره هيات تدل على

عبد الله بن الزبير الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما ( لم  
تمن ) أى لم تقطع ، أو لم تخلط بمنة ( إذا النعل زلت ) زلة القدم والنعل :  
كناية عن نزول الشر والحنة ( خلقي ) الخلطة : الخصاصة والفقر ( وأصل  
الحسن في ذلك ) قد أسلفنا أول البيديع جملة كافية في هذا المعنى فاجعلها على  
ذكر منك وعرض عليها بالنواجد تسكن من الفائزين ( وما يتصل بها ) مثل  
الافتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح ( وغير ذلك ) مثل القول في  
الابتداء والتخلص والانتفاء ( في الغرض على العموم ) أى فيما يشترك فيه  
الناس عامة من الأغراض والمقاصد ( لئلا يقرر ) فيشترك فيه الفصيح والأعجم  
والشاعر والمفحم ( وجه الدلالة ) أى طريق الدلالة على الغرض .

الصِّفَةُ لِاخْتِصَاصِهَا بِمَنْ هِيَ لَهُ ، كَوَصْفِ الْجَوَادِ بِالتَّهَلُّلِ عِنْدَ وَرُودِ  
 الْعُقَاةِ ، وَابْتِخَالِ الْعُبُوسِ مَعَ سَعَةِ ذَاتِ الْيَدِ ، فَإِنْ اشْتَرَكَ النَّاسُ  
 فِي مَعْرِفَتِهِ ، لَا سِتْقَرَارَ فِيهِمَا ، كَتَشْبِيهِ الشُّجَاعِ بِالْأَسَدِ ، وَالْجَوَادِ  
 بِالْبَحْرِ ، فَهُوَ كَالْأَوَّلِ ، وَإِلَّا جَازَ أَنْ يُدْعَى فِيهِ السَّبْقُ وَالزِّيَادَةُ ، وَهُوَ  
 ضَرْبَانِ : خَاصٌّ فِي نَفْسِهِ غَرِيبٌ ، وَعَامٌّ تُعْرَفُ فِيهِ بِمَا أَخْرَجَهُ مِنْ  
 الْإِبْتِذَالِ إِلَى الْغَرَابَةِ ، كَمَا مَرَّ ، فَلَا أَخْذَ وَالسَّرِقَةَ نَوْعَانِ : ظَاهِرٌ ، وَغَيْرُ  
 ظَاهِرٍ ، أَمَّا الظَّاهِرُ : فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى كُلُّهُ مَعَ اللَّفْظِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ ،  
 أَوْ وَحْدَهُ ، فَإِنْ أُخِذَ اللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ ، لِأَنَّهُ  
 مَرَقَةٌ مُحْضَةٌ ، وَيُسَمَّى نَسْخًا وَانْتِحَالًا ، كَمَا حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ  
 أَنَّهُ فَصَلَ ذَلِكَ بِقَوْلٍ مَعْنَى بَنِ أَوْسٍ :

( العفاة ) أى السائلين جمع عاف ( مع سعة ذات اليد ) وأما العبوس مع قلة  
 ذات اليد فمن أوصاف الإخفاء ( معرفته ) أى معرفة وجه الدلالة ( فيهما ) أى  
 فى العتول والعادات ( فهو كالأول ) أى فالانفاق فى هذا النوع من وجه  
 الدلالة على الغرض كالانفاق فى الغرض العام فى أنه لا يعد سرفة ولا أخذاً  
 ( وإلا ) أى وإن لم يشترك الناس فى معرفته بأن كان مما لا ينال إلا بفكر  
 فهذا الذى يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يقضى بين القائلين  
 فيه بالفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول  
 أو نقص عنه ( كما مر ) فى باب التشبيه والاستعارة ( كما حكى ) حكى أن عبد الله  
 ابن الزبير الشاعر دخل على معاوية فأثمه البيتين فقال له معاوية لقد شعرت

فَإِذَا أَسَلَتْ تُنْصِفُ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَسْقِلُ  
وَبَرَزَ كَبُحْدَ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْعَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

بعدي يا أبا بكر ، ولم يفارق عبيد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني ،  
فأنشده قصيدته التي أولها :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيُّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

حتى أتى عليها ، وفيها ما أنشده عبد الله ، فأقبل معاوية على عبد الله ، وقال  
له ألم تخبرني أنهما لك ، فقال المعنى لي واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاة .  
وأنا أحق بشعره . قوله من أن تضيمه : أى بدلا من أن تطلبه ، وشفرة السيف  
حده ، ومزحل من زحل عن مكانه زحولا : إذا انتحى وتباعد . يقول لأنه  
لا يبال أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه  
ضيم أو يلحقه هضم أو احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعدا ولا معدلا . وهذا  
وما هو من قبيل ذلك ما روى للأبيرد اليربوعي :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّيْبَاءُ أَعَوَزَ هَا الْفَطْرُ  
ولأبي نواس :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ  
قال ابن الأثير : وما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته  
التي أولها :

\* دَغَّ عَنْكَ لَوْحِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاهُ \*

دَارَتْ عَلَى فِتْنَةٍ ذَلِكَ الزَّمَانُ لَهُمْ مَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بَمَا شَاؤُوا

وَفِي مَعْنَاهُ أَنْ يُبَدَّلَ بِالْكَلِمَاتِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضُهَا مَا يُرَادُفُهَا ، وَإِنْ  
كَانَ مَعَ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ ، أَوْ أُخِذَ بَعْضُ اللَّفْظِ ، سُمِّيَ إِغَارَةً وَمَسْبُحًا ،

وهذا من على الشعر ، وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا  
البيت في أصوات معبد وهو :

لَهْفِي عَلَى فِتْنَةِ ذَاكَ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا .

وما أعلم كيف هذا ، وقد أكثر الفرزدق وجريرو من هذا في شعرهما ، حتى  
لقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلي كان يتحدث إليها الشباب ، فدخل  
الفرزدق إليها وجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل إليها  
فأقبلت عليه وتركت الفرزدق ، فغاضه ذلك ، فقال للفتى أتصارعني ، فقال ذاك  
إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فصرط ،  
فوثب الفتى عنه وقال : يا أبا فراس هذا مقام العائد بك ، والله ما أردت  
ما جرى ، فقال ويحك والله ما بي أنك صرعتني ، ولكن كأتى بابن الأنان ،  
يعنى جريراً ، وقد بالغه خبري فقال يهجوني :

جَلَسْتَ إِلَى كَيْلِي لِتَحْطَى بِقُرْبِيهَا نَحْنُكَ دُبُرٌ لَا يَزَالُ يَخُونُ  
فَلَوْ كُنْتَ دَاخِرًا مَشَدَّدَتْ وَكَاءُهُ كَمَا شَدَّ جُرْبَانُ الدَّلَاصِ قِيمُونُ

قال فوالله ماضى إلا أيام حتى بالغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين ،  
وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه ( أن يبدل ) كقول  
أوسى القيس :

وَقُوفاً بِهَا تَحْيَى عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وقول طرفة :

وَقُوفاً بِهَا تَحْيَى عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

فَإِنْ كَانَ الثَّانِي أُبْلَغَ لِاخْتِصَاصِهِ بِفَضِيلَةٍ ، فَمَمْدُوحٌ ، كَقَوْلِ بَشَّارٍ :  
 مَنْ رَقَبَ النَّاسَ لَمْ يَغْفَرْ بِحَاجَتِهِ      وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ  
 وَقَوْلِ سَلَمٍ :  
 مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا      وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ  
 وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فَمَمْدُومٌ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وكقول حاتم :

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ      يَدَعُهُ وَيَعْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا  
 وقول الأعور :

وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ      يَدَعُهُ وَيَعْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا  
 ( لاختصاصه بفضيلة ) كحسن السمك أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة  
 معنى ( كقول بشار ) فببت سلم قالوا أجود سبكاً وأخضر لفظاً ، وقد روى  
 عن أبي معاذ رواية بشار أنه قال أنشدت بشاراً قول سلم فقال : ذهب والله  
 بيتي فهو أخف منه وأعذب ، والله لا أكلت اليوم ولا شربت . وهذا ، ومن  
 السراقات الممدوحة قول الشاعر :

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ      بِسْمْرِ الْقَنَّا وَالْبَيْضِ عَيْنًا وَحَاجِبٍ  
 وقول ابن نباتة بعده :

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَّا فِي ظُهُورِهِمْ      عِيُونًا لَهَا وَقَعُ الشُّيُوفِ حَوَاجِبُ  
 فببت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى ، وهو الإشارة إلى انهزامهم ،  
 ومن الناس من جعلهما متساويين ( كقول أبي تمام ) فإن مصرعه أحسن



هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ    إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ  
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَعْدَى الزَّمَانُ سَخَاوُهُ فَسَخَا بِهِ    وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا  
وَإِنْ كَانَ مِثْلُهُ فَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ ، وَالْفَضْلُ لِلْأَوَّلِ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

سبكا من مصراع أبي الطيب ، لأن أبا الطيب أراد أن يقول ولقد كان الزمان به بخيلا فعدل عن الماضي إلى المضارع للوزن . فإن قلت المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه ، قلنا السخاء بالشئ هو بذله للغير ، فإذا كان الزمان قد سخا به فقد بذله فلم يبق في تصرفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به ( أعدى الزمان ) أى تعلم الزمان منه السخاء لجاد به ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الدنيا واستبقاه لنفسه ( فأبعد من الذم ) هذا على تقدير ألا يكون فى الثانى دلالة على السرعة باتفاق الوزن والقافية ، وإلا فهو بالذم تحقيق كقول أبي تمام :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي    وَإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ  
وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا    وَمِنْ جَدْوَالِكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي  
وقول أبي الطيب :

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لِنَادِي    وَقَلْبِي عَنْ فِتَائِكَ غَيْرُ غَادٍ  
لِحِمْلِكَ حَيْثُمَا اتَّجَمْتُ رِكَابِي    وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ  
( كقول أبي تمام ) وقول بشار :  
يَأْقُومُ أُذُنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةً    وَالْأُذُنُ تَعَشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا  
وقول ابن الشحنة الموضلى :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَحِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا  
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَخْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا  
وَإِنْ أَخَذَ لَأَمْنَى وَحْدَهُ سُتًى إِلْمَامًا وَسَلَخًا ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ كَذَلِكَ  
أَوَّلُهَا كَقَوْلِ أَبِي تَمَامَ :

وَإِنِّي أَمْرُوهُ أَحَبُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ سَمِعْتُ بِهَا وَالْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تَسْقُ  
وَكَذَا قَوْلُ الْأَرَجَانِي :

لَمْ يُبَيِّنْ لِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِكُمْ لَمَّا أَسْرَّ بِهِ إِلَيَّ مُودَعِي  
هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُمْ فِي مِسْمَعِي الْقَيْئُ مِنْ مَدْمَعِي  
وَقَوْلُ جَارِ اللَّهِ :

وَقَائِلُهُ مَا هَذَا الدُّرُّ الَّتِي تَسَاقَطُهَا عَيْنَاكَ سَمِطَيْنِ سَمِطَيْنِ  
فَقُلْتُ هِيَ الدُّرُّ الَّتِي قَدْ حَسَا بِهَا أَبُو مُغَيْرٍ أَذُنِي تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِي

( كَقَوْلِ أَبِي تَمَامَ لَوْ حَارَ ) فَإِنْ أَبَا الطَّيِّبِ أَخَذَ الْمَعْنَى بِرَمْيِهِ مَعَ بَعْضِ  
الْأَلْفَاظِ كَالْمَنِيَّةِ وَالْفِرَاقِ وَالْوَجْدَانِ وَالْإِيْتَانِ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَالْأَرَجَانِي  
الطَّالِبُ ، وَإِضَافَةُ الْمُرْتَادِ إِلَى الْمَنِيَّةِ بَيَانِيَّةٌ وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ ( إِلْمَامًا ) مِنْ أَلَمْ بِالشَّيْءِ  
إِذَا قَصَدَهُ وَأَصْلُهُ مِنْ أَلَمْ بِالْمَنْزِلِ إِذَا نَزَلَ بِهِ ( وَسَلَخًا ) وَهُوَ كَشَطُ الْجِلْدِ  
عَنْ نَحْوِ الثَّنَاءِ ، وَاللَّفْظُ لِلْمَعْنَى بِمَنْزِلَةِ الْجِلْدِ ، فَكَأَنَّهُ كَشَطَ عَنْ الْمَعْنَى جِلْدًا  
وَالْبَسَهُ جِلْدًا آخَرَ ( كَذَلِكَ ) أَيْ مِثْلَ مَا يُسَمَّى لِمَاغَرَةً وَمِسْخًا ، لِأَنَّ الثَّانِي  
إِمَّا أَبْلَغَ مِنَ الْأَوَّلِ أَوْ دُونَهُ أَوْ مِثْلَهُ ( كَقَوْلِ أَبِي تَمَامَ ) وَكَقَوْلِ الْبَاحْتَرِيِّ

هُوَ الصَّنْعُ إِنْ يَعَجَلَ خَيْرٌ وَإِنْ يَرِثُ فَلَا رَيْثُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَنْفَعُ  
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَمِنْ أَخْطَرِ بَطْءِ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعُ الشَّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ  
وِثَانِيهَا كَقَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ :

تَصَدُّ حَيَاةً أَنْ تَرَكَ بِأَوْجِهِ أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيَهَا فَلَيْمَ مُطِيعَهَا  
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَجُرِّمِ جَرَّةَ سُفْهَاءِ قَوْمٍ وَحَلَّ بَغْيِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ  
فَإِنْ بَيْتَ أَبِي الطَّيِّبِ أَحْسَنُ سَبْكَاً ، وَكَأَنَّهُ اقْتَبَسَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : أَتَهْلِكُنَّ  
بِمَا فَعَلَ السُّفْهَاءُ سَنَا ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى إِذَا كَانَتْ أَعْمَلِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ  
وَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ بَعْدَهُ :

يَصْدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُوْدَدٌ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءُ نَاهِدٍ

فَبَيْتُ أَبِي تَمَامٍ أَخْصَرُ وَأَبْلَغُ ، لِأَن قَوْلَهُ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءُ نَاهِدٍ :  
زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ ( كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ هُوَ الصَّنْعُ ) فَبَيْتُ الْمُنْتَبِيٍّ أَبْلَغُ لَاشْتِمَالِهِ عَلَى  
زِيَادَةِ بَيَانٍ . وَالرَّيْثُ : الْإِبْطَاءُ ، وَالسَّيْبُ : الْعَطَاءُ ، وَالْجَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي لَا مَاءَ  
فِيهِ ( كَقَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ ) فَإِنْ بَيْتُ أَبِي الطَّيِّبِ دُونَ بَيْتِ الْبُحْتَرِيِّ ، لِأَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ  
مَا أَفَادَهُ الْبُحْتَرِيُّ بِالْفُظَى تَأْتِقُ ، وَالْمَصْقُولُ مِنَ الِاسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِيَّةِ حَيْثُ أَتَمَّتْ  
التَّأْتِقُ وَالصَّفَاةُ الْمَكْلَامِ ، كَالْإِثْبَاتِ الْأَطْفَارِ لِلْبُنْيَةِ ، وَيَلْزَمُ مِنْ هَذَا تَشْبِيهُهُ كَلَامَهُ  
بِالسَّيْفِ وَهُوَ الِاسْتِعَارَةُ بِالْكُنْيَةِ ، وَمَعْنَى تَأْتِقُ : لَمَعَ ، وَالنَّدَى : الْمَجْلِسُ الْغَاصُّ  
بِأَشْرَافِ النَّاسِ ، وَالْمَصْقُولُ : الْمُنْقَحُ ، وَالْعَضْبُ : السَّيْفُ الْفَاطِعُ . شَبَّهَ لِسَانَهُ بِسَيْفِهِ .

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ الْمَصْقُولُ خِلَتْ لِسَانُهُ مِنْ عَطْفِهِ  
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ أَلْسِنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خُرُصَانَا  
وَتَالِهًا كَقَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :

وَلَمْ يَكْ أ كَثُرَ الْفِتْيَانُ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبُهُمْ ذِرَاعًا

وخرصان الرماح : أسننها أو الحلق ، تطيف بأسافل الأسنة ، وواحدما خرص بالضم والكسر ، وصف فصاحة أسنة الممدوحين وطلاقتها . يقول إن ألسنتهم في المضاء والنفاذ تشابه ألسنتهم عند الطعن ، فكأن ألسنتهم جعلت أسنة رماحهم . ومن هذا القسم قول بعض الأعراب :

وَرِيحُهَا أَطْيَبُ مِنْ طِيْبِهَا وَالطَّيْبُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ  
وقول بشار :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ  
وكذلك قول أشجع :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ ضَوْءِ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ  
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْمَتُهُ وَإِذَا هَلَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ  
وقول أبي الطيب :

يَرَى فِي النَّوْمِ رُيُوحَكَ فِي كَلَامِهِ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ

فقصر بذكر الشهاد لأنه أراد اليقظة فأخطأ ، إذ ليس كل يقظة شهاداً وإنما الشهاد امتناع الذكرى في الليل ، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهداً (كقول الأعرابي) وكذا قول أبي بكر بن النطاح :

وَقَوْلِ أَشْجَعَ :

وَلَيْسَ بِأَوْسَمِهِمْ فِي الْغَنَى \* وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ  
\* وَأَمَّا غَيْرُ الظَّاهِرِ فَمِنْهُ أَنْ يَتَشَابَهَ الْمَعْنَيَانِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

كَأَنَّكَ بَعْدَ الْكَرْفِ حَوْمَةُ الْوَعَى تَنْزُرُ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ  
وقول أبي الطيب :

فَكَأَنَّه وَالطَّنُّ مِنْ قَدَامِهِ مُتَخَوِّفَاتٍ مِنْ خَفِّهِ أَنْ يُطْعَمَ \*  
وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

الْبَصِيرُ يَتَمَدَّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُنَّهَا إِلَّا عَائِكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ  
وقول أبي تمام بعده :

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبِي الدَّبْرِ حَازِمًا فَأَوْتَجَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجُوزُ  
وفلان رجب الذراع والباع : سخي ( كقول جرير ) فإن تعبير جرير  
عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبي الطيب عنه بن في كفه قناة ، وكذا العبارة  
عن المرأة بذات الخمار ، وبين في كفه خضاب : ومن هذا النوع قول الطرماح  
ابن حكيم الطائي :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلٍ  
وقول أبي الطيب :

وَإِذَا أَتَمَمْتَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

فَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاظُهُمْ سَوَاءٌ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِمَارِ  
وقول أبي الطيب :

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاطٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِصَابٌ  
وَمِنْهُ أَنْ يُنْقَلَ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ ، كَقَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ :  
سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا  
وقول أبي الطيب :

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل ذلك الرجل ، وشهادة  
ذم الناقص أبا الطيب بفضله كزيادة حب الطرماح لنفسه ، وكذا قول أبي العلاء  
المعري في مرثية :

وَمَا كَلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطْمِ  
وقول القيسراني :

وَأَهْوَى الَّذِي أَهْوَى لَهُ الْبَدْرُ سَاجِدًا أَلَسْتَ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرَ التُّرْبِ  
ولا يغرنك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسبياً والآخر مديحاً  
أو هجاء أو افتخاراً أو غير ذلك ، فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختلس  
لم ينظمه تحمیل في إخفائه فغير لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته ( كقول  
البحترى ) فإن أبا الطيب كما ترى نقل المعنى من التتلى والجرحى إلى السيف .  
سلبوا : أى سلبوا ثيابهم ، وأشرقت الدماء عليهم : أى فظهرت الدماء عليهم  
ملازمة لإشراق شعاع الشمس ، فكأنهم لم يسلبوا لأن الدماء المشرقة كانت  
ينزلة ثياب لهم : وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب

يَبْسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُفْعَدٌ  
وَمِنْهُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَشْمَلُ : كَقَوْلِ جَرِيرٍ :  
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا  
وَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ  
وَمِنْهُ الْقَلْبُ : وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّانِي تَقْيِضُ مَعْنَى الْأَوَّلِ ،  
كَوَلِ أَبِي الشَّيْصِ :

وَقَتُ بَيْنَ ابْنَيْ هُشَيْمٍ بِطَفْنَةٍ لَهَا عَائِدٌ يَكْسُو السَّلَيبَ إِزَارًا<sup>(١)</sup>  
( النجيع ) النجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف  
( كقول جرير ) فإن جريراً جعل الناس كلهم بنى تميم ، وأبا نواس جعل العالم  
كا في واحد ( كقول أبي الشيص ) فإن ما في بيته منافض لما في بيت  
أ الطيب ، لأنه صرح بحب الملامة ، والمتنبي في حبها بهمة الإنكار ، لكن  
كل منهما باعتبار آخر ، ولهذا قالوا الأحسن في هذا النوع أن يبين السبب  
كما في هذين البيتين<sup>(٢)</sup> إلا أن يكون ظاهراً كما في قول أبي تمام :  
وَنَفْعَةٌ مُعْتَقِي جَدَوَاهُ أَحَلَّى عَلَى أذُنِيهِ مِنْ نَفْعِ السَّمَاعِ

( ١ ) عند العرق سال فلم يكديرقاً ، وهو عرق عاند .  
( ٢ ) فإن الأول علل حب الملامة بحبه لذكره ، والثاني علل كراهيته  
لأنها تكونها تصدر من الإعداء .

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي الْيَوْمَ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ  
وَمِنْهُ أَنْ يُؤْخَذَ بَعْضُ الْمَعْنَى وَيُضَافَ إِلَيْهِ مَا يُحْسِنُهُ كَقَوْلِ الْأَفْوَاهِ :  
وَتَرَى الطَّيِّبَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ نِعْمَةً أَنْ سَتَمَارَ

وَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَقَدْ ظَلَمْتَ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ نَحْنُ يَعْقِبَانِ طَيْرٌ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ  
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ  
فَإِنْ أَبَا تَمَامٍ لَمْ يُلَاحِظْ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ الْأَفْوَاهِ رَأَى عَيْنٍ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نِعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَبْقِهِ بِسْوَالٍ

أراد أبو تمام أن الممدوح يستلذ نفقات السائين لما فيه من غاية الكرم  
ونهاية الجود ، وأراد أبو الطيب أنه إن سبقت نعمة من سائل طعام الممدوح  
بلغ ذلك منه مبالغ الجراحة من المجروح ، لأن عادة أن يعطى نعيم سؤال (عليه  
آثارنا) ورامنا تابعة لنا (رأى عين) بمعنى عياناً (ستار) أى ستطعم  
من لحوم من تقتلهم من القتلى (وقد ظلت) يقول : إن رايات الممدوح التى  
هى كالعقبان قد صارت مظلة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى ، لأنه  
إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق إمامته ، وثوباً بأنها ستطعم لحوم القتلى  
فتلقى ظلها عليها ، والنواهل جمع ناهلة : من نهل إذا روى (فإن أبا تمام )



وَمِنْ قَوْلِهِ ثِقَّةٌ أَنْ سَتُمَارُ ، لَكِنْ زَادَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلْ  
وَقَوْلِهِ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ ، وَبِإِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الْجَيْشِ  
وَبِأَنَّهُ يَتِمُّ حُسْنُ الْأَوَّلِ ، وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَنَحْوِهَا مَقْبُولَةٌ ، بَلْ  
وَبِأَنَّهُ مَا يُخْرِجُهُ حُسْنُ التَّصَرُّفِ مِنْ قَبِيلِ الْإِتِّبَاعِ إِلَى حَيْزِ الْإِبْتِدَاعِ ،  
وَالْعَمَّا كَانَ أَشَدَّ خَفَاءً كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ ، هَذَا كُلُّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ  
إِنِّي أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ

إِنْ أَنْ أَبَاتِمَامَ أَخَذَ بَعْضُ مَعْنَى بَيْتِ الْآفَوهِ لَا كُلَّهُ ، لِأَنَّ الْآفَوهِ أَفَادَ بِقَوْلِهِ  
رَى عَيْنَ قَرَبِ الطَّيْرِ مِنَ الْجَيْشِ لِأَنَّهَا إِذَا بَعْدَتْ تَخِيلَتْ وَلَمْ تَرَوْهَا لَيْسَ يَكُونُ  
فِيهَا تَوْفَعًا لِلْفَرِيَسَةِ ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ أَعْنَى وَصْفِهِمُ بِالشَّجَاعَةِ  
وَلَا فِتْنَةَ عَلَى قَتْلِ الْأَعَادِيِّ ، ثُمَّ قَالَ ثِقَّةٌ أَنْ سَتُمَارُ لِجَعْلِهَا وَاقِعَةً بِالْمِيرَةِ ، وَأَمَّا  
أَبَاتِمَامَ فَلَمْ يَلَمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، لَكِنْ زَادَ عَلَى الْآفَوهِ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلْ ،  
وَقَوْلِهِ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ ، ثُمَّ بِإِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الْجَيْشِ ،  
هَذَا يَتِمُّ حُسْنُ قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلْ ، وَهَذِهِ الزِّيَادَاتُ حَسَنَتْ قَوْلَهُ ،  
وَبِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَرَكَ بَعْضُ مَا أَتَى بِهِ الْآفَوهِ . فَقَوْلُ الْمَصْنُفِ وَبِهَا أَى بِهِذِهِ  
الْيَادَةِ الْآخِرَةِ وَهِيَ إِقَامَتُهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الْجَيْشِ ، وَقَوْلُهُ الْأَوَّلُ  
فِي قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلْ ( إِذَا عَلِمَ أَنَّ الثَّانِي أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ ) بِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ  
يَحْفَظُ قَوْلَ الْأَوَّلِ حِينَ نَظَّمَ قَوْلَهُ ، أَوْ بِأَنَّهُ يُخْبِرُ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ  
لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ الْخَوَاطِرِ ( كَمَا رَفَعَ لِي فِيمَا دَرَجَ مِنْ  
أَيَّامِ أَيَّامٍ كُنْتُ لَا أَعْرِفُ شِعْرًا وَلَا شَاعِرًا ، وَذَلِكَ بَيْتُ قَاتِلِهِ فِي صَدِيقٍ غَابَ  
بِحَرَسَاتِهِ مِنَ الزَّمَنِ وَهُوَ :

انْلَوَاطِرَ ، أَيْ تَجِيئِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِتِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِلْأَخْذِ ، فَإِذَا  
كَمْ يُفْلَمُ قِيلَ قَالَ فَلَانُ كَذَا وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فَلَانُ فَقَالَ كَذَا .

وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِهَذَا الْقَوْلُ فِي الْإِقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ وَالْعَقْدِ وَالْحُلِّ وَالتَّلْمِيحِ .  
أَمَّا الْإِقْتِبَاسُ : فَهُوَ أَنْ يُضْمِنَ الْكَلَامُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الْحَدِيثِ لَا عَلَى  
أَنَّهُ مِنْهُ ، كَقَوْلِ الْحَزِينِيِّ : فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلِمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ،  
حَتَّى أَشَدَّ فَأَغْرَبَ ، وَقَوْلِ الْآخِرِ :

إِنْ كُنْتُ أَرْمَعْتُ عَلَى هَجْرِنَا مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمَ فَصَبْرُ جَمِيلٍ  
وَإِنْ تَبَدَّلَتْ بِنَا غَيْرِنَا فَحُسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ بَعْدِكَ مَا الْجَوَى وَلَا حَادِثَاتِ الدَّهْرِ كَيْفَ تَنْوُبُ  
فَأَسْمَعْتَهُ صَاحِبًا لِي فَقَالَ إِنْ مَثَلَهُ لِكَثِيرِ عِزِّهِ وَهُوَ :

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عِزَّةِ مَا أَلْبَسَا وَلَا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتْ  
فَمَا كَادَ يَشْمُهُ حَتَّى أَخَذَتْ مِنْ هِزَةِ الطَّرَبِ ، وَكَدَتْ أَخْرَجَ مِنْ جِلْدِي فَرَحًا  
وَقُلْتُ الْآنَ أَغْبِطُ نَفْسِي إِذْ طَبَعَتْ عَلَى غَرَارِ أَعْيَانِ الشُّعْرَاءِ ، وَكَمَا يَحْكِي عَنْ ابْنِ  
مِيَادَةَ أَنَّهُ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَبَزَ اهْتَبَزَ الْمُهَنْدِ

فَقِيلَ لَهُ أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ هَذَا لِلْحَطِيشَةِ ، فَقَالَ الْآنَ عَلِمْتُ أَنِّي شَاعِرٌ ، إِذْ  
وَأَفْقَعْتُ عَلَى قَوْلِهِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ ( الْآخِرُ ) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ السَّكَّاتِي  
( أَرْمَعْتُ ) أَيْ عَزَمْتُ ( مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمَ ) مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ صَدَرَ مِنْهُ فَازِئَةٌ

وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : قُلْنَا شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، وَقُبِحَ اللَّكَمُ وَمَنْ يَرُجُوهُ .  
نَوَلِ ابْنِ عَبَّادٍ :

قَالَ لِي ابْنُ رَقِيٍّ سَيِّئُ الْخُلُقِ فِدَارُهُ  
قُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنَّةُ خَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ  
وَهُوَ ضَرْبَانِ : مَا لَمْ يُنْقَلْ فِيهِ الْمُقْتَبَسُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ ، كَمَا  
ذَمُّهُ ، وَخِلَافُهُ ، كَقَوْلِهِ :

إِنَّ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي  
أَقْدَرُ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ  
وَلَا تَأْمَنُ بِتَغْيِيرِ سَيْرٍ لِلْوَزْنِ أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

نَلْنَا شَاهَتِ الْوُجُوهَ) أى قبحت وهو لفظ الحديث ، فإنه روى أنه لما اشتدت  
لرب يوم حنين ، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كعاً من الحصباء فرمى به  
شركيين ، وقال شَاهَتِ الْوُجُوهَ (اللَّكَمُ) أى اللثيم ، ويقال هو العبد الذليل  
نفس (فداره) من المداراة ، وهى المجاملة والملاطفة (وجهك الجنة)  
بد اقتبس من لفظ الحديث حمت الجنة المكاره ، وحمت النار بالشهوات :  
فى أن وجهك الجنة فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب ، كما لا بد لطالب الجنة  
ن مشاق التكليف (كقوله) أى قول ابن الرومى ، فإن بواد غير ذى زرع  
نقبتس من القرآن الكريم ، لكن معناه فى القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات ،  
فى البيت جناب لا خير فيه ولا نفع (كقوله) أى قول بعض المعارة  
مد وفاة بعض أصحابه ، ومثله قول عمر الخيام

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا \* إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ  
وَأَمَّا التَّصْمِينُ : فَهُوَ أَنْ يُصَمَّنَ الشَّعْرُ شَيْئًا مِنْ شَعْرِ الْغَيْرِ مَعَ التَّنْمِيَةِ  
عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا عِنْدَ الْبُلَغَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْمَعَالِي بِصَائِبِ فِكْرَةٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ  
وَلَا حَاجَ بِحِكْمَتِي نُورِ الْهُدَى فِي لَيَالٍ لِلضَّلَالَةِ مُذْلِمَةٍ  
يُرِيدُ الْجَاهِلُونَ لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُنِيمَهُ

وكذلك قول القاضي منصور الهروي الأزدي :

فَلَوْ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ تُخَوِّى وَرَائَهُ وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْوَاحُ لَا تَتَشَقَّبُ  
لَأَصْبَحَ كُلُّ النَّاسِ قَدْ صَمَّمَهُمْ هَوَى كَمَا أَنَّ كُلَّ النَّاسِ قَدْ صَمَّمَهُمْ أَبُ  
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ كُلُّهَا مُيَسَّرٌ لِمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ وَمُقَرَّبٌ  
(عليه) أى على أنه من شعر الغير (كقوله) أى قول الحريرى يحكى ما قاله  
الغلام الذى عرضه أبو زيد للبييع : والمصراع الأخير للعرجى وتامه :

\* لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ وَسِدَادٍ ثَقِيرٍ \*

ومن هذا النوع قول ابن العميد :

وَصَاحِبٍ كُنْتُ مَغْبُوطًا بِصُحْبَتِهِ دَهْرًا فَقَادَرَنِي فَرْدًا بِإِلَاسِكُنِي  
هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إِقْبَالِ فِطَارِهَا نَحْوُ السَّرُورِ وَالْجَانِي إِلَى الْحُزَنِ  
رَأَتْهُ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى إِحْنٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي ضَرْبِ الشَّعْرِ أَنْشَدَنِي

كَلَى أَنَّى سَأْنَشِدُ عِنْدَ بَيْمَى أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا  
وَأَخْسَنُهُ مَا زَادَ عَلَى الْأَصْلِ بِنُكْتَةٍ كَالْتُّورِيَةِ وَالتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :  
إِذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَثَغَرَهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ  
وَيْدِ كِرْمِي مِنْ قَدَّهَا وَمَدَامِي مَجَرَّةَ عَوَالِيْنَا وَتَجَرَّى السَّوَابِقِ  
، وَلَا يَضُرُّ التَّغْيِيرُ الْيَسِيرُ ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ تَضْمِينُ الْبَيْتِ ، فَمَا زَادَ

إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا مَا أَسْهَأُوا ذَكَّرُوا مَنْ كَانَ يَأْلُمُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ  
وَالْبَيْتِ لِأَبِي تَمَامٍ ( كَالْتُّورِيَةِ وَالتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ ) أَيْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي الْأَصْبَعِ ،  
فَالْمَصْرَاعَانِ الْآخِرَانِ مَطْلَعُ قَصِيدَةِ لَأَبِي الطَّيِّبِ ، وَالْعُذَيْبِ وَبَارِقِ : مَوْضِعَانِ ،  
وَالْعَوَالِي : الرِّمَاحُ ، وَالسَّوَابِقُ : الْخَيْلُ . يَقُولُ إِنَّهُمْ كَانُوا نَزُولًا بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ  
وَكَانُوا يَحْرَمُونَ الرِّمَاحَ عِنْدَ مَطَارِدَةِ الْفَرَسَانِ وَيَسَاقُونَ عَلَى الْخَيْلِ ، فَالشَّاعِرُ  
الثَّانِي أَرَادَ بِتَضْمِينِهِ بِالْعُذَيْبِ وَبَارِقِ مَعْنِيَهُمَا الْبَعِيدَيْنِ ، لِأَنَّهُ جَعَلَ الْعُذَيْبَ  
تَصْغِيرَ الْعُذْبِ ، وَعَنَى بِهِ شِدَّةَ الْحَبِيَّةِ . وَبَارِقُ ثَغَرَهَا التَّشْبِيهِ بِالْبَرْقِ ، وَبَيْنَهُمَا  
رَبِيعَةٌ ، وَهَذَا تَوْرِيَةٌ ، وَشَبَّهَ تَبَخُّرَ قَدِّهَا بِتَمَايُلِ الرِّيحِ وَجُرْيَانِ دَمْعِهِ عَلَى التَّابَعِ  
بِجُرْيَانِ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ ، فزَادَ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ هَذِهِ التَّوْرِيَةَ وَالتَّشْبِيهِ ( وَلَا يَضُرُّ  
التَّغْيِيرُ الْيَسِيرُ ) لِيَدْخُلَ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ كَقَوْلِ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي يَهُودِي (١) بِهِ  
دَاءُ الثَّعْلَبِ (٢) :

أَقُولُ لِمَعْسَرٍ غَلَطُوا وَغَضُوا ١٠ عَنِ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْسَكُرُوهُ

( ١ ) ذَمًّا لَهُ بِكَوْنِهِ أَقْرَع .

( ٢ ) هُوَ مَرَضٌ يَمِصُّ الشَّعْرَ مِنَ الرَّأْسِ .

اسْتَعَانَهُ ، وَتَضَمَّنَ الْمَصْرَاعَ فَمَا دُونَهُ إِيدَاعًا وَرَفُوعًا . وَأَمَّا الْعَقْدُ : فَهُوَ أَنْ يُنْظَمَ نَثْرٌ لَا عَلَى طَرِيقِ الْإِفْتِنَاسِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ \* وَحَيْفَةُ آخِرُهُ يَفْخَرُ

عَقْدَ قَوْلٍ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ : وَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرَ ، وَإِنَّمَا أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ وَآخِرُهُ حَيْفَةٌ . وَأَمَّا الْحَلْثُ : فَهُوَ أَنْ يُنْثَرَ نَظْمٌ كَقَوْلِهِ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ : فَإِنَّهُ لَمَّا تَبَحَّتْ فَعَلَاتُهُ ، وَحَنَظَلَتْ نَحْلَاتُهُ ، لَمْ يَزَلْ سُوهُ الظَّنِّ

هُوَ ابْنُ حَبَلٍ وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا مَتَى يَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أَنَا ابْنُ رَجُلٍ وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

على طريقة التسكيم كما ترى . فغيره إلى طريقة الغيبة ليدخل في المنصود (إيداعاً) لأن الشاعر الثاني قد أودع شعره شيئاً من شعر الأول (ورفعاً) لأنه رفاخرق شعره بشعر غيره (كقوله) أى قول أبي العتاهية . ومثله قوله أيضاً :

وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَتَّى

عقد قول بعض الحكماء في الإسكندر لما مات . كان الملك أمس أنطق منه

اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس (وأما الحل) وشرط كونه مقبولاً شيئان أحدهما : أن يكون سبكه مختاراً لا بقتاص عن سبكه أصله ، والثاني : أن يكون حسن الموقع مستتراً في محله غير فاق (كقول بعض المغاربة) يصف شخصاً بأنه سى الظن لقياسه غيره على نفسه والمعلات الأفعال وحنظلات نخلاته .

يَعْتَادُهُ ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُمَهُ الَّذِي يَعْتَادُهُ . حَلَّ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :  
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِهِ  
 وَأَمَّا التَّلْمِيحُ : فَهُوَ أَنْ يُشَارَ إِلَى قِصَّةٍ أَوْ شِعْرِ مِنْ غَيْرِ  
 ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

فَوَلَّهِ مَا أَدْرَى الْأَحْلَامُ نَأْمَهُ أَلَمَتْنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ

صارت ثمار نخلاته كالنخل في المارة . ومثل هذا قول صاحب الوشي المرقوم  
 في حل المنظوم يصف فلم كاتب : فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول ،  
 وغنيت به عن الخيل والخيول ، وقالت أعلى الممالك ما يبنى على الأقلام لا على  
 الأسل حل قول أبي الطيب ..

\* أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَلِ \*

وكقول بعض الكتاب في وصف السيف : أوردته عشق الرقاب نحولا ،  
 فبكى والدمع مطر تزيد به الحدود نحولا ، حل قول أبي الطيب أيضاً :  
 فِي الْخُلْدِ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيْطُ رَحِيْلًا مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ نُحُولًا  
 وكقول في أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده : صار له دوى في كل قطر  
 كأنما تداول سمع المرء أمله العشر ، حلت قول أبي الطيب يخاطب علي بن أحمد  
 الانطاكي :

وَتَرَكْتَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّهَا تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أُنْسُهُ الْعَشْرُ  
 (كقوله فوالله) هو لاني تمام وقيله :

لَحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّيَ الْهَوَى قُلُوبًا عَيْدَنَا طَيْرَهَا وَهِيَ وَقَعُ

أَشَارَ إِلَى قِصَّةِ يُوْشَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْتَيْقَافِهِ الشَّمْسَ ، وَكَقَوْلِهِ :  
لَعَمْرُؤِ مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَطِي أَرْقُ وَأُحْفِي مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ  
أشار إلى البيت المشهور :

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَّهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخَدْرِ تَطْلُعُ  
نَضًا ضَوْؤُهَا صَبِغَ الدَّجَنَةَ وَانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعِ  
الضمير في أخراهم ولهم الأجابة المرتجائين وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ ،  
وحام الطير على الماء : دار ، وحومه غيره ، ونضا : ذهب به وأزاله ، الضمير  
في ضوئها وبهجتها للشمس الطالعة من الخدر ، والدجنة : الظلمة ، وانطوى :  
انضم ، والمجزع : ذو لونين ، وقوله أحلام نائم : استعظام لما رأى واستغرب  
( أشار إلى قصة يوشع ) على ما روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت  
الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له  
قتالهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ( لعمرؤ ) هو لاني تمام ،  
والرمضاء : الأرض الشديدة الحر ، وأحفي من حفي بفلان : إذا بالغ في إكرامه  
وأظهر السرور والفرح ( المستجير بعمرؤ ) لهذا البيت قصة هي أن البسوس  
زارت أختها الغيلة وهي أم حساس بحار لها من جرم بن زبان له ناقة وكليب  
قد حمى أرضاً من العالية فلم يكن يرعاها إلا لابل حساس لمصاهرة بينهما ،  
فخرجت في لابل حساس ناقة الجرعى ن حمى كليب ، فأكرها كليب فرماها  
فاختل ضرعها ، فوات حتى بركت بمناء صاحبها رضرعها يشحب دماً ولبناً وصاحت  
البسوس واذلاه واغربته ، فقال لها حساس أيتها الحرة اهدئي فوالله لأعقرن



﴿ فضل ﴾

يَنْبَغِي لِلْمُتَّكِلِّمْ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ ، حَتَّى تَكُونَ  
أَعَذَبَ لَفْظًا ، وَأَحْسَنَ سَبْكًا ، وَأَصَحَّ مَعْنَى أَحَدَهَا : الْإِبْتِدَاءُ كَقَوْلِهِ :  
﴿ قِنَا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ﴾

خُلا هُوَ أَعَزُّ عَلَى أَمَلِهِ مِنْهَا فَلَمْ يَزَلْ جَسَاسٌ يَتَوَقَّعُ غُرَّةَ كَلْبٍ حَتَّى خَرَجَ وَنَبَاعَدَ  
عَنِ الْحِمَى ، فَبَلَغَ جَسَاسًا خُرُوجَهُ ، فَخَرَجَ عَلَى فَرْسِهِ فَأَتْبَعَهُ فَرَسِي صَاحِبِهِ ، ثُمَّ  
وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا عَمْرُو أَتَعْتَقِي بَشْرِيَّةَ مَاءٍ ، فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ فَفَضَى ، فَقِيلَ الْمُسْتَجِيرُ  
يُعْمَرُو الْبَيْتَ ، وَنَشَبَ الشَّرِبُ بْنُ نَعْلَبٍ وَبَكَرُ أَرْبَعِينَ سَنَةً كُلُّمَا لَتَغْلَبَ عَوْبُ بَكَرٍ ،  
وَلِهَذَا قِيلَ أَشْأَمُ مِنَ الدَّبْسِ . هَذَا وَمِنَ النَّلْيَحِ ضَرْبٌ يُشَبَّهُ الْمَغْزَ ، كَمَا رَوَى أَنَّ  
تَمِيمًا قَالَ لِشَرِيكِ النَّمِيرِيِّ : مَا فِي الْجَوَارِحِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْبَازِي فَقَالَ : إِذَا كَانَ  
يَصِيدُ الْقَطَا . أَشَارَ التَّمِيمِيُّ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

أَنَا الْبَازِي الْمِطْلُ عَلَى نَمِيرٍ      أَتَيْحَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابًا  
وَأَشَارَ شَرِيكَ إِلَى قَوْلِ الطَّرْمَاحِ :

تَمِيمٌ يَطْرُقُ اللَّوْثُ أُهُدَى مِنَ الْقَطَا ( وَلَوْ سَلَكَتُ طُرُقَ السَّكَارِمِ صَلَّتِ  
( أَحَدُهَا الْإِبْتِدَاءُ ) لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ السَّمْعَ ، فَإِنْ كَانَ عَذْبًا حَسَنَ  
السَّلَكِ صَحِيحَ الْمَعْنَى أَفْجَلُ السَّامِعِ عَلَى الْكَلَامِ . وَلِهَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .  
الْمَوْحَمُ وَطَسَ وَطَسِمَ وَكَمْ مِصَصَ . فَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ بِشَيْءٍ بَدِيعٍ لَيْسَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ  
عَهْدٌ لِيَكُونَ ذَلِكَ دُعَايَةً لَهُمْ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ لَمَّا بَعْدَهُ . وَمِنْ هُنَا جَمَلُ أَكْثَرِ الْإِبْتِدَآتِ  
بِالْحَمْدِ لِلَّهِ لِأَنَّ النُّفُوسَ تَتَشَوَّقُ لِلثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ ، فَهُوَ دَاعِيَةٌ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ ( كَقَوْلِهِ  
قِفَا بَيَّاتٍ ) قِيلَ لَمَّا سَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ . قَاتِلِ اللَّهَ الْمَلِكَ

وكقوله :

قَصْرُهُ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ بَجَاهَهَا الْأَيَّامُ  
وَأَنْ يَتَجَنَّبَ فِي الدِّيْحِ مَا يُتَطَيَّرُ بِهِ ، كقوله :  
\* مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدِ \*

الضليل . وقف واستوقف وبكى واستبكى . وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد ، والبيت مطلع معلقة امرئ القيس وتماه :

\* بِسَاطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَخَوَّمَلِ \*

ومن الابتدآت الحميدة قول النابغة الجعدي :

كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيَّةُ نَاصِبٍ وَآلِيٍّ أَقْلَسِيهِ بِطَى السَّكَاكِبِ  
وقول المتنبي :

أَتَرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعَشَاقِ تَحْسِبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِ

( وكقوله ) أى قول أشجع السلى ( موعِد ) مطلع قصيدة لابن مقاتل الضير أنشدها للداعي العلوى ، فقال له الداعي : موعِدُ أَحْبَابِكَ يَا أَعْمَى وَلَكِ الْمَثَلُ السُّوءُ ، ويروى أيضاً أنه دخل عليه في يوم مهرجان وأنشد :

لَا تَقْلُ بُشْرَى وَاسْكِنْ بُشْرِيَانِ غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمَهْرَجَانِ

فتطير به وقال يا أعمى تبتدىء بهذا يوم المهرجان ، وقيل بطحه وضربه خمسين عصاً ، وقال لإصلاح أدبه أبلغ من ثوابه . ويروى أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان ، تجلس فيه وجمع أهله وأصحابه ، وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم ، فأتى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذن إسحق الموصلي المتنبي

وَأَحْسَنُهُ مَا يُنَاسِبُ الْمَقْصُودَ ، وَيُسَمَّى بَرَاةَ الْإِسْتِهْلَالِ ، كَقَوْلِهِ  
فِي التَّهْنِئَةِ :

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا \*

وقوله في المراثية :

هِيَ الدُّنْيَا تَتَمَلُّ بِمِلٍّ فِيهَا حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

ش . أ . جاد فيه . إلا أنه ابتدأه بذكر الديار وعفاها فقال :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبِلَاءُ وَحَاكِي يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فَتَطِيرُ الْمُعْتَصِمَ وَقَعَامَرِ النَّاسِ ، وَعَجِبُوا كَيْفَ ذَهَبَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ مَعَ  
قَوْمِهِ وَعَلَيْهِ وَعُلُوٌّ وَطُولٌ - دُمُومُهُ لِلْمُلُوكِ ، ثُمَّ أَقَامُوا يَوْمَهُمْ وَانْصَرَفُوا ، فَعَادَ مِنْهُمْ  
إِنْ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ . وَخَرَجَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى سَرْمَنِ رَأَى وَخَرِبَ الْقَصْرَ  
( رى ) هُوَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْخَازِنِ يَهْنِئُ ابْنَ عَبَادٍ بِمَوْلُودِ لَبْنَتِهِ . وَأَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلُ  
أَبِي تَمَامٍ يَهْنِئُ الْمُعْتَصِمَ بِاللَّهِ بِفَتْحِ عَمُورِيَّةٍ . وَكَانَ أَهْلُ التَّنْجِيمِ زَعَمُوا أَنَّهَا  
لَا تَنْتَحِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ :

الْيَقُفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

بَيْنَ الصَّفَائِحِ لِأَسْوَدَ الصَّخَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ

وقول أبي الطيب في التهنئة بزوال مرض :

إِذَا عُوْفِي إِذْ عُوْفِيْتِ وَالْكَرْمُ وَرَأَى مِنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ

( هِيَ الدُّنْيَا ) لِأَبِي الْفَرَجِ السَّوْىَ يَرَى بَعْضَ مُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ . وَأَحْسَنُ

م . قول أَوْسَ بْنِ حَجَرٍ :

وَنَانِيهَا التَّخْلُصُ مِمَّا شُبِّبَ الْكَلَامُ بِهِ ، مِنْ نَسِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ ،  
إِلَى الْمَقْصُودِ ، مَعَ رِعَايَةِ الْمَلَاءَمَةِ بَيْنَهُمَا ، كَقَوْلِهِ :  
يَقُولُ فِي قَوْمِي قَوْمِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنَّا الشَّرَّى وَخَطَا الْمَلَكِيَّةِ الْقَوْدِ  
أَمْطَلَعَ الشَّمْسُ تَبْغِي أَنْ تَوُثِّمَ بِنَا فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ

أَيَّتَهَا النَّفْسُ أَجْلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا  
وقول أبي تمام :

كَذَا فَلْيَجَلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْذَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا غَدْرُ  
( ونانيها التخلص ) لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب  
إلى المقصود كيف يكون . فإذا كان حسناً متلائم الطرفين حرك من نشاط  
السامع . وأعان على إصغاء ما بعده . وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر  
بالعكس . وهذا وكان الأحسن والأوضح للصنف أن يقول ونانيها التخلص .  
وهو الانتقال مما ابتدئ به الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود الخ ، كما  
لا يخفى على العاقل . فقوله مما شُيِّبَ الْكَلَامُ بِهِ : أراد مطلق الابتداء والافتتاح  
لا خصوص التشبيب الذي هو ذكر أيام الشباب واللاهو والغزل والنسيب  
أن يصف الشاعر جمال المرأة وحاله معها في العشق ( أو غيره ) كالافتخار  
والهجو والشكاية ( بينهما ) أي بين ما شُيِّبَ أي ابتدئ به الكلام وبين  
المقصود ( كقوله يقول ) قومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل  
وأخذت منا السرى : أي أثر فينا السير ليلاً ونقصت من قوائنا . والمهرية : الإبل  
المنسوبة إلى مهرة بن حيدان . والقود : الطوال الظهور والأعناق . والبيتان  
لأن تمام في عبد الله بن طاهر هداية من بدائع التخلص قول زهير

وَقَدْ يُنْتَقَلُ مِنْهُ إِلَى مَالَا يُبْلَغُهُ ، وَيُسَمَّى الْاِقْتِضَابَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ  
تَرْبِ الْأُولَى وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُخْضَرِّمِينَ ، كَقَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَبَابًا  
كُلَّ يَوْمٍ تُبْدَى صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا

إِنَّ الْبَحِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَالَتِهِ هَرِمٌ  
وقول مسلم بن الوليد :

أَجِدَّكَ مَا تَذَرِينِ أَنْ رَبًّا لَيْلَةً كَانَ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ  
سَهَرْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ كَفُرَّةٍ يَحْيِي حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

وقول المتنبي :

فَلَيْلِي مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ  
لَا تَعْجَبَا إِنَّ الشُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

( الأولى ) يعني الجاهلية ( من المخضرمين ) وهم الذين أدركوا الجاهلية  
والإسلام مثل ليبيد . قال الزمخشري : ناقة مخضومة أي جدد نصف أذنها ، ومنه  
لمخضرم الذي أدرك الجاهلية والإسلام كأنما قطع نصفه حيث كان في الجاهلية  
( كقوله ) أي قول أبي تمام وهو من الإسلاميين ، لأنه كان في زمن الدولة  
العباسية . هذا والافتضاب في الشعر كثير والتخلص بالنسبة إليه قطرة  
من بحر ، فمن الافتضاب قول أبي نواس في قصيدته النونية التي أولها :

\* يَا كَثِيرَ النَّوحِ فِي الدَّمَنِ \*

فَاسْتَفَنِي كَأَسَا عَلَى عَذَلٍ كَرِهْتَ مَسْمُوعَهُ أَذُنِي

وَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّخَلُّصِ ، كَقَوْلِكَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ : أَمَّا بَعْدُ ، قِيلَ  
وَهُوَ فَضْلُ الْخُطَابِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأَبٍ ، أَيْ  
الْأَمْرُ هَذَا أَوْ هَذَا كَمَا ذَكَرَ ، وَقَوْلِهِ : هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ  
مَأَبٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكَاتِبِ : هَذَا بَابٌ \* وَثَالِثُهَا الْإِنْتِهَاءُ ، كَقَوْلِهِ :  
وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ  
فَإِنْ تَوَلَّيْتَنِي مِنْكَ الْجَلِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَأَنِّي عَاذِرٌ وَشَاكُورٌ

مِنْ كُنَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرٍ مَا سَأَلْتُ فِي بَدَنِي  
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِي فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ  
تَضَحُّكَ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَثَارِ وَالسُّنَنِ  
سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ

( قيل وهو فصل الخطاب ) قال ابن الأثير : والذي أجمع عليه المحققون  
من علماء البيان أن فصل الخطاب هو أما بعد لأن ، المتكلم يفتح كلامه في  
كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخرج منه إلى الغرض  
المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد ( وثالثها الانتهاء )  
لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس ، فإن كان مختاراً جبر ما عساه وقع  
فيما قبله من التفسير ، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك ، وربما أنسى محاسن  
ما قبله ( كقوله وإني ) أي قول أي نواس في الخصيب بن عبد الحميد

وَأَحْسَنُهُ مَا آذَنَ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ ، كَقَوْلِهِ :  
 بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ \* وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ  
 وَجَمِيعُ فَوَاتِحِ الشُّرَى وَخَوَاتِمِهَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا  
 يَظْهَرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ مَعَ التَّنَدُّكِ كَرِّ لِمَا تَقَدَّمَ .

( بقيت ) قيل إنه للدورى ( واردة على أحسن الوجوه وأكملها ) فإنك  
 إذا نظرت إلى فواتح السور جماعها ومفرداتها رأيت من البراعة والتفنن وضروب  
 الإشارة ما قد أصاب المحز وطبق المفصل . وإذا نظرت إلى خواتمها وجدت  
 من الأدعية والوصايا والمواعظ والتحميد والوعيد ، وغير ذلك من  
 الخواتم ما لا يبقى للنفوس بعده مطمع . وما تسجد لحسنه مصانع البلغاء .  
 هذا آخر ما يسره الله سبحانه بما أردنا وضعه على هذا الكتاب ، في أوقات  
 كنا نختلسها اختلاسا من بين تشعب الأعمال وتزاحم الاشغال . فإن كنت  
 وفيت بما وعدت فالشكر لله سبحانه على معونته وحسن توقيفه . وإلا فأحق  
 الناس بقبول عذره ، وإقلال عتبه ، من وقف نفسه لصناعة التأليف في زمن  
 فترت فيه همم طلاب العلوم ، وخارت عزائمهم عن مساعدة المؤلفين وتنشيطهم  
 على الدأب في عملهم والعناية بصنائعهم . فإن فائى إيفاء العمل حقه من الأجر ،  
 فإن يفوتنى إن شاء الله إعطاؤه قسطه من العذر ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا  
 أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا  
 ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا .  
 ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

عبد الرحمن البرقوقي

فهرست التلخيص

الموضوع	صفحة
مقدمة الشارح للطبعة الأولى	٢
مقدمة الشارح للطبعة الثانية	٢١
مقدمة في الفصاحة والبلاغة	٢٤
( الفن الأول علم المعاني )	٣٧
تنبيه ( في صدق الخبر وكذبه )	٣٨
أحوال الإسناد الخبري	٤٠
أحوال المسند إليه	٥٣
أحوال المسند	١٠١
أحوال متعلقات الفعل	١٢٦
القصر	١٣٧
الإنشاء	١٥١
الفصل والوصل	١٧٥
تذنيب أصل الحال	١٩٦
الإيجاز والإطناب والمساواة	٢٠٩
( الفن الثاني علم البيان )	٢٣٥
التشبيه	٢٣٨
الحقيقة والمجاز	٢٩٢



الموضوع	صفحة
فصل ( في الاستعارة بالكناية )	٣٢٤
» ( في مذهب السكاكي في الحقيقة والمجاز )	٣٢٨
» ( فيما به تحسن الاستعارة )	٣٣٤
» ( في المجاز بالحذف والزيادة )	٣٣٦
الكناية	٣٣٧
فصل « أطبق البلغاء الخ »	٣٤٦
( الفن الثالث غم البديع )	٣٤٧
المطابقة	٣٤٨
مراعاة النظر	٣٥٤
الأرضاد	٣٥٦
المشاكلة	٣٥٦
المزاوجة	٣٥٨
العكس	٣٥٨
الرجوع	٣٥٩
التورية	٣٥٩
الاستخدام	٣٦٠
الف والنشر	٣٦١
الجمع	٣٦٣

الموضوع	صفحة
التفريق	٣٦٣
التقسيم	٣٦٤
الجمع مع التفريق	٣٦٤
الجمع مع التقسيم	٣٦٥
الجمع مع التفريق والتقسيم	٣٦٦
التجريد	٣٦٨
المبالغة	٣٧٠
المذهب الكلامي	٣٧٤
حسن التعليل	٣٧٥
التفريع	٣٧٩
تأكيد المدح بما يشبه الذم	٣٨٠
تأكيد الذم بما يشبه المدح	٣٨٢
الاستتباع	٣٨٣
الإدماج	٣٨٣
التوجيه	٣٨٤
الهزل الذي يراد به الجد	٣٨٥
تجاهل العارف	٣٨٥
القول بالموجب	٣٨٦

الموضوع	صفحة
الاطراد	٣٨٧
الجناس	٣٨٨
رد المعجز على الصدر	٣٩٣
السجع	٤٠٤
الموازنة	٤٠٤
القلب	٤٠٤
التشريع	٤٠٥
لزوم مالا يلزم	٤٠٦
خاتمة في السرقات وما يتصل بها	٤٠٨
فصل ينبغي المتكلم أن يتأنق	٤٢٩
في ثلاثة مواضع	